



هاورد پاپل

مغامرات روبن هود

ترجمة: هادي رزاق الخرجي



منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING



مغامرات روبن هود هاورد پاييل

رواية

ترجمة

هادي رزاق الخزرجي



الكاتب: هاورد بايل
عنوان الكتاب: مغامرات روبن هود
ترجمته هادي رزاق الخزرجي

العنوان باللغة الأصلية: The Merry Adventures of Robin Hood
الكاتب: Howard Pyle

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد اليقايي

ر.د.م.ك: 2-50-723-9921-978
الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2020
3000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناسر ©

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: + 965 98 81 04 40

بغداد - شارع المنتبي، بناية الكاهجي

تلفون: + 964 78 11 00 58 60

✉ publishing@talweenkw.  talweenkw

com

 www.talweenkw.com

 @talweenKw


لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون: +961 1 541 980 / +961 1 345 683

بغداد - العراق / شارع المنتبي، عمارة الكاهجي

تلفون: 07830070045 / 07810001005

✉ daralrafidain@yahoo.com

 Dar alrafidain

✉ info@daralrafidain.com

 Daralrafidain

 www.daralrafidain.com

 @Dar alrafidain



مقدمة الترجمة

الشجرة، هي رمز للحياة بخضرتها وعلوِّها، وحكمتها الهادئة وغضبها بأصواتها أمام العاصفة! هي التي تمنح الأطفال بدايةً للاكتشاف، وللفتيان مغامرة، وقد نحفر على جذعها حروف أسمائنا وبعض ذكرياتنا الهاربة. فكيف إذا اجتمعت ملايين الأشجار في مكان واحد شاسع... تُوِّف غابة لها هيبتها وجلالها ومجدها، تُوِّف عالمًا خاصًا بها، قد ترخَّب ببعض الناس، وقد تنفر منهم وتطردهم! غابة شيرود، موطن روبن هود وأصدقائه وأفراد عصابته، وقلعته الحصينة. عاش فيها، ودخل في تفاصيلها وأسرارها، وصار جزءًا من حياتها اليومية، بكل ما فيها من سكنها ومسالكها وحيواناتها. وقد استمدَّ سهامه وأقواسه من أشجارها المقدَّسة الحانية.

إنه بطل نصف حقيقي، نصف أسطوري، اختلفت الأبحاث التاريخية في تحديد حقيقته وعصره، ولكن دقة تسديد سهامه، ومواقفه في العدالة والإيثار والتضحية، صارت رمزًا للروح الحرَّة الأبية الشجاعة. تدور أحداث الرواية في وقت مبكر من القرون الوسطى، وفي ظرف تاريخي يشير إلى ريتشارد قلب الأسد، والحملات الصليبية على أراضي المسلمين في فلسطين والشرق... ويمكن للقارئ أن يجد عددًا متنوعًا من القصص التي تسرد أحداث مغامرات روبن هود، وفيها نقص وزيادات مختلفة، لكن المؤلف والرسَّام الأمريكي (Howard Pyle) (١٨٥٣-١٩١١)، حاول أن يقدِّم نسخة شاملة، فيها أشهر الأحداث ذات الصلة، وعزَّزها بالرسوم، وجعل الرواية موجهةً إلى الفتيان (Juvenile Fiction)، بل هي للكبار وكل الأعمار من دون شك. ومن نافلة القول إن قصة روبن هود قد أخذت مدًى عالميًا واسعًا وما تزال، في السينما وأفلام الرسوم المتحركة والمجلات المصوَّرة.

يمتاز روبن هود منذ فتوته، وحصول حادثة قتل أحد حرس الملك في الغابة، بالشخصية التي لا تحيد عن مبادئها، وتعتمد على جملة من الأسس، من أهمها اجتماع طبع الظرافة الشخصية، مع الجدية في دعم الطبقات الفقيرة، بالأموال والمواقف. ومن جهة أخرى،

يلحظ القارئ تركيزًا في مكافحة ظاهرة رجال الدين المسيحيين، الذين تحوّل قسم منهم إلى مرابين وبخلاء وأثرياء جشعين، على حساب نسبة عظيمة من الفقراء المسحوقين، وتحالف أولئك الرهبان -على تنوع مراتبهم- مع الطبقة السياسية الحاكمة، وأهم رموزها العدو الأول والأساس لروبن هود: عمدة مدينة نوتنغهام. ولكن من جهة أخرى، يكسب روبن في عصابته (الراهب تاك)، وهو شخصية طريفة، وتمثل جانب الخير والصفات التي تؤهله للانضمام إلى مجتمع روبن هود. وكذلك تعلق روبن وعصابته برموز القديسين الشفعاء، على تنوع عطائهم وبركاتهم. وتصل عدالته إلى مستوى محاسبة الشحاذين، الذين يبالغون في التسوّل وتكديس الأموال. وتدعو سيرته عامة إلى حب الوطن والشعب والولاء للملك العادل، والدعوة إلى قيم الفروسية والإصلاح الاجتماعي.

تحفل الرواية بكثير من الحكم والقصائد الشعبية المغنّاة، التي يطلق عليها اسم (Ballad)، ويقول (د. كاظم سعد الدين) في أصل هذه الكلمة: «إننا نرى أنها عربية. فكما رأينا أن الفن الغنائي كان على نمطين: واحد يخصّ الأمراء والأرستقراطيين في قلاعهم وبلاطاتهم، وهو النوع الذي بيّناه تحت تروبادور (Troubadour) إلى (طرب) الأمراء. والنوع الثاني هو الذي يخصّ العوام، ويغلب عليه ذوقهم، وكان وما يزال يسمى (البلدي)، وفيه تتم الأغنية الراقصة من جانب مغنٍّ وفرقة»⁽¹⁾.

وهذه الرواية من نوع القصة الإطارية، بما فيها من القصص المجزأة التي يتضمّنُها مسارٌ روائي محوري. وقد وظّف الكاتب الأسلوب الذي يحتوي بعض المفردات الإنجليزية القديمة (Arch-aic)، واستعمال المعاني الأخرى لبعض المفردات.

ولعلنا نذكر هنا الشاعر الفارس (عروة بن الورد)، إذ تناولت مجموعة من الدراسات المقارنة العربية سيرته وشعره وأفكاره، ولكن يحتاج هذه الموضوع إلى جهد ترجمي معاكس، ينقل هذا المحتوى إلى آفاق أوسع، لإحداث التأثير العالمي المتصل بسياق النهضة العربية، والعمل على اكتشاف ما له صلة كبرى وصغرى بالمحتوى المقارن. فضلًا عن استثمار كل هذه المعطيات في قصص للأطفال والفتيان وسواها. وجدير بالذكر أن هذه الترجمة هي

الأولى عربيًا، وهي الترجمة للنص الكامل، وتحاول تقديم صورة شاملة لعالم روبن هود، منذ بداية دخوله في مجال خاص من المغامرات والتحديات حتى نهاية حياته المؤثرة!

أسيرُ في تلك الغابة وظلالها الوارفة، أدوس على الأوراق وأسمع أصوات تكسرهما، وبذلك أتخلص من همومي التي تتكدس على روحي! أتكلم مع الأشجار الهادئة، وأصغي إلى الأنهار والجداول في رحلتها الأبدية بين أعماق تلك الأراضي الساكنة. أكتشف نفسي هناك، وأعيد النظر في آلامي، وأرى كبيرها على أنه سيمضي مع مرور الزمن، وإلى صغيرها على أنه تافه لا يؤثر، وبهذا ألتفتُ إلى مسرّاتي وسعاداتي، وأسقيها وأرعاها لتنمو رغم كل شيء، وأدفعها دفعًا نحو حدائق قلبي...

أشكر كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل، ولا سيما صديقي الأستاذ حيدر آل صالح، والأستاذ الكريم صاحب الدجيلي. وكلّي رجاء في أن تكون هذه الترجمة عند حسن ظن القراء الكرام، والحمد لله رب العالمين.

(1) الشعر والقصة في الأدبين الأندلسي والأوروبي، علم التأصيل والأدب المقارن، ترجمة وتحرير د. كاظم سعد الدين، ص 60.

مقدمة المؤلف: من الكاتب إلى القارئ

أنت! يا من تكدح إلى حدٍ بعيد وسط الأمور الجدّية، فتشعر أن من المخجل أن تعطي لنفسك ميلاً بسيطاً قليلاً -حتى لو لبضع لحظات قصيرة- نحو البهجة والسرور في أرض الخيال، وأنت! يا من تعتقد أن الحياة لا شأن لها بالضحك البريء الذي لا يؤدي أحداً: هذه الصفحات ليست لكم! فتصفح هذه الأوراق ولا تمضِ إلى أبعد من هذا، إذ أنني أخبرك بوضوح، أنك إذا ذهبتَ أبعد فسوف تُصدم برؤية ناس طبيين متزنين من التاريخ الفعلي، وهم يرقصون ويتصرفون بحماقة! بملابس بهيجة متنوعة الألوان، بما يجعلك تنكرهم إلا من خلال بطاقات أسمائهم الملصقة.

ها هنا رجل قوي مفعم بالحياة حاد المزاج -ولكن لا بأس في كل ذلك - يحمل اسم هنري الثاني. وها هنا سيدة جميلة كريمة، أمامها ينحني الآخرون كلهم، ويدعونها بالملكة إينور. وهنا وغد ثري بالنسبة إلى رجل يرتدي ملابس فاخرة من الصنف الديني، يناديه كل الناس الطبيين بمولاي مطران هيريفورد. وهنا رجل معين بمزاجٍ حاد، ونظرة متجهمة لسيادة عمدة نوتنغهام! وفوق ذلك، هنا رجل طويل عظيم يطوف في الغابة الخضراء ويشترك في الرياضات المحلية، ويجلس إلى جانب العمدة عند الموائد البهيجة، وهو نفسه الذي يحمل اسم أفرخ سلالة بلانتاجينيت(2). ريتشارد قلب الأسد. إلى جانب كل هؤلاء، هنالك حشد كامل من الفرسان، والقساوسة، والنبلاء، والمواطنين، واليومنين(3) والغلمان، والسيدات، والفتيات، وملاك الحانات، والمتسولين، والباعة الجوالين، وغير ذلك... كلهم يحيون أسعد الحياة المبهجة، ولا يجمعهم شيء إلا بعض الخيوط الغريبة من قصائد البلاد المعينة -اقتطعت وقصّت ورُبطت معاً من جديد في مجموعة من العقد - التي جذبت هؤلاء الرجال المرحين هنا وهناك، يغنون بينما يمضون. وهنا سوف تجد مئة طبقة غبية وامتزنة ومتحركة، كلها متنكرة بالزهور وسواها، حتى لا يعرفهم أحد في زيهم العجيب. وهنا بلد يحمل اسماً مشهوراً، وليس فيه من حالات ضباب قارس يضغط على أرواحنا، ولا مطر

يهطل إلا ما يجري على ظهورنا ويزول، مثل أمطار نيسان المتفرقة عن ظهور البط الزلقة،
وحيث تزهو الورود إلى الأبد والطيور تغني دائماً، وحيث كل رجل يمتلك أغنيته السعيدة
وهو يسافر على الطرقات، والجعة والنبيد-مثل التي لا تشوّش العقل - تتدفق مثل الماء
في الجدول. هذا البلد ليس أرضاً خرافية. فما هو؟ إنه أرض الخيال، وهو من النوع السارّ
الذي عندما تتعب منه، تحرك بخفة وقلّب صفحات هذا الكتاب معاً فهو يختفي، وأنت
تكون مستعداً للحياة اليومية بلا التسبب بأذى.

والآن، أنا أرفع الستارة المعلقة بين ما هنا وبين الأرض الحرام. فهل ستأتي معي أيها القارئ
اللطيف؟ أشكر، ناولني يدك...

(2) (Plantagenet) السلالة الملكية الإنجليزية، من تولي هنري الثاني الحكم في ١١٥٤،
وحتى وفاة ريتشارد الثالث في ١٤٨٥.

(3) (Yeoman) من أفراد الطبقة المتوسطة، الذي يمتلك أرضاً صغيرة وإرادة حرة لزرعها
واستثمارها. فضلتُ تعريب المصطلح ليبدّل على الطبقة التي ينتمي إليها روبن هود وأكثر
أفراد عصابته. فضلاً عن معانٍ أخرى للكلمة، ومنها: الضابط في الحرس الملكي.

التمهيد : كيف صار روبن هود خارجًا عن القانون



في إنجلترا السعيدة، في الزمن الماضي... عندما كان الملك الطيب هنري الثاني يحكم البلد، عاش هنالك في الفسحات الخضر من غابة شيرود قرب مدينة نوتنغهام، أحد العصاة الذي كان اسمه روبن هود. لم يوجد رامي سهامٍ تمكّن من إطلاق سهم ريشة الإوزة الرمادية بتلك المهارة والدهاء مثله قطّ، ولم يكن هنالك رفاق مخلصون مثل أولئك المئة والأربعين الظرفاء، يطوفون معه خلال ظلال الغابة الخضراء بمرح كبير، ويقيمون في أعماق غابة شيرود(4) لا يقاسون الرعاية والحاجة، بل يمضون الوقت في ألعاب سارة من رمي السهام أو القتال بالهراوات، ويرتعون بلحم طرائد الملك، مع جرعات من جعة تخمير تشرين الأول. ليس روبن وحده بل كل أفراد العصاة، كانوا متمردين على القانون، يعيشون معزولين عن الناس الآخرين، ورغم ذلك، كانوا محبوبين من السكان حولهم، إذ لم يقصد امرؤ روبن الظريف طلبًا للمساعدة في وقت الحاجة، وانصرف عنه بيد خالية قط! والآن، سأخبركم عمّا حدث، بما جعل روبن هود يقع في صراع ضد القانون:

عندما كان روبن شابًا في الثامنة عشرة، وكان قوي البنية وشجاع القلب، أعلن عمدة مدينة نوتنغهام عن مباراة لرمي السهام، وعرض جائزةً من برميل جعة كبير، لمن يرمي أدقّ رمية

في مقاطعة نوتنغهام، فقال روبن:

- الآن! سأذهب أنا أيضًا للتسلية، سأسحبُ وتراً من أجل عيون معشوقتي، وبرميلِ جعة تخمير تشرين الأول!

لذلك، نهض وتناول قوسه المصنوع من خشب الطقسوس، وتقريبًا عشرين سهمًا طويلًا بقياس كلوثيارد(5). ثم انطلق من مدينة لوكزلي خلال غابة شيروود إلى نوتنغهام.

كان الوقت فجرًا في أحد أيام شهر أيار الرائع، حيث الأسيجة الخضراء من الشجر والنباتات والأزهار تزخر المروج، فزهور الأقحوان بمختلف الألوان، وأزهار الكوكو الصفراء، وزهرة الربيع على طول الأسيجة الشوكية، ذلك عندما تزدهر براعم التفاح، وتغني الطيور اللطيفة والقبرة عند فجر النهار، وصياح طائر السمانى والوقواق، وعندما ينظر الفتيان والفتيات بعضهم نحو البعض بأفكار جميلة، وحينما تنشر ربات البيوت المنشغلات قطع الأقمشة البيض، لقصرهن على العشب الأخضر اللامع. كانت الغابة الخضراء فاتنة وهو يسير على امتداد دروبها، وقد شعت الأوراق الخضراء ذات الحفيف، وبينها غردت الطيور الصغيرة بقوة وحيوية. صفر روبن بمرح وهو يتهادى على المسار، مفكرًا في الأنسة ماريان وعينيها المشرقتين، إذ في مثل هذه الأوقات، تتجه تصورات الشاب بلطف نحو الفتاة الأفضل التي يحبها. وبينما كان على هذا النحو من السير بخطوات نشطة رشيقة وبصفير بهيج... مر فجأة على بعض حراس الغابة! كانوا يجلسون تحت شجرة سنديان عظيمة، كانوا خمسة عشر، يريحون أنفسهم بالاحتفال والشرب، ويجلسون متحلقين حول فطيرة لحم ضخمة، وقام كل واحد بإطعام نفسه منها مقحمًا يديه فيها، ويستعينون على ابتلاع طعامهم بقرون كبيرة طافحة بالجعة، التي يصبونها برغوتها من برميل جاثم على مقربة. كانوا كلهم يرتدون ملابس بخضرة لثكون(6). وقد كان مظهرهم جميلًا وهم يجلسون على مساحة من العشب القصير، أدنى تلك الشجرة ذات الدوحة المنتشرة الجميلة، ثم نادى واحد منهم -وفمه ممتلئ - روبن:

- هولاء! أين تمضي أنت أيها الولد الصغير، مع قوسك الرخيص من بنس واحد وسهامك بقيمة الفارذنج؟ (7)

غضب روبن! إذ لا رجل يافعًا يرضى أن يكون عرضة للسخرية بأعوامه الغضة؛ فقال:

- الآن! إن قوسي وسهامي جيدة مثل التي لديك، وفوق ذلك، أنا في طريقي إلى مباراة الرماية في مدينة نوتنغهام، تلك التي أعلن الطيب عمدة نوتنغهام عنها، هنالك سوف أتبارى مع رفاق أشداء آخرين من أجل جائزة مقدّمة: هي برميل كبير من الجعة الفاخرة.

فقال واحد منهم وهو يمسك بقرن الجعة في يده:

- ها! استمع للولد! ها! يا ولد، حليب أمك لم يكد يجفّ على شفّتيك، ومع ذلك أنت تعلن مواجهة رجال جيدين شجعان عند أهداف نوتنغهام! أنت يا من لا تكاد تقدر على سحب وتر واحد من قوس بوزن ستونين (8).

قال روبن الجريء:

- أراهن الأفضل فيكم على عشرين من الماركات (9). بأنني -بعون مسدد من سيدتنا العذراء - أصيبُ الهدف على مسافة ستين قسبة.

عند قوله هذا ضحكوا مصخبين! وقال واحد منهم:

- متفاخرٌ جيد أنت أيها الرضيع اللطيف! متباهٍ جميل! وأنت تدري جيدًا أن لا هدف قريبًا ليجعل رهانك نافعًا.

وصاح آخر:

- وبعد ذلك سوف يتناول جعته مع الحليب!

وعند هذا الحد تعاظم غضب روبن تمامًا، وقال:

- أصغوا أنتم! هنالك، عند نهاية الفسحة أنا أرى قطيعًا من الغزلان، حتى أنها على مسافة أبعد من ستين قسبة. سوف أراهنكم بعشرين من الماركات على أنني -بإذن سيدتنا العذراء- سأصيب أفضل ذكر في القطيع وأقتله!

فصاح أول من تكلم:

- اتفقنا! وها هي عشرون ماركًا. أراهن أنك لن تصيب أي حيوان بالموت، سواء مع أو بلا عون من سيدتنا العذراء!

فتناول روبن قوسه الخشبي الجيد، وجعل الطرف منه على مشط قدمه وضبط وتره ببراعه، ثم ثبت سهمًا طويلًا ورفع القوس، وسحب ريشة الإوزة الرمادية حتى أذنه، وفي اللحظة التالية اهتزَّ



الوتر، وانطلق السهم مسرعًا على امتداد الفسحة، مثل باسق يخطف خطفًا في الريح الشمالية، فوثب أحسن ذكر في القطيع عاليًا، لكن ذلك كان من أجل أن يسقط ميتًا! صابغًا الدرب الأخضر بحمرة دم قلبه! صاح روبن:

- هل أعجبتك تلك الرمية يا رفيقي الطيب؟ أنا أظن أن الرهان لي، وأنه كان ثلاث مئة باوند.

امتلاً حراس الغابة بالسخط! أما أول من تكلم فيهم -وهو الذي خسر الرهان- فقد كان أكثرهم غضباً! فصاح:

- كلا! الرهان ليس لك، وارجل أنت من هنا مباشرة، أو -بحق كل قديسي السماء- سأركل جوانبك حتى تسقط ولا يعود بإمكانك السير أبداً!

قال آخر:

- أنت لا تعلم. ألسنت قد قتلت أيل الملك، وبموجب قوانين سيدنا الكريم وسيادة الملك هاري، يجب أن تُقص أذناك قريباً من رأسك؟

صرخ ثالث:

- أمسكوه!

قال رابع:

- كلا! دعوه يمض ولو بسبب أعوامه الغضة!

لم ينبس روبن هود ببنت شفة، لكنه نظر نحو حراس الغابة بوجه عابس! ثم استدار على عقبه وخطا مبتعداً عنهم على درب فسحة الغابة. لكن قلبه كان غاضباً بمرارة، فدمه كان ساخناً ويافعاً وميلاً للغليان! والآن، كان من الأفضل لمن تكلم أولاً أن يدع روبن هود يمضي وحيداً، لكن سخطه كان متأججاً، بسبب أمرين: الشاب قد تفوق عليه بأفضل ما لديه، وجرعات الجعة العميقات التي كان يتناولها. لذلك، فجأة! وبلا أي تحذير، وثب وقبض على قوسه وثبت فيه سهماً، وصاح:

- أجل! وأنا سأسرّعك حالاً!

فأطلق السهمَ يصفر وراء روبن! كان من الخير لروبن هود أن رأس حارس الغابة ذاك كان ثملاً بالجمعة، وإلا فإنه ما كان ليخطو خطوة أخرى، وقد أزرّ السهم على مسافة ثلاث بوصات من رأسه! فاستدار، وبسرعة استلّ قوسه ورمى سهمًا خلفه في المقابل، وصاح عاليًا:

- أنت قلت إنني لم أكن رامياً، لكن قل الآن مثل ذلك مرةً أخرى!

اندفع السهم باستقامة، فمال الرامي إلى الأمام وصدت عنه صرخة، وارتدى على وجهه فوق الأرض، وتبعثرت سهامه مجلجلةً حوله وهي تخرج من كنانته! لقد ابتلّ سهم الإوزة الرمادية بدم قلبه! وقبل أن يستجمع الآخرون رشدهم، كان روبن هود قد مضى في أعماق الغابة الخضراء... سعى بعضهم خلفه ولكن بلا إصرار، إذ خشي كل واحد منهم أن يصيبه الموت كرفيقه، فعادوا كلهم الآن، ورفعوا جثة الميت وحملوه بعيداً نحو مدينة نوتنغهام. خلال ذلك، كان روبن هود قد فرّ خلال الغابة الخضراء، وقد زالت كل مظاهر الفرح والتألق عن الأشياء، إذ كان قلبه معتلاً وروحه مثقلة بهمّ تبعات قتل رجل! فصاح:

- وا أسفاه! أنت وجدتي رامياً وذلك ما سوف يجعل زوجتك تتعذب! كنتُ أودّ أنك لم تقل لي كلمة واحدة، ولا أُنِي مررتُ على طريقك، بل حتى أتمنى لو أن سبابتي اليمنى كانت معطوبة قبل أن يحدث هذا! سددتُ ضربة موجعة في وقت سريع، لكنني سأصاب بالحزن لوقت طويل...

بعد ذلك -حتى في كربه- تذكّر القول القديم: ما حصل قد حصل، إذا انكسرت البيضة فلا يمكن إصلاحها. وهكذا جرى الأمر بأن يقيم في الغابة الخضراء، التي ستكون وطناً له لسنوات عدة... ولن يشهد مجدداً الأيام السعيدة مع الفتيان والفتيات من مدينة لوكلزي اللطيفة، لأنه كان معدوداً مع الخارجين عن القانون، ليس بسبب قتله رجلاً وحسب، بل كذلك لأنه اصطاد بشكل غير قانوني أيل الملك. وقد جعل مبلغ مئتي باوند مقابل رأسه، جائزةً لمن يأتي به إلى محكمة الملك. والآن، قد أقسم عمدة نوتنغهام بأنه سيقوم بنفسه

بالإمساك بروبن هود الوغد وجلبه للعدالة، وذلك لسببين: الأول، لأنه أراد نيل المئتي باوند، والثاني: لأن حارس الغابة المقتول كان من أقاربه.

لكن روبن هود مكث مختبئًا في غابة شيروود لسنة واحدة... وخلالها اجتمع حوله آخرون كثيرون مثله: هاربون منبوزون من أقوامهم لسبب أو لآخر، بعضهم اصطاد الغزلان في جوع فصل الشتاء، إذ لم يمكنهم الحصول على أي طعام آخر، وقد شاهدتهم حراس الغابة لكنهم فرّوا، وبذلك حُفظت آذانهم من العقاب، وبعضهم قد طُرد من مستحقات ملكه وإرثه، ذلك أن حقولهم قد تُضم إلى أراضي الملك في غابة شيروود، وبعض منهم قد سلب حقوقه بارونٌ كبير أو رئيس دير غني أو نبيل إقطاعي قوي... كلهم -لسبب أو آخر- قد أتوا إلى شيروود للنجاة من الظلم والمضايقات. لذلك -وعلى طول ذلك العام- قام مئة أو ما يزيد من الرجال الشجعان الطيبين بالتجمع حول روبن هود، وقد اختاروه ليكون مرشدهم وقائدهم. ثم أقسموا أنهم كما نُهبت حقوقهم فإنهم سيسلبون من ظلمهم، سواء أكان بارونًا أم رئيس دير أو فارسًا أو نبيلًا إقطاعيًا... ويأخذون من كل واحد، اضطهد الفقراء بالضرائب غير العادلة أو بدل إيجار الأرض أو بالغرامات الجائرة. أما تجاه الناس الفقراء، فقد كانوا يقدمون المساعدة والعون في وقت الحاجة والمشاكل، ويستردّون لهم ما سلب منهم ظلمًا وعدوانًا. وإلى جانب ذلك، أقسموا وتعاهدوا على أن لا يؤذوا طفلًا ولا امرأة، سواء أكانت خادمة أم زوجة أو أرملة... لذلك -بعد مرور زمن قصير- بعد أن رأى الناس أن لا أذى يصيبهم منهم، بل أن المال أو الطعام يتوفّر في وقت الحاجة لكثير من العائلات المسكينة، شرعوا بالثناء على روبن وعصابته الطيبة المرحة، وأخذوا يقصّون حكايات كثيرة عنه وعن أفعاله في غابة شيروود، إذ شعروا بأنه ينتمي إليهم وأنه واحد منهم.

في أحد الصباحات البهيجة نهض روبن هود، عندما كانت كل الطيور بين الأوراق تصدح بالغناء البهيج، واستيقظ كل رجاله، وغسل كل واحد منهم رأسه ويديه في الجدول البني البارد، الذي يتقاذف ضاحكًا من حصة إلى أخرى! ثم قال روبن:

- مضت أربعة عشر يومًا ولم نشهد تسلية ونشاطًا، لذا فإنني سأخرج حالًا للبحث عن المغامرات. أما أنتم فابقوا كلكم هنا في الغابة الخضراء يا رجالي الأوفياء، فقط لتترقبوا ندائي إياكم بشكل جيد: أصدرُ ثلاث نفخات ببوق النفير عند الحاجة فتهرعون إليَّ بسرعة، إذ سوف أحتاج إلى مساعدتكم.

وبقوله ذلك، خطا بسرعة ماضيًا عبر فسحات الغابة كثيفة الأوراق، حتى وصل إلى حافة شيروود. هنالك تمشَّى لوقت طويل على الطريق العام والطريق الفرعي... وخلال الوديان العميقة المشجَّرة وتخوم الغابة. حينًا التقى بفتاة ناهدة تمشي في درب ظليل، فحيًا كل واحد منهما الآخر بكلمة لطيفة ومرّ على سبيله، وحينًا آخر شاهد سيدة جميلة تسير الهوينى فرفع لها قبعته، وهي بالمقابل انحنت برقّة للشاب الوسيم، وحينًا آخر شاهد راهبًا بدينًا (10) على حمارٍ مثقل بالسلال، وشاهد فارسًا بأسلًا يحمل الرمح، وعليه الدرع والترس الذي انعكس بلمعان في ضياء الشمس، ومرةً رأى غلامًا في رداء قرمزي، ورأى مواطنًا مدنيًا من مدينة نوتنغهام الطيبة، يسير وحيدًا بخطوات واثقة. رأى كل هذه المشاهد... لكنه لم يصادف مغامرة! أخيرًا، سار على طريق عند حافات الغابة، على مسلكٍ غير مباشر، ينحدر باتجاه جدول عريض محصّب، ومجسّر بقنطرة ضيقة من جذع شجرة. وعندما أخذ يتقدم تدريجيًا قرب القنطرة، رأى رجلًا غريبًا يأتي من الجهة المقابلة. وحينئذٍ أسرع روبن خطواته، وقد فعل الغريبُ مثل ذلك، وكل واحد منهما يفكّر في العبور قبل صاحبه! قال روبن:

- الآن، تراجع أنت! ودع الرجل الأفضل يعبر أولاً.

أجاب الغريب:

- كلا! تراجع أنت واحفظ نفسك! إذ أرى أنني أنا الرجل الأحسن.

- سوف نرى بعد وقت قصير، وخلال ذلك، قف حيث أنت! وإلا بحقّ طلعة القديسة ألفريدا المشرقة، فإنني سأريك طريقة لعب نوتنغهام الجيدة بسهم طويل بين أضلاعك!

- الآن، سوف أديغ جلدك حتى يكون بألوان كثيرة كعباءة شحاذ، إذا تجرأت أكثر على لمس وتر ذلك القوس الذي تمسكه بيديك!

- أنت تلغو مثل حمار! لأنني أستطيع أن أنفذ هذا السهم خلال قلبك المتغطرس، قبل أن يتمكن راهب ذو رداء قصير، من تلاوة صلاة المائدة فوق إوژة مشوية في عيد القديس ميخائيل!(11).

- وأنت تثرثر مثل جبان! لأنك تقف هنالك ومعك قوس جيد من خشب الطقسوس لترمي على قلبي، بينما ليس عندي في يدي إلا هراوة مجردة من شجرة البرقوق لمواجهتك!

- الآن، وبحق إيمان قلبي، أنا لم أتصف بالجبن في كل حياتي السابقة. وسوف أضع جانبًا قوسي الموثوق وأترك سهامي، وإذا كنت تجرؤ على الالتزام لعودتي، فسأذهب وأقطع هراوة لأختبر رجولتك بها!

- أجل، ها! بكل تأكيد أنا سوف ألتزم بمجيئك وبسرور أيضًا.

قال ذلك الرجل الغريب، وحينئذٍ استند إلى هراوته بقوة وثبات منتظرًا روبن. ثم سار روبن هود بسرعة نحو جانب الغابة، وقطع غصنًا جيدًا من سنديانة قصيرة، مستقيمًا لا عيب فيه، وبطول ستة أقدام، وعاد وهو يشذب عنه التفرعات، بينما كان الغريب في انتظاره مستندًا إلى هراوته، يصفر ويحدق إلى ما حوله! قام روبن بملاحظته اختلاسًا وهو يقوم بالتشذيب، وتفحصه من قمة رأسه إلى أخمص قدمه، وفكر في أنه لم يشاهد رجلًا قويًا ومفعمًا بالحيوية مثله قط. كان روبن طويلًا لكن الغريب كان أطول منه بارتفاع رأسه وعنقه، لأنه كان بطول سبعة أقدام. وكان عريض ما بين المنكبين، لكن الغريب كان أعرض بكفين، وكان عند الخصر بعرض ذراع في الأقل. قال روبن لنفسه: ورغم ذلك... سوف أضرب جلدك ضربًا بكل متعة، يا رفيقي العزيز! ثم قال بصوت عالٍ:

- ها! ها هي عصاي الجيدة، متينة وقوية. والآن انتظر قدومي عليك أنت يا وقح، ولاقني يا من لا تخشى أحدًا! ثم سنتقاتل حتى يسقط واحد منا في الجدول بقوة الضربات.

فصاح الغريب وهو يدور هراوته فوق رأسه بين أصابعه وإبهامه ... حتى أخذت تصدر الصفير:

- ها! ذلك يفي بمرام قلبي كله!

حتى فرسان المائدة المستديرة لدى الملك آرثر، لم تحصل لديهم مواجهة قتال أشجع مما لدى هذين الاثنين. إذ في لحظة واحدة، صعد روبن على القنطرة حيث يقف الغريب؛ وقام أولاً بهجوم مناورةٍ مخادع، ثم سدّ ضربة على رأس الغريب، التي -لو أنها أصابت هدفها- لقلبته فوراً في الماء. لكن الغريب تفادها بشكل بارع تمامًا، وفي المقابل، وجّه ضربة قوية تحاشاها روبن بمثل ما فعل الغريب. وهكذا وقفوا، كل واحد في موضعه لا يتراجعان قيد أنملة! ذلك لساعة وافية، واستمرّ تبادل الضربات في ذلك الوقت... حتى كانت هنا وهناك عظام متألّمة وكدمات، ولم تكن هنالك من صيحة



(كفى)، ولا من سقوطٍ محتمل عن القنطرة. وبين الحين والآخر كانا يتوقفان للراحة، وكل واحد منهما اعتقد أنه لم يرَ في كل حياته السابقة مثل هذه البراعة باستعمال العصا. في النهاية، سدّ روبن ضربة على أضلاع الغريب، جعلت سترته تدخن مثل سقف من قش

مختنق في الشمس. كانت الضربة قوية جدًّا، حتى أن الغريب كاد أن يسقط عن الجسر إلا قليلاً! لكنه استعاد اتزانه بسرعة، ووجهه ببراعة لروبن ضربة شجّت أمّ رأسه وجعلت الدم ينزف. فتزايد سخط روبن بالغضب! وضرب بكل قوته نحو غريمه. لكن الأخير توقّى الضربة، ومرة أخرى تمكّن من ضرب روبن، وفي هذه المرة وبكل استحقاق، هوى منقلباً على رأسه في الماء، مثلما يسقط الوتد في لعبة الكرات الخشبية(12). فصاح الغريب وهو يغصّ بالقهقهة:

- وأين أنت الآن، يا فتاي الطيب!

صاح روبن:

- في عباب الماء أعوم على مسار المدّ!

ولم يتمكن من منع نفسه من الضحك على موقفه المؤسف! ثم بتثبته قدميه خاض نحو الضفة، وتسارع فرار السمك الصغير في كل الأنحاء مرتعباً من إثارة الماء! وعندما دنا من الحافة، صاح:

- مدّ لي يدك! أنا أحتاجك جدًّا، أنت شجاع ولك روح قوية، وفوق ذلك أنت تضرب بالهراوات بقوة جيدة. ولهذا وذاك، فإن في رأسي طنيناً وكأنه خلية نحل في يوم قائظ من حزيران.

ثم أطبق شفتيه على بوقه، ونفخ نفخة تردّد صداها بعذوبة على مسارات الغابة... وقال من جديد:

- أجل، ها! أنت رجل طويل وشجاع، وأنا أذعن بالقول: إن لا رجل من هنا وحتى مدينة كانتبري، تمكن من فعل ذلك لي مثلما فعلت قبل قليل.

فقال الغريب ضاحكاً:

- وأنت! تمارس القتال بالهراوة مثل قلب شجاع ورجل صنيدي!

والآن، كانت الأغصان والفروع البعيدة تخشخش من مجيء الرجال، وفجأة بزغ ما يقرب من عشرين أو أربعين رجلاً من الرجال الأشداء، وكلهم في ملابس خضرة لنكولن! ظهرُوا خارجين من الأجمة وعلى رأسهم الطريف ويل ستوتلي، الذي صاح:

- سيدي الطيب! كيف حدث ذلك؟ حقًا إنك منقوع من رأسك لقدميك! حتى أن ذلك نفذ في جلدك!

أجاب روبن المرح:

- ها! عجبًا! ذلك الرجل العنيف قد قلبني على رقبتني ورماني في الماء، وقد هزمني إلى جانب ذلك.

صاح ويل ستوتلي:

- إذن، لن يمضي بلا تغطيس وضرب يحلّان عليه! عليكم به يا فتيان.

وثب ويل وعشرون من الرجال على الغريب، لكن مع أنهم قفزوا بسرعة، فإنهم رأوه مستعدًا ويسدّد الضربات يمينًا وشمالًا بهراوته الغليظة، لذلك، مع أنه تهاوى تحت سطوة العدد، فإن بعضهم قد تلقى ضربات على رأسه قبل أن يهزم الغريب. صاح روبن وهو يضحك حتى ألمته جوانبه الموجوعة مرةً أخرى:

- كلا! كفّوا عن ذلك! إنه رجل طيب وشريف، ويجب أن لا يحلّ عليه سوء. والآن استمع إليّ

أيها الشاب الصالح: هل ستبقى معي وتنضمّ إليّ لتكون واحدًا من عصابتي؟ لك ثلاث بدلات بخضرة لنكولن تنالها كل سنة، وأجرٌ مقداره أربعون مارگًا، وتشاركنا كل مغنم يقع بين أيدينا. سوف تأكل من لحم الغزلان اللذيذ، وتنهل من أقوى الجعة، وتكون لي ساعدي

الأيمن الخاص، إذ لم أر مثلك ماهرًا باللعب بالعصا في حياتي الماضية. تكلم! هل ستكون واحدًا من رجالي الطيبين المرحين؟

قال الغريب بفضاظة:

- لا أدري!

فلقد كان ساخطًا بسبب تدهوره الشديد، وأضاف:

- إن لم تكن تحسن إمساك قوس الطقسوس، وسهم شجرة التفاح أفضل مما تفعل مع هراوة البلوط، فأنا أرى أنك لست ملائمًا لأن تدعى رجلًا شجاعًا في بلدتي، لكن إذا كان هنا أي رجل يرمي السهم أفضل مني، إذن سأفكر في الانضمام إليك.

قال روبن:

- والآن أقسمُ بإيماني! أنت غلام وقح بلا شك، لأنني سأنقض عليك كما لم أنقض على رجل قط! يا ستوتلي الطيب، اقتطع قطعة بيضاء معتدلة من اللحاء بعرض أربعة أصابع، وثبتها هنالك على سنديانة على بعد ثمانين ياردة. والآن، أيها الغريب، سدّد بشكل جيد نحو ذلك سهمًا من الإوزة الرمادية وادعُ نفسك رامياً!

- أجل! عجبًا! سوف أفعل. ناولني قوسًا قويًا وسهمًا حسنًا عريضًا، فإن لم أصبه جردوني واجلدوني بصورة مؤذية بأوتار القوس!

ثم قام بانتقاء القوس الأقوى من بينها، وهو مقارب لخاصة روبن، وسهم إوزة رمادية معتدل، ناعم ومريش جيدًا، وتوجّه نحو العلامة، في حين كان كل أفراد العصابة جالسين أو مستلقين على الأرض المعشوشبة يراقبونه وهو يطلق، فسحب السهم إلى خده ثم أفلته ببراعة وحذق، مرسلاً إياه باستقامة على طول المسار... حتى قطع العلامة في المركز بالتحديد! صاح الغريب:

- أها! أنت، افعل أفضل من ذلك إذا تقدر!

في حين أن حتى الرفاق صفقوا لهذه الرمية الموفقة! قال روبن:

- فعلاً إنها رمية دقيقة! لا أتمكّن من أفضل منها، بل ربما أفسدها، ربما ذلك!

ثم تناول قوسه القوي الخاص وثبت بعناية سهمًا فيه، ورمى بأعظم مهارته. اندفع السهم بشكل قويم، وحقًا فإن سهمه قد وقع على سهم الغريب وشقّقه بكل دقة! فقفز كل الرفاق وصاحوا مبتهجين لنجاح رمية زعيمهم المذهلة! صاح الغريب:

- والآن! بحق القوس الخشبي الشديد للقديس الطيب وذهولد، إنها الرمية الحقّة! ولم أشهد مثلها في كل حياتي من قبل. والآن، بالفعل سأكون رجلك من الآن فصاعدًا وإلى الأبد... كان الماهر آدم بيل (13) رامياً جيداً لكنه لم يسدّد هكذا قط!

قال روبن المبتهج:

- إذن، كسبتُ رجلاً مستقيماً في يومي هذا. وللمناسبة، ما اسمك أيها الرفيق الطيب؟

- من حيث قدمث، الرجال يدعونني: (جون لتل).

ثم قال ويل ستوتلي، وقد كان يميل للمزاح:

- كلا! أيها الغريب الضئيل الجميل! لا يعجبني اسمك، وأودّ بسرور أن أتعامل معه من ناحية أخرى: أنت ضئيل فعلاً، وصغير العظام والعضلات، لذلك يجب أن تكون معمّداً بـ (الصغير جون)، وأنا سأكون عزّابك!

فانفجر روبن هود وكل أفراد عصابته بالضحك عاليًا حتى تنامى غضب الغريب! وخاطب

ويل ستوتلي:

- أنت تسخر مني! ستؤلمك عظامك وتنال أجراً ضئيلاً، وذلك في زمن قصيرا!

قال روبن هود:

- كلا! يا صديقي الطيب. سيطر على غضبك! لأن الاسم يلائمك بشكل حسن. يجب أن تُدعى بالصغير جون من الآن فصاعداً، وسوف يكون كذلك. والآن تعالوا يا رجالي المرحين، فإننا سنعدّ وليمة تعميد لهذا الرضيع الرائع!

ثم تركوا النهر وراءهم، وولّوا وجوههم شطر الغابة وقد انغمسوا فيها مرة أخرى، حيث تعقبوا ما كان من خطواتهم... حتى وصلوا إلى البقعة التي يقطنون عندها في أعماق أرض الغابة. هنالك حيث بنوا أكواخاً من أغصان الأشجار ولحائها، وصنعوا أسرة وأرائك من القصب الناعم المصفوف مع جلود الأيائل البنية. هنا، تجثم سنديانة عظيمة تنتشر فروعها باتساع من حولها، وتحتها يكون مقعد من الحشائش الخضراء، حيث كان يرغب روبن بالجلوس وتناول الولايم، والابتهاج مع رجاله الأشداء من حوله. وهنا، وجدوا بقية العصابة، بعض منهم قد أتى بزواج من إناث الأيائل السمينة. ثم قاموا كلهم بإيقاد نار كبيرة، وبعد وقت أنجزوا الشواء وسفحوا برميلاً من الجعة الفوّارة. ثم جلسوا كلهم عندما كانت المائدة جاهزة، وقد أجلس روبن الصغير جون على يمينه، إذ كان من الآن فصاعداً الرجل الثاني في العصابة. وعندما انتهوا من تناول الوليمة انبرى ويل ستوتلي، قائلاً:

- والآن أزف الوقت الذي أرى فيه تعميد طفلنا الجميل! أليس كذلك أيها الأولاد المرحون؟

صاح الجميع:

- أجل! أجل!

وتضاحكوا حتى رددت الغابات صدى جذلهم! ثم قال ويل ستوتلي:

- إذن، سوف نحظى بسبع من الكفلاء الرعاة.

وقام بانتقاء أشدّ سبعة رجال بعد إجابة النظر إلى الكل. صاح الصغير جون وهو ينهض:

- والآن، بحق القديس دونستان! سيندم أكثر من واحد فيكم إذ مسّني بإصبعه!

ولكن بلا أي كلمة! ركض السبعة كلهم نحوه من فورهم، وأحكموا إمساك ساقيه وذراعيه، وثبّتوه بقوة رغم محاولاته للمقاومة والتملّص، وجاؤوا به إلى الأمام بينما كان البقية يقفون متحلّقين لرؤية مشهد التسلية! ثم تقدم واحد، وهو الذي اختير ليكون كاهنًا لأنه كان ذا رأس أصلع! وحمل على يده قدرًا مترعة بالجة، وسأل بكل جدية واطمئنان:

- الآن، من ولد هذا الطفل؟

أجاب ويل ستوتلي:

- أنا فعلت ذلك!

- وأي اسم أطلقتكم عليه؟

- أنا أناديه بالصغير جون.

قال الكاهن الزائف:

- والآن أيها الصغير جون، أنت لم تعش قبل هذا الزمن، بل للتو مررت خلال الدنيا، وبذلك سوف تعيش من الآن فصاعدًا. عندما عشت لم تكن تدعى الصغير جون، والآن، أنت تحيا بالفعل وسوف تُدعى بالصغير جون، وها أنت صرت مسيحيًا جدًّا.

وعند هذه الكلمات الأخيرة دلق قدر الجعة على رأس الصغير جون! ثم صاح الجميع ضاحكين مبتهجين! وهم يشاهدون الجعة البنية الراقية، وهي تنحدر على لحية الصغير جون وتقطر من أنفه وذقنه، بينما كانت عيناه تطرفان من لدعها! في البدء، كان ينوي أن يغضب لكنه وجد أن ذلك فوق قدرته، لأن الآخرين كانوا مرحين جدًّا، لذلك ضحك هو أيضًا

مع البقية. ثم كسا روبن هود هذا الطفل الوديع الجميل، بالملابس الخضر الجديدة من أعلاه إلى أسفله، ومنحه قوسًا متينًا جيدًا، وبذلك جعله عضوًا من العصابة المرحية.

وهكذا، صار روبن هود خارجًا عن القانون، وهكذا، تألفت عصابة الرفاق المرحيين من حوله، وهكذا، كسب ساعده الأيمن (الصغير جون). وبهذا، ينتهي التمهيد. والآن، سوف أخبركم كيف حاول عمدة نوتنغهام في ثلاث محاولات، للسعي من أجل القبض على روبن هود، وكيف فشل فيها كلها!

(4) (Sherwood Forest) يعد مكانًا رمزيًا نمطيًا للخروج عن القانون في القرون الوسطى.

(5) (Clothyard) وحدة قياس طول القماش من ٣٧ بوصة، والآن هي الياردة المعيارية (٣٦ بوصة).

(6) (Lincoln green) هو لون قماش الصوف المصبوغ، الذي كان منشؤه في السابق من مدينة لنكولن في إنجلترا، وهي مدينة ملابس كبرى خلال العصور الوسطى، وكثيرًا ما يرتبط أخضر لنكولن بروبن هود ورجاله.

(7) (Farthing) ربع بنس.

(8) (Stone) وحدة وزن بريطانية تساوي ١٤ باوندًا.

(9) (Mark) من أنواع العملات القديمة. وقد يعادل ١٠٠ بنس. أجرى روبن الرهان بعشرين مارغًا على كل واحد من الحرس، فيكون المجموع ٣٠٠.

(10) يحاول الكاتب أن يستعمل كناية البدانة والامتلاء للإشارة إلى ثراء الرهبان وتنعمهم.

(11) في تاريخ ٢٩ من أيلول، وتقدم فيه وليمة تقليدية من الإوز المشوي.

(12) (Bowls) لعبة رمي الكرات الخشبية، وهي من أنواع البولنغ.

(13) آدم بيل، كلیم من كلوف، ویلیام من كلودزلی، كانوا الرماة الثلاثة المعروفین فی شمال البلاد، الذین احتفل بأسمائهم فی عدة قصائد مغناة من الأزمنة القديمة.

روبين هود والعامل الجوّال



والآن، كنا قد أخبرنا من قبل عن كيفية رصد مئتي باوند، جائزة لمن يأتي برأس روبن هود، وكيف أن عمدة نوتنغهام أقسم على أنه بنفسه سوف يقبض عليه، ذلك لسببين: أولهما أنه يودّ أن ينال مبلغ الجائزة بسرور كبير، وثانيهما أن القتل قريب ونسيب له. وحتى الآن، لم يدرك العمدة أية قوة أحاط روبن بها نفسه في شيرود، لكنه ظنّ أن بإمكانه أن يصدر أمر قبض بنحو ما يمكنه على أي رجل خرق القانون، فقام بعرض ثمانين أنجلًا (14) ذهبياً لأي شخص ينقذ هذا الأمر. لكن رجال مدينة نوتنغهام كانوا قد عرفوا أكثر من العمدة عن روبن هود وأعماله، وكثيرون ضحكوا من أمر إلقاء القبض على ذلك المتمرّد الجريء! وهم يعرفون جيّدًا أن القيام بمثل ذلك سيهشّم رؤوسهم، لذا لم يجرؤ أحد، ولم يتقدّم لأخذ الأمر بيده. وهكذا، مضى أسبوعان على الأمر، إذ لم يظهر أحد لتولي مهمة العمدة، فقال:

- لقد عرضتُ مكافأةً جزيلةً لكل من يؤدي هذا المهمة بالقبض على روبن هود، وأنا أعجبُ
أن لا أحد أتى لينقذها!

فتكلم أحد رجاله الذين كانوا قربه:

- سيدي العزيز، لعلك لا تدري بمقدار القوة التي عند روبن هود، تلك التي يحيط بها نفسه، ومدى عدم مبالاته بأمر إلقاء القبض من الملك أو العمدة. بالفعل، لا أحد يرغب بالمضي لإنجاز هذه المهمة، خشية تهشم الرؤوس وتكسر العظام!

- إذن أنا أفهم أن كل رجال نوتنغهام جناء! ودعوني أرّ الرجل في مقاطعة نوتنغهام كلها، الذي يجرؤ على عصيان أمر هيمنة سيدنا الملك هنري، إذ بحقّ ضريح القديس إدموند، سوف أشنقه على ارتفاع أربعين ساعداً (15). ومع ذلك، إن لم يوجد رجل في نوتنغهام يجرؤ على كسب ثمانين أنجلاً، فإنني سأطلب من مكان آخر، فلا بد من وجود رجال نشيطين متحمسين في مكان ما على هذه البلاد.

ثم دعا رسولاً يثق به ثقة عظيمة، وكلفه بأن يسرج حصانه ويستعدّ للذهاب نحو مدينة لنكولن، ليرى إذا كان هنالك أي امرئ قد ينفذ عرضه وينال المكافأة. فانطلق الرسول عند ذلك الصباح نفسه ساعياً من أجل تكليفه. أشرقت الشمس على الطريق العام المغبر، الذي يوصل بين نوتنغهام ولنكولن، وكان يمتدّ بعيداً مبيضاً كله فوق التل والوادي العريض. كان الدرب مترباً، وكان حلق الرسول جافاً، لذا ابتهج قلبه عندما رأى لافتة حانة الخنزير الأزرق، عندها كان قد



قطع أكثر من نصف رحلته بقليل. بدت الحانة جميلة لعينيه، وكان ظل أشجار السنديان يمتد حولها لطيفًا ومنعشًا، لذا ترجّل عن حصانه ليريح نفسه، طالبًا وعاءً من الجعة لينعش جوفه المتيبّس. هنالك، رأى جمعًا محتفلًا من عدد جيد من الأصحاب المرحين، يجلسون تحت دوحة السنديانة، التي نشرت ظلها على مساحة العشب أمام باب الحانة. كان هنالك رجل عامل جوّال، وقسيسان عاريا الأقدام، وستة من حراس غابة الملك كلهم يرتدون الأخضر، والمجموعة كلها تعبٌ من الجعة اللاذعة، ويغثّون بطرب قصائد شعبية من أزمنة الخير الخالية. قهقه حراس الغابة بصخب عند تداول النكات بين الغناء، وكذلك ضحك القسيسان لأنهما كانا مفعمين بالطرب، وكان لكل منهما لحية كثة مجعّدة مثل صوف كبش أسود، ولكن العامل الجوّال كان الأعلى والأكثر صخبًا بينهم، وقد غثى وطرب بشغف أكثر من البقية. كانت حقيبتة ومطرقته معلقتين على فرع من السنديانة، وبقربه أسند هراوته القوية المتينة، وكانت غليظة كذراعه العضلية ومقوّاة بالعقد عند الطرف. صاح واحد من الحراس نحو الرسول:

- تعال! انضمّ إلينا في هذه الجولة. هوو! أيها الساقى! إلينا بكأس مدهقة من الجعة الطازجة لكل رجل.

وقد كان الرسول سعيدًا جدًّا ليجلس مع الآخرين هناك، فلقد كانت أطرافه منهكة وكانت الجعة منعشة، قال أحدهم:

- والآن، ما الأخبار التي تحملها بسرعة قصوى؟ وإلى أين تتركب اليوم؟

كان الرسول ذا روح ثرثارة ويهوى الإشاعات كثيرًا، وإلى جانب ذلك، كانت الجعة قد أسعدت قلبه، لذلك -وقد جلس في ركن مريح من منضدة الحانة، بينما استند صاحب الحانة إلى المدخل، ووقفت المضيفة ويدها تحت مئزرها- باح بكل ما في جعبته من أخبار بارتياح عظيم! وأخبر الجميع بالأحداث من أول البداية: كيف أن روبن هود قد قتل حارس الغابة، وكيف اختبأ في الغابة الخضراء فرارًا من سلطة القانون، وكيف عاش فيها متمردًا طريدًا -يعلم الرب- وهو يصطاد ويذبح من غزلان جلالته، ويفرض الضرائب على الرهبان

والفرسان والإقطاعيين الأثرياء، لذلك، لم يعد أحد يجرؤ على السفر والمرور حتى على شارع والتنع العريض أو طريق فوس خشية من تعرّضه لهم، وكيف قرّر العمدة أن يطبّق إلقاء القبض على هذا المتمرد نفسه، رغم أنه لا يهتمّ لأمر القبض سواء أكان من الملك أم العمدة، إذ كان رجلاً أبعد ما يكون عن الالتزام بالقانون وطاعته. ثم أخبرهم كيف أن لا أحد في مدينة نوتنغهام تقدّم لتنفيذ أمر القبض، وكيف أنه -الرسول- الآن على طريقه إلى مدينة لنكولن، ليعثر على من يكون جريئًا قادرًا من رجالها. فقال العامل الجوّال المرح:

- بالفعل أنا آتٍ الآن من مدينة بانبوري الطيبة. ولا أحد على مقربة من نوتنغهام، ولا حتى شيروود -وهي المقصد- يمكن أن يمكسك بالهراوة مثل قبضتي! ها! أيها الفتيان، ألم أواجه ذلك المهرج المجنون سيمون ألي -حتى في العرض المشهور في مدينة هيرتفورد- وأضربه في الحلبة عند ذلك المكان، أمام السير روبرت ليزلي وسيدته؟ هذا المدعو روبن هود -الذي أظن أنني لم أسمع به من قبل- رجل لعب وطائش تمامًا، ولكن لنفترض أنه قوي، ألسن أنا أقوى؟ ولنفترض أنه ماكر، ألسن أنا أشدّ مكرًا؟ والآن، بحقّ العينين المشرقتين لنان في الطاحونة، وبحقّ اسمي وهو المتصل بكرابستاف، وبحقّ ابن أمي وذلك أنا، فإنني -حتى أنا وات كرابستاف- سوف أواجه هذا المتمرد القوي، وأفترض أنه لا يبالي بأمر السيادة المجيدة لملكنا هاري، وأمر القبض من عمدة مقاطعة نوتنغهام الطيب، فإنني سأضربه وأصيبه بالكدمات وأطرق رأسه، فلن يحرك إصبعًا من يده أو رجله مرة أخرى! أتسمعون هذا أيها الأولاد الأشداء؟

صاح الرسول:

- والآن، أنت الرجل المناسب لأموالي القليلة، لتعود معي إلى مدينة نوتنغهام.

قال الجوّال وهو يهز رأسه ببطء يمينًا وشمالًا:

- كلا! أنا لا أمضي مع أي رجل، إذا لم يكن ذلك بإرادتي الحرة.

- كلا! كلا! ليس هنالك من رجل في مقاطعة نوتنغهام يمكنه أن يجعلك تمضي ضد إرادتك،
أنت رجل شجاع!

- أجل! أنا ذلك الشجاع!

- أجل! عجبًا! أنت فتى مقدام، لكن عمدتنا الطيب عرض ثمانين أنجلًا من الذهب البراق،
لكل من يُبلغ أمر القبض على روبن هود، رغم أن ذلك قليل الفائدة.

- إذن، سأذهب معك أيها الفتى. لكن انتظر حتى أجهز حقيقتي ومطرقتي وهراوتي. أجل!
دعني فقط أواجه روبن هود ذاك، ودعني أر كيف سيرفض أمر الملك.

وهكذا، بعد أن دفعا ثمن الشراب، عاد الرسول نحو نوتنغهام من جديد على الفرس، والعامل
الجوّال إلى جانب الفرس يخطو بسعة. بعد ذلك مباشرة، في صباح مشرق، انطلق روبن
هود نحو مدينة نوتنغهام ليرى ما يحصل هنالك، كان يمشي بارتياح على طول درب
جانبي، حيث كانت الحشائش لطيفة بنمو أزهار الأقحوان، وتطوف عيناه في الاتجاهات
وكذلك أفكاره... يتدلى بوق النفير على وركه، وقوسه وكنانته على قفاه، وفي يده يحمل
عصا متينة من السنديان الجيد، وقد كان يدورها بأصابعه وهو يتهادى في سيره. وعندما
كان يمضي في مسيره على المجاز الظليل، رأى العامل الجوّال قادمًا يترنم بأغنية سعيدة
وهو يقترب، تتعلق على ظهره حقيبتة ومطرقتة، وقد حمل بيده عصا التفاح بطول ستة
أقدام، وهو يغني:

في زمن مضى، عندما يستجيب كلب الصيد لبوق

كي يُقتل أيلٌ

والشباب اليافعون بغلابيين الذرة

يجلسون ليرعوا البهائم في الحقل...

صاح روبن:

- هالو! أيها الصديق الطيب.

مضيتُ لأجمع الفراولة...

صاح روبن مرةً أخرى:

- هالو!

بجانب الغابات والبساتين تامّة الحسن والجمال...

- هالو! هل أنت أصمّ يا رجل؟ أقول أيها الصديق الطيب!

توقف المصلح عن الغناء، وقال:

- ومن أنت لتقاطع بجرأة ووقاحة أغنيةً جميلة؟ هالو التي لك! سواء أكنتَ صديقًا جيدًا أم لا. لكن دعني أخبرك أيها الرفيق القوي، أن تكون صديقًا طيبًا فهذا حسنٌ لكينا، لكن أن تكون صديقًا غير طيب فإنه سيكون وبالاً عليك!

- ومن أين قدمتَ يا رجلي الشديد؟

- أنا آتٍ من بانبري.

- يا للأسف! سمعتُ أن هنالك أخبارًا حزينةً في هذا الصباح البهيج!

صاح العامل الجوّال بتلهّف:

- ها! هل ذلك بالفعل؟ أرجوك أخبر عنها بسرعة لأنني مصلحٌ متمرّس ماهر، بنحو ما ترى،

وأنا في عملي متعطّش للأخبار، بالضبط كتلهف القس الجشع للفارذنغات!

- حسنٌ إذن! أنت أصغٍ وسأخبرك، ولكن صبر نفسك بشجاعة لأن الخبر حزين، أظن ذلك.
هذا هو: سمعتُ أن اثنين من المصلحين على الألواح (16) لشربهما الجعة والبيرة!

- والآن ليصبك الطاعون أنت وخبرك! أيها الكلب الدنيء! لأنك لا تتكلم إلا بالسوء عن رجال طيبين. لكنها حقًا أخبار حزينة، إذ أتصور أن هنالك اثنين من الرفاق في الألواح!

- كلا! لقد أخطأت الهدف، وإنك لست باكيًا إلا على الخنزيرة الخطأ. إن المحزن في الخبر هو أن ليس هنالك إلا اثنان في الحجز، لأن الآخرين يطوفون في طول البلاد وعرضها!

صاح العامل الجوّال:

- والآن أقسم بحق أطباق القديس دونستان النحاسية! لديّ رغبة قوية لأن أجلك على مزحتك الثقيلة. ولكن إذا افترضنا وضع رجال في الحبس بسبب شرب الجعة والبيرة، فأظن أنك ما كنت لتفقد دورك!

ضحك روبن بصخب:

- والآن، هذا مقبول بشكل جيد، أيها العامل الجوّال، مقبول جيدًا! ها! عقلك وخفة دمك مثل البيرة، ويجب أن ترغو عندما تصبح نكد المزاج! لكنك على حق يا رجل، لأنني أهوى البيرة والجعة جيدًا. لذلك، رافقني والتزم معي نحو لافتة الخنزير الأزرق، وإذا كنت تشرب مثلما تبدو - وأنا أظن أنك لن تخيب مظاهرك - فإنني سأنقع حنجرتك بالمخمّر المنزلي الرائق، الأفضل من كل ما استقي في كل مقاطعة نوتنغهام.

- والآن، بحق إيماني، أنت رفيق طيب جدًا رغم نكاتك الثقيلة. أحبك يا صديقي اللطيف، وافترض أنني لا أصحبك إلى الخنزير الأزرق ذاك، عندئذ قد تدعوني بالهمجي!

قال روبن وهما يسيران معًا ببطء:

- أرجوك أخبرني بأنبائك يا صديقي الطيب، لأنني أرى أن العمال الجوالين كلهم ممتلئون بالأخبار مثل بيضة الطعام.

- أنا أحبك مثل أخي أيها الطائش المتنمّر! ولولا ذلك ما كنت لأخبرك بأخباري، لأنني -يا رجل- حاذق فطن، إذ لديّ بين يديّ مهمة خطيرة! لأنها حقًا تتطلب كل ما لديّ من حكمة وبصيرة، فأنا آتٍ لأبحث عن متمرد جريء في هذه الأنحاء، يدعو الرجال (روبن هود). ولديّ في جرابي أمر القبض، وكله مكتوب على لفافة راقية -ويا للدهشة!- مع ختم أحمر كبير ليجعله قانونيًا بالتمام. فقط لو أتمكّن من ملاقة المدعو روبن هود، فإنني أنفذ هذا على جسده الهش، فإن ارتأى أن يرفض، فإنني سوف أضربه ضربًا حتى يصرخ كل واحد من أضلاعه مستغيثًا! لكنك تعيش في هذه المناطق، وربما تعرف روبن هود نفسه أيها الرجل الطيب.

- أجل! يا للعجب! لقد فعلتُ ذلك بنحوٍ ما، لقد رأيتُه هذا الصباح بالتحديد. لكن أيها المصلّح، يقول الرجال إنه ليس إلّا حاذقًا لعينًا، من الأفضل لك أن تنتبه للأمر وإلا فإنه قد ينتشله من جرابك الخاص!

صاح المصلّح:

- فقط دعه يجرب! ربما يكون داهية لكنني داهية أيضًا. ليتني أحظى به هنا الآن، رجلًا لرجل!

وقام بتدوير هراوته الثقيلة مرة أخرى، ثم أضاف:

- ولكن أي نوع من الرجال هو يا فتى؟

قال روبن ضاحكًا:

- مثلي كثيرًا! في الطول والبنية والعمر نفسه تقريبًا، وله عينان زرقاوان أيضًا!

- كلا! لست إلا شابًا فتياً. ظننت أنه يكون رجلاً عظيم اللحية، ويخشاه رجال نوتنغهام لذلك.

- حقًا، إنه ليس كبير السن جدًّا، وليس شديدًا جدًّا مثلك، لكن الرجال فعلاً يدعونه باليد الماهرة جدًّا بملاعبة الرمح.

قال المصلح بقوة وثبات:

- ربما يكون كذلك، لكنني أكثر مهارة منه. ألم أتغلب على سيمون ألي في عرض المباراة على حلبة مدينة هيرتفورد؟ لكن إذا كنت تعرفه يا رفيقي المرح، فهل تمضي معي وتوصلني إليه؟ لقد وعد العمدة بثمانين من الأنجلات اللامعة لي، إذا نفذت أمر القبض على شخص ذلك الوغد، وسأعطيك منها عشرةً إذا أريتني إياه.

- أجل، سوف أفعل ذلك. ولكن أرني الأمر يا رجل، كي أتمكن من أن أقول إنه جيد أو غير جيد.

- لن أفعل ذلك، حتى لأخي المقرَّب! لن يرى أي إنسان الأمر الخاص بي، حتى أنقذه هناك على شخص صاحبك الذي تعرفه.

- ليكن ذلك! وأنت لن تربيه لي، ولا أدري لمن ستريه! ولكن ها نحن عند لافتة الخنزير الأزرق، دعنا ندخل ونتذوق ما تخمَّر في تشرين الأول.

لا يمكن أن توجد حانة أجمل وألطف من هذه، في طول مقاطعة نوتنغهام وعرضها. لم يحظ أحدٌ بمثل هذه الأشجار الرائقة وهي تنتصب حول المكان، وقد تددت عليه وغطته أوراق اللبلاب وشجيرات العسلة الجميلة، ولم ينل امرؤ مثل هذه البيرة اللذيذة أو الجعة اللاذنة، ولا يمكن -في الشتاء، عندما تعول الرياح الشمالية ويتراكم الثلج حول الأسيجة - أن يوجد مثلها في أي مكان آخر، حيث النار المزمجرة والمضيئة من موقد الخنزير الأزرق. في مثل تلك الأوقات، قد تجد رفقة طيبة من اليومنين، أو أهل الريف يجلسون إلى الموقد

الوهّاج، يتبادلون الطرائف المرححة، بينما تتحرك برفق التفاحات المشوية(17). في أوعية الجعة على حجر الموقد. كانت الحانة معروفة ومألوفة لروبن هود وعصابته، إذ هنالك مع رفاقه المرحين ومنهم الصغير جون، أو ويل ستوتلي، أو الفتى ديفيد دونكاستر، يتجمعون عندما تكون الغابة كلها غارقة في الثلج... أما مضيفنا، فإنه أيقن كيف يُبقي لسانه في رأسه(18). وابتلع كلماته قبل أن تجتاز أسنانه، لأنه عرف جيدًا أي جانب من رغيفه يكون مطليًا بالزبدة(19). لأن روبن هود ورفاقه كانوا أفضل الزبائن، ويدفعون أثمان شراهم بلا حاجة لأن يسجلها بالطباشير خلف الباب. وهكذا الآن، عندما ولج روبن هود والمصلح إلى هناك، ونادوا بعلو طلبًا لوعائين كبيرين من الجعة، فلا أحد أدرك من النظرة أو الخطاب، أن المضيف كان يعرف الخارج عن القانون قط. قال روبن لصاحبه:

- انتظر هنا ريثما أرى أن مضيفنا يصبّ الجعة من البرميل الصحيح، فهو يمتلك من تخمير تشرين الأول الطيب -أعلم ذلك- وأن ذلك بفعل وذهولد تامورث.

ثم مضى إلى الداخل، وهمس للساقى بأن يمزج مقدارًا من المياه الفلمنكية القوية(20) مع الجعة الإنجليزية، وذلك ما فعله وقدمه إليهما. وبعد أن نهل المصلح الجوال جرعة كبيرة من الجعة، قال:

- بحق سيدتنا! إن المذكور وذهولد تامورث -اسم ساكسوني جيد جدًا أيضًا، كنتُ أعرفه- يخمر الجعة الأكثر لذعًا التي لم تمر على شفّتي وات كرابستاف.

صاح روبن وهو يكتفي بأن يبّل شفّتيه خلال ذلك:

- اشرب يا رجل، اشرب، ها! أيها المالك! اسقِ صاحبي كأسًا كبيرة أخرى منها نفسها. والآن لنغنّ يا رفيقي الطروب!

- أجل، سوف أنشد أغنية يا رفيقي المحبوب. فأنا لم أذق مثل هذه الجعة في ما سبق من أيامي. بحق سيدتنا، إنها حتى الآن تجعل رأسي يسخن ويدور حقًا! ها! أنت أيتها السيدة

المضيضة، تعالي وأصغي، أنت تودين أن تسمعي أغنية، وأنت أيضًا أيتها الفتاة الجميلة، إذ لم أغن بحسن كبير إلا حين تراقبني بكل تأكيد عيون مشرقة خلال ذلك.

ثم شرع يغني قصيدة قصصية شعبية قديمة من زمن الملك الطيب آرثر، تُدعى: (زواج السير غاواين)، ربما قرأتوها أنتم بأنفسكم في وقت ما، بالإنجليزية الراقية في الأيام الخالية. وبينما هو يغني استمع الجميع لتلك الحكاية الرفيعة عن الفارس النبيل وتضحيته من أجل الملك. ولكن قبل أن يصل العامل الجوال إلى المقطع الأخير بوقت طويل، بدأ لسانه بالتلعثم وأخذ رأسه يدور، بسبب المياه القوية المخلوطة مع الجعة. أخذ لسانه يتثاقل، ثم يخشن صوته، وتأرجح رأسه من جانب إلى آخر، حتى سقط في النهاية نائمًا، وكأنه لن يصحو بعد ذلك من جديد! ثم ضحك روبن هود عاليًا، وبسرعة اختلس بأصابعه الماهرة أمر القبض من جراب العامل، وقال:

- أنت حاذق أيها العامل الجوال! لكن لن تكون بعد الآن -وأراهن على ذلك- ماهرًا بنحو دقة اللص روبن هود.

ثم دعا المضيض إليه، وقال:

- أيها الرجل الطيب، إليك عشرة شلنات، كافية من أجل التسلية التي منحتها لنا هذا اليوم. أريد منك أن تعطني بضيفنا العزيز هناك، وعندما يصحو ربما كان لك أن تطالبه بدفع عشرة شلنات أيضًا، فإن لم يكن لديه فلربما تأخذ حقيبته ومطرقته، وحتى معطفه! وهكذا، أنا أعاقب بكل تأكيد من يأتي داخل الغابة الخضراء، ليتحصّل على الجائزة الحكومية الموضوعة عليّ. أما أنت نفسك، فأنا لم أعرف المالك قط كي لا يجرم مرتين.

وعند هذا ابتسم المضيض بدهاء! وكأنه يقول لنفسه القول المأثور: علم طائر العقعق على امتصاص البيض! (21) استغرق العامل الجوال في النوم حتى أوشك المساء أن ينقضي... وصارت الظلال طويلة بجانب حافة أرض الغابة، ثم استيقظ! نظر أولاً نحو الأعلى ثم الأسفل، ثم نظر شرقًا ثم غربًا! لأنه كان يستجمع تركيزه وعقله، وكأنه قشّات شعير تتمايل

مع الريح. فكّر قبل كل شيء برفيقه المرح، لكنه مضى! ثم تذكّر هراوته من شجر التفاح وكانت بحوزة يده. ثم انتبه وفكّر بأمر القبض والأنجالات الثمانين، التي كان يسعى للحصول عليها بتنفيذ ذلك على روبن هود، فأقحم يده في جرابه، ولكن لم يكن هنالك من بقية طعام ولا من فارذنج... فوثب هائجًا غاضبًا، وصاح:

- ها! أيها المالك، إلى أين مضى ذلك الوغد الذي كان معي قبل قليل؟

- أي وغد تعني سيادتك؟

قال المالك ذلك مخاطبًا إياه بالسيادة ليخفف ما به، وكأن رجلاً يصبّ الزيت على ماء هائج! ثم أكمل:

- لم أشاهد وغدًا مع مقامك الرفيع، لأنني أقسم أن لا أحد يجروء على دعوة ذلك الرجل النذل قريبًا جدًّا من غابة شيرود. لقد رأيت رجلاً قويًا جدًّا مع مقامك العالي، لكنني ظننت أنّ سيادتك تعرفه، إذ مرّ بعض الناس هنا لا يعرفونه.

- والآن، كيف ينبغي لي -وأنا لم أمارس الوشاية في مكانك القذر قط- أن أعرف كل الحقراء فيه؟ إذن، من كان وأنت تعرفه جيدًا؟

- ها! هنالك بالضبط رجل شديد، يدعو الرجل في هذه الأنحاء بـ (روبن هود)، والذي نفسه...

صرخ العامل الجوّال بعجلة:

الآن! بحق سيدتنا!

وبصوت غائر مثل ثور غاضب:

- أنتَ قد رأيتني أدخل إلى حانتك -أنا الحرفي القوي الشريف- ولم تخبرني من كان صاحبي، الذي كان معروفًا جيدًا بالنسبة إليك. الآن، لديّ قرار حاسم بأن أفلق أمّ رأسك الوغد بسبب ذلك!

ثم التقط هراوته ونظر نحو المالك وكأنه سيضربه ويؤذيه حيثما يقف! فصاح المضيف وهو يرفع مرفقه تحاشيًا للضربة:

- كلا! كيف لي أن أعرف أنك لم تعرفه؟

- حسنٌ! وربما تكون أنت شاكرًا بحق، إنني رجل صبور، ولذلك سأحفظ عليك هامتك، وأيضا أنت لن تخدع زبونًا أبدًا. أما في ما يخص هذا المحتال المدعو روبن هود، فإنني سأنتقل مباشرة للبحث عنه، فإن لم أصب رأسه فإنني سأهشم هراوتي إلى شظايا ولتدعني بالمرأة!

وبقوله ذاك، استجمع نفسه للمغادرة، ولكن وقف المالك أمامه، ونشر يديه مثل راعٍ جيد يسير قطيعه، إذ جعله المال جريئًا:

- كلا! لن تمضي حتى تدفع لي الثمن!

- لكن! ألم يدفع هو لك؟

- ليس أكثر من فارذنج واحد، وأن ثمن ما شربته اليوم هو عشرة شلنات كاملة. كلا! أنا أقول إنك لن تمضي من دون أن تدفع لي، وإلا فإن عمدتنا الطيب سوف يعرف الأمر.

- لكنني لا أملك شيئًا لأدفع لك أيها الرفيق الطيب.

- لستُ (الرفيق الطيب)! لستُ كذلك عندما يتعلّق الأمر بفقداني عشرة شلنات! سدّد ما تدين به لي كاملاً، وإلا فاترك معطفك وحقيبتك والمطرقة، مع أنني بذلك سأخسر، إذ أرى

أنها لا تقدّر بعشرة شلنات. كلا! لا تتحرك! لديّ كلب ضخم هنا وسوف أطلقه عليك. يا ميكن،
افتحي ذلك الباب ودعي براين يتقدم إذا تحرك هذا الرجل خطوة!

قال المصلح الذي -كان بطوافه في البلاد- قد تعلم درسًا عن سلوك الكلاب:

- لا! خذ ما تريد ودعني أرحل في سلام، وليصّبك الطاعون! ولكن أوه! أيها المالك لو أنني
فقط أمسك بذلك الغلام الوضيع، أقسم على أنه سيدفع بالفائدة المضاعفة عما ناله!

قال ذلك، ثم سار مبتعدًا باتجاه الغابة وهو يكلم نفسه، بينما وقف المالك وسيدته الفاضلة
وميكن، يتطلعون نحوه، وقد ضحكوا عندما اختفى عن أنظارهم، وقال المالك:

- أنا وروبن جرّدنا ذلك الأبله بمهارة عالية.

في هذا الوقت، كان روبن هود يسير مخترقًا الغابة نحو طريق فوس، ليرى ما يمكن رؤيته
هنالك، إذ كان القمر بدرًا والليلة واعدة بإشراق تامة. كان يحمل في يده عصاه الصلبة من
السنديان، وقد تدلى على جانبه بوق النفير. وبينما هو يمضي على درب الغابة وهو يصفر،
جاء العامل الجوّال على درب آخر، وهو يغمغم مع نفسه ويهزّ رأسه مثل ثور هائج، وهكذا!
عند انعطافة مفاجئة التقيا مباشرة وجهًا لوجه! كل واحد منهما لبث ساكنًا لوهلة، ثم نطق
روبن وهو يضحك بمرح:

- هالو! يا طائري اللطيف! هل طابت لك جعتك هنالك؟ ألن تعني لي أغنية أخرى؟

لم ينبس العامل الجوّال ببنت شفة أول الأمر، بل لبث واقفًا يحدّق نحو روبن بوجه عابس!
وأخيرًا نطق:

- الآن، أنا في أشدّ الجذل والسرور للقائك، وإن لم أجعل عظامك تققع داخل جلدك في
هذا اليوم، فإنني سأدعك تجعل قدميك على عنقي!

صاح روبن:

- من كل قلبي! رُضّ عظامي وأنت تقدر!

قال ذلك وتناول عصاه ورمى بنفسه على نده. أما العامل، فقد بصق في يديه وأحكم إمساك هراوته، وتقدم مباشرة نحو غريمه. قام بتسديد ضربة أو اثنتين، لكن سرعان ما رأى أنه قد التقى بمثيله، إذ ناور روبن وتفادى كل ضرباته، وردًا عليه -وقبل أن يحسب العامل حسابه- وجّه له ضربة على أضلاعه. وعند هذا ضحك روبن بصخب، وقد تعاضم غضب الجوّال أكثر من قبل، وضرب بعنف بكل ما لديه من قوة ومهارة، ومرة أخرى تحاشى روبن اثنتين من ضرباته، ولكن عند الثالثة، انكسرت عصاه تحت ضربات العامل الهائلة. صاح روبن مخاطبًا عصاه وقد سقطت من يده:

- الآن! ليحلّ عليك السوء أيتها العصا الخائنة! أنت عصا باطلة بما تفعليته معي في ساعة العسرة والحاجة!

- والآن اخضع وتنازل! لأنك أسيري، فإن لم تفعل فسأهوي بضربة على قمة رأسك وأجعله كحلوى البودنغ!

عند هذا لم يجرّ روبن هود جوابًا، لكنه قرّب بوقه إلى شفّتيه ونفخ ثلاث نفخات عالية وصافية... قال المصلح:

- أجل! ربما تنفخ، ولكن يجب أن تمضي معي إلى مدينة نوتنغهام، لأن العمدة سيشعر بسرور لرؤيتك هنالك. والآن هل تتنازل؟ وإلا فإنني يجب أن أحطّم رأسك الجميل!

- لا بد من أن أشرب الجعة اللاذعة، يجب. لكنني لم أخضع لرجل من قبل بلا جرح أو أثر على بدني، وعندما أفكر بنفسني فلن أستسلم الآن! هوو! يا أصحابي اللطفاء! تعالوا بسرعة! ثم بزغ من الغابة الصغير جون ومعه ستة من الرفاق الأشداء في زيهم الأخضر، وصاح:

- كيف حالك الآن أيها الزعيم الطيب؟ أي حاجة جعلتك تنفخ في بوقك عاليًا جدًّا؟

- هنالك، يقف العامل الجوّال! وبكل سرور لديه، سيعتقلني ليأخذني إلى نوتنغهام، حيث أشنق على شجرة الإعدام.

صاح الصغير جون:

- إذن، سوف يُشنق هو من فوره!

ثم انقضّ هو والستة على الجوّال ليمسكوه، فقال روبن:

- كلا! لا تلمسوه! إنه رجل عنيف جدًّا، رجل حديدي بالممارسة والتمرين، ورجل ذو همة ونشاط من الطبيعة، وفوق هذا، يغني قصائد شعبية بطرب! قل لي أيها الرفيق الطيب، ألا تنضمّ إلى رجالي المرحين كلهم؟ لك ثلاث بدلات بخضرة لنكولن كل عام، مع أجرٍ بأربعين مارغًا، وأنت سوف تشارك كلّ شيء معنا، وتسير في حياة سارة تمامًا في الغابة الخضراء، فنحن لا نبالي، ولم يكن حظنا سيئًا في حياتنا تحت ظلال شيرود الوارفة، حيث نرمي الأيل الرمادي ونتغذى بلحمه، والمخبوزات من كعك الشوفان الطيب واللبن والعسل. فهل لك أن تأتي معي؟

- أجل! يا للبهجة! سأنضمّ إليكم كلكم، لأنني أهوى العيش السعيد، وأنا أحبك أيها السيد الطيب، رغم أنك ضربت أضلاعي وخذعتني في تلك الصفقة! أنا سعيد لأعترف بأنك رجل أقوى وأذكى مني في الوقت نفسه، لذا فإنني سأكون مطيعًا لك وخادمك الشخصي المخلص.

وهكذا... أدار الجميع خطواتهم نحو أعماق الغابة، حيث كان العامل الجوّال سيحيا من الآن فصاعدًا. وقد كان يغني القصائد عدة مرات في اليوم لأفراد العصابة، حتى حلّ بينهم المشهور آلان أديل، إذ أمام صوته الشجي بدت كل الأصوات مستهجنة مثل نعيق الغراب! ولكننا سوف نعرف ما يخص شأنه في التالي...

(14) (Angel) عملة ذهبية إنجليزية قديمة.

(15) (Cubit) مقياس طولي قديم، يساوي طول الساعد من الذراع، ١٨ بوصة تقريباً.

(16) (Stocks) وكذلك (Pillory) ألواح خشبية ذات فتحات تُجعل فيها يدا المتهم للعقوبة والتشهير.

(17) (Small sour apples) تفاحات صغيرة حامضة.

(18) يلتزم الصمت.

(19) يعرف أين منفعته.

(20) اسم قديم للمشروبات الكحولية، وهو من هولندا.

(21) بما يماثل القول: كناقل التمر إلى هجر! فلا يحتاج المضيف الماكر إلى توصية بهذا الشأن.

مباراة الرماية في مدينة نوتنغهام



ثم كان العمدة غاضبًا جدًا! بسبب خيبة مسعاه بالقبض على المرح روبن، إذ وصل إلى مسامعه -مثلما تفعل الأخبار السيئة دائمًا- أن الناس قد ضحكت منه! وأطلقت نكتة على محاولته تنفيذ أمر القبض على واحد مثل هذا المتمرّد الجريء. ولم يكن الرجل يمقت أمرًا أشدّ من مقتته أن يكون موضوعًا للسخرية والتندر، لذا قال:

- سوف يعلم سيدنا المبجل وملكنا المهيب بنفسه هذا الأمر، وكيف حصلت مخالفة قانونه وازدراؤه، من هذه العصاة المتمرّدة الخارجة عن القانون. أما ذلك العامل الجوّال الخائن، فإنني إذا قبضتُ عليه فسوف أشنقه على أعلى شجرة في مدينة نوتنغهام عامة!

ثم أمر كل خدمه وأتباعه بالاستعداد للسفر إلى مدينة لندن، لمقابلة الملك والحديث معه. وعند هذا، كان هنالك نشاط وهيجان في قلعة العمدة، إذ ركض الرجال هنا وهناك للقيام بهذا الأمر أو ذاك، بينما استعرت النيران الحمر في كير نوتنغهام، بتوهج قوي في الليل مثل النجوم اللامعة، فكل حدادي المدينة كانوا مشغولين بصناعة الأسلحة والدرّوع أو إصلاحها، من أجل قوة العمدة العسكرية المرافقة. استمرّ العمل والنشاط ليومين، ثم في اليوم الثالث كان كل شيء معدًّا من أجل الرحلة. انطلقوا عند ضوء الشمس المشرق من مدينة نوتنغهام إلى طريق فوس، ومن هناك إلى جادة والتنغ، ومضوا في رحلتهم يومين...

حتى رأوا في النهاية قمم لندن العالية وأبراجها، فتوقّف أفراد كثيرون كانوا قد قطعوا رحلة طويلة، وأخذوا يحدّقون إلى المشهد الذي سعوا إليه على الطرق العامة، ومعهم أسلحتهم اللامعة وريشهم وزخارفهم البهيجة. في لندن، عقد الملك هنري وزوجته السامية الملكة إينور جلسة بلاطهما، وحضر الرجال والسيدات في ملابسهم الحرير والقطيفة والمخمل والملابس المذهّبة، وكذلك الفرسان الشجعان وحراس الحاشية الباسلون. وعند هذا، قدم العمدة ومثل بين يدي الملك، ثم قال وهو يجثو على الأرض:

- العون! العون!

قال الملك:

- والآن، ماذا لديك؟ دعنا نسمع ما قد تكون رغباتك.

- يا سيدي الطيب المهيب: في غابة شيروود في مقاطعة نوتنغهام الطيبة خاصتنا، يوجد أحد العصاة المتجرئين واسمه روبن هود.

- في الحقيقة وصلت أفعاله حتى إلى أسماعنا الملكية، إنه غلام متمرد وقح، ومع ذلك وأنا أعترف بسرور- فإن فيه روحًا مرحة!

- لكن استمع يا سيدي الأكرم الرؤوف، لقد أرسلتُ إليه أمر القبض، وعليه ختمنا الملكي بوساطة تابع قوي جدًّا، لكنه ضرب الرسول وسرق الأمر. وهو قد قتل غزالك وسرق هنالك أشياء سيادية حتى على الطرق العامة.

قال الملك بغضب:

- ها! وكيف الآن! ماذا تريد مني أن أفعل؟ لا تأتِ إليّ في نسقٍ عظيم من الرجال المدرّعين المسلحين والأتباع، وأنت حتى الآن غير قادر على تولي أمر عصاة منفردة، من الغلمان الأقوياء بلا دروع وتجهيزات على الصدور، وفي مقاطعتك الخاصة! فماذا تريد مني أن

أفعل؟ ألسّت أنت عمدتي ومتولّي شؤوني؟ أليست قوانيني سارية في مقاطعة نوتنغهام؟
ألا يمكنك أن تقوم بواجبك ضدّ أولئك الذين خرّقوا القانون، أو فعلوا ما يهينني أو يهينك؟
هيا امضِ وفكرٌ جيّدًا، عليك إعداد خطة خاصة بك، ولا تزعجني أكثر! ولكن انتبه جيّدًا أيها
السيد العمدة، إذ أن قوانيني ستكون مطاعة من كل الرجال في ضمن مملكتي، فإن لم تكن
قادرًا على فرضها بالقوة، فأنت لسّت العمدة عندي. إذن أقول: اعتنِ بنفسك جيّدًا، وإلا
فإنني قد أمسك بسوء، بنحو ما على كل الأوغاد السراق في مقاطعة نوتنغهام، عندما يأتي
الطوفان فإنه يكتسح الحَبّ والقشور معًا!

بعد ذلك، انصرف العمدة مبتعدًا وقلبه مثقل بالحزن والهموم، وقد ندم على عرض أتباعه
وحاشيته الجميل، لأنه رأى أن الملك كان غاضبًا عليه، لأن لديه أتباعًا كثيرين ولم يتمكن
حتى الآن من فرض القانون! وهكذا، قفلوا عائدين ببطء نحو نوتنغهام... وكان العمدة
مستغرقًا في التفكير والاهتمام، ولم يقل كلمة لأي شخص، ولم يكلمه أحدٌ من جماعته، كان
طوال الوقت مشغولًا بابتكار خطة ما للإيقاع بروبن هود، ثم صاح فجأة! وقد ضرب بيده
على فخذه:

- أهّا! لديّ فكرة! هيا اركبوا يا رجالي اللطفاء كلكم، ودعونا نرجع إلى مدينة نوتنغهام
بأسرع ما نقدر. وتذكروا كلماتي جيّدًا: قبل انقضاء أسبوعين، سيكون ذلك الدنيء الشرير
روبن هود في الحبس الحصين في سجن نوتنغهام.

ولكن ماذا كانت خطة العمدة؟ مثل مُرابٍ يأخذ كل صرّة نقود من الأنجلات الفضية،
متحسّسًا كل عملة ليرى أنها مقروضة أم لا، كذلك كان العمدة -عندما كان يمضي الكل ببطء
وحزن عائدين نحو نوتنغهام- يتفحص ويعالج الفكرة بعد الفكرة على التوالي، متدبرًا
أطراف كل واحدة، ولكنه يجد فيها بعض العيب والنقص. آخر الأمر تدبّر بروبن هود
الجريئة، وكيف أنه -بنحو ما يعلم العمدة- كثيرًا ما يكون داخل أسوار نوتنغهام. فكّر
العمدة: الآن! لو أتمكّن فقط من إقناع روبن بأن يقترب من مدينة نوتنغهام كي أجده، فإنني
أتعهد بإمساكه بحزم ولن يفرّ أبدًا. ثم على حين غرّة خطر على عقله مثل الوميض! أن

يزعم إقامة مباراة رماية كبيرة، ويقدم نوعًا من الجائزة الكبيرة، فإن روبن هود قد تتغلب روحه عليه وتدفعه إلى المجيء نحو الأهداف. هذه هي الفكرة التي جعلته يصيح (أها!)، ويضرب براحته على فخذه! وبهذا، ما إن عاد إلى نوتنغهام بسلامة، حتى أرسل المنادين شمالًا وجنوبًا، شرقًا وغربًا، للإعلان خلال المدينة والضاحية والريف، عن مباراة الرماية الكبيرة هذه، وأن المشاركة ممكنة لكل شخص قادر على سحب القوس الطويل، وأن الجائزة سهم ذهبي خالص! عندما سمع روبن هود خبرًا عن هذا الأمر أول مرة، كان في مدينة لنكولن، وقد عجل بعودته إلى غابة شيروود، وسرعان ما دعا لتجمع رفاقه الطيبين من حوله، وخاطبهم:

- الآن، اسمعوا يا أصحابي الطيبين، خبرًا أنقله لكم من مدينة لنكولن اليوم! صديقنا عمدة نوتنغهام قد أعلن عن إقامة مباراة رماية، وقد أرسل المنادين ليذيعوا خبرها خلال الريف كله، وإن الجائزة ستكون سهمًا مصوغًا من الذهب البراق! وأنا بسرور أرجو أن ينالها واحد منا، لسببين معًا: أولهما لعظم الجائزة، ولأن صديقنا العميد اللطيف قد قدّمها! لذا، فإننا سوف نأخذ معنا أقواسنا وسهامنا ونمضي لنرمي هنالك، لأنني أدرك جيدًا أن المرح والتسلية سيكونان هنالك بغير انقطاع! فما رأيكم أيها الفتیان؟

انبرى الشاب ديفيد دونكاستر، وقال:

- والآن، أرجوك يا سيدي الطيب استمع لما أقول: لقد جئت لتوي من عند صديقنا إيدوم في الخنزير الأزرق، وهنالك سمعتُ الخبر الكامل عن المباراة نفسها. لكنني يا قائدي علمتُ منه، وهو قد عرف من أحد رجال العمدة وهو رالف سكار، أن هذا العمدة المحتمل قد نصب فخًا لك في مسابقة الرماية هذه، ولا يرغب بأكثر من رؤيتك موجودًا فيها. لذا لا تذهب يا سيدي العزيز، لأنني أعلم جيدًا أنه سوف يسعى لخداعك، بل ابقَ في الغابة الخضراء خشية أن نضطرّ كلنا لملاقة المصير ونصاب بالويل!

قال روبن:

- الآن، أنت فتى حكيم، فأبق على أذنيك مفتوحتين، وفمك مغلقًا بنحو ما يفعل ساكن الغابات الحصيف الماكر. ولكن، ألسنا بذلك نجعل عمدة نوتنغهام يقول إنه أرهب الجريء روبن هود، ورفاقه المئة والأربعين مثل كل الرماة القانونيين في طول إنجلترا وعرضها؟ كلا يا ديفيد الطيب، إن ما أخبرتني به يجعلني أرغب في الجائزة حتى أكثر مما سوف أريد. ولكن ماذا يقول رفيقنا الطيب؟ ألا يكون: **رجل متسرع أحرق فمه، وأن الأحق الذي يبقي عينيه مغلقتين يقع في الحفرة؟** صدقًا، هكذا يقول، فلا بد من مواجهة الخدعة بالخدعة. والآن ليتنكر بعض منكم برداء الرهبان القصير، وبعض آخر بزى الفلاحين البسطاء، وبعض كالمصلحين الجوالين، أو كالفقراء المتسولين، ولكن ليأخذ كل رجل منكم قوسًا جيدًا أو سيفًا عريضًا، تحسبًا للضرورة والحاجة. أما أنا، فإنني سأشارك وأرمي من أجل هذا السهم الذهبي، وأناله، وسوف نعلقه على الأغصان على شجرة غابتنا الخضراء الطيبة، من أجل سرور كل العصابة ومرحهم. ما رأيكم في هذه الخطة يا رجالي الظرفاء؟

فصاح كل أفراد العصابة من أعماق قلوبهم:

- جيد! جيد!

في يوم إقامة المباراة ازدانت مدينة نوتنغهام بمشهد جميل رائع، وعلى طول المرج الأخضر أدنى سور المدينة امتد صفٌّ من المقاعد واحدًا فوق الآخر، وكان خاصًا بجلوس الفرسان والسيدات، والإقطاعيين والنسوة النبيلات (22) والمواطنين الأثرياء وزوجاتهم، إذ لم يكن من يجلس هنالك من أهل الرتبة والسمو إلا هؤلاء. وعند نهاية المضمار قرب الهدف، أقيم مقعد مرتفع مزين بالشرائط والأوشحة وأكاليل الزهور، من أجل عمدة نوتنغهام وسيدته النبيلة. كان المضمار بسعة أربعين خطوة. وفي أحد طرفيه كان هنالك الهدف، وعند الآخر نُصبت خيمة من القماش المخطط، ومن عمودها رفرت أعلام ولافتات شريطية ذوات ألوان متعدّدة، وفي هذه الخيمة كانت هنالك براميل من الجعة، متاحة أمام أي راجٍ قد يرغب في إرواء ظمئه. عبر المضمار، حيث تُقام المقاعد للناس الأفضل، كان هنالك سياج لإبقاء الناس الفقراء بعيدين من التجمهر أمام الهدف. ومع أن الوقت ما يزال

مبكرًا، فإن المقاعد بدأت بالامتلاء بالناس العالين، الذين ظلّوا يصلون في عربات صغيرة أو على خيول سهلة القيادة، تخبّ بمرح للرين السعيد من الأجراس الفضية عند أشرطة أجمتها. ومع هؤلاء أيضًا، وفد الناس الفقراء الذين جلسوا أو اضطجعوا على العشب الأخضر، قرب السياج الذي يحجزهم بعيدًا عن المضمار. أما في الخيمة الكبيرة، فقد كان الرماة يتجمعون مثنى وثلاث، بعضهم يتحاورون بصوت عالٍ عن الرميات الجيدة التي أنجزها كل رجل في يومه، وبعض منهم ينظر باستحسان إلى أقواسهم، ساحبين الأوتار بين أصابعهم ليروا خلوها من التشققات، أو يتفحصون السهام، يغلقون عينًا ويميلونها إلى الأسفل ليتأكدوا من عدم انحرافها، إذ يجب أن تكون مستقيمة ومطابقة لما يرغبون، ويلزم أن لا يخفق قوس أو سهم في مثل هذا الوقت ولمثل هذه الجائزة. ولم يجتمع جمع من الرجال الأقوياء مثل الذي كان في مدينة نوتنغهام ذلك اليوم، إذ قدم أفضل الرماة في إنجلترا إلى هذه المباراة. هنالك حضر جيل ذو الطاقة الحمراء الرامي الأول لدى العمدة، والرامي ديكون كروكشانك من مدينة لنكولن، وأدم ديل رجل تامورث، بعمر الستين وأكثر وما يزال سليمًا ومفعمًا بالحيوية، الذي رمى في زمنه في المباراة المشهورة عند وودستوك، وهنالك هزم ذلك الرامي المعروف كلیم كلوف... وآخرون كثيرون من المشاهير في القوس الطويل، الذين حُفظت أسماؤهم لنا جيدًا عبر القصائد المغناة من الزمن القديم.

والآن، كانت كل المقاعد ممتلئة بحضور الضيوف: لوردات وسيدات، مواطنون راقون ونساء راقيات... وأخيرًا حضر العمدة نفسه مع عقيلته، وكان بطلعته الفخمة يمتطي حصانه الأبيض كالحليب، وهي على مهرتها البنية، وعلى رأسه ارتدى قبعة أرجوانية من المخمل مع رداء قرمزي، وكلها محاطة بالفرو الثمين، كانت سترته التي بلا أكمام وكذلك سرواله الضيق، من الحرير ذي اللون الأخضر المزرق، وحذاؤه كان من القطيفة السوداء، وقد ارتببت مقدمتا حذاءيه البارزتين إلى جوربيه العاليين بسلاسل من الذهب، وحول رقبتة تدلت سلسلة ذهبية، وعند ياقته كانت هنالك عقيقة كبيرة موضوعة في ذهب أحمر. أما عقيلته، فقد ارتدت المخمل الأزرق، وكله مبهرج بريش الإوز إلى الأسفل. وهكذا، كان مجيئهما راكبين جنبًا إلى جنب مشهدًا فخماً ورفيعًا، وصاحت جموع الناس من حيث

ازدحموا عبر الفراغ بين مواضع الأشراف والنبلاء! وبهذا، جاء العمدة وزوجته إلى موضعهما، حيث يقف الحراس المسلحون بالدروع والرماح وقد طوقوا المكان في انتظارهما. ثم عندما استقرّا في جلوسهما، أمرَ العمدة المنادي الرسمي بأن ينفخ في بوقه الفضي، فنفخ ثلاث مرات... تردّد صداها بجمال مرتدّاً على الأسوار الرمادية في نوتنغهام. ثم تقدّم الرماة إلى مواضعهم، بينما يصيح الناس بصوت واسع، كل فرد ينادي نحو راميهِ المفضل، فصاح بعضهم:

- الطاقية الحمراء!



وآخرون:

- كروكشانك!

وآخرون نادوا مرةً بعد أخرى:

- مرحى لويليام ليزلي!

بينما لوّحت السيدات بالأوشحة الحريرية لتحتّ كل رامٍ على بذل قصارى جهده. ثم تقدّم المنادي وأعلن بصوت عالٍ قواعد اللعبة على النحو الآتي:

- سيرمي كل رجل من حيث علامته، التي يبعد الهدف عنها مئة وخمسون ياردة. أولاً، كل رجل يرمي سهمًا واحدًا، وسوف يجري اختيار الرماة العشرة الذين يرمون بشكل أفضل، وهم سوف يرمون مرة أخرى، فيرمي كل واحد من العشرة سهمين، ويتم اختيار أفضل ثلاثة رماة للرماية مجددًا، ويرمي كل واحد منهم ثلاثة أسهم، وتُمنح الجائزة إلى الرامي الأفضل فيهم.

ثم تقدّم العمدة وانحنى قليلاً، وأخذ ينظر بتركيز نحو حشد الرماة لعله يلمح روبن هود بينهم، لكن لا أحد فيهم كان يرتدي أخضر لنكولن، وهو ما يرتديه روبن وأفراد عصابته عادة. فحدّث العمدة نفسه: ومع ذلك، ربما ما يزال هنالك، وأنا أفقده بين جمع الرجال الآخرين، ولكن دعنا نرى عندما لا يبقى إلا عشرة من الرماة، لأنني متأكد أنه سيكون من بين العشرة، أو أنني لا أميزه. والآن، باشر الرماة بإطلاق السهام، كل رجل في دوره، ولم يرَ الجمهور الطيب مثل هذه الرماية قط. أصابت ستة من السهام الهدف، وأربعة في السواد، واثنان فقط ضربا الحلقة الخارجية، لذا عندما انطلق السهم الأخير وأصاب الهدف، صاح الناس عاليًا، إذ كانت رمية ممتازة! والآن لم يبقَ إلا عشرة من كل أولئك الذين سدّوا سابقًا، ومن هؤلاء العشرة، ستة مشهورون في كل البلاد، وأكثر الجمهور المحتشد كان يعرفهم. وكان الستة: جيلبرت ذو الطاقية الحمراء، آدم ديل، ديكون كروكشانك، ويليام ليزلي، هوبرت كلاود، سويذن هرتفورد. وراميان آخران كانا من يومني يوركشاير المعمورة، وآخر كان غريبًا طويلًا يرتدي ملابس زرقًا، قال إنه قدم من مدينة لندن، والأخير كان غريبًا رتّ الثياب ذات لون قرمزي، وكان يضع رقعة على إحدى عينيه. سأل العمدة أحد حراسه المسلحين، وكان يقف قريبًا منه:

- والآن، هل تميّز روبن هود بين أولئك العشرة؟

- لا، يا سيادة المقام الرفيع، لا أميزه. أعرف ستة منهم معرفة جيدة. ومن الاثنين يومني يوركشاير: واحد طويل جدًّا، والآخر قصير جدًّا بالنسبة إلى ذلك الغلام المتمرد. إن لحية روبن صفراء كالذهب، بينما لذلك المتشرّد ذي الثياب الحمر الممزقة لحية بنية، وفوق ذلك

هو أعور، أما الغريب ذو الرداء الأزرق، فإنني أظن أن أكتاف روبن أعرض بثلاثة بوصات من أكتاف هذا. قال العمدة وهو يضرب على فخذه بنفاد صبر:

- إذن! ذلك الفتى جبان مثل أي وغد متشرد، ولا يجروء على إظهار وجهه بين الرجال الحقيقيين الصالحين.

بعد ذلك، نال الرماة العشرة قسًا من الراحة لوقت قصير... ثم تقدّموا للرماية مرة أخرى. فرمى كل رجل منهم سهمين، وعندما كانوا يفعلون ذلك لم تصدر كلمة واحدة من الجمهور كله، إذ كانوا يراقبون المشهد وكأن على رؤوسهم الطير! ولكن بعد إطلاق السهم الأخير ارتفع صياح عظيم، ورمى كثيرون قبعاتهم نحو الأعلى ابتهاجًا بمثل هذه الرميات المذهلات! قال الكبير السير أمياس ديل، الذي انطوى على عمر ثمانين عامًا بل يزيد، وكان يجلس قرب العمدة:

- والآن بحق عدالة سيدتنا الكريمة! لم أشهد في كل حياتي مثل هذه الرماية! لأنني رأيت أفضل الأيدي التي تمارس بالقوس والسهم لستين عامًا وأكثر.

وعند هذا الوقت، لم يبقَ من أولئك الرماة إلا ثلاثة: أحدهم جيل ذو الطاقة الحمراء، والآخر هو الغريب الرث ذو الرداء القرمزي، والثالث هو آدم ديل من مدينة تامورث. ثم صاح الناس كلهم بعلو، فبعضهم صاح:

- مرحى لجيلبرت ذي الطاقة الحمراء!

وبعض آخر:

- مرحى لآدم القوي من تامورث.

لكن لا أحد من المتفرجين نادى بالتحية للغريب قرمزي الثياب! صاح العمدة:

- والآن، يا جيلبرت، ارم بشكل حسن، فإذا كنتَ الأفضل، فلك مئة من البنسات الفضية المحضة، تكون ملحقة بالجائزة.

فقال جيلبرت بعزم وثبات:

- حقًا سأفعل أفضل ما بوسعي، إذ لا يمكن للرجل إلا أن يفعل أقصى ما بطاقته، لكنني مع ذلك سأناضل لإنجاح هذا اليوم!

قال ذلك، وقام بسحب سهم حسن ناعم، ذي ريش عريض وثبته بحذق على الوتر، ثم جذب قوسه باعتهاء وأطلق السهم، فانطلق باستقامة وانغرز على نحو ثابت جميل في الهدف، على مسافة عرض إصبع عن المركز. صرخ كل الجمهور:

- جيلبرت! جيلبرت!

فصاح العمدة وهو يصفق كفيه معًا:

- والآن بحق إيماني! إنها لرمية بارعة!

ثم تقدّم الغريب رث الهيئة، وقد ضحك كل الناس منه عند رؤيتهم الرقعة الصفراء التي ظهرت تحت ذراعه عندما رفع مرفقه ليسدّد، وكذلك ضحكوا لرؤيتهم إياه يسدد بعين واحدة! وبسرعة سحب السهم الجيد من خشب السنديان فأطلقه! كان الفاصل قصيرًا جدًّا، إذ لا رجل تمكّن من التقاط نفس بين حصول الأمرين! ومع ذلك، انغرز سهمه قرب المركز أقرب من الآخر بضعفي طول حبة شعير. فصرخ العمدة:

- والآن! بحق كل القديسين في الفردوس! إنها لرمية مذهلة بكل صدق!

ثم رمى آدم ديل باعتهاء واحتراس، وثبت سهمه قريبًا من سهم الغريب. وبعد فاصل قصير... رمى الثلاثة مرة أخرى، ومن جديد انغرز كل سهم في الهدف، ولكن في هذه المحاولة كان سهم آدم ديل الأبعد عن المركز، ومرة أخرى كانت رمية الغريب هي الأفضل.

ثم -بعد تمضية وقت استراحة آخر- رموا كلهم للمرة الثالثة. هذه المرة تولى جيلبرت رميته على هدفه بكثير من العناية، يقيس المسافة بدقة ويسدد بالاعتناء الأكثر. مضى السهم على مساره المستقيم، وصرخ الكل حتى اهتزت بالصوت الأعلام نفسها التي ترفرف في النسيم، وحلقت الغربان وطيور الزاغ باصطخاب حول سطوح البرج الرمادي القديم، إذ أصاب السهم الهدف قريبًا من البقعة المثبتة التي تحدّد المركز. فصاح العمدة بجذل كبير:

- أحسنت يا جيلبرت! أنا في أتم سرور لأصدّق أن الجائزة من نصيبك، وأنتك ربحت بكل عدالة واستحقاق. والآن، أيها الغلام الأشعث دعني أر رميتك إذا كانت أفضل من تلك.

لم ينطق الغريب بل أخذ موقعه، وقد هدأ الكل، فلم يتكلم أحد بل لم يبد أنه تنفّس، كان السكون عظيمًا بسبب التساؤل عما سيفعله. في تلك الأثناء، أيضًا وقف الغريب ساكنًا تمامًا، قابضًا على قوسه بيده، وفي الوقت الذي يمكن للشخص أن يعدّ إلى خمسة، سحب سهمه الموثوق من خشب السنديان، وأبقى عليه متوترًا للحظة، ثم أرخى الوتر... فاندفع السهم باستقامة، وبالفعل فقد ضرب ريشة الإوزة الرمادية وأبعدها من نهاية سهم جيلبرت، الذي سقط مرفرفًا خلال الهواء المشمس، عندما ثبت سهم الغريب قريبًا من مثيله العائد لذي الطاقة الحمراء، وفي المركز تحديدًا! لمدة من الوقت... لم ينبس امرؤ ببنت شفة ولم يصح أحد، بل تطلّع كل رجل إلى وجه من يجاوره بدهشة كبيرة! بعد وقت قصير... قال آدم ديل، وهو يأخذ نفسًا طويلًا ويهزّ رأسه عند كلامه:

- لا! أربعون عامًا وأكثر في رماية السهام، وربما لم تكن سيئة في كل الأوقات، لكنني لن أرمي المزيد في هذا اليوم! إذ لا أحد يمكنه أن ينافسك أيها الغريب، كائنًا من يكون.

ثم أقحم سهمه في كنانته بسرعة وعصبية، ونزع وتر قوسه ولم يقل كلمة أخرى! ثم نزل العمدة عن منصبه، وتقدّم -بكل حريه ومخمله- إلى حيث وقف الغريب الرث مستندًا إلى قوسه القوي، بينما اكتظ الحشد الطيب حول المكان ليروا عن كثر الرجل الذي رمى وحيّرهم وأدهشهم! قال العمدة:

- إليك هنا أيها الرفيق الطيب، خذ جائزتك، وأنت تستحقها بكل عدل وإنصاف، أنحني وأذعن لذلك، ولكن ماذا قد يكون اسمك؟ ومن أين أتيت؟

- الرجال يدعونني جوك تفيوتدل، ومن ذلك المكان جئت.

- إذن -بحق سيّدتنا- يا جوك، أنت الرامي الأرقى الذي لم ترَ عيناى مثله قط، ولو شئت أن تدخل في خدمتي، فإنني سوف أكسوك بمعطف أفضل من هذا الذي تلقيه على ظهرك، وسوف تأكل وتشرب من الأجود والألذ، وعند كل مناسبة عيد الميلاد يكون لك أجرٌ من ثمانين ماركا. أنا متيقن أنك أفضل بالرماية من ذلك الفتى المخدول الجبان روبن هود، الذي لم يجرؤ على إظهار وجهه هذا اليوم. قل لي يا صاحبي الطيب، هل ستتنضم إلى خدمتي؟

قال الغريب بفضفاضة:

- كلا! لن أفعل! سأكون ملك نفسي، ولن يكون أي رجل في كل إنجلترا المحروسة سيّدًا أمرًا عليّ!

صاح العمدة بصوت يهتزّ بالغضب والانفعال:

- إذن، امض من هنا، وليصّبك طاعون الماشية! وبحقّ معتقدي وصدقي، يراودني ميلٌ قوي لأن أضربك بسبب تعجرفك ووقاحتك!

ثم استدار على عقبيه ومضى بخطوات واسعة مبتعدًا...

كان جمعًا غير متجانس تمامًا، ذلك الذي التأم حول الشجرة السامية في الغابة الخضراء بأعماق شيرود. كان هنالك عشرون ونيف من الرهبان عراة الأقدام، بعض بدا كأنه من المصلّحين الجوالين، وبعض كأنه من الشحاذين القادرين (23) والعمال الريفيين. وقد جلس على أريكة مخضوضرة بالطحالب شخصٌ يرتدي على كل جسمه القرمزي الممزق، ورقعةً على إحدى عينيه، وقد أمسك بيده السهم الذهبي الذي كان جائزة مباراة الرماية

العظيمة! ثم -خلال ضجة الكلام والضحك - رفع الرقعة عن عينه، ونزع الخرق القرمزية عن جسمه، وأظهر نفسه مرتديًا خضرة لנקولن الجميلة الكاملة، وقال:

- هذه الأمور تأتي وتزول بسهولة، لكن لون الجوز البني لا يزول بسرعة عن الشعر الأصفر!
(24)

فضحك الكل بأعلى مما سبق، لأنه كان روبن هود نفسه، وهو من ربح الجائزة وتسلمها من يدي العمدة بالفعل! ثم جلس الجميع لتناول وليمة أرض الغابة، وتجاوزوا أطراف الحديث عن المزحة الظريفة التي مُرّرت على العمدة، والمغامرات التي حدثت لكل واحد من العصابة في هذه العملية التنكّرية. ولكن عندما انتهت الوليمة، انتحى روبن هود بالصغير جون جانبًا، وقال:

- حقًا أنا منزعج في دمي، لأنني سمعتُ العمدة يقول اليوم: أنا متيقن أنك أفضل بالرمية من ذلك الفتى المخدول الجبان روبن هود، الذي لم يجرؤ على إظهار وجهه هذا اليوم. كان سيسرني أن أدعه يعرف من يكون رابح السهم الذهبي ومنتزعه من يده! وأني لست جبانًا بنحو ما تصوّر ذلك عني.

فقال الصغير جون:

- يا سيدي الطيب، دعنا أنا وويل ستوتلي، وسوف نرسل لذلك العمدة السمين أخبارًا عن كل هذا بوساطة رسول لا يتوقعه!

في ذلك اليوم، جلس العمدة إلى مائدة الطعام، في القاعة الكبرى من منزله في مدينة نوتنغهام. امتدت الموائد الطويلة في القاعة، وإليها جلس الحراس ومدبرو المنزل والأجلاف الأشداء (25) ثمانون منهم ويزيد.. وهناك تكلموا على حدث رماية اليوم، وهم يتناولون اللحم ويعبّون جعتهم. جلس العمدة عند رأس المائدة على مقعد مرتفع تحت ظلة قماشية، وإلى جانبه جلست عقيلته، قال العمدة:

- بحق إيماني! لقد كنتُ أعتقد جازماً، بأن ذلك الغلام الدنيء سيكون حاضراً عند المنافسة اليوم. ولم يدر في خلدي أنه سيكون جبائاً خائفاً! ولكن من يكون ذلك الوغد البذيء الذي أجابني وجهاً لوجه بجرأة وشجاعة؟ إنني لأعجب كيف لم ألقنه درساً بالضرب، ولكن كان هنالك أمر حوله يفصح عن شؤونه أكثر من الخرق والأسمال البالية.

ثم ما إن كاد ينهي كلامه، حتى سقط شيء ما، مجلجلاً بين الصحن على المائدة، وأخذ الجلاس القريبون بالتساؤل عمّ يكون! وبعد مضي وقت... استجمع أحد الحراس شجاعته والتقط الشيء وجلبه إلى العمدة. ثم رأى كل الحاضرين أنه كان سهم ريشة إوزة رمادية مثلوم الرأس، مع لفافة رقيقة مربوطة إلى رأس العود الذي يتّصل بالريش. فتح العمدة اللفافة ونظر فيها، فانتفخت عروق جبهته! واحمّرت خدوده بالغضب والسخط وهو يقرأ! إذ كان هذا ما شاهدته:

والآن تباركُ السماء عطاءك هذا اليوم

وهذا ما يقوله الجميع في اللطيفة شيروود

لأنك منحتَ الجائزة وتخلّيتَ عنها

إلى الظريف روبن هود!

فصرخ العمدة بهياج وعنف:

- من أين جاء هذا؟

قال الرجل الذي سلّم السهم إليه:

- من خلال النافذة ليس إلا، يا عالي المقام!

(22) (Dame) لقب يُمنح في بريطانيا للمرأة التي تساوي رتبة الفارس.

(23) (Sturdy beggar) أو المتسول القوي، وهو تعبير قانوني سابق في اللغة الإنجليزية لشخص يكون لائقًا وقادرًا على العمل، لكنه يتسول أو يتجول من أجل لقمة العيش بدلًا من ذلك.

(24) يقصد اللون الذي صبغ به شعره ولحيته.

(25) (Bond-servants) العبيد.

رفاق ويل ستوتلي ينقدونه

حينما وجد العمدة أن كلاً من القانون والمكر لم يتغلبا على روبن هود، صار أكثر تحيزاً واضطراباً! وقال لنفسه: يا لي من أحمق! إنني لو لم أطلع الملك بشأن روبن هود، لما ورطت نفسي في مثل هذه المعضلة الشائكة، ولكن الآن: إما أن آخذه أسيراً، أو يحلّ على رأسي سخط جلالة الملك المعظم! لقد جرّبت القانون، وجرّبت الحيلة والدهاء، وخسرت في كليهما، لذلك سأحاول وأرى ما قد تفعله القوة!

وهكذا مضى في محاورة فكره وعقله.. ثم طلب حضور مفوضي عسكره، وأخبرهم بما يجول في خاطره:

- والآن، ليأخذ كل واحد منكم أربعة رجال مسلّحين مدرّعين، ولتنطلقوا إلى الغابة من جهات مختلفة، وتكمنوا هنالك انتظاراً لمرور المدعو روبن هود. ولكن، إذا صادف أي مفوض عدداً كثيراً جداً من الرجال ضده فلينادِ بالبوق، ولتهرع كل فرقة تسمع الدعوة للانضمام لفرقة المنادي بأقصى سرعة. وبهذا، أعتقد أننا سوف نمسك بهذا الوغد الأخضر! وأزيد على ذلك: إنني سأمنح أول من يلاقي روبن هود مئة باوند من العملات الفضية، إذا جلبه لي حيّاً أو ميتاً، وسأعطي لمن يصادف أيّاً من أفراد عصابته أربعين باونداً، إذا جلبه لي حيّاً أو ميتاً كذلك. لذلك، كونوا جريئين وحاذقين محترفين.

وبهذا، تألّفوا من ستين فرقة ذات خمسة أفراد، واتجهوا نحو غابة شيروود للقبض على روبن هود. وكل مفوض يرجو أن يكون هو من يجد المتمرّد الجريء، أو أحد أفراد عصابته في الأقل. وقد أقاموا في فسح الغابة سبعة أيام بلياليها، لكنهم لم يشهدوا ولو رجلاً واحداً يرتدي خضرة لنكولن، لأن كل أنباء هذه الحملة وتفاصيلها، كانت قد نُقلت إلى روبن هود عبر الثقة إيدوم في الخنزير الأزرق. وعندما سمع روبن الأنباء أول مرة، قال:

- إذا تجرأ العمدة على مجابهة القوة بالقوة فسيكون ذلك وبالأعلى عليه، وأيضاً على كثير من الرجال الفضلاء، لأن الدم سوف يسيل وسوف تكون هنالك محنة عظيمة تصيب الجميع. لكنني -بكل رغبة- أتحاشى الدم والمعركة، ولا أرغب في التسبب بالحزن والأسى لنساء الشعب والزوجات، إذ سيفقد رجال طيبون أقوياء أرواحهم. لقد قتلتُ رجلاً مرة ولا أريد قتل رجل مرةً أخرى أبداً، لأنّ من مرارة الروح أن يفكر المرء بذلك. إذن، الآن سوف نقيم بسكون في غابة شيرود إذ ربما يكون ذلك أجدي لنا كلنا، لكننا قد نُجبر على الدفاع عن أنفسنا أو أي واحد من جماعتنا، إذن ليهيئ كل رجل قوساً وسيّفاً ويستعدّ بالعزم والقوة.

عند إلقاء هذا الخطاب هزّ كثير من أفراد العصابة رؤوسهم، وحدثوا أنفسهم: والآن سيعتقد العمدة أننا جنائ! وسيسخّر الشعبُ منا في طول البلاد وعرضها، قائلين: إننا نخشى مواجهة رجاله هؤلاء! لكنهم لم يقولوا ما عندهم بصوت مسموع، بل ابتلعوا كلماتهم ونفّذوا ما يأمرهم به روبن. وهكذا باشرنا بالاختباء في أعماق غابة شيرود سبعة نهارات وسبع ليالٍ،



ولم يُظهروا وجوههم في الخارج خلال الوقت قط، ولكن في وقت مبكر من صباح النهار الثامن دعا روبن هود رفاقه للتجمع، وقال:

- والآن، من سيذهب ويكتشف وضع رجال العمدة في هذا الوقت؟ لأنني أدرك جيدًا أنهم لن يلبثوا في ظلال شيرود إلى الأبد...

وعند هذا ارتفع صياح عظيم! وقد لوح كل رجل بقوسه عاليًا ونادى، بأنه يظن لنفسه أن يكون هو المرشح، وقد كان قلب روبن هود فخورًا جدًا! عندما نظر حوله إلى أصحابه الأصدقاء الشجعان، وقال:

- كلكم شجعان وصادقون يا رجالي الظرفاء، وأنتم عصبة أشداء من الرفاق الطيبين، ولكن لا يمكنكم الذهاب جميعًا، لذا فإنني سأصطفي واحدًا منكم، وسوف يكون: ويل ستوتلي، لأنه داهية مثل ثعلب عجوز قديم في غابة شيرود!

فوثب ويل ستوتلي عاليًا وابتهج بصخب! مصفًا من أجل تلك الفرحة باختياره من بينهم كلهم! وقال:

- شكرًا كثيرًا يا سيدي الطيب. وإن لم أجلب لك الأخبار عن أولئك الأوغاد فلا تدعني بويل ستوتلي الماكر بعد الآن!

ثم تنكّر برداء راهب، وتأبط تحت الرداء سيفًا عريضًا في موضع يجعل تناوله سهلاً. وبهذا التمويه انطلق في سعيه... حتى وصل عند حافة الغابة، ومن بعدها إلى الطريق العام. هنالك رأى مجموعتين من رجال العمدة، لكنه لم يستدر يمينًا أو شمالًا، بل خفض قلنسوته فوق وجهه، وشبك يديه وكأنه مستغرق في الصلاة والتفكير! وأخيرًا وصل إلى لافتة الخنزير الأزرق، وقال لنفسه: لأن صديقنا المخلص إيدوم سيخبرني كل الأخبار. وعند الحانة وجد مجموعة من رجال العمدة يشربون بنهم وقوة، لذلك -وبلا توجيه كلمة لأي فرد- جلس على مصطبة بعيدة وهراوته في يده، مطأطأ رأسه نحو الأمام كأنه يتعبد ويتأمل... وهكذا قعد ينتظر على أمل أن يرى المالك على انفراد، لكن إيدوم لم يميّزه بل ظنّ أنه أحد الرهبان الفقراء المنهكين، لذلك تركه جالسًا ولم يخاطبه بكلمة أو يزعجه، مع أنه لم يعجب بملبسه! وقال لنفسه: إنه لقلب قاسٍ ذلك الذي يرفس الكلب الأعرج ويطرده

عن العتبة. وبينما كان ستوتلي يجلس على هذا النحو، اقترب منه قَظْ منزلي كبير، ودعك نفسه بركبته رافعاً رداءه بارتفاع عرض راحة اليد. دفع ستوتلي رداءه نحو الأسفل بسرعة، لكن المفوض الذي كان على إمرة رجال العمدة انتبه لما حصل، وشاهد أيضاً خضرة لنكولن تحت رداء الراهب! ولم يقل شيئاً عندها، لكنه تدبّر في الأمر على هذا النحو: إنه ليس راهباً من الكهنوت الفرانسسكاني، وأيضاً أعتقد أن ليس رجلاً قوياً صالحاً من يتجول في زي القسيس، وليس لَصاً من يمضي هكذا من أجل لا شيء. والآن أنا أعتقد بكل اقتناع أنه واحد من خاصة روبن هود. وعلى الفور تكلم بصوت عالٍ:

- يا أبانا المقدس، أَلن تأخذ كأساً وافية من جعة آذار لتنعش بها روحك الظامئة؟

لكن ستوتلي صمت وهزّ رأسه رفضاً، إذ حدّث نفسه: ربما هنالك بين هؤلاء من يميّزون صوتي. ثم قال المفوض مرة أخرى:

- إلى أين تمضي أيها الراهب المقدس في هذا اليوم الصيفي الساخن؟

أجاب ويل ستوتلي، وقد جعل صوته أجشاً كي لا يتعرّف إليه أحد:

- أنا أسعى للحجّ إلى مدينة كانتربري.

ثم قال المفوض للمرة الثالثة:

- والآن، قل لي أيها الأب المقدس: أيسعى الحجاج إلى كانتربري وهم يرتدون خضرة لنكولن الجيدة تحت أرديتهم؟ ها! بحق إيماني، أنا أجزم أنك أحد اللصوص العتاة، وربما أنت من بطانة روبن هود! أقسم بفضل سيدتنا، إذا حرّكت يداً أو قدماً فإنني سوف أنقضّ عليك وأطعن جسدك بسيفي!

ثم امتشق سيفه اللامع وشهره، ووثب على ويل ستوتلي معتقداً أنه سيمسك به على حين غرة، لكن ستوتلي كان قد جعل سيفه حاضراً، إذ قبض بيده عليه بإحكام تحت رداءه، لذا

قام بسحبه قبل أن يتقدّم المفوض نحوه. وجّه المفوض العنيف ضربة قوية لكنه لم يسدّد أية ضربة أخرى في كل ذلك القتال، لأن ستوتلي -وهو يتفادى الطعنة بمهارة- وجّه ضربة مرتدّة بكل قوته نحو المفوض. ثم كان يبتغي الفرار، لكنه لم يستطع لأن المفوض -وقد اضطرب وتشوّش بالجرح والدم الغزير- قبض على ركبتيه بذراعيه مع أنه سقط وتدحرج، فاندفع الآخرون نحوه، ومرة أخرى سدّد ستوتلي ضربة على رجل آخر من أتباع العمدة، لكن الخوذة الحديدية صدّت الضربة، ومع أن النصل قد انغرز عميقًا لكنه لم يصبه بمقتل. في تلك الأثناء، جذب المفوض -وقد كان يخبو ويضعف كالسابق- ستوتلي إلى الأسفل، أما الآخرون -وقد شاهدوا الضابط يكبح فراره ويعرقله- فقد هجموا عليه مرة أخرى، فضربه أحدهم على أمّ رأسه، فانبثق الدم يجري على وجهه وعطّل رؤيته، ثم سقط وهو مربك مصعوق! ووثب الكل فوقه، رغم أنه ناضل برجولة وقوة بما لم يجعلهم يمسكون به بسرعة إلا بصعوبة. ثم قيّدوه بحبال القنّب الوثيقة فلم يتمكن من تحريك يد أو ساق، وبهذا، أحكموا سيطرتهم عليه. ولكنها كانت أحداث يوم حزين على اثنين من تلك الفرقة! إذ كان الضابط مجروحًا بكل تأكيد، والآخر -الذي ضربه ستوتلي على أمّ رأسه- رقد مريضًا لعدة أيام، قبل أن يعود إلى حال الرجل القوي الذي كان عليه قبل هذا القتال الشهير.

وقف روبن هود تحت شجرة الغابة الخضراء مفكرًا في ويل ستوتلي، وكيف يكون تدبيره للوصول والنجاة، فإذا به يرى اثنين من رفاقه الأشداء يركضان مسرعين على درب الغابة، وبينهما تجري ميكن الشابة من الخنزير الأزرق. فهوى قلب روبن لأنه أدرك أنهم جاؤوا إليه بالأخبار السيئة! صاحوا وهم يصلون إلى حيث يقف:

- لقد أُسر ويل ستوتلي!

خاطب روبن الشابة:

- أنتِ من أتى بمثل هذا الخبر الفظيع؟

صاحت وهي تلهث مثل أرنب برّي نجا من مطاردة كلاب الصيد:

- نعم! يا للهول! لأنني رأيتُ كل ما حدث! وأخشى أنه جرح جرحًا بالغًا، إذ ضربه أحدهم على رأسه بشكل حاد! لقد ربّطوه وأخذوه إلى مدينة نوتنغهام، وقبل أن أغادر الخنزير الأزرق سمعتُ أنه سوف يُشنق نهار يوم غد.

صاح روبن:

- إنه لن يُشنق نهار الغد. وإلا - إذا حصل ذلك - فإن أكثر من واحد بكثير سوف يحفر الأرض (26). وسوف يتسبّب بصراخ كثيرين: وا أسفاه على ذلك اليوم!

ثم وضع بوقه على شفّتيه ونفخ ثلاث نفخات بعلو كبير، وعلى الفور هرع إليه رفاقه الطيبون راكضين خلال الغابة الخضراء، حتى تجمّع مئة وأربعون رجلًا شجاعًا من حوله،
صاح روبن:

- والآن، اصغوا إليّ كلكم! رفيقنا العزيز ويل ستوتلي قد قبض عليه رجال العمدة الأندال، لذلك فإن هذا يوجب علينا مسؤولية أخذ القوس والسيف بأيدينا لننقذه منهم، لأنني أعتقد أننا يجب أن نخاطر بأرواحنا وأجسادنا من أجله، كما خاطر هو بحياته وجسده من أجلنا، أليس كذلك يا رجالي السعداء؟

فصرخوا كلهم بصوت واحد عظيم:

- أجل!

- والآن، إذا كان هنا من لا يريد أن يخاطر بحياته وجسده، فليظلّ مقيمًا في أستار شيروود، فأنا لا أكلف أي رجل بتنفيذ إرادتي، ولكن في يوم غد سوف أستعيد ويل ستوتلي أو أهلك معه!

ثم نطق الصغير جون عاليًا:

- هل تعتقد أيها الزعيم الطيب، أن هنالك واحدًا فينا، قد لا يرغب بالمجازفة بحياته وبدنه وقدراته من أجل رجل في معضلة؟ إذا كان هنالك شخص كهذا، فأنا إذن لا أعرف كل رجل في هذه العصابة من الرجال الأشداء. وفوق هذا، إذا كان هنالك مثل ذلك الشخص، فأنا أرى أنه يجب أن يُستأصل ويُطرد ليخرج عن أراضى غاباتنا السعيدة. أليس كذلك أيها الأصدقاء الطيبون؟

فصاحوا كلهم:

- أجل!

إذ دائمًا لم يكن هنالك من رجل بينهم كلهم، لا يودّ أن يخاطر بكل شيء من أجل صديق في شدة. وهكذا، ساروا كلهم في اليوم التالي على دربهم من غابة شيرود ولكن في طرق مختلفة، إذ أوجب الحذر والتنبّه عليهم أن يكونوا على أقصى درجات الاستعداد، لذا انتشروا في مجموعات من فردين أو ثلاثة أفراد، وكان المقرّر أن يلتقوا مرة أخرى في الوادي الكثيف القريب من مدينة نوتنغهام. وبعد أن اجتمعوا من جديد عند موضع اللقاء، خاطبهم روبن على هذا النحو:

- والآن، سنمكث هنا ونكمن حتى نصيب خبرًا، إذ يلزمنا أن نتدبّر ونحتسّر، إذا كنا نريد جلب صديقنا ويل ستوتلي بتخليصه من احتجاز العمدة.

لذلك، استقرّوا مختبئين حتى ارتفعت الشمس عاليًا في كبد السماء. كان النهار دافئًا والطريق المغبرّ خاليًا من المسافرين، إلا أحد الحجاج المسنّين يمشي ببطء على طول الطريق العام، الذي يمتدّ قريبًا من جانب سور القلعة الرمادية لمدينة نوتنغهام. عندما رأى روبن هود أن لا أحد آخر من عابري السبيل في ضمن الرؤية، نادى الشابّ ديفيد دونكاستر -وقد كان رجلًا ذكيًا حاذقًا رغم سنواته الغضة- وقال له:

- والآن، أيها الفتى ديفيد، تقدّم إلى الأمام وتكلّم مع ذلك الحاج(27) الذي يسير عند سور المدينة، لأنه قد أتى لتوّه من مدينة نوتنغهام، وربما يزوّدك بالمصادفة أخبارًا عن ستوتلي الطيب.

فسار ديفيد متقدّمًا، وعندما وصل إلى الحاج حيّاه وخاطبه:

- يومك سعيد أيها الأب المقدس، ألا يمكنك أن تخبرني: متى يُسْنَق ويل ستوتلي على شجرة الإعدام؟ إنه ليسرني أن لا أفوّت المشهد، لقد جنّث من مكان بعيد لأرى هذا الوغد العنيف معلقًا!

صاح الحاج:

- ابتعد عني! أيها الفتى. يجب أن لا تتكلّم في هذا، عندما يُسْنَق رجل همام طيّب من أجل لا شيء سوى أنه يدافع عن نفسه!

وقام بضرب عصاه على الأرض بغضب وانفعال:

- يا للهول والأسف! أقول إن هذا الأمر سوف يحصل لا محالة! إذ في هذا النهار حتى المساء عندما تنخفض الشمس سيكون معلقًا. ذلك على مسافة ثمانين قصبة من البوابة الكبيرة لمدينة نوتنغهام، عند التقاء ثلاثة طرق، لأن العمدة أقسم على أنه سيموت هنالك، ويكون عبرة لكل العصاة في مقاطعة نوتنغهام. ولكن مع ذلك -أقول مرة أخرى- يا للأسف! إذ مع أن روبن هود وعصابته قد يكونون متمرّدين، لكنه لا يأخذ إلا من الرجل الغني والقوي والفاقد الجشع، في حين لا توجد أرملة فقيرة ولا فلاح له أطفال كثيرون قرب شيرود، إلا وله ما يكفيه من دقيق الشعير على طول السنة وذلك بفضل. إن مما يُفجع قلبي أن أرى بأسلاً مثل ستوتلي هذا يموت! إذ كنت في ما مضى بطلاً ساكسونيًا رائعًا، ذلك قبل أن أصير حاجًا، وأعلم جيدًا اليدَ القوية، ومن يضرب بشدة نورمانديًا فطًا، أو رئيس

دير متعجرفًا يملك حقائب أموال سميئة! لو أن قائد ستوتلي الطيب عرف أن رجله محفوف بالمخاطر، فلربما يرسل العون والنجدة ليسترده من أيدي أعدائه.

صاح الرجل الشاب:

- أجل، يا للدهشة! ذلك حق! لو كان روبن هود ورجاله على مقربة من هذا الموضع، فإنني أجزم بأنهم سيناضلون لتخليصه من أسره. ولكن ارتحل في خير وعافية أيها العجوز الطيب، وصدّقني: إذا مات ويل ستوتلي فسيكون هنالك انتقام مناسب من أجله.

ثم استدار ومضى مسرعًا، لكن الحاجّ نظر وراءه وهو يتمتم مع نفسه: أظنّ أن ذلك غزالًا من بلد غريب، وقد جاء ليشهد موت الرجل الطيب. حسنٌ، حسنٌ، يُحتمل أن روبن لا يكون بعيدًا جدًّا ولكن ستكون هنالك أحداث جسام!

وبذلك مضى على دربه مهمًّا مع نفسه. عندما أخبر ديفيد دونكاستر روبن هود بما قال الحاج، دعا روبن أتباعه من حوله، وقال:

- دعونا نتقدم باتجاه داخل مدينة نوتنغهام، وندخل في حشود الناس هنالك، ولكن ليراقب كل منكم الآخر ويكون قريبًا، وتجمّعوا حول الأسير وحرّاسه بأدنى ما تقدرون عندما يخرجون من الأسوار. ولا تضربوا أي رجل من دون ضرورة، لأنني أتجنّب إسالة الدم بكل جدية، ولكن إن دفعتمكم الأمور لذلك فاضربوا بقوة وشدة، إلى أن لا تجدون أية حاجة لتكرار الضربة! وبعد ذلك، ابقوا متجمّعين متراصين حتى عودتنا مرة أخرى إلى شيروود، ويجب أن لا يترك أي رجل رفاقه.

عندما نزلت الشمس في السماء الغربية صدر نفير بوق من سور القلعة، ثم تبع ذلك حصول حركة نشاط وصخب في مدينة نوتنغهام، وملاّت الجموع الشوارع، إذ عرف كل الناس أن المشهور ويل ستوتلي سوف يُشنق في ذلك اليوم. ثم فُتحت بوابات القلعة على سعتها، وخرج منها رتل عظيم من الرجال المسلحين ولهم ضوضاء وجلجلة، كلهم يرتدون دروعًا

لامعة من السلاسل المسرودة، والعمدة على رأسهم. في عربة وسط كل الحراس، مع رباط حول عنقه، كان هنالك ويل ستوتلي. كان وجهه شاحبًا بسبب ما أصابه من جرح وفقدان الدم، وبدا مثل القمر في رائحة النهار، وشعره الجميل متدلّ ملتصق على بعض المواضع من جبينه حيث يبس الدم. عندما خرج فيهم من القلعة نظر نحو الأعلى والأسفل، ومع أنه شاهد بعض الوجوه التي أظهرت الشفقة والتعاطف فلم يرَ أحدًا يعرفه، فأنهار قلبه في أعماق روحه مثل بلوميت(28) من الرصاص، لكنه رغم ذلك تكلم بصوت عالٍ:

- أيها السيد العمدة، أعطني سيفًا في يدي، ومع أنني رجل جريح فإنني سأقاتلك وأقاتل كل رجالك حتى تنفذ قوتي وتمضي روحي!

أدار العمدة رأسه نحوه ونظر إليه بعبوس:

- كلا! أيها الغلام الشرير الدنيء. لن تنال سيفًا بل سوف تحصل على موت بشع وكريه، فأنت تبدو مثل لص حقير!

- إذن، حلّ وثاقي وسوف أقاتلك وأقاتل رجالك بلا سلاح إلا بقبضتيّ المجردتين. لن أتمس سلاحًا، لكن لا تجعلني في هذا اليوم أشنق بطريقة حقيرة ويلحقني العار!

لكن العمدة قهقه بصخب:

- ها! ما هذا الآن! هل ترتجف كبرياء رغبتك؟ كَفَّر عن ذنبك أيها الغلام الوقح، لأنني أصرّ على شنقك هذا اليوم، هنالك حيث تلتقي ثلاثة طرق، كي يرى كل الناس مشهد تعليقك، وتنقر الغربانُ وطيور الزاغ جيفتك!

صاح ويل ستوتلي وهو يتميِّز من الغيظ على العمدة:

- أيها القلب الجبان! أنتَ غزاة خائفة! لو أن زعيمي الطيب واجهك، فلسوف تدفع عما تفعل في هذا اليوم ثمنًا مضاعفًا! إنه يحتقرك ويستصغر شأنك وكذلك تفعل القلوب الشجاعة.

هل تدري أنك لست على حقيقتك، وأن اسمك ليس إلا نكتة على شفاه كل رجل مغوار؟ إن شخصًا مثلك -أيها الجبان التعيس- لن يكون قادرًا على إخضاع روبن هود المقدم.

صاح العمدة بسخط:

- ها! الأمر كذلك؟ أنا نكتة عند زعيمك كما تسمّيه؟ الآن سأجعل منك أضحوكة! بل بهذا سأجعلك أضحوكة محزنة! لأنني سوف أمزّق أطرافك بعد شنقك!

ثم حفّز حصانه نحو الأمام ولم يقل المزيد إلى ستوتلي. أخيرًا، وصلوا عند البوابة العظيمة من المدينة، التي رأى ستوتلي من خلالها البلد الجميل في ما وراءها: التلال والمنخفضات ترتدي نضارة الخضرة، وبعيدًا هنالك خطوط غابة شيروود القاتمة. ثم حين شاهد شعاع الشمس المائل يستقرّ على الحقول والأراضي المنبسطة، يشرق بحمرة هنا وهناك على الأكواخ وبيوت المزارع، وحين سمع الطيور اللطيفة تتلو ابتهاال المساء، والأغنام تتغو عند جوانب التلال، ولمح العصافير وطيور السنونو تحلّق في الجو المشرق... امتلأ قلبه بزخم عظيم! حتى أغشت كل الأشياء عينيه بدموع مالحة! وطأطأ رأسه خشية أن تعتقد الناس أنه جبان ضعيف، ذلك إذا شاهدوا الدموع في مآقيه!

وعلى هذا النحو استمر خافضًا رأسه حتى اجتاز الركب البوابة، وأمسوا خارج أسوار المدينة. لكنه حين تطلّع مرة أخرى، شعر بقلبه يثب في أعماق روحه واستعاد مرحة الخالص! إذ رأى وجه أحد رفاقه المقربين الأعداء من شيروود البهيجة، ثم بلمحات سريعة من حوله، شاهد حضور وجوه مألوفة في كل الجوانب، وقد كانوا يتجمّعون ويقتربون عند المسلحين الذين يحرسونه. فجأة! تصاعد الدم إلى وجنتيه! إذ رأى في لمحة واحدة قائده الطيب خلال الحشد، وبرؤيته أدرك أن روبن هود وكل أفراد عصابته كانوا حاضرين، رغم وجود حلقة من الحرس تفصل بينهم. صاح العمدة بصوت عنيف:

- تراجع!

إذ رأى الجموعَ تحتشد حوله من كل الجوانب:

- ماذا تريدون أيها الأجلاف، وأنتم تعصروننا هكذا؟ تراجعوا أقول لكم!

ثم انبثق صوت هياج وضوضاء، وقد ناضل شخص ليندفع من بين الحراس ليصل إلى العربية، وقد رأى ستوتلي أن الصغير جون هو من أحدث كل تلك الضجة. صاح أحد الحراس وقد دفعه الصغير جون بمرفقيه:

- والآن! تراجع أنت!

قال الصغير جون:

- والآن، أنت تراجع بنفسك!

وقام مباشرة بضرب الرجل بلطمة على جانب رأسه، فأوقعه مثل قصاب يطيح بثور! وبعد ذلك وثب نحو العربية! وقال:

- أتوسّل إليك أن تأخذ الإذن من أصدقائك قبل أن تموت يا ويل! أو فإنني أموت معك إذا وجب موتك، لأنني لن أحظى بصاحب أفضل.

ثم قام بضربة واحدة بقطع الأربطة التي تقيد أذرع ستوتلي وأرجله، فقفز الأخير مباشرة من العربية. صاح العمدة:

- الآن! عجبًا! هنالك رجل أعرفه جيدًا بأنه متمرد عنيف! أمسكوا به، أمركم جميعًا، إياكم أن يفر!

قال هذا وقد حثّ حصانه على الصغير جون، ووجّه عند رفع العنان ضربةً قوية هائلة، لكن الصغير جون تملّص منها بسرعة وانخفض تحت بطن الحصان، وأزّت الضربة بلا أذى فوق رأسه. ثم صاح وهو ينهض مرة أخرى بعد مرور الضربة:

- كلا! يا سيدي العمدة الطيب. بل إنني يجب أن أستعير سيفك المعشوق الأعز!

فقام بانتزاعه من يد العمدة بخفة ومهارة، وصاح:

- خذه يا ستوتلي! لقد أعارني العمدة سيفه! يا رجل، ليحم كل واحد منا صاحبه، دافع عن نفسك واصطبر فالنجدة قريبة.

جأر العمدة بصوت مثل الثور الهائج:

- اقبضوا عليهما!

ودفع حصانه على الاثنيين اللذين وقفا الآن ظهرًا لظهر، وقد نسي العمدة في سورة غضبه أنه عاطل عن أي سلاح يحمي به نفسه! صاح الصغير جون:

- تراجع أيها العمدة!

وبينما هو يتكلم تردّد صفير بوق ثاقب، وأز سهم كلوثيارد على مقربة بوصة من رأس العمدة! ثم حصل هنا وهناك هرج ومرج، وتعالّت الشتائم والصرخات والتأوهات، وتصادم الحديد والتمعت السيوف في شعاع الشمس الغاربة، وانطلقت عشرات السهام خلال الهواء. وصاح البعض:

- العون، العون!

وبعض آخر:

- النجدة، النجدة!

صاح العمدة بأعلى صوته:

- خيانة! تراجعوا، تراجعوا، وإلا فكلنا سنموت!

وبذلك، وجّه حصانه نحو الخلف خلال زحام الحشد. والآن، كان في إمكان روبن هود وعصابته أن يقضوا على نصف رجال العمدة لو أرادوا ذلك، لكنهم تركوهم يندفعون مولين الأدبار من الجمع ويمضون، ولم يفعلوا أكثر من إطلاق مجموعة من السهام خلفهم لتعجّل فرارهم! صاح ويل ستوتلي وراء العمدة:

- ها! ابقَ واستمر! إنك لن تقبض على روبن هود أبدًا، إذا لم تقف أمامه وجهاً لوجه.

لكن العمدة -وهو منحني على طول ظهر حصانه- لم يُجب إلا بالتحفيز للاندفاع السريع. ثم التفت ويل ستوتلي نحو الصغير جون، ونظر إليه في وجهه حتى جرت الدموع من عينيه وبكى بصوت عالٍ! وقبّل خدي صديقه:

- أيها الصغير جون، يا صديقي المقرّب المخلص، ومن أحبُّ أكثر من أي رجل أو امرأة في كل العالم. أيها الصغير، لم يراودني إلا أمل ضعيف برؤية وجهك، أو أنني سألتقي بك على هذا الجانب من الفردوس.

لم يتمكن الصغير جون من الردّ بل بكى أيضًا! ثم جمع روبن هود أصحابه في نسق مغلق، وجعل ويل ستوتلي في المركز، وعلى هذا النحو تحرّكوا ببطء بعيدًا تجاه شيروود، ومضوا مثل غيمة عاصفة تتحرك بعيدًا عن موضع كَأَن الزوبعة قد اجتاحت أرضه. لكنهم خلفوا وراءهم عشرة من رجال العمدة على الأرض، وقد أصابتهم الجراح -كثيرًا أو قليلًا- ولكن لا أحد يعلم من أصابهم! وبهذا... يكون عمدة نوتنغهام قد حاول الإمساك بروبن هود في ثلاث محاولات، لكنه فشل فشلاً ذريعًا في كل مرة، وفي المحاولة الأخيرة أُصيب بالرعب، بسبب ما شعر به من دنو أجله، لذا

قال:

- هؤلاء الرجال لا يخشون الله ولا عباده، لا الملك ولا ضباطه! إنني أودّ أن أفقد منصبني في وقت أسرع من فقدانني لحياتي، لذلك لن أتورّط معهم في مزيد من المتاعب.

وبهذا، بقي معتكفًا على نفسه داخل قلعته لأيام عديدة، ولم يجرؤ على الخروج من بيته الخاص، وكان عابسًا طوال الوقت! وما كان ليتكلم مع أي امرئ، إذ كان يشعر بالعار مما حصل في ذلك اليوم!

(26) يقصد حفر قبورهم إذ يتوعدّهم بالقتل!

(27) (Palmer) لقب للشخص الذي يزور الديار المقدسة في القرون الوسطى.

(28) (Plummet) ويسمى الشاقول.

روبن هود يتحول إلى قصاب!

والآن، بعد أن حصلت كل تلك الأمور، وصار معلومًا عند روبن كيف أن العمدة قد حاول ثلاث مرات أن يقبض عليه، قال لنفسه: إذا توفرت الفرصة المناسبة، فإنني سأجعل عمدتنا المبجل يدفع ثمن ذلك الذي فعله ضدي. ربما آتي به في وقتٍ ما إلى داخل غابة شيروود، وأدعوه لوليمة سعيدة معنا تمامًا. إذ كان روبن هود كلما أمسك بأحد البارونات أو الإقطاعيين أو رئيس دير أو مطران ثري، أتى به إلى حيث شجرة الغابة الخضراء، ليتناول وليمة قبل أن يخفف وزن أكياس نقودهم! ولكن في الوقت نفسه، عاش روبن هود وعصابته بهدوء في غابة شيروود، من دون أن يُظهروا أنفسهم خارجها، لأن روبن عرف أنه ليس من الحكمة أن يُشاهد في جوار نوتنغهام، إذ أن أولئك الموجودين في السلطة ساخطون جدًا عليه! ولكن مع أنهم لم يخرجوا، فإنهم استمروا على منوال حياتهم البهيجة في مساحات الغابة، يقضون الأيام بالرماية على أهداف من الأكاليل، المعلقة على قضبان من شجر الصفصاف عند طرف الفسحة المفتوحة، وتُرَدَّد الممرات المورقة نكاتهم وضحكاتهم المرحة، وكل من يخطئ الهدف تُمنح له لكمة وافية، والتي -إذا سددها الصغير جون- لا يمكن أبدًا أن تفشل في الإطاحة باليومن سيئ الحظ! ثم كانوا يقومون بمنافسات المصارعة وعروض الهراوات، وبذلك كانوا يكسبون المزيد من المهارة والقوة كل يوم.

وعلى هذا النحو، أقاموا قريبًا من سنة... وفي ذلك الوقت، كان روبن هود قد قلب في فكره وسائل كثيرة خاصة بالتعامل مع



العمدة وجعله يدفع الثمن. وأخيرًا، بدأ يشعر بالضيق من حبسه هذا، فتناول في أحد الأيام عصاه المتينة وشرع بالبحث عن مغامرة. أخذ يسير الهوينى بجذل حتى وصل إلى حافة شيروود، وهناك -وهو يتجول على طول الدرب المشمس- التقى بقصاب فتى همام، يقود فرسًا جميلًا، ويركب عربة قوية جديدة ملأى باللحوم. كان القصاب يمضي في طريقه وهو يصفر بمرح، إذ كان متجهًا نحو السوق، وكان ذلك النهار رائقًا منعشًا، جعل قلبه ينبض بحبورا! خاطبه روبن:

- نهارك سعيد أيها الرفيق الطيب، تبدو مبتهجًا في ضحى هذا اليوم الجميل.

قال القصاب السعيد:

- أجل! أنا كذلك. ولم لا أكون فرحًا! ألسن في عافية من الروح والجسد؟ ألم أنل الفتاة الأجل في كل مقاطعة نوتنغهام؟ وأخيرًا: أن أتزوج بها يوم الخميس الآتي في مدينة لوكللي الرائعة؟

- ها! تأتي من مدينة لوكللي؟ إنني أعرف ذلك المكان الطيب حق المعرفة وما حوله لأميال، وإنني لأعرف كل سياج فيه وكل جدول مرقق ذي حصباء، بل إنني أعرف كل الأسماك الصغيرة اللامعة هنالك... فهنالك وُلدت ونشأت. والآن، إلى أين تمضي بهذه اللحوم يا صديقي الجميل؟

- أنا متجه نحو سوق مدينة نوتنغهام لأبيع ما أملك من لحوم البقر والضأن، ولكن من تكون أنت القادم من مدينة لوكللي؟

- أنا يومن، والرجال يدعونني بكل تأكيد: روبن هود.

صاح القصاب:

- بحق عطاء سيدتنا! أنا أعرف اسمك جيدًا، وسمعتُ مرارًا وتكرارًا عن أفعالك عبر الأغاني والكلام. ولكن أعينك بالله أن تأخذ أي شيء مني! أنا إنسان صالح، ولم أرتكب خطأ بحق رجل أو امرأة، فلا توقعني في مشكلة يا سيدي الطيب، فأنا لم أتسبب لك بمشكلة.

- كلا! أعوذ بالله حقًا أن آخذ من أمثالك أيها الرفيق الطيب، ما كنتُ لآخذ حتى بمقدار فارذنج واحد منك، لأنني أحبّ الوجه الساكسوني الحسن مثل وجهك تمامًا، ولا سيما حين يكون قادمًا من مدينة لوكلزي، وبالأخص حين يكون الرجل المتّصف بذلك متزوجًا فتاة مبهرة يوم الخميس القادم. ولكن هيا! أخبرني عن الثمن الذي تطلبه عوض بيعك لي كل لحومك مع حصانك وعربتك!

- أنا أقيّم اللحم والعربة والفرس بأربعة ماركات. لكن إذا لم أبع كل لحومي فلن أنال قيمة الماركات الأربع.

أخرج روبن هود الكيس من حزامه، وقال:

- هنا، في هذا الكيس ستة ماركات. الآن، إنه ليسرني أن أكون قصابًا في هذا اليوم، وأبيع كل لحومي في مدينة نوتنغهام، هل ستعقد صفقة معي وتأخذ ستة ماركات بدل تجهيزاتك ومعدّاتك؟

صاح القصاب بفرحة كبيرة:

- لتحلّ بركات كل القديسين عليك أيها القائد الشريف!

ثم وثب من عربته إلى الأسفل، واختطف الكيس الذي لوّح به روبن هود إليه. ضحك روبن عاليًا:

- كثيرون يحبونني ويتمنّون لي الخير، ولكن قلة يدعونني شريفًا! والآن خذ هذا وعد إلى فتاتك، مع قبلة لطيفة إليها مني!

بعد قوله ذلك ارتدى مئزر القصاب، وتسَلَّق العرْبَة، وأخذ العنان بيده وقادها منطلقًا عبر الغابة نحو مدينة نوتنغهام. وعندما وصل إلى نوتنغهام دخل في القسم الخاص بالقصابين، وأخذ موضعه (29). في المكان الأفضل الذي تمكّن من العثور عليه. بعد ذلك، فتح القُمرَة ونشر لحومه على المصطبة، ثم رفع ساطوره وسكّينه يحكّهما معًا ليصلصلا، وأخذ يصدح بألحان بهيجة:

والآن تعالين أيتها الفتيات وأيضا يا سيدات

واشترين ما تُردن من اللحم مني

لأنني أبيع ما يساوي قيمة ثلاثة بنسات

بثمان بنس واحد

لدي لحم الخروف الذي لم يتغذَّ على شيء

إلا زهور البراسيكا الملونة لذيذة المذاق

والبنفسج الطيب، والنرجس

الذي ينمو في جوانب الجداول الرائعة

ولدي لحم البقر من مروج الخلنج العالية

ولحم الضأن من الوديان الخضر بالكامل

ولحم العجل أبيض ونقي كجبين العذراء

وحليب أمه أفترض ذلك.

إن، تعالين أيتها الفتيات وأيضا يا سيدات

واشترين ما تردن من اللحم مني

لأنني أبيع ما يساوي قيمة ثلاثة بنسات

بثمان بنس واحد

وهكذا شرع يغثي بطرب! بينما أصغى كل الواقفين قربه بدهشة وعجب! وعندما أنهى غناؤه استمر بحك الساطور والسكين بصوت أعلى، وأخذ يصيح بابتهاج:

- والآن، من سيشتري؟ من سيشتري؟ لدي أربعة أسعار محددة: أبيع لحم ثلاثة بنسات إلى راهب ثري أو قسيس بثمان ستة بنسات، لأنني لا أريد التعامل معهم، وللرجال الكبار أفرض ثلاثة بنسات إذ لا يهمني أن يبتاعوا أم لا، وللسيدات الممثلةات الجميلات أبيع قيمة ثلاثة بنسات من اللحم بنس واحد، أما الفتاة الجميلة التي لها رغبة في قصاب طيب قوي، فلن أطلب شيئاً إلا قبلة جميلة واحدة، لأنني أفضل التعامل معها من دون البقية.

ثم أخذ كل الحاضرين يحدقون إليه، ويتساءلون ويتجمهرون حوله ضاحكين، إذ لم يُسمع بمثل هذا البيع في كل مدينة نوتنغهام، لكنهم عندما تقدموا من أجل الشراء اكتشفوا أن الأمر بنحو ما قال! لقد أعطى الزوجة الطيبة أو السيدة لحماً بثمان بنس واحد، أكثر مما يحصلن عليه بثلاثة بنسات في أي مكان آخر، وعندما قصدته أرملة أو امرأة فقيرة أعطاهما اللحم بلا ثمن، ولكن عندما جاءت إليه فتاة جميلة وقبّلتها، فإنه لم يطلب بنساً واحداً من أجل اللحم، وعلى هذا، قصد كثيرون موضع بيعه، إذ كانت عيناه زرقاوين مثل سماء حزيران، وقد ضحك بمرح معطياً كل امرئ وزناً كاملاً. وبهذا، باع كل ما عنده من اللحم بسرعة كبيرة، فلا قصاب بجواره تمكّن من بيع أي شيء! ثم بدؤوا بالكلام بينهم، فقال بعضهم:

- لا بد من أن يكون هذا لصاً سرق عربة وحصاناً ولحماً!

لكن بعضًا آخر، قالوا:

- كلا! متى رأيتم من قبل لَصًا يتشارك ببضاعته مجانًا وهو سعيد؟ إنه بلا شك أحد المبدّرين الذي باع أرض والده، ويريد أن يحيا بسرور وعبث طالما بقي المال.

وعلى هذا التصوّر الأخير كان السواد الأعظم، والآخرين واحدًا بعد واحد فكّروا وتدبّروا كل على شاكلته ورأيه... ثم جاء عنده بعض القصابين ليتعرّفوا إليه، وقال مَنْ كان يقودهم:

- هيا أيها الأخ، كلنا أهل تجارة واحدة، ألا تمضي معنا لنصيب وجبة الغداء؟ ففي هذا اليوم، طلب العمدة نقابة القصابين كلها ليحضروا وليمة معه في قاعة النقابة. هنالك سيكون طعام هنيء وشراب كثير، وهذا ما ترغب فيه أو أنني مخطئ بشأنك كثيرًا!

قال روبن بسرور:

- اللعنة على قلب من يرفض قصابًا! وعلاوة على هذا، فإنني سوف أذهب معكم كلكم يا رفاقي الحلوين، وذلك بأسرع ما أقدر.

حينئذٍ -وقد باع كل لحومه- أغلق مكانه، وسار معهم إلى قاعة النقابة الكبيرة. هنالك، كان العمدة قد حضر سابقًا بموضعه الرسمي ومعه كثير من القصابين. عندما دخل روبن ومعه رفاقه القصابون، ضحك الكل من بعض نكاتٍ كان قد أخبرهم بها، أما أولئك الذين كانوا قرب العمدة فقد همسوا له:

- هنالك شاب مجنون تمامًا، إذ باع لحمًا كثيرًا بثمن بنس واحد في هذا اليوم، أكثر مما قدرنا على بيعه بسعر ثلاثة بنسات! ولكل فتاة جميلة تمنحه قبلة أعطى لحمًا من دون مقابل!

وقال آخرون:

- إنه أحد المسرفين، باع أرضه من أجل الفضة والذهب، ويقصد إلى تبديدها كلها بمرح!

فقام العمدة بدعوة روبن إليه، وهو لا يعلم من هو في رداء القصاب، وجعله يجلس قريبًا منه على يمينه، لأنه أحبّ الفتى الثري المبذّر، ولا سيما حين ظن أنه قد يخفّف جيوبَ ذلك المسرف، بما يملأ كيسه الخاص الأكثر تبجيلًا. لذا، أبدى اهتمامًا أكبر بروبن، وضحك وتكلم معه أكثر مما فعل مع أي فرد من الآخرين. أخيرًا، كان الطعام جاهزًا للتقديم، فطلب العمدة من روبن أن يتلو صلاة المائدة، فنهض روبن، وقال:

- والآن، لتباركنا السماء كلنا، وتزوّدنا باللحم الجيد ونبيد الساك في هذا المبنى، ولعل كل القصابين يكونون وبيقون شرفاء نزيهين مثلي!

عند هذا قهقهه الجميع، وكان العمدة أعلاهم ضحكًا، إذ قال لنفسه: هذا بكل تأكيد أحد المبذّرين المسرفين، ولعلني أفرغ كيسه من بعض النقود، التي قد يرمي الأحمق منها حوله. ثم خاطب روبن بصوت عالٍ:

- أنت فتى مرح نشط، وأنا أحبك كثيرًا.

وربّت على كتف روبن، فضحك عاليًا أيضًا:

- أجل! أنا أدري أنك بكل تأكيد تحبّ فتى مرحًا، إذ ألم تحطّ بالظريف روبن هود في مباراة الرماية خاصتك وتعطيه بكل سرور سهمًا ذهبيًا لامعًا خاصًا به؟

عند هذا، بدا وجه العمدة ممتنعًا متجهّمًا! وكذلك كل أفراد النقابة، فلم يضحك أحد من كلام روبن! إلا البعض ممن تغامزوا بمكر بينهم! صاح روبن:

- هيا! اترع لنا بعض الساك! دعونا نبتهج دائمًا حينما نكون، فالإنسان ليس سوى تراب، وليس لديه إلا شبر ليعيشه هنا حتى تنال منه الديدان، بنحو ما يقول رفيقنا سوانثولد الطيب؛ إذن دعوا الحياة تكن سارة ما دامت مستمرّة، ذلك ما أقول. كلا! لا تبدّ بأسفل الفم(30) أيها السيد العمدة! من يدري، فلعلك قد تقبض على روبن هود عند النهاية، ذلك

إذا شربت الساك والمالمزي بأقل جودة، وأزلت الشحم حول كرشك، ونفضت الغبار عن دماغك! كن مبتهجًا يا رجل!

فضحك العمدة مرة أخرى، ولكن ليس كمن يبدو وقد أعجبتته المزحة، أما القصابون فقد قال أحدهم للآخر:

- بحق حضرة الفردوس! ما رأينا مثل هذا الفتى المخبول الظريف! لعله -مع ذلك- سوف يصيب العمدة بالجنون!

صاح روبن:

- وبذلك الآن، أيها الإخوة، فلتكونوا مبتهجين! كلا! لا تحصوا ما لديكم من فارذنغات، إذ بهذا أو ذاك، سوف أدفع هذه الجولة بنفسى حتى لو كلفتني مئتي باوند! فلا يسحب أحد منكم حافة كيسه ولا يقحم سبّابته فيه، فإنني أقسم أن لن أدع قصابًا أو العمدة يدفع بنسًا واحدًا عن هذه المأدبة!

قال العمدة:

- أنت روح ظريفة حقًا! وأعتقد أنك لا بد من أن تملك كثيرًا من رؤوس البهائم ذوات القرون، والعديد من أفدنة الأراضي؛ بما يجعلك تنفق أموالك بحرية وبذخ!

قال روبن وهو يضحك عاليًا مجددًا:

- أجل، أملك ذلك! لديّ ولدى إخوتي خمس مئة من الرؤوس ذوات القرون بل يزيد، ولم تكن قادرين على بيع ولو واحد منها، ولولا ذلك لما صرث قصابًا. أما أرضي، فإنني ما سألت وكيل أعمالي عن عدد أفدنتها قط!

وعند قوله ذاك طرفت عينا العمدة، وكركر مع نفسه، ثم قال:

- لا، أيها الشاب الطيب، إن لم تكن قادرًا على بيع ما لديك من البقر بنفسك، فلربما أعتري على رجل يساعدك على رفع عبئها عن يديك، وربما يكون ذلك الرجل إياي، لأنني أحبّ الفتى النشط، وأرغب في تقديم العون لشخص مثله على امتداد الحياة... والآن، كم تريد ثمنًا عن ماشيتك ذوات القرون؟

- حسنٌ، إنها - في الأقل - بقيمة خمس مئة باوند.

قال العمدة ببطء:

- لا!

ثم أضاف كأنه يتدبر الأمر مع نفسه:

- طيب، أنا معجب بك، وأودّ مساعدتك على مسار هذا الأمر، لكن الخمس مئة باوند نقدًا مبلغ كبير، أضف إلى ذلك أنه ليس عندي. لكنني سوف أعطيك ثلاث مئة باوند عنها كلها، وذلك في نقد حسنٍ من الفضة والذهب الممتازين.

- والآن، أيها اليهودي العجوز! (31) أن تعرف جيدًا أن كثيرًا من الأنعام ذوات القرون تستحقّ سبع مئة من الباونادات بل أكثر، بل ذلك يعدّ قليلًا، ولكنك - يا ذا الشعر الأشيب والرجل الممدودة في القبر - مع ذلك تريد أن تجري الصفقة على شاب جامح نزق!

عند هذا نظر العمدة بتجهم وعبوس نحو روبن! إلا أن روبن، قال:

- لا، يا رجل! لا تنظر إليّ وكأنّ جعة لاذعة في فمك! سوف أقبل بعرضك لأنني وإخوتي بحاجة ماسة إلى المال. نحن نحيا حياة راحة ودعة، ولن يعيش أي امرئ حياة سعيدة بفارذنج، لذلك سأمضي الصفقة معك، ولكن ليكن في علمك أن معك ثلاث مئة من الباونادات الجيدة، لأنني لا أثق بأحد يعقد صفقة بدهاء كبير.

- سوف أجلب المال، ولكن ما اسمك أيها الفتى الطيب؟

أجاب روبن الجريء:

- الرجال يدعونني: روبرت لوكزلي.

- إذن، يا روبرت لوكزلي الطيب، سوف آتي في يومنا هذا لرؤية البهائم ذوات القرون، لكن أولاً، سوف يعدّ كاتبي ورقة ستكون بها ملزماً بالبيع، لأنك لن تنال أموالاً من دون حصولي على حيواناتك في المقابل.

ضحك روبن هود مرةً أخرى! وقال:

- إذن، ليكن الأمر.

وصفق راحة كفه على يد العمدة، وقال:

- حقاً، سوف يكون إخوتي شاكرين لك على أموالك.

وبهذا أبرمت الصفقة، لكن كثيراً من القصابين تكلموا في ما بينهم على العمدة، قائلين إن ما حصل لم يكن إلا خدعة وضيعةً، لتضليل شاب مبذّر مسكين وسلبه أمواله بتلك الطريقة.

حلّ المساء، وقد جهّز العمدة حصانه وانضمّ إلى روبن هود، الذي وقف عند خارج مدخل الفناء المرصوف بانتظاره، إذ كان قد باع حصانه وعربته إلى تاجر بثمان ماركين. ثم مضى على طريقهما: العمدة يمتطي حصانه وروبن يجري إلى جانبه. وعلى هذا النحو غادرا مدينة نوتنغهام، وسافرا على طول الطريق الترابي العام، وهما يتضحكان ويتمازحان كأنهما صديقان قديمان مقربان. لكن في خلال ذلك الوقت كله كان العمدة يقول لنفسه: دعابتك معي عن روبن هود سوف تكلفك غالباً أيها الرفيق الطيب، بما يصل إلى أربع مئة باوند أيها الأحمق! إذ حسب أنه سوف يكسب -في الأقل- ذلك المقدار من صفقته. واستمرّ بالتقدم في رحلتها... حتى وصلا عند تخوم غابة شيروود، وهناك، تطلع العمدة إلى الأعلى والأسفل وعن يمينه وشماله، ثم صار هادئاً وأمسك عن الضحك! وقال:

- والآن، لتحفظنا السماء وقدّيسوها في هذا اليوم، من رجل وغد شرير يسمّيه الرجال روبن هود.

فضحك روبن عاليًا، وقال:

- كلا! ليكن بالك مرتاحًا، لأنني أعرف روبن هود جيدًا، وكذلك أعرف بالضبط، أنك لست في خطر منه في هذا اليوم أكثر مما تكون منّي!

وعند هذا حدّق العمدة نحوه بريبة قائلاً لنفسه: لا يعجبني أنك تبدو ملماً جيداً بأحوال هذا العاصي الوقح، وأرغب أن أكون خارج غابة شيرود بشكل كافٍ. ومع ذلك استمرّ بالاندفاع عميقاً داخل ظلمات الغابة... وكلما توغّلا أعمق أمسى العمدة أكثر سكوناً وهدوءاً. وأخيراً، وصلا حيث ينعطف الدرب انعطافة مفاجئة! وقد مرّ أمامهما قطيع من الأيائل الرمادية يمشي بخفّة عبر الطريق، فدنا روبن هود من العمدة وأشار بإصبعه، وقال:

- هذه هي حيواناتي نوات القرون يا سيدنا العمدة الطيب! هل تعجبك؟ أليست سمينة وجميلة المظهر لتسرّ الناظرين؟

فسحب العمدة عنان الحصان بسرعة! وقال:

- والآن، أيها الرفيق! أودّ أن أخرج من هذه الغابة، لأنني لا أرغب بمرافقتك! فامض على وجهتك يا صديقي الطيب، ودعني فقط أمض على سبيلي.

لكن روبن لم يفعل شيئاً، إلا أن ضحك وأمسك بلجام الحصان، وصاح:

- كلا! ابقْ لبعض الوقت، لأنني أرغب أن ترى إخوتي الذين يشاركونني ملكية هذه الحيوانات الجميلة نوات القرون.

قال هذا، وجعل بوقه على فمه ونفخ ثلاث نغمات جميلات، وعلى الفور حضر مئة من

الأصحاب الشجعان، يسعون على الطريق يقودهم الصغير جون، الذي قال:

- ماذا لديك يا زعيمة الطيب؟

- ها! ألا ترى أنني جلبتُ معي رفقة طيبة إلى وليمتنا اليوم؟ عَجاب! (32) يا للعار! ألا ترى حضورَ زعيمنا الخيّر المَبجَل: عمدة نوتنغهام؟ إليك، أمسك بلجام حصانه أيها الصغير جون، لأنه شَرَّفنا اليوم بمجيئه الشخصي لحضور المأدبة معنا.

فنزِع الكل قبعاتهم بتواضع، ولم يبتسم أحد أو يُظهر أن الأمر ساخر، بينما تلقى الصغير جون اللجام، وقاد الحصان المطواع بتوغل نحو المزيد في عمق الغابة. الكل يسيرون بنظام وترتيب، ومعهم روبن هود يسير على جانب العمدة وقبعته بين يديه، وخلال هذا الوقت كله لم ينبس العمدة ببنت شفة! فقط أخذ يتلفت حوله مثل شخص أوقظ من النوم فجأة! لكنه حين وجد نفسه يسير نحو أعماق أشيروود، تخاذل قلبه في أعماق روحه! إذ فكَّر: بكل تأكيد... ما لدي من مبلغ الثلاث مئة باوند سيُسلب مني، هذا إن لم يسلبوا حياتي نفسها! لأنني خططُ وحكثُ المؤامرات ضدَّ أرواحهم غير مرة. لكن بدا الكل متواضعًا وديعًا، ولم تُذكر كلمة تنبئ بالخطر سواء أعلى الحياة أم الأموال. وفي النهاية، وصلوا إلى ذلك الموضع من غابة أشيروود، حيث السنديانة الفخمة تنشر أغصانها عريضةً، وتحتها كانت مقاعد مكسوّة بالطحالب، وقد جلس عندها روبن جاعلاً العمدة عن يمينه. قال روبن:

- والآن، انشطوا كلكم يا رجالي السعداء! واجلبوا أفضل ما لدينا: اللحم والنبيد معًا. لأن فخامة العمدة أولمَ لي اليوم في قاعة نقابة نوتنغهام، وأنا ما كنتُ لأجعله يعود فارغًا!

بمرور الوقت... لم يُذكر أي كلام حول أموال العمدة، فبدأ قلبه يستردّ شجاعته وعزمه، وقال يحدث نفسه: ربما نسي روبن هود كل ما يتصل بذلك الأمر. ثم -بينما في الخلف فرقت النيران المتقددة، وملاّت جوّ الفسحة روائح الطعام الزكية والشهية، من شي لحم الضبّاء اللذيذ والديكة السمينّة، وسُخنت الفطائر السمر إلى جانب اللهب- فعل روبن كل ما بوسعه لتسليّة العمدة بصورة ملكية راقية: أولاً، بعض المجموعات الثنائية تقدّموا للعبة الرماح وكانوا بارعين فيها، ينفذون الضربات والدفاع بسرعة، حتى أن العمدة -الذي طالما

أغرم بمشاهدة المباريات الجسدية القوية من هذا النوع- صقّق تشجيعًا وتحمّسًا ونسي أين هو! وصاح بعلوّ:

- ضربة رائعة! ضربة رائعة أيها الرفيق ذو اللحية السوداء!

ولا يكاد يعلم أن الرجل الذي هتف له، كان هو العامل الجوّال الذي حاول توصيل أمر القبض على روبن هود! ثم نصب أفضل رماة العصابة إكليلاً حسناً على بعد مئة وستين خطوة، وسدّوا نحوه بأمر رماية السهام. ولكن العمدة صار أكثر هدوءًا وسكينة، إذ لم يعجب بذلك كثيرًا، فإن اللقاء الشهير عند الأهداف في مدينة نوتنغهام ما يزال غصًا في ذاكرته، والسهم الذهبي الذي نيل كان معلّقًا خلفه قريبًا. ثم -عندما أدرك روبن ما يجول في خاطر العمدة - أوقف الرياضة، ونادى على بعض أفراد عصابته، ممن يغني القصائد السعيدة، بينما لحن آخرون موسيقا على القيثارة. ثم تقدّم بعض أفراد العصابة، ونشروا قماشًا على العشب الأخضر، ونصبوا مائدة ملكية، بينما انشغل آخرون بفتح براميل الساك والمالمزي والجعة القوية الجيدة، ووضعوها في جرّات على القماش، وحولها قرون الشراب (33). ثم جلس الجميع إلى المائدة وأكلوا وشربوا بهناء وسرور معًا، حتى نزلت الشمس والتمع القمر النصفى شاحبًا بين أوراق الأشجار فوق رؤوسهم. ثم نهض العمدة، وقال:

- أنا أشكركم كلكم جزيل الشكر أيها السادة الطيّبون، على هذه التسلية البهيجة التي قدّمتموها في هذا النهار. حقًا لقد عاملتموني بلطف وكياسة، مظهرين بذلك أنكم ملتزمون بالاحترام الكبير لملكنا الممجّد ونائبه الشجاع في مقاطعة نوتنغهام! لكن الظلال أمست طويلة، ويجب أن أغادر قبل أن يحلّ الظلام، وإلا فإنني سأتوه في الغابة.

ثم نهض روبن هود وكل أصحابه، وخاطب العمدة:

- إذا كان من الواجب أن تغادر أيها السيد المجلّ، فلتذهب ولكنك نسيّت أمرًا واحدًا!

- كلا! لم أنس شيئاً!

لكن رغم ذلك انخذل قلبه في أعماق روحه!

- لكنني مصرٌّ على القول إنك نسيت شيئاً: نحن ندير هنا حانة ونزلاً جيداً في الغابة الخضراء، لكن من يحلّ ضيفاً علينا لا بد أن يدفع حسابه!

فضحك العمدة لكن ضحكته كانت خاوية! وقال:

- حسنٌ أيها الأولاد المرحون! لقد قضينا اليوم معاً وقتاً مسلياً، وحتى لو لم تطلبوا مني فإنني كنتُ سأعطيكم عشرين باونداً، ثمن هذه التسلية الجميلة التي نلتُها.

قال روبن بجديّة وحزم:

- كلا! سيبدو ذلك مسيئاً لنا إذا عاملنا جلالتك باحتقار واستهانة! أقسمُ بحق معتقدي أيها السيد العمدة، أنني سأشعر بالعار من إظهار وجهي، إذا لم أحاسب نائب الملك على ثمن ثلاث مئة باونداً! أليس كذلك يا رجالي السعداء؟

فصاح الجميع بأعلى صوت:

- أجل!

فهدر العمدة:

- ثلاث مئة شيطان! أعتقدون أن وليمتكم الحقيرة تلك التي كانت بقيمة ثلاثة باوندات، بثلاث مئة باونداً؟

قال روبن بوقار وإصرار:

- كلا! لا تتكلم بعنف شديد، سيادتك! أنا أحببتك من أجل الوليمة الرائعة التي قدّمتها لي هذا النهار في مدينة نوتنغهام العامرة، ولكن، ها هنا من هم الذين لا يحبّونك كثيرًا. إذا تطلعت إلى طرف المائدة فإنك سترى ويل ستوتلي، الذي لا يحمل لك في روجه وعينيه قدرًا عظيمًا! ثم هناك اثنان آخران من الرفاق الأشداء اللذين لا تعرفهما، وهما قد أصابتها الجراح في الاشتباك الذي حصل قرب مدينة نوتنغهام قبل مدة من الزمن، وأنت تعرف متى حصل ذلك، فأحدهما أصيب بجرح شديد في ذراعه، لكنه تعافى واستردّ صحتها واستعملها. أيها العمدة الطيب، لتأخذ النصح مني: ادفع ما عليك من ثمن بلا مزيد من الهياج والصخب، وإلا فإن من المحتمل أن يحلّ عليك الدفع في بلاء ونحس!

وبينما هو يتكلم شحبت وجنتا العمدة الحمراءوان، ولم ينطق مزيدًا إلا أنه نظر إلى الأرض وعصّ على شفته السفلى! ثم أخرج ببطء كيسه المليء ورماه على قماش المائدة أمامه! فقال روبن هود:

- والآن، خذ الكيس أيها الصغير جون، وليكن الحساب صحيحًا مضبوطًا. إننا لا نريد أن يكون عمدتنا في شكّ وقلق، لكنه ربما ينزعج إذا وجد أنه لم يدفع ما عليه من ثمن بالكامل! فقام الصغير جون بحساب المال، ووجد أن الكيس يحتوي ثلاث مئة باوند فضةً وذهبًا، لكن الأمر بدا للعمدة، وكأن صلصلة كل قطعة عملة براقّة كانت تمثّل قطرة دم تنزف من وريده! وعندما رأى نهاية احتساب المبلغ في كوم من الفضة والذهب بما ملأ وعاءً خشبيًا، استدار مبتعدًا ووجّه حصانه بسكوت. قال روبن:

- إننا لم نحظّ بمثل هذا النزيل الموقر العزيز قط! وبما أن الوقت متأخر فإنني سأرسل واحدًا من فتَياني ليرشدك إلى خارج أعماق الغابة.

صاح العمدة على عجل:

- كلا! أعوذ بالله! يمكنني أن أعثر على طريقي أيها الرجل الصالح بلا مساعدة.

- إذن، سوف أجعلك على المسار الصحيح الخاص بي.

وأمسك بعنان حصان العمدة، وقاده نحو درب الغابة الرئيس. ثم -وقبل أن يدعه يمضي-
خاطبه:

- الآن، ارحل بخير أيها العمدة الطيب، وعندما يعنّ لك ثانية أن تفكّر في الاحتيال على
مسرف مسكين ما، تذكّر مآدبتك في غابة شيرود. **ولا تشتري حصاناً -يا صديقي الطيب-**
قبل أن ترى أولاً داخل فمه، بنحو ما يقول عجوزنا سوانثولد الطيب. وهكذا -مرة أخرى -
سافر في سلامة.

ثم صفق بيده على قفا الدابة، فانطلق الحصان الصغير حاملاً العمدة خلال فسحات الغابة.
وقد أسف العمدة بمرارة على اليوم الذي تدخّل فيه في شأن روبن هود، إذ ضحك منه كل
الرجال، وغنّى الناس قصائد شعبية كثيرة خلال البلاد: كيف أن العمدة أراد أن يجزّ فعاد
إلى بيته مجزوزاً على وجه السرعة! وهكذا، فإن الرجال أحياناً يخدعون أنفسهم بالتمادي
في الشره والمكر.

(29) (Stand for selling)، وقف في مكان لبيّاشر البيع.

(30) (Down in the mouth) حزين ومكتئب!

(31) الاشتهار بالبخل والجشع، أو الذكاء التجاري.

(32) (Fye) وتنطق فايو، تعبير عامي عن الدهشة والشيء المثير.

(33) (Drinking horns).

الصغير جون يذهب إلى مهرجان مدينة نوتنغهام

انقضى فصل الربيع على حادثة وليمة العمدة في شيرود، وفصل الصيف أيضًا، وحلّ شهر تشرين الأول الرائق اليانع. الجو كله كان لطيفًا ومنعشًا، وجمعت المحاصيل في أماكنها، واكتمل نمو ريش أفراخ الطيور، وقُطفت عشبة الدينار(34) وكان التفاح ناضجًا. ومع أن انقضاء الوقت قد قلّ من وقع الأمور... حتى أن الرجال ما عادوا يتكلمون على الدوابّ ذوات القرون التي رغب العمدة بشرائها، فإنه كان ما يزال متألّمًا من الأمر! ولم يحتمل سماع اسم روبن هود يُنطق عند حضوره. عند حلول تشرين الأول، سيأتي موعد المهرجان العظيم الذي يُقام كل خمس سنوات في مدينة نوتنغهام، حيث تأتي الناس من كل حذب و صوب خلال البلاد. وفي مثل تلك المناسبة، كان رمي السهام دائمًا هو الحدث الرئيس في ذلك اليوم، إذ كان فتیان مقاطعة نوتنغهام أصحاب الأيدي الأمهر، باستعمال القوس الطويل في إنجلترا السعيدة، ولكن في هذه السنة، تردّد العمدة لوقت طويل قبل أن يقرّر إصدار إعلان المهرجان! إذ كان يخشى حضور روبن هود وعصابته إليه. في البداية، كان يميل برأي كبير إلى عدم إعلان المهرجان، ولكنه في المقام الثاني، فكّر في أنه قد يضحك منه الرجال، ويقولون بينهم إنه خائف من روبن هود، لذلك، استبعد الفكرة. وفي النهاية، رسخ في عقله رأي بأن يعرض جائزة ما لا يبدون اهتمامًا بإجراء الرمي من أجلها! في مثل تلك الأوقات، كان العرف يقتضي تقديم عشرة ماركات أو برميل من الجعة، لكنه في هذا العام أعلن عن جائزة من ثورين صغيرين سمينين يمنحان لأفضل رام. عندما سمع روبن هود بهذا الإعلان أصابه الضجر والتملل، وقال:

- تبتّ لذلك العمدة الذي وضع مثل هذه الجائزة، التي لا أحد يرغب بالرمي من أجلها إلا راعي الأيائل! أنا لم أرغب في شيء أكثر من الاشتراك في مسابقة أخرى في مدينة

نوتنغهام السعيدة، وإذا كان لا بدّ من فوزي بهذه الجائزة، فلن يسرّني ذلك ولا يربحني بأقل مقداراً!

ثم تكلم الصغير جون:

- لا يا سيدي الطيب، اسمع! في يومنا هذا، كنا أنا وويل ستوتلي والفتى ديفيد دونكستر عند لافتة الخنزير الأزرق، حيث سمعنا كلنا أخبار هذا المهرجان السعيد، وأن العمدة قد عرض هذه الجائزة، بما قد يجعلنا نحن سكنة شيرود غير راغبين بالحضور في المهرجان، لذلك أيها الزعيم الطيب -إذا تشاء- سيكون من دواعي سروري أن أذهب، وأجهد نفسي لنيل حتى هذا الأمر التافه، من بين المشتركين الأقوياء الذي سيرمون في مدينة نوتنغهام.

- لا، أيها الصغير جون، أنت رفيق قوي رائع، مع أنك تفتقر



إلى الحيلة والدهاء اللذين يتمتع بهما ستوتلي الطيب، ولست أودّ أن يقع أذى عليك ولو من أجل مقاطعة نوتنغهام كلها! ومع ذلك، إذا ذهبَ فقم ببعض التنكّر لئلا يكون هنالك من يتعرّف إليك.

- إذن فليكن الأمر! سيدي الطيب. لكن كل التمويه الذي أرغب فيه هو ارتدائي بذلة قرمزية جيدة بدلاً من خضرة لنكولن هذه. سوف أدني قلنسوة سترتي حول رأسي، وبذلك سأخفي

شعري البني ولحيتي... وأنا واثق أن لا أحد سوف يميّزني.

- إنه ضد رغبتني كثيرًا، ولكن برغم ذلك، إذا كنتَ عازمًا فانهب، لكن احمِ نفسك بشكل كامل، أيها الصغير جون، لأنك ذراعي اليمين المقربّ ولسوف يسوؤني إذا وقع عليك أذى!

فقام الصغير جون بتمويه نفسه برداء قرمزي، وانطلق نحو المهرجان في مدينة نوتنغهام. كانت أيام المهرجان وأحداثه بهيجة جدًا، ذلك، حين كانت المساحة الخضراء أمام بوابة المدينة العظيمة مبرقشة بمقصورات منصوبة في صفوف، مع خيم ذات أقمشة بألوان متعددة، وعلقت عليها الرايات وأكاليل الزهور، وقد وفد الناس من كل أنحاء الريف سادة وعامة. في بعض المقصورات، كان هنالك رقص على موسيقا مطربة، وفي أخرى تدفقت الجعة والبيرة، وفي أخرى بيع الكيك والفطائر المحلاة والحلويات، فضلًا عن أن النشاطات والفعاليات كانت تجري خارج المقصورات: حيث يغني شاعر قصائد شعبية من الزمن الخالي، ويعزف آخر على القيثارة، أو يناضل المصارعون بينهم على حلبة من النشارة، لكن أكثر المتفرجين تجمّعوا حول منصة مرفوعة، حيث يلعب متبارون أقوياء بالرماح. وصل الصغير جون إلى المهرجان، وكان مشتتمًا بالقرمزي من أعلاه إلى أسفله: سرواله الضيق وسترته وقلنسوته، وثبتت في جانبها ريشة قرمزية. وتدلت على ظهره كنانة من السهام المستديرة الجيدة. وقد لفت انتباه كثيرين هذا الشخص الطويل القوي، إذ كانت أكتافه أعرض بعرض راحة يد من أي رجل قوي آخر موجود، وقد وقف وهو أطول من كل الرجال الآخرين. أما الفتيات، فهنّ أيضًا تطلعن إليه في تساؤل! يفكرن في أنهن لم يرين شابًا أكثر حيوية وقوة منه! قبل كل شيء، توجه نحو المقصورة التي تُباع فيها الجعة القوية، ووقف عاليًا على إحدى المصطبات، ونادى كل من كان بجواره ليقدّم ويشرب معه، صاح:

- ها! أيها الفتيان اللطفاء! من سيشرب جعة مع فتى قوي؟ تعالوا كلكم، تعالوا كلكم! دعونا نبتهج، لأن اليوم سعيد والجعة متوقّدة! تعال هنا أيها الفتى الشديد، وأنت، وأنت... فلن يدفع أي أحد منكم فارذنعًا واحدًا. ها! إليّ هنا، أيها الشحاذ القوي، وأنت أيها العامل الجوّال المرح، فسوف يكون الكل سعداء معي!

وإذ صاح ونادى على هذا النحو، تجمهر الكل من حوله ضاحكين مستبشرين، بينما أخذت الجعة البنية تفور، وقد لقبوا الصغير جون بالرفيق الشجاع، وكل واحد منهم يقسم أنه أحبه كأخيه الشقيق، إذ عندما ينال المرء تسليمة مجانية فإنه سيحب ذلك الرجل الذي يقدمها إليه. ثم مشى على مهل نحو المنصة حيث التباري بالهراوات، لأنه كان يهوى اللعب بها وبالرماح مثل حبه لتناول اللحم والشراب، وها هنا، حصلت مغامرة انتشرت بالقصائد المغناة خلال وسط البلاد لأيام عدة... لم يكن هنالك إلا رجل واحد قرع رأس كل من رمى قبعته داخل الحلبة (35). ذلك كان أريك من لنكولن المشهور جدًا، الذي تغنت القصائد باسمه في الريف. وعندما وصل الصغير جون إلى المنصة لم يجد أحدًا يقاتل، فلم يكن إلا الجريء أريك يعلو ويهبط على المنصة، يلوح بهراوته ويصرخ بقوة:

- والآن، من سينتقد ويضرب ضربة مع بطل ربيع من مقاطعة لنكولن، من أجل المعشوقة التي يهوى بشدة؟ من الآن أيها الفتيان؟ اخطّ وتقدم، تقدّم وإلا فإن عيون الحسنات لن تلتمع في هذه الأنحاء، أو ربما أن دم شباب نوتنغهام حامل كسول وبارد! أقول أنا: لنكولن ضد نوتنغهام! إذ لم يضع أحد قدمًا على الألواح في هذا اليوم، مثلنا نحن أهل لنكولن مناديين من أجل لاعب الهراوة!

عند هذا، كان المفروض أن يدفع أحدًا ما بمرفقه شخصًا آخر، قائلًا: (هيا، يا ند)، أو: (هيا تقدم، يا توماس)! لكن لا فتى أراد أن ينال ضربة على أمّ رأسه من أجل لا شيء! وفي هذا الوقت شاهد أريك الصغير جون واقفًا بين الآخرين، ورأسه وكتفاه تعلو على البقية، فوجه خطابه نحوه بعلو:

- هالو! أنت أيها الرفيق طويل الساقين مرتدي القرمزي! أنت عريض ما بين المنكبين ورأسك غليظ! ألا تكون حبيبتك جميلة بما يكفي لتأخذ أنت الهراوة بيدك من أجلها؟ في الواقع، أنا أو من أن رجال نوتنغهام ليسوا إلا تركيبًا من عظام وعضلات، فلا قلب ولا شجاعة لديهم! والآن، أنت أيها المغفل العظيم، ألن تلوح وتدير الهراوة من أجل نوتنغهام؟

قال الصغير جون:

- نعم، لو كانت معي هراوتي الجيدة الخاصة هنا، فإنه ليسرني كثيرًا أن أفلق قمة رأسك الوغد، أيها المتبجح الوقح! أنا أعلم أنه سيكون مناسبًا لك أن يُقص عرفُ رأسك!

تكلّم على هذا النحو، ببطء في البدء إذ كان يتحرك بطيئًا، لكن سخطه تجمّع بالاستمرار مثل حجر عظيم يتدحرج نحو أسفل التل، وفي النهاية، كان طافحًا بالغضب! ثم ضحك أريك من لنكولن عاليًا:

- تتكلم بصورة جيدة بالنسبة إلى شخص يخشى ملاقاتي بعدالة: رجلًا لرجل. أنت لديك روح وقحة! فإذا وضعت قدمًا على هذه الألواح، فسأجعل لسانك البذيء يرتجف بين أسنانك!

- والآن، ألا يوجد هنا امرؤ يُعيرني هراوة جيدة، كي أحاول مواجهة ذلك الرجل هناك؟

عند هذا، مد عشرة هراواتهم إليه فانتقى منها الأصلب والأثقل. فقال وهو ينظر إلى أعلى العصا وأسفلها:

- الآن، ليس بين يديّ إلا فلقة من خشب -قشة شعير إن صح التعبير- لكنني أعتقد أنها سوف تعينني، وها أنا ذا.

هنالك، ألقى عصاه على المنصة وقفز بخفة وراءها، والتقطها رافعًا إياها بيده مجددًا. ثم وقف كل رجل في موضعه بإزاء غريمه، وكل منهما يتفحص الآخر بنظرات قاسية، حتى صاح مدير المباراة:

- هيا العبا!

فتقدّما، وكل منهما يقبض على هراوته بحزم وإحكام من الوسط. ورأى من يقف حولهما بدء المنافسة الأقوى في لعبة الهراوة، التي لم تشهد لها مدينة نوتنغهام في الماضي! عند البداية، اعتقد أريك من لنكولن أنه سيربح المنافسة بسهولة ويسر، لذا تقدم وكأن لسان

حاله يقول: راقبوا أيها الناس الطيبون، كيف سأقّطع لكم هذا الديك الصغير بسرعة فائقة! لكنه سرعان ما اكتشف أن الأمر ليس مسألة سرعة. وجّه ضربةً بمهارة كبيرة في المباراة، لكنه رأى الصغير جون ندًا له! ضرب مرة، مرتين، ثلاثًا... لكن الصغير جون تفادى الضربات نحو الشمال ونحو اليمين. ثم سدّد الصغير جون بسرعة ورشاقة ضربةً خلفية، فأصابه تحت دفاعه بقوة كبيرة جعلت رأسه يرنّ أيضًا، فتراجع أريك ليستجمع موقفه وتركيزه، بينما تصاعدت صيحات عظيمة! وكان الكل مسرورين أن نوتنغهام قد أصابت هامة لنكولن! وبهذا انتهت الجولة الأولى من المباراة. ثم لم يلبث مدير المباراة إلا أن صاح:

- لعب!

فتلاقيا مرة أخرى، ولكن في هذه الجولة لعب أريك بحذر وانتباه، إذ رأى أن منافسه كان ذا همّة عالية، وكذلك كانت لديه ذكرى غير سارة عن الضربة التي نالها. وفي هذه الجولة لم يتمكن أحد منهما من تسديد ضربة إلى الآخر في ضمن وضعه الدفاعي. ثم بعد مرور مدة افترقا، وكانت هذه هي الجولة الثانية. ثم تواجهها للجولة الثالثة، في البدء، جاهد أريك ليكون يقظًا كما سبق، لكنه -وقد تنامى جنون غضبه وهو يرى نفسه محببًا مهزومًا- فقد رشده! وبدأ يُمطر الضربات بشراسة وسرعة، كأنها حبات برد تتساقط على سقف مستودع. لكن رغم ذلك، لم يتمكن من الوصول إلى موضع دفاع الصغير جون. أخيرًا، انتهز الصغير جون الفرصة بذكاء، فقام مرة أخرى بتسديد ضربة سريعة على جانب رأس أريك، وقبل أن يقدر على استعادة توازنه، ناور الصغير جون يميناه تحت شماله، وبحركة متأرجحة ضرب أريك بقوة على أمّ رأسه، فأسقطته الضربة وكأنه لن يتحرك مرة أخرى! فصاح المتفرجون صياحًا هائلًا! جعل الناس يهرعون من كل مكان ليروا الحدث، بينما وثب الصغير جون عن المنصة نحو الأسفل وأعاد الهراوة إلى صاحبها. وبذلك انتهت المباراة الشهيرة بين الصغير جون وأريك المعروف جدًا من لنكولن.

ولكن حان الآن موعد أن يجتمع هؤلاء الساعون لرمي السهام بالقوس الطويل، ليكونوا في مواضعهم، فاندفع الناس واحتشدوا عند الأهداف حيث تكون الرميات. جلس العمدة على

منصة مرفوعة في موضع مناسب عند الهدف، ومن حوله أشراف ونبلاء كثيرون. عندما اتخذ الرماة مواضعهم تقدّم المنادي وأعلن قواعد اللعبة: يجب على كل متسابق أن يسدّد ثلاث رميات، وتُمنح الجائزة للرامي الأفضل، وهي اثنان من الثيران السمينة. احتشدت هنالك مجموعة من الرماة اليومنين، وكان فيهم أفضل المهارات وأدقها بالقوس الطويل في لنكولن ومقاطعة نوتنغهام، وبينهم وقف الصغير جون أطول من البقية. قال بعضهم:

- من يكون هذا الفتى الغريب المشتغل باللون القرمزي؟

فأجاب بعض آخر:

- إنه من فاز قبل قليل بالتغلّب على أريك من لنكولن وضرب هامته.

وهكذا تكلم الناس بينهم، حتى وصل الخبر إلى أذني العمدة. والآن، تقدّم كل رجل إلى مكانه ورمى حسب دوره، ومع أن كلهم رموا بشكل حسن فإن الصغير جون كان الأفضل بينهم، لأنه أصاب الهدف ثلاث مرات، ومرة واحدة فقط كانت الإصابة على مسافة حبة شعير من المركز! فصاح الجمهور:

- مرحى للرامي الطويل!

ومنهم من صاح:

- مرحى لرينولد غرينليف!

إذ كان الاسم الذي به دعا الصغير جون نفسه!

نزل العمدة من مقعده العالي، وجاء إلى حيث يقف الرماة، وقد نزع الجميع قبعاتهم عند رؤيتهم إياه قادمًا. نظر بإمعان وتركيز إلى الصغير جون لكنه لم يعرفه، مع أنه قال بعد وقت قصير:

- أيها الرفيق الطيب، أظن أن هنالك في وجهك ما يجعلني أظن أنني رأيتك من قبل.

- ربما يكون الأمر كذلك، لأنني رأيت وجه جلالتك كثيرًا.

وبينما هو يتكلم ركز نظره بثبات إلى عيني العمدة، حتى أن الأخير لم يشك في هويته.
قال العمدة:

- أنت مقاتل شجاع يا صديقي الرائع، ولقد سمعت أنك اليوم سموت بمهارة مقاطعة نوتنغهام على المنسوب إلى لنكولن. فما اسمك أيها الصاحب الطيب؟

- جلالتك! الرجال ينادونني فعلاً باسم: رينولد غرينليف.

والقصيدة المغناة التي تحكي عن هذا، تضيف:

لذلك -في الحقيقة - كان ورقة خضراء(36) لكنه بطريقة ما من شجرة لم يعرفها العمدة!

- والآن يا رينولد غرينليف، أنت اليد الأمهر في القوس الطويل التي وقعت عيناى عليها، من بعد ذلك الغلام الغادر روبن هود، الذي حمتني السماء من حيله ومكره! هل لك أن تنضم إلى خدمتي أيها الرفيق الطيب؟ سيكون لك أجر جيد: ثلاث بدلات قماشية كل سنة، مع الطعام الجيد، وجعة بقدر ما تستطيع أن تشرب، وفوق هذا كله: سوف أدفع إليك أربعين ماركا عند حلول عيد القديس ميخائيل(37).

- إذن، هنا أقف رجلاً حراً، وبسرور كبير سأدخل في حاشيتك!

وقد ظن أنه يجد في انضمامه إلى خدمة العمدة مزحةً مبهجة! قال العمدة:

- لقد ربحت بكل عدالة وإنصاف الثورين السمينين. وإلى هذا، سأضيف برميلاً من بيرة آذار الجيدة، ابتهاجاً بكسب مثل هذا الرجل، لأنني أعتقد أنك ترمي السهم بجودة روبن هود نفسه!

- إذن، ابتهاجًا بفرحة انضمامي إلى خدمتك، سأهب الثورين السمينين والجمعة البنية لكل الناس الطيبين الحاضرين هنا، لنجعلهم فرحين معنا!

وعند هذا ارتقت صيحة عظيمة، ورمى كثيرون قبعاتهم عاليًا فرحًا بهذه الهدية!

(34) (Hop).

(35) كناية عن التحدي والمنافسة.

(36) (Green leaf).

(37) في ٢٩ من شهر أيلول.

كيف عاش الصغير جون في منزل العمدة

وهكذا، دخل الصغير جون في خدمة العمدة، ووجد أن الحياة التي اختارها وبدأ بها سهلةً ومريحة جدًا، إذ جعله العمدة ذراعاً اليمنى ورجله المقرب، وكان في منزلة عظيمة. لقد جلس قريبًا من العمدة في المآدب، وركض إلى جوار حصانه عندما خرج للصيد. لذلك -بممارسة الصيد والقنص بالصقور قليلًا، وتناول الأطباق الدسمة وشراب الساك اللذيذ، والنوم حتى ساعات الضحى المتأخرة- صار بديئًا مثل ثور الحظيرة! وعلى هذا النحو، طفت المجريات بيسر على طول المد... حتى حلول يومٍ أراد العمدة فيه أن يخرج للصيد، فتعكّر ذلك السطح الهادئ للأمور!

في هذا الصباح، خرج العمدة وكثير من مرافقيه للقاء بعض اللوردات المعروفين كي يمشوا جميعهم إلى الصيد، فنظر العمدة حوله بحثًا عن رجله المفضل رينولد غرينليف، لكنه لم يجده! فتكدر وانزعج! لأنه كان يرغب في عرض مهارة الصغير جون أمام أصدقائه النبلاء. أما الصغير جون نفسه، فإنه كان مستلقًا على سرير النوم يشخر بقوة! حتى ارتقت الشمس عاليةً في السماء، وأخيرًا فتح عينيه ونظر حوله لكنه لم يتحرك لينهض!

سطعت الشمس عند النافذة، وكان الجو كله عذبًا بشذى أشجار الصنوبر الذي تعلّق كالرذاذ حول الجدار من الخارج، إذ انقضى الشتاء البارد وها هو الربيع آتٍ من جديد. وما يزال الصغير جون مضطجعًا يفكر: كيف أن كل شيء كان لطيفًا وجميلًا في هذا الصباح الرائع. لكنه حينئذٍ سمع صوتًا خافتًا من مسافة بعيدة، كانت نغمة بوق قصية رقيقة وصافية. كان الصوت واطئًا، لكنه -مثل سقوط حصاة في نبع صافٍ- عكّر كل سطح أفكاره الهادئ... حتى امتلأت روحه كلها بالاضطراب!

وكان ذاته استيقظت من خمولها، فأعادت ذاكرته إليه كل حياة الغابة الخضراء السعيدة، كيف كانت الطيور تصدح بحبور في مثل هذا الصباح المضيء، وكيف يتناول رفاقه

وأصدقائه الأحبّة الطعام ويخترعون البهجة، أو ربما يتحدّثون في شأنه بخطاب متزن هادئ، إذ عندما دخل في حاشية خدمة العمدة كان قد فعل ذلك بالمزاح، لكن حجر الموقد كان دافئًا خلال الشتاء، والطعام حاضرًا وكاملًا، فقبل بذلك والتزم به، واستمرّ يخلف وراءه أمر عودته إلى شيروود يومًا بعد يوم... حتى انقضت ستة أشهر طويلة. لكنه الآن يفكر في سيده الطيب وويل ستوتلي، اللذين يحبّهما أكثر من أي شخص آخر في العالم كله، وفي الفتى ديفيد دونكاستر الذي درّبه بشكل جيد على كل الرياضات الرجولية القوية، حتى تغلّب على قلبه شوقٌ وحنين جارف إليهم كلهم! فاغرورقت عيناه بالدموع! فقال بصوت عالٍ:

- هنا، صرّث مثل ثور حظيرة سمين، وغادرتني كل رجولتي وقوتي، إذ أمسيتُ كسولًا ومغفلًا! لكنني سأستنهض نفسي وأعود إلى أصدقائي الخاصين المقربين من جديد، ولن أتركهم مرة أخرى حتى تغادر الحياة شفّتيّ.

قال ذلك ووثب عن فراشه! إذ مقتّ خموله الآن! وعندما نزل إلى الأسفل رأى وكيل الأعمال يقف قرب باب حجرة المؤمن، وهو رجل هائل سمين يحمل حزمة من المفاتيح معلقة على حزامه. قال الصغير جون:

- ها! أيها السيد الوكيل، أنا رجل جائع فلم أتناول شيئًا خلال هذا الصباح المبارك. فأعطني شيئًا لأكله.

لكن الوكيل نظر إليه بعبوس وهزّ المفاتيح في حزامه! إذ كان يكره الصغير جون لأنه نال حظوة عند العمدة، قال:

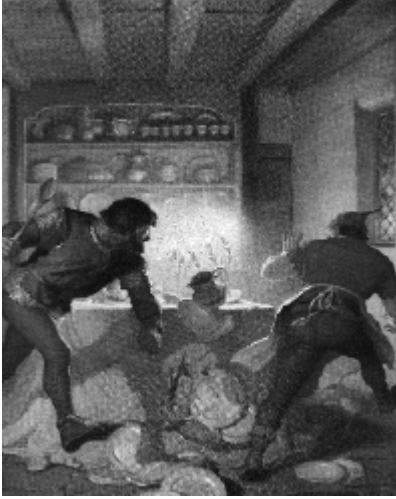
- إذن أيها السيد رينولد غرينليف، أنت جائع، أليس كذلك؟ ولكن أيها الشاب الجميل، إذا عشت مدة طويلة فإنك ستكتشف، أن من ينام كثيرًا برأس عاقل فإنه سيمضي بمعدة فارغة! إذ ماذا يعني القول المأثور يا سيد غرينليف؟ أليس هو: **الطائر المتأخر لا يجد إلا الطعام الرديء؟**

صاح الصغير جون:

- والآن، يا كيس الدهون العظيم! إنني ما سألتك حكمةً الأحمق بل أردتُ خبزًا ولحمًا. من أنت لتمنع عني طعامي؟ بحق القديس دونستان! يجب عليك أن تخبرني أين فطوري إذا أردت أن تحفظ عظامك من الكسر!

- فطورك -أيها السيد لهب النار- في حجرة المؤمن!

صاح الصغير جون الذي تعاظم غضبه الآن:



- إذن، اجلبه إليّ هنا!

- اذهب أنت واجلبه بنفسك! هل أنا خادمك لأحضره وأحمله إليك؟

- أقول لك: اذهب أنت وأحضره لي!

- وأنا أقول: اذهب أنت واجلبه بنفسك!

قال الصغير جون بغضب:

- أجل، يا مريم العذراء! الآن سوف أفعل ذلك بسرعة!

واندفع نحو الحجرة ليحاول فتح الباب لكنه وجده مقفلاً! وعندها ضحك منه ستيوارد وهزّ مفاتيحه! فانفجر سخط الصغير جون! ورفع قبضته المحكمة وضرب باب الحجرة، فخلع ثلاثة ألواح وأحدث فجوةً واسعةً جداً تمكّنه من أن ينحني ويعبر منها. وعندما رأى ستيوارد ما يحصل جنّ جنونه! وبينما كان الصغير جون منحنياً لينظر في الحجرة، قبض على قفا عنقه وعصره وضربه على رأسه بمفاتيحه، حتى جعل أذني جون ترنان! فالتفت إليه الصغير جون وعلا عليه، وسدّد إليه ضربة جعلت الرجل السمين يهوي على الأرضية، ويرقد كأنه لن يتحرك بعدها.

- انتبه! فكّر جيداً في تلك الضربة، وإياك أن تمنع فطوراً جيداً عن رجل جائع أبداً!

أتمّ قوله وزحف داخلاً إلى الحجرة، ونظر حوله لعله يجد ما يسكّن به غائلة جوعه. هنالك رأى فطيرة لحم الأيل وديكين محمّرين، وقربها طبقً من بيض طائر الزقزاق، وأكثر من ذلك: وجد زجاجة من الساك وأخرى من خمر الكناري(38). إنه مشهد رائع أمام رجل جائع! أنزل كل ذلك عن الرفوف ووضعه على منضدة جانبية، وتهيأ ليرضي نفسه بذلك. سمع الطباخ -في المطبخ عبر الفناء - الحوارَ الصاخب بين الصغير جون وستيوارد، وسمع أيضاً الضربة التي وقعت على الأخير، فجاء يركض عبر الساحة وارتقى السلم إلى حيث مستودع ستيوارد، وكان يحمل بيده سفوداً ما يزال اللحم مثبتاً فيه!

في هذه الأثناء، استجمع ستيوارد شتات نفسه ونهض، وعندما وصل الطباخ إلى حجرة الوكيل، رآه ستيوارد يحدّق عبر الباب المكسور نحو الصغير جون، الذي كان يستعدّ لوليمة طيّبة، وكان بنظراته مثل كلب يحدّق إلى آخر لديه عظمة! عندما لمح ستيوارد الطباخ جاء إليه، ووضع يده على كتفه، قال:

- واحسرتاه! يا صديقي اللطيف!

وأضاف، إذ كان الطباخ رجلاً طويل القامة شديداً:

- أترى ما فعل ذلك الوغد الدنيء رينولد غرينليف؟ لقد اقتحم للتو مستودع مؤن سيدنا، وضربني على أذني حتى اعتقدت أنني مت! أيها الطباخ الطيب، أنا أحبك، وسوف تنال نصف غالون من أفضل خمور سيدنا كل يوم، لأنك خادم مخلص ومطيع. وأيضاً -أيها الطباخ الطيب- لديّ عشرة شلنات أنوي أن أقدمها إليك هديةً. لكنك ألم ترّ صعلوكاً مغروراً مثل رينولد غرينليف هذا يأخذها لنفسه بجرأة؟

قال الطباخ بتحدّ:

- نعم! بحق السيدة مريم، أنا أفعل بكل تأكيد.

لقد مال إلى ستيوارد بسبب كلامه عن النبيذ والشلنات العشرة.

- امض إلى غرفتك مباشرة، وسأخرج هذا النذل وأجرّه من أذنيه!

ثم وضع سفوده على جانب، واستلّ مديّة معلقة على وسطه، بينما انسحب ستيوارد بأسرع ما يمكن، فهو يمقت الحديد المجرد! مشى الطباخ مباشرة نحو باب المستودع المكسور، الذي رأى الصغير جون من خلاله وهو يربط المنديل تحت ذقنه، استعداداً لتلبية نداء جوعه، قال الطباخ:

- ها! كيف الآن يا رينولد غرينليف؟ لست أفضل من لص، هكذا أعتقد. هيا! تقدّم يا رجل وإلا فإنني سأقطّعك كما أفعل بخنزير رضيع.

- كلا! أيها الطباخ الطيب، أنت تحمّل نفسك بأكثر من الظاهر، وإلا سأتي وأجعلك تأسف. في أكثر أوقاتي أنا حمّل وليد، لكن حين يتدخل امرؤ بيني وبين لحمي، فأنا أسد غاشم بنحو ما كان.

قال الطباخ الباسل:

- لا يهيم أكنث أسدًا أم لا! هيا تقدّم وإلا فإنك قلب جبان مثل لص خسيس مخذول.

صاح الصغير جون:

- ها! أنا لم أوصف بالجبان قط، لذلك، انظر لنفسك أيها الطباخ الخير لأنني سأتقدّم، والآن لم يتكلم إلا الأسد المزمجر!

ثم قام هو أيضًا مستنلاً سيفه وخرج من الحجرة، وقد تقابلا في وضع الاستعداد وتقاربا ببطء، يعلو على وجهيهما العبوس ونظرات الغضب! لكن فجأة! خفض الصغير جون قمة سيفه، وقال:

- تريث أيها الطباخ الطيب! الآن أفكر في نفسي: إن الأمر سيكون سيئًا علينا إذا تقاتلنا وإلى جوارنا أطعمة هنيئة، وإن مثل هذه الوليمة تطعم رجلين همامين مثلنا. عجبًا! أيها الصديق الصالح، أعتقد أن علينا الاستمتاع بتناول هذه الوليمة قبل العراك! ما رأيك أيها الطباخ الظريف؟

عند سماعه هذا الخطاب، نظر الطباخ نحو الأعلى والأسفل وحكّ رأسه مترددًا! إذ كان يهوى الولايم اللذيذة! أخيرًا سحب نفسًا طويلًا، وقال للصغير جون:

- طيب أيها الصديق الجيد، أعجبنى اقتراحك كثيرًا، إذن أقول من كل قلبي: أيها الفتى الوسيم دعنا نأكل، إذ قد يتعشى أحدنا في الفردوس قبل حلول الظلام!

أعاد كل واحد منهما سيفه إلى غمده ودخلا في الحجرة، وبعد أن جلسا إلى المائدة سحب الصغير جون خنجره وأقحمه في الفطيرة، وقال:

- الرجل الجائع لا بد أن يُطعم! إذن أيها الفتى اللطيف، لقد قدّمتُ لنفسى بلا إذن.

أما الطباخ، فلم يتأخر طويلًا فأقحم يديه أيضًا في عمق الفطيرة اللذيذة! بعد ذلك، لم ينطق المزيد أي منهما، فلقد استعملا أسنانهما لغرض أفضل! ولكن مع أنهما لم يتكلّما فقد

تطلع أحدهما نحو الآخر، وكل واحد يفكر في داخله: إنه لم يرَ قط رقيقًا أكثر نشاطًا وحيوية من هذا الذي أمامه عبر اللوح. أخيرًا، بعد انقضاء وقت طويل... شهق الطباخ نفسًا عميقًا كاملاً وكأنه من ندم شديد! ومسح يديه على المنديل، إذ لم يتمكن من التهام المزيد! كذلك، اكتفى الصغير جون، فأزاح الفطيرة جانبًا، وكأنه يقول: لا أريدكِ إلى جانبي أكثر من هذا أيتها الصديقة المخلصة! ثم تناول زجاجة الساك، وقال:

- الآن، يا صاحبي الطيب، أقسمُ بكل ما هو ناصع واضح، أنك الرفيق الأكثر قوة ونهمًا عند الأكل الذي شهدته! ها! أنا أشرب نخبك!

ثم قرَّب القنينة إلى شفثيه ورفع عينيه عاليًا، وانسكب الخمر الفاخر في حلقه. ثم مرَّر الزجاجة إلى الطباخ، الذي قال أيضًا:

- ها! وأنا أشرب لصحتك رقيقي العذب!

ولم يقصّر عن مستوى الصغير جون في الشراب كما في الأكل! قال الصغير جون:

- الآن، لديك صوت سليم ولطيف تمامًا أيها الفتى الظريف. أنا لا أشكُّ في قدرتك على غناء قصيدة بحسن وجمال، ألسن كذلك؟

- حقًا، أنا أترنم بوحدة بين الحين والآخر، لكنني ما كنتُ لأغني وحدي.

- ها! فعلاً! لن تكون تلك إلا ملاطفة رديئة. اشرع بقصيدتك المغناة وأنا بعد حين سوف أغني واحدة لتطابقها، إذا تمكنتُ.

- إذن لتكن! أيها الفتى الجميل. فهل سمعتَ أغنية الراعية الريفية المهجورة؟

- صدقًا لا أعرفها، ولكن غنِّها ودعني أسمع.

فتجرّع الطباخ جرعة أخرى من الزجاجة جاعلاً حنجرتة رائقة صافية، ثم غنى بلطف
ونعومة:

أغنية الراعية المهجورة

في احتفال الصوم الكبير(39). عندما تصير الأوراق خضراً

وتبدأ الطيور الجميلة بالتزاوج

وتغني القبرة، ويتردد طائر السمانى -أعتقد-

وهديل اليمام الرمادي بين الحين والآخر

جلست فيليس الحسنة إلى جانب صخرة

وهكذا سمعتُ أنينها وتنهدها:

أيتها الصفصافة، الصفصافة، الصفصافة، الصفصافة!

سأخذ لي من أغصانك الجميلة

وأضفر إكليلاً لأزين شعري

* * *

لقد أخذته السمانى المغردة

إنه روبن، وكذلك الحمامة أخذته

لقد تخلى عني روبني

وهجرني من أجل غرام آخر

لذلك فأنا أجلس قرب بوركسايد وحدي تمامًا

أجلس لنفسي وأبوح بأنيني

أيتها الصفصافة، الصفصافة، الصفصافة، الصفصافة!

سأخذ لي من أغصانك الجميلة

وأضفر إكليلاً لأزّين شعري

* * *

لكن لم تأتِ سمكة رنجة من البحر قط

لكنه كان جيدًا في المد

إذ جاء الشاب كوريديون على المرج

وجلس عند فيليس

فقامت الآن بتغيير نبرتها

وبدأت بالتخلي عن أنينها

أيتها الصفصافة، الصفصافة، الصفصافة، الصفصافة!

سأخذ لي من أغصانك الجميلة

وأضفر إكليلاً لأزّين شعري

صاح الصغير جون:

- والآن بحقّ معتقدي! تلك التي أنشدتها أغنية رائعة جدًّا، وفيها حقيقة أيضًا!

- أنا مسرور أنها أعجبتك أيها الفتى اللطيف، والآن غنّ أنت واحدة أيضًا فلا يجب أن يكون الرجل سعيدًا لوحده، أو لا تغنّ ولا تصغ.

- إذن سأغني لك أغنية عن فارس شهم جدًّا من بلاط آرثر، وكيف شفى جرح قلبه بعدم مواجهة سهم النظرة الحادة مجددًا، بخلاف ما فعلت فيليس خاصتك، لأنني أعتقد أنها لم تفعل إلا علاج ما لديها بذكاء، بمنح نفسها لآخر. لذلك أصغ بينما أغني:

الفارس الطيب وحبّه

عندما حكم الملك آرثر هذه الأرض

كان ملكًا طيبًا

وقد كان له من الفرسان الأشداء

عصبة مرحة ظريفة!

* * *

من بينهم كلهم، كبيرهم وصغيرهم

كان هنالك فارس شهم طيب

نبيل مفعم بالحيوية، وطويل أيضًا

أحب سيدة حسناء

* * *

لكنها ما كانت لتتواصل معه

فولت وجهها بعيدًا عنه

لذلك مضى راحلاً نحو بلدة بعيدة

وترك تلك السيدة مبتهجة

* * *

وهناك لبث وحيدًا وشرع بأنيته

وحتى تنهد وتحسّر

ونحب حتى كان ليزحزح الحجر

وكان يوشك على الهلاك!

* * *

وما يزال قلبه يشعر بالألم الشديد

وحتى الكرب الرهيب

بل إن محنته ازدادت حدة

بينما تضاعل جسده!

* * *

ثم عاد إلى حيث نبيذ الساك الجيد

والرفقة المرحة

وفورًا كّف عن الصراخ: وا أسفاه!

كان مسرورًا وخاليًا من الهم

* * *

مما مررتُ به، وأشعر بجرأة كبيرة

لأقول، وأيضًا أؤمن

أن بشراب الجن لن تتراجع المعدة

القلب سوف يتوقف عن الحزن

صاح الطباخ وهو يقرع الزجاجة على اللوح:

- بحق معتقدي! أنا أحب تلك الأغنية المنشدة كثيرًا، وحتى الدافع لإنشائها، الذي يكمن فيها
مثل اللب في البندقية.

- وأنت رجل الآراء السديدة، وأنا أحبك كأخ لي.

- وأنا أحبك أيضًا، لكن النهار انقضى، ولديّ عملي على الطبخ لأنجزه قبل عودة سيدي إلى
المنزل، لذلك دعنا فقط نمض ونسو أمر القتال الشجاع الذي لدينا.

- أجل، عجبًا! وذلك بسرعة كبيرة. أنا لم أكن متقاعسًا في القتال قط أكثر مما في الأكل والشرب! إذن، تقدّم في الممر، حيث هنالك مجال كافٍ للتلويح بسيف وأنا سأحاول إنجاز الأمر هنالك.

ثم تقدّم في الممر العريض الذي يقود إلى حجرة مؤن ستيوارد، حيث سحب سيفيهما مرة أخرى، وبلا مزيد من الضجيج هجم كل واحد على الآخر بسيفه وكأنه سيقطّعه إربًا إربًا. تصادم سيفاهما مصدرين صوتًا عظيمًا، وتدقّق الشرار منهنّما. تقاطلا أعلى القاعة وأسفلها لساعة ويزيد، بلا أن يصيب أي طرف غريمه بضربة، مع أنهما بذلا أفضل ما بوسعهما من أجل ذلك، إذ كان كلاهما ماهرًا في المبارزة، فلم تكن من نتيجة لجهدهما الهائل. كانا يأخذان استراحة بين الحين والآخر وهما يلهثان، ثم -بعد أن ينالا نصيبًا جيدًا- يندفعان في القتال أشرس وأشدّ من قبل. ثم صاح الصغير جون عاليًا:

- توقّف، أيها الطباخ الطيب!

فتوقف حينئذٍ واستندا منقطعي الأنفاس إلى سيفيهما، قال الصغير جون:

- والآن، أنا أنجز عهدي: أنت أفضل من رأيته يبارز بالسيف. حقًا، كنتُ أحسب أنني سأقطع أوصالك قبل الآن.

- وأنا ظننتُ أنني سأفعل بك الأمر نفسه، لكنني أخطأتُ الهدف بنحو ما.

- كنتُ أفكّر مع نفسي: ما الذي نتقاتل عليه، ومع ذلك لم أُميّز الأمر على نحو صائب.

- ها! ولستُ أكثر منك في ذلك. أنا لا أكنّ حبًّا لستيوارد البدين ذاك، لكنني ظننتُ أننا دخلنا في عراك بيننا ولا بدّ من إنجازه.

- يبدو لي بكل تأكيد: أننا بدلًا من السعي المحموم في محاولة كل منا لقطع حنجرة الآخر، فلنكن رفاقًا مقرّبين. ما رأيك أيها الطباخ الظريف: أتذهب معي إلى غابة شيروود وتنتمي

إلى عصابة روبن هود؟ سوف تحيا حياة بهيجة في عمق أراضي الغابات، وستكسب مئة وأربعين رقيقًا صالحًا، أنا أحدهم. وسوف تنال ثلاث بدلات من خضرة لنكولن كل عام، وأجرًا بمقدار أربعين مارغًا.

صاح الطباخ بإخلاص وتحمس:

- أنتَ رجل تتلو قلبي العزيز! وبنحو ما تكلمتَ على الأمر، فإن ذلك في مصلحتي جدًّا، سأمضي معك وبسرور كبير. ناولني يدك أيها الرفيق اللطيف، وسأكون لك نعم الصاحب من الآن فصاعدًا، فما اسمك يا رجل؟

- يلقبني الرجال بالصغير جون، أيها الرفيق الطيب.

- كيف! أنت الصغير جون حقًّا، اليد اليمنى لروبن هود؟ كثيرًا ما سمعتُ عنك، لكنني ما أملتُ أن تقع عيناك عليك، فأنت حقًّا الصغير جون المشهور!

وبدا كأن الطباخ متحيّر في دهشته! ويحدّق نحو رفيقه بعينين متسعيتين!

- أنا الصغير جون بالفعل، وسأخذ إلى روبن هود في هذا اليوم رقيقًا جيدًا لينضمّ إلى عصابته السعيدة. ولكن قبل أن نذهب، أيها الصديق الرائع، يبدو لي أن سيكون من اللطف الكبير أننا -وكما حصلنا على مقدار كبير من غذاء العمدة- يجب أن نحمل بعضًا من أطباقه الفضية إلى روبن هود هديةً من جلالته.

- أجل، عجبًا! الأمر كذلك.

فشرعوا يتجوّلون في المكان ويأخذون من الفضيات بقدر ما يمكن أن تحمله أيديهم، ويركمنونه في حقيبة، وعندما امتلأ الجراب انطلقا نحو غابة شيروود. بعد أن غاصا في أعماق الغابات، وصلا أخيرًا إلى شجرة الغابة الخضراء، حيث وجدا روبن هود ومعه ستون

من رفاقه الظرفاء مستلقين على الأرض المعشوشبة النضرة. وعندما رأى روبن ورفاقه الآتيين، نهض بسرعة، وصاح روبن:

- والآن، مرحبًا! أهلا أيها الصغير جون، لقد مضى وقت طويل منذ أن سمعتُ عنك، مع أننا ندري أنك قد دخلت في خدمة العمدة. وكيف أمضيت كل تلك الأيام الطويلة؟

- لقد عشتُ بهناء عند اللورد العمدة، ومن هنالك جئتُ مباشرة. انظر أيها الزعيم الطيب، لقد أتيتُ إليك بطبخه، وحتى أطباقه الفضية!

وعندئذٍ روى لروبن هود ورجاله الظرفاء الحاضرين، كل ما جرى له منذ أن تركهم وذهب إلى مهرجان نوتنغهام. ثم تعالت القهقهات العالية من الجميع إلا روبن هود، إذ بدت عليه نظرة الوقار والتجهم، وقال:

- كلا، أيها الصغير جون! أنت فتى شجاع ورفيق ثقة. أنا مسرور أنك أعدت نفسك إلينا، مع رفيق كريم مثل الطباخ الذي نرحب كلنا به في شيرود. لكن لم يعجبني كثيرًا أن تسرق أطباق العمدة مثل لص دنيء! لقد نال العمدة عقوبته من عندنا إذ فقد ثلاث مئة باوند، وحتى لو بدا أنه سيخدع شخصًا آخر، لكنه لم يرتكب ما يوجب أن نسرق صحنًا من عقر داره.

ومع أن الصغير جون قد تكدر من هذا، فإنه حاول أن يمرر الأمر بمزحة:

- لا، أيها الزعيم الطيب، إذا كنت تعتقد أن العمدة لم يعطنا الصحن فإنني سأحضره، فلعله يخبرنا بنفسه أنه أعطانا إياها كلها.

قال ذلك ووثب وانطلق مسرعًا قبل أن يتمكن روبن من مناداته ليعود! ركض الصغير جون ركضًا متصلًا لخمسة أميال... حتى وصل إلى حيث كان عمدة نوتنغهام وجماعته السعيدة يصطادون قرب الغابة. وعندما اقترب الصغير جون من العمدة نزع قبعته وانحنى على ركبته:

- يحفظك الرب أيها الزعيم الطيب.

صاح العمدة:

- ها! رينولد غرينليف! من أين أتيت؟ وأين كنت؟

أجاب الصغير جون بكلام كالدهشة:

- كنتُ في الغابة... وقد شاهدتُ منظرًا لم تقع عيننا رجل عليه قط! هنالك رأيتُ ذكر أيل فتني أخضر من رأسه إلى ساقه، وحوله قطيع من ستين ظبيًا، وهي خضر أيضًا من أعلاها إلى أسفلها! لكنني لم أجرؤ على الرمي سيدي الطيب، خشيةً أن تقضي هي علي!

صاح العمدة:

- ماذا! كيف هذا يا رينولد غرينليف! أتحمُّ أنت أم أصابك جنون كي تخبرني بمثل هذه الحكاية؟

- كلا، أنا لا أحلم ولستُ مجنونًا. وإن جئتُ معي فسوف أريك هذا المشهد الجميل، لأنني شهدته بعيني هاتين. لكن يجب أن تكون عندها وحدك أيها الزعيم الطيب، إذ قد يربعها الآخرون وتفترّ بعيدًا! وبذلك، انطلقت المجموعة يقودها الصغير جون باتجاه عمق الغابة... أخيرًا قال جون:

- والآن، يا سيدي الطيب، نحن على مقربة من مكان رؤيتي القطيع.

ترجّل العمدة عن حصانه وأمر الآخرين بانتظاره حتى عودته، ثم قاده الصغير جون متقدّمًا في أجمة قريبة، وفجأة وصلا إلى فسحة مفتوحة كبيرة، وعند طرفها كان روبن هود جالسًا تحت ظلال شجرة السنديان العظيمة وحوله أصحابه! قال الصغير جون:

- انظر يا سيدي العمدة الطيب! ذلك هو ذكر الأيل الذي أخبرتك عنه!

وعند هذا التفت العمدة نحوه، وقال بمرارة:

- منذ وقت طويل ظننت أنني أتذكر رؤية وجهك، والآن ها أنا أعرف ذلك، يا للأسف! إذ
تفعل هذا أيها الصغير جون! لأنك قد غدرت بي وختنتي هذا اليوم!

في هذه الأثناء كان روبن هود قد جاء إليهما، وقال:

- أهلاً! أيها السيد العمدة! هل جئت اليوم لحضور وليمة أخرى معي؟

قال العمدة بنبرة شديدة الجدية:

- كلا! أعوذ بالله! لا أهتم لأي وليمة، ولست جائعاً اليوم!

- بغض النظر عن ذلك، إذا لم تكن جائعاً فلعلك ظامئ، وأدري جيداً أنك ستشرب كأساً من
نبيذ الساك معي. لكنني حزين لأنك لن تحضر وليمةً، إذ يمكنك أن تنال الأطعمة التي تحبها،
فهناك يقف طاهيك الخاص!

ثم قاد العمدة -شاء أم أبى- إلى حيث المقعد الذي يعرفه جيداً أسفل شجرة الغابة

الخضراء، صاح روبن:

- ها! يا فتیان! املؤوا لصديقنا العمدة الطيب كأساً مترعة تماماً من الساك وأحضروها إلى
هنا، إنه منهنك يكاد يغمى عليه!

ثم جاء أحد أفراد العصابة بكأس مليئة من الساك، وانحنى منخفضاً وهو يقدمها إليه، لكن
العمدة لم يستطع أن يمس النبيذ! لأنه رأى أنها قدمت له في واحدة من أوعيته الفضية
الخاصة، على طبق من فضياته الشخصية! قال روبن:

- ماذا الآن! ألا تحب تقديمنا الفضي الجديد؟ لقد جئنا بكيس منها هذا اليوم!

ورفع أمامه كيسًا من الفضيات التي جلبها الصغير جون والطباخ معهما. فكان قلب العمدة متألّمًا مكروبًا! لكنه لم يجرؤ على قول أي شيء، بل أطرق نحو الأرض. نظر روبن باهتمام نحوه لمدة من الوقت، ثم تكلم:

- أيها السيد العمدة، في آخر مرة جئتَ إلى غابة شيروود، كنتَ تسعى بها إلى التفرير بمبذر مسكين، لكنك كنتَ أنت المخدوع! أما في هذه المرة، فقد جئت بلا سعي لإحداث أذى، ولا أعلم أنك قد مكرتَ بأي رجل. أنا آخذ الضرائب من الرهبان الأغنياء والإقطاعيين المتعجرفين، لأساعد أولئك المخدوعين بسببهم وأرفع من شأن الذين خفض أولئك أحوالهم، لكنني لا أعلم أن عندك مقيمين قد أخطأت بحقهم بأية طريقة. من أجل ذلك، خذ ما تملك مرة أخرى، ولن أنتزع منك اليوم أي مقدار ولو كان فارذنعًا. تعال معي، سأقودك إلى خارج الغابة لتنضمَّ إلى مجموعتك الخاصة مجددًا.

ثم -وقد علّق الكيس على كتفه- استدار مبتعدًا، والعمدة يتبعه مضطرب البال والأفكار ولا يتكلّم. تقدما على دربهما، حتى كانا عند مسافة ثمن الميل عن موضع رفاق العمدة الذين ينتظرونه. سلّم روبن هود كيس الفضيات إلى العمدة، وقال:

- خذ ملكك مجددًا، واستمع لي أيها العمدة الطيب، وخذها نصيحة معك: اختبر خدمك جيدًا، قبل أن تشرّكهم في عملك بسهولة كبيرة مرة أخرى.

ثم استدار وتركه واقفًا متبلبل الوجدان والكيس في يده! أُصيب أصحاب العمدة كلهم بالدهشة والعجب من رؤيته! وهو يخرج من الغابة يحمل على كتفيه كيسًا ثقيلًا! ومع أنهم استفهموا منه عن الأمر فإنه لم يقل كلمة، وكان يتصرّف مثل امرئ يسير في نومه حالماً! بلا أية كلمة، ثبت الكيس على ظهر جواده، وامتنطى صهوته ومضى مبتعدًا وقد تبعه الآخرون. طول الوقت كانت تعصف في رأسه دوامةٌ صاخبة عظيمة من الأفكار، تتقلّب إحداها فوق الأخرى. وهكذا تنتهي حكاية الصغير جون وكيف دخل في خدمة العمدة.

(38) (Canary) نوع من النبيذ من جزر الكناري أو الأراضي الإسبانية، وهو الساك نفسه.

(39) (Lent) (Lenten time) هي مدة تحضيرية بستة أسابيع ونصف قبل عيد الفصح،
وتشمل الصوم ٤٠ يومًا.

الصغير جون والدبّاغ من بلايت



في أحد الأيام الجميلة، ولم يمضِ إلا وقت قصير بعد ترك الصغير جون الالتزامَ بالعمل عند العمدة، ورجوعه -مع طبّاخ سيادته- إلى الغابة الخضراء السعيدة، بنحو ما سُرد آنفًا، كان روبن هود وبعض رفاقه المقربين مستلقين على مساحة العشب القصير، تحت شجرة الغابة الخضراء حيث يقطنون. كان ذلك النهار دافئًا ومثيرًا محفّزًا! وأكثر أفراد العصابة يتمشّون خلال الغابة لقضاء هذه المهمة أو تلك، أما أفراد هذه المجموعة القليلة، فقد جلسوا بكسل مستظّلين بظل دوحة الشجرة في تلك الظهيرة الرائقة، يتبادلون بينهم إلقاء المزحات وسرد الحكايات المرححة مع الضحك والطرب!

كان الجو كله محمّلًا بالشذى النفاذ من آيار، وكل الظلال الشجرية الملتفة من أراضي الغابات الممتدة رددت الغناء الناعم من الطيور: ذكر السماني، والوقواق، ويمامة الغابة، ومع أغنية الطيور امتزج الصوت اللطيف من خرير الغدير، الذي ينبع منبثقًا من ظلال الغابة، ويجري ملتويًا مثارًا بين أحجارها الرمادية الصلبة، عبر المساحة المفتوحة المشمسة أمام الشجرة الحالمة. وكان منظر عشرة من اليومنين الأشداء الطوال -كلهم بخضرة لنكولن - جميلًا رائعًا، وهم يستلقون تحت أغصان السنديانة العظيمة الممتدة بسعة، بين الأوراق المتراقصة التي يرتعش خلالها شعاع الشمس، ويسقط ببقع متماوجة على العشب. لقد

مضت الأيام الطيبة الخوالي التي ينمو فيها مثل هذه الرجال ذلك الحين، حينما تصلّب الهراوة(40) المتينة والقوس الطويل عضلات الرجل حتى تصير مثل الجلد المدبوغ. في ذلك اليوم، اضطلع هنالك حول روبن هود زهرة من خيرة اليومنية الإنجليزية، هنا الهائل الصغير جون، بأطرافه شديدة الأسر مثل السنديانة العتيدة، ورغم ذلك، فإن بعضها قد رقّ من عيش الرخاء في مسكن العمدة في مدينة نوتنغهام، وهنالك ويل ستوتلي، بوجهه البني مثل التوت من الشمس والريح، ولكن -برغم ذلك كله - هو أبهى يومن في وسط البلاد، باستثناء آلن أديل المغني الجوّال، وهو من سوف تسمعون عنه من قريب. وإلى جانب هؤلاء: كان ويل سكاتلوك ضامراً مثل كلب سلوقي رمادي، لكنه سريع القدمين مثل غزال بعمر ثلاث سنوات، والفتى ديفيد دونكاستر بأطرافه العظيمة التي يقلّ حجمها قليلاً عن تلك التي لدى الصغير جون، واللحية الرقيقة للشباب المبكر التي نمت لتوها على ذقنه، وآخرون من أهل الشهرة بعيديون وقريبون. فجأة ضرب روبن على ركبته:

- بحق القديس دونستان! لقد نسيثُ من قريب أن يوم الدفع الربعي قد حلّ مسرعاً، وليس من ملبس خضرة لنكولن في كل مخزوننا، فيجب أن يُدبّر وفي زمن سريع. تعال! تنشّط أيها الصغير جون، حرّك عظامك الخاملة، إذ يجب أن تذهب مباشرة إلى رفيقنا البزاز تاجر الأجواخ الطيب هوغ لونغشانكز من أنكاستر، واطلب منه أن يرسل إلينا مباشرة أربع مئة ياردة من قماش لنكولن الأخضر، ولعلّ هذه الرحلة تزيل بعض الشحوم عن عظامك! تلك التي تراكمت بسبب حياتك الكسولة عند عمدتنا العزيز!

همهم الصغير جون، إذ كان قد سمع كلاماً كثيراً على هذا الأمر، حتى صار متألماً حساساً عند هذه النقطة:

- كلا! كلا! حقاً قد أكون جعلتُ مزيداً من اللحم على مفاصلي أكثر مما صار لي قط، لكن -وبوجود اللحم أو عدم وجوده- أنا لا أشكّ في أنني ما أزال أتمكّن في أي وقت من الرسوخ في موضعي، والثبات بخطواتي على قنطرة ضيقة، لمواجهة أحد اليومنين في

شيروود أو مقاطعة نوتنغهام! -وبالنسبة إلى ذلك- حتى لو لم يكن على عظامه شحم متراكم أكثر مما لديك زعيمي الطيب!

عند جوابه هذا علت ضحكة صاخبة! فنظر الكل إلى روبن هود، إذ كان كل رجل يدري أن الصغير جون، قد ذكر المشهد القتالي الذي حدث بينه وبين زعيمهم، ذلك الذي تعارفا بسببه أول مرة. قال روبن هود وهو يضحك أعلى من الجميع:

- كلا، أعوذ بالله أن أرتاب فيك! لأنني أحرص على أن لا أتذوّق هراوتك بنفسي أيها الصغير جون. أنا أحتاج شخصياً أن يكون هناك في رفاقي من يتعامل بعضاً الأقدام السبعة بمهارة وبراعة أكثر مني، ولكن لا رجل في مقاطعة نوتنغهام كله يمكن أن يرمي سهم الإوزة الرمادية بمثل أصابعي! وبغض النظر عن هذا، فلعل رحلة إلى أنكاستر لن تصيبك بسوء، إذن امضِ حسبما وجّهتك، والأفضل أن تنطلق في هذا المساء بالتحديد، لأنك أقمّت طويلاً عند العمدة وكثيرون يميّزون وجهك، فإنك إن ذهبتَ خلال النهار فقد تورّطت نفسك بمشكلات بمواجهة حراس العمدة. البث هنا، حتى أجلب إليك مالا لتدفع إلى صاحبنا هوغ الطيب. أنا أعتقد أن ليس عنده زبائن أفضل منا في إقليم نوتنغهام كله.

أتمّ قوله، ومضى داخلاً في الغابة. غير بعيد عن شجرة لقاء الأحبة كانت هناك صخرة عظيمة حُفرت فيها حجرة، وكان المدخل مغلقاً بباب متين من خشب السنديان، تخين بعرض راحتين ومبرّز بالنتوءات، ومقفل بقفل كبير. كانت تلك خزينة العصاة، وإلى هناك توجه روبن هود، ففتح الباب ودخل إلى الحجرة وأخذ منها كيساً من الذهب، سلّمه للصغير جون ليدفعه إلى هوغ لونغشانكز ثمناً لألبسة خضرة لنكولن. فنهض الصغير جون وتسلم كيس الذهب، وأقحمه في صديريته ولفّ نطاقه حول رداءه، وتناول بيده عصاه المتينة ذات السبعة أقدام، وانطلق على مسار رحلته...

سار وهو يصفر على طول درب الغابة المورق الذي يقود نحو طريق فوس، ولم يستدر إلى اليمين أو الشمال، حتى وصل في النهاية إلى حيث يتفرّع الدرب: أحدهما يؤدّي نحو طريق فوس، والآخر -وكان الصغير جون يعلم ذلك- نحو حانة الخنزير الأزرق. هنا، أحجم

الصغير جون فجأة! وكف عن الصغير وتوقف على وسط الدرب. تطلع أولاً نحو الأعلى ثم الأسفل، ثم أمال قبعته فوق إحدى عينيه، وحكّ ببطء قفا رأسه! إذ كان الأمر في باله: عندما كان منظر تفرع الدرب شاخصاً أمامه علا صوتان في داخله، أولهما كان يصيح: هنالك الطريق الذي يوصل إلى حانة الخنزير الأزرق، كأس من أكتوبر البني! وليلة بهيجة مع رفقاء لطفاء ربما تجدهم هنالك، والصوت الآخر: ذلك هو الطريق الذي يؤدي نحو أنكاستر والواجب الذي أرسلتُ لتنفيذه. والآن، كان أول الصوتين هو الأعلى، لأن الصغير جون رعى مَيلاً ماضيًا لعيش الدعة خلال إقامته الدائمة في مسكن العمدة، فقام بالنظر إلى الأعلى نحو السماء الزرقاء، عبر الغيوم الناصعة التي كانت تبهر مثل القوارب الفضية، وطيور السنونو تحلق بسرعة وخفة في طيران ملتف، وقال: أخشى على نفسي أن تمطر هذا المساء، لذا فإنني سأتوقف عند الخنزير الأزرق حتى تمرّ وتنتهي، لأنني أعلم أن قائدي ما كان ليدع جلدي يبتل! وهكذا، بلا مزيد من العسر والضجيج، سار على فرع الدرب المتّجه نحو رغباته! والآن، لم تكن هنالك أية علامة على اضطراب الجو، لكن حينما يشاء المرء أن ينجز أمرًا ما -كما فعل الصغير جون- فلن يستحيل عليه أن يجد سببًا ومسوّغًا لذلك الفعل.

في حانة الخنزير الأزرق، كان هنالك أربعة من السكارى الظرفاء: قصاب، ومتسول، وراهبان عاريا الأقدام! ولقد سمعهم الصغير جون من بعيد يغنون، خلال سيره في سكون الغسق النشوان الذي كان يهبط فوق التل والوادي. كانوا في قمة السرور للترحيب بمثل هذا الرفيق الطروب الصغير جون! قُدمت كؤوس من الجعة المنعشة، وبالئكات والأغنيات والحكايات الطريفة، انسلت الساعات مبتعدة على أجنحة سريعة... ولم يحتسب أحد مرور الوقت أو الفرصة المناسبة حتى انقضى شطر كبير من الليلة، وترك جون فكرة شروعه برحلته مجددًا خلال الليل، وبقي ماکثًا في حانة الخنزير الأزرق إلى الغد. وكان الأمر الآن في مظهر من سوء التدبير والحظ للضئيل جون، ذلك أنه ترك واجبه من أجل متعته، وقد دفع مقدارًا عظيمًا من أجل ذلك، وقد نكون كلنا عرضة للسلوك نفسه في ظرف مماثل،

وسوف ترون ذلك. استيقظ عند فجر اليوم التالي، وتناول رمحه القوي، وانطلق على مسار رحلته مرة أخرى، وكأنه يريد التعويض عن الوقت المهدور!

في مدينة بلايث الطيبة عاش دبّاغ قوي، احتفل بإنجازاته البطولية في ألعاب القوة ومباريات شديدة كثيرة من المصارعة ومهارة الهراوة. لمدة خمس سنين، كان يحوز حزام بطل وسط البلاد في المصارعة، حتى تمكّن الكبير آدم من لنكولن من أن يقذفه في الحلبة ويهشّم أحد أضلاعه! لكنه لم يلاقِ حتى الآن نظيره في القتال بالرمح في كل ما حوله من البلد. وإلى جانب ذلك كله، كان يهوى الرمي بالقوس الطويل، وكان مغرمًا بالرحلات القصيرة الماكرة في الغابة، عندما يكون القمر بدرًا والظباء الكميته في موسمها، لذا فإن حراس الملك الجوالون كانوا يُبقون على أعينهم مفتوحة لمراقبته ومتابعة أفعاله، فلقد كان منزل آرثر أبلاند مبيلاً لأن توجد فيه وفرة من اللحم أكثر مما يسمح به القانون.

كان آرثر متوجّهًا إلى مدينة نوتنغهام في اليوم السابق على انطلاق الصغير جون في مهمته، كان قاصدًا إلى هنالك لبيع عشرة من جلود البقر المدبوغة. وعند فجر اليوم نفسه الذي غادر فيه الصغير جون الحانة، انطلق من نوتنغهام متجهًا نحو بيته في بلايث. ومرّ طريقه -كله في الضحى المضمخ بالندى- على حافة غابة شيروود، حيث كانت الطيور ترحب باليوم الرائع باحتفال بهيج عظيم! وعلى كتفيه علّق الدبّاغ رمحه القوي قريبًا جدًا ليتناوله من فوره، وعلى رأسه قبعة من جلد البقر المضاعف القاسي، حتى أن مدية عريضة لا تشقه إلا بصعوبة! قال آرثر أبلاند لنفسه، عندما أتى على الموضع من الطريق الذي يقطع زاوية من الغابة: والآن، لا شك في أن في هذا الوقت من العام تأتي الأيائل الكميته من أعماق الغابة، قريبًا من أراضي المرج المفتوحة. لعلي أحظى بفرصة لرؤية محبوباتي البنيّات الجميلات في مثل هذا الضحى المبكر. ولم يكن أمرًا أحبّ إلى قلبه من مشاهدة قطع أيائل يتهادى في سيره ووثباته، حتى عندما لا يتمكّن من مسّ أضلاعها بسهم الكلوثيرارد. استنادًا إلى هذا، انحرف عن الطريق وأخذ يتلصص هنا وهناك خلال الأجمات، ويتحسّس ما حوله بكل ما عند سيد الغابات من حيل ودهاء! ومن امرئ قد ارتدى رداء خضرة لنكولن غير مرة.

وعندما كان الصغير جون يمشي بسرور على طول الطريق، لا يفكر في شي إلا بلطافة براعم الزعرور البري وهي تزخرف الأسيجة، أو يتطلع إلى القبرة التي تنبثق من العشب الندي، وتحلق على أجنحة مرفرفة عاليًا في نور الشمس الأصفر، وتسكب أغنيتها التي تهبط مثل نجمة نازلة من السماء، قاده حظه بعيدًا عن الطريق العام، غير بعيد عن موضع آرثر أبلاند، الذي كان يتربص بذلك الطريق أو ذاك متنصتًا خلال أوراق الأجمات. توقف جون بعد أن سمع حفيف الأغصان، فلحظ وجود غطاء رأس من جلد البقر البني، على رأس دباغ يتحرك بين كثافة الأجمات، قال الصغير جون لنفسه: إنني لأعجب وأتساءل: ما الذي يسعى وراءه ذلك الرجل المحتال، حتى يجعله يتربص ويتربص ما حوله؟ لا ريب في أن هذا الحقيير ليس أفضل من لص، وقد جاء هنا سعيًا وراء الطبي الكميّ الذي يعود لملكنا الطيب. إذ أن تجوال الصغير جون في الغابة كثيرًا جعله ينظر إلى كل الأيائل في شيروود، بقدر ما تعود إلى روبن هود وعصابته فإنها تعود إلى الملك هنري الطيب، فقال جون من جديد بعد مدة:

- كلا! يجب النظر في هذا الشأن.

فقام بالانحراف عن الطريق وولج في الأجمات، وبدأ يتجسس من حوله متتبعًا آرثر أبلاند الجريء. ولوقت طويل استمرا كلاهما بالتجوال: الصغير جون يتربص بالدباغ، والدباغ يتربص بالأيائل! ثم فجأة داس الصغير جون على غصن فأصدر صوت تهشم تحت قدمه، وعندئذ سمع الدباغ الصوت فالتفت بسرعة ولمح وجوده. لكن الأخير عندما رأى أن الدباغ اكتشف حضوره، قام بارتداء ملامح وجه جسور تجاه الأمر! وقال:

- هالو! ما الذي تفعله هنا أيها الرجل المشاغب؟ كيف لك أن تأتي وتتجول على دروب شيروود؟ بكل تأكيد لديك هياة شريرة، وأعتقد جازمًا بكل صدق، أنك لست سوى لص جئت تسعى خلف أيائل ملكنا الطيب.

فأجاب الدباغ بجرأة، إذ مع أن الدهشة استولت عليه، فإنه لم يكن رجلًا ترعبه الكلمات الكبيرة:

- كلا! أنت تكذب بفمك هذا. أنا لستُ سارقًا، بل حرفيًا شريفًا. أما بالنسبة إلى ملامحي فإنها هي هي، وفي هذا الشأن نفسه: ملامحك وهياتك ليست لطيفة أيضًا أيها الوقح!

صاح الصغير جون بصوت عظيم:

- ها! أترد عليّ بكلام فج؟ أرى أن أقرع هامتك بسبب خطابك. أيها الرجل أريد منك أن تعلم أنني قد كنتُ أحد جوالي غابة الملك.

وهنا همهم لنفسه، وقال: في الأقل، أنا وأصدقائي نعتني جيدًا بغزلان سيادته. أجاب الدباغ الجريء:

- لا يهمني من تكون! ولولا أن لديك كثيرًا ممن هم على شاكلتك، ما كنت لتجعل آرثر أبلاند يصرخ: (الرحمة!).

صاح الصغير جون بغضب:

- أهكذا الأمر إذن؟! الآن بحق إيماني: أنت وغد بذيء، لقد أوقعك لسائك في هوة، سيصيبك أسف وحزن كبير لتخرج منها، لأنني سأوجه لك ضربات لم تنل مثلها في حياتك السابقة! تناول هراوتك أيها التافه فما كنت لأضرب رجلًا أعزل!

صاح الدباغ:

- يا للعجب! لتأت بالطاعون!

إذ قد تكلم بغضب شديد أيضًا، وقال:

- الكلمات الهائلة لا تقتل قدر فأرا! من أنت لكي تتكلم بحرية كبيرة عن تحطيم رأس آرثر أبلاند؟ إن لم أدبغ جلدك في هذا اليوم كما لم أدبغ جلد عجل في كل حياتي، فقسّم هراوتي إلى سفود للحم الضأن، وتوقف عن وصفي بالشجاع! والآن انتبه لنفسك أيها التافه!

- تريث! دعنا قبل كل شيء نقس هراواتنا. أنا على يقين أن هراوتي أطول من هراوتك، وأنا ما كنت لأستغل ذلك عليك ولو بمقدار بوصة واحدة.

- كلا! أنا لا أهتم للطول. عصاي طويلة بما يكفي لأطيح بفتى غر، فأقول لك مجددًا: عليك بما لديك أيها الرجل.

وهكذا، بلا مزيد من الضجة، أمسك كل واحد منهما عصاه من الوسط، واقتربا من بعض ببطء وعلى وجهيهما نظرات الغضب والشراسة!

والآن، وصلت الأنباء إلى روبن هود عن تصرف الصغير جون، الذي -بدلاً من إنجاز ما أمر به- فإنه مرّ بالمهمة من أجل متعته، ولهذا، أمضى ليلة مع رفاق مرحين عند حانة الخنزير الأزرق، بدلاً من الذهاب مباشرة إلى أنكاستر. لذلك، تعكّر قلبه وانطلق عند الفجر ليبحث عن الصغير جون في حانة الخنزير الأزرق، أو في الأقل، ليلاقي الرجل القوي على الطريق، ويطمئن قلبه ويريحه مما أصابه من أفكار حول الأمر! وهكذا توجه ساخطًا، ومعدها الكلمات التي سوف يتفوه بها لتوبيخ الصغير جون! ثم سمع فجأة أصواتًا عالية غاضبة! وكأنها تصدر عن احتدام غضب رجال يتقاذفون عبارات التهديد والوعيد بينهم! عند ذلك، توقف روبن هود وأصغى، ثم قال لنفسه: إنه صوت الصغير جون بكل تأكيد، وهو يتكلم بانفعال أيضًا! بينما يبدو لي الصوت الآخر غريبًا على أذني. والآن لا سمح الله أن يكون ثقتي الطيب الصغير جون واقفًا بين أيدي جوالي الملك. عليّ أن أرى الأمر وذلك من فوري! وعندما كان يكلم نفسه، تلاشى غضبه بعيدًا وكأنه نسمة هواء عبر النافذة، ذلك بتأثير فكرة أن ربما يكون ذراعه اليمنى الثقة واقفًا في خطر ما يهدّد حياته! لذلك شقّ طريقه بحذر واحتراس بين الأجمات المتراسة إلى حيث مصدر الأصوات، وأزاح الأوراق جانبًا واختلس النظر إلى داخل الفسحة المفتوحة الصغيرة، هنالك، حيث يوجد الرجلان وهما يتقدّمان ببطء باتجاه متقابل، وكل منهما يحمل هراوته بيده. وقال يحدث نفسه: ها! ها هنا مباراة طريفة على وشك البدء! والآن، سوف أمنح ثلاثة أنجالات ذهبية من جيبي الخاص، إذا استطاع ذلك الرجل القوي أن يضرب الصغير جون ضربًا مبرحًا! إنه ليسرني أن أراه مهزومًا

هزيمة نكراء بسبب إخفاقه في مهمتي. مع ذلك، أخشى أن تكون هنالك فرصة ضئيلة لرؤيتي مشهدًا سارًا. بعدئذ، مدّ جسمه بطوله على الأرض، لا لكي يرى المباراة بشكل أفضل فقط، بل ليستمتع بمشاهدتها وهو في كامل ارتياحه! ولعلكم رأيتم مشهد كلبين يقفان على القتال، يدور كل واحد منها حول الآخر ببطء، ولا أي كلب عدواني راغب بالبدء بالاشتباك. وهكذا كان هذان الشديدان يتحرّكان ببطء ويدوران، كل طرف يترقّب فرصة سانحة من غفلة الآخر ليسدّد الضربة الأولى. أخيرًا، باغته الصغير جون بضربة كالوميض الخاطف، لها صوت: راب! لكن الدباغ واجه الضربة وحيدًا جانبا، وردّ عليه بضربة تحاشاها الصغير جون أيضًا، وبهذا، نشب العراك. ثم ناورا بالضربات وهما يتحرّكان نحو الأعلى والأسفل والأمام والخلف، تتوالى الضربات شديدة وسريعة، حتى أن أي امرئ -على مسافة بعيدة- قد يظنّ أن ما يحصل هو قتال بين عشرة من الرجال! وعلى هذا النحو تقاطلا قريبًا من نصف ساعة، حتى حرثت كعوب أقدامهما الأرض، وصارت أنفاسهما مجهدّة مرهقة مثل ثور ينوء تحت نير المحراث. لكن معاناة الصغير جون كانت أعظم، إذ قد أمسى أقلّ براعة بجهد القتال بالعصا، ولم تكن مفاصله رشيقة ومرنة كما كان قبل أن يقيم عند العمدة. خلال ذلك الوقت كله، كان روبن هود مستلقيًا تحت الأجمة مستمتعًا بمثل هذه المباراة البهيجة بالهراوات، وقال لنفسه: بحق إيماني! ما ظننتُ في حياتي كلها قط أنني سأرى الصغير جون متعادلاً بقوة، ربما كان له أن يهزم غريمه ذاك لو كان في وضعه السابق.

عند النهاية، رأى الصغير جون أنه حظي بفرصة فقام -مستجمعًا كل الطاقة التي شعر بها تسري منه، في ضربة واحدة كانت لتقضم ظهرَ ثور- بضرب الدباغ بصورة قوية هائلة. والآن، لو لم تكن قبعة الدباغ من جلد البقر داعمة ومنجزة لدورها بصورة جيدة، لصار من دونها لا يمسك بيده هراوة مرة أخرى. وفي هذا الموقف، كانت الضربة التي نالها على جانب رأسه عنيفة جدًّا، فطوّحت به مترنحًا عبر المساحة الخالية الصغيرة، وهكذا، لو كانت للصغير جون القوة الكافية لانتهاز الفرصة، لكان الأمر سيئًا فظيغًا على الشديد آرثر. لكن الأخير استجمع نفسه بسرعة، وعلى مسافة ذراع ردّ الضربة على الصغير جون، وفي هذه المرة حققت الضربة هدفها، إذ تهاوى جون بطوله، وانفلتت العصا من يده عند

سقوطه! ثم رفع آرثر القوي عصاه مرة أخرى وعاجله بضربة جديدة على أضلعه، فصرخ الصغير جون:

- توقف! هل ستنهال بالضرب على رجل ساقط؟

- أجل، ها! أنا أفعل ذلك.

ووجه إليه ضربة أخرى! صاح الصغير جون:

- كف عن ذلك! النجدة! توقف أقول لك. أنا أتنازل، أنا أستسلم، أقول لك أيها الرجل الطيب.

سأله الدباغ بعبوس وتجهّم وهو يرفع الهراوة عاليًا:

- هل اكتفيت؟

- نعم! ها! بل أكثر من كافٍ.

- وتعترف أنني أفضل رجل بين الاثنين؟

- أجل، حقًا! ليصبك الطاعون!

قال ذلك جون الصغير بجعل الجزء الأول من عبارته مسموعًا، والأخير لم يتجاوز لحينته!

- إذن، عليك أن تمضي في سبيلك، وتشكر قديسك الحارس على أنني رجل رحيم!

قال الصغير جون وهو ينهض ويتحسّس أضلعه حيث سدّد إليه الضربة:

- طاعون مثل رحمتك! أقسم أنني أشعر بأن كل ضلع من أضلاعي قد انكسر إلى اثنين.

أخبرك أيها الرفيق الصالح: كنتُ أعتقد بعدم وجود رجل في كل مقاطعة نوتنغهام، يمكنه

أن يفعل أمامي ما فعلته أنت اليوم.

صاح روبن هود وهو يطلّ من الأجمة ضاحكًا، حتى دمعت عيناه على خديه:

- وأنا اعتقدتُ ذلك أيضًا!

ثم قال وقد استبدّ به الطرب:

- يا رجل! يا رجل! سقطت مثل زجاجة واقعة عن الجدار. لقد شهدت المباراة السارة كلها، وما كنت أعتقد أنني أراك تخضع بنفسك كليًا لأي رجل في إنجلترا عامة. كنتُ أبحث عنك لأؤنّبك على تركك تكليفي غير منجز، لكنك قد دفعت كل ما تدين به وافيًا! مغلوبًا على أمرك ومكرهاً من هذا الرجل الطيب. يا للعجب! لقد وصلتُ إلى هنا وهو قريب من مسافة ذراعه الكاملة، بينما وقفت أنت تحدّق إليه، وقد قام بضربة جميلة، جعلتك تتعثر وتتقلب كما لم أر شخصًا يحصل على ذلك من قبل!

هكذا تكلم الجريء روبن هود، وخلال الوقت كله كان الصغير جون جاثمًا على الأرض، ويتطلّع كمن في فمه لبن حامض! (41) ثم التفت نحو الدباغ:

- ما اسمك أيها الرفيق الطيب؟

فتكلم الدباغ بإقدام:

- الرجال يدعونني بكل تأكيد: آرثر أبلاند. والآن، ماذا قد يكون اسمك؟

- ها! آرثر أبلاند! لقد سمعتُ باسمك من قبل، أيها الطيب. أنت قد كسرت رأس أحد أصدقائي في مهرجان ألي تشرين الثاني الماضي. كان الناس يدعونه هنالك جوك نوتنغهام، ونحن ندعوه ويل سكاتلوك. أما هذا الرجل البائس الذي قد هاجمته، فهو معدود في ضمن أفضل الأيدي الماهرة باللعب بالهرواة في كل إنجلترا السعيدة، واسمه الصغير جون، وأنا اسمي روبن هود.

صاح الدباغ:

- كيف! هل أنت العظيم روبن هود حقًا، وهذا هو الشهير الصغير جون؟ يا للدهشة! لو كنتُ أدري من أنت لما تجرأتُ بأن أرفع يدي ضدك! دعني أساعدك لتقف على قدميك سيدي الطيب الصغير جون، ودعني أيضًا أنفض التراب عن معطفك.

قال الصغير جون بنكد وهو ينهض بحذر، وكان عظامه مصنوعة من زجاج:

- كلا! أستطيع مساعدة نفسي بلا عون أيها الصالح، ولأخبرك: لولا ذلك الغطاء التافه من جلد البقر لانقلب الأمر وبالأعلى عليك هذا اليوم.

ضحك روبن من جديد، والتفت نحو الدباغ:

- يا آرثر الطيب، هل لك أن تنتمي إلى فرقتي؟ لأنني أقسم أنك من أشد الرجال الذين وقعت عيناك عليهم.

صاح الدباغ بجذل:

- هل سأكون في عصبتك! أجل، يا لدهشتي! هل سيكون ذلك! مرحى للحياة السعيدة!

وأخذ يقفز عاليًا ويفرقع أصابعه! واستمر:

- وطوبى للحياة السعيدة! سحقًا للحاء الدباغة، والبراميل القذرة، وجلود البقر الكريهة! سأتبعك حتى حافات العالم أيها الزعيم الطيب، وما من قطيع من الضباء في كل الغابة إلا وسوف يعرف صوت رنين وتر قوسي.

قال روبن ضاحكًا وهو يستدير نحو الصغير جون:

- أما أنت أيها الصغير جون، فإنك ستنتقل مرة أخرى نحو أنكاستر، وسوف نمضي بطريقتين موازيين معك، لأنني لن أسمح لك بأن تنحرف يمينًا أو شمالًا حتى تبتعد جيدًا عن شيروود. هنالك حانات أخرى ما زلت تعرفها في هذه الأنحاء.

بهذا، تركوا الأجمات وانطلقوا نحو الطريق العام ومضوا لإنجاز أمورهم.

(40) (Quarterstaff) عصا بطول ٦-٨ أقدام، لها طرف من الحديد تستعمل كأحد أنواع الأسلحة.

(41) ضجرًا وممتعضًا.

روبين هود وويل سكارلت

وهكذا، سافروا على طول الدرب المشمس: ثلاثة رفاق أشداء، من النادر أن تصادف مثلهم في أي مكان آخر في كل إنجلترا السعيدة. توقّف كثيرون للتحديق إليهم وهم يسيرون منطلقين، أكتافهم عريضة وخطوهم ثابت قوي. خاطب روبن هود الصغير جون:

- لماذا في الأمس لم تمض مباشرة نحو أنكاستر كما أردت منك؟ لو أنك لم تورط نفسك بمثل تلك المشكلة لكنت قد أنجزت الأمر كما أمرتك.

فأجاب بنبرة كآبة وتجهّم! إذ كان متكدّراً بسبب ما بدر من سخرية روبن وتندرته على ما حصل له:

- لقد خشيتُ أن يدهمني المطر الذي أنذر بالهطول!

صاح روبن وهو يتوقّف فجأة في وسط الطريق، ويحدّق بالصغير جون بدهشة:

- المطر! ماذا! أيها الأحمق الكبير! لم تنزل قطرة مطر واحدة خلال هذه الأيام الثلاثة! ولم يتعكّر الجو، ولم تكن هنالك أية علامة على الطقس السيئ، لا على الأرض ولا في السماء ولا البحر!

دمدم الصغير جون:

- ومع ذلك! القديس الطاهر سويذن يقبض على المياه في السماوات بوعائه النحاسي، وكان يمكنه أن يصبّها -إذا شاء- حتى لو كان ذلك من سماء صافية، فهل كنت تريدني أن أبتلّ؟

عند هذا اندلع روبن هود بضحكة مجلجلة:

- أيها الصغير جون! يا لها من خيالات ظريفة لديك في مخك ذاك! من يمكنه أن يغضب على امرئ مثلك؟

وبعد ذلك، انحرفوا كلهم مرة أخرى، مبتدئين بالقدم اليمنى، عملاً بالقول المأثور. بعد قطعهم بعض المسافة... صار النهار دافئًا والطريق مغبرًا، فشعر روبن هود بوطأة العطش. كان هناك ينبوع من الماء البارد كالثلج، خلف السياج الشجري مباشرة، فعبروا العتبة وجاؤوا إلى حيث يفور الماء من تحت صخرة طحلبية. هنا، انحنوا على ركبهم، وشكّلوا براحتهم مثل الأكواب وشربوا حتى ارتنوا، ثم صار الموضع لطيفًا وظليًا، فمدّوا أطرافهم وأراحوها لمدة من الزمن.

أمامهم، خلف الحاجز الشجري امتدّ الطريق الترابي بعيدًا عبر السهل، وخلفهم أراضي المروج، وحقول خضر برّاقة من الذرة اليانعة تمتد شاسعة في الشمس، وفوق رؤوسهم ظلال رحبة من حفيف أوراق شجر الزان. بلطفٍ، وصل إلى أنوفهم شذا أزهار البنفسج الأرجوانية، والزعتر البري الذي ينمو عند الحافة الندية من ينبوع الصغير، وكذلك سمعوا خريير الماء الرقراق برقةٍ وهدوء. كل شيء كان رائعًا جميلًا ومترعًا بالبهجة والنعومة من أيام آيار النّوّارة، حتى لم يبالِ أي من الثلاثة بالكلام، بل استلقى كل واحد على ظهره، محدّقًا بالأعلى خلال أوراق الأشجار المتراقصة نحو السماء المشرقة فوق رؤوسهم. أخيرًا، قام روبن -الذي لم تكن أفكاره مشغولة تمامًا بالاستسلام للأحلام والأوهام مثل البقية، والذي كان يحدق حوله بين الحين والآخر- بكسر الصمت والهدوء! فقال:

- مرحى! هنالك طائر مريّش مبتهج، أقسم على ذلك!

نظر الآخرون فرأوا ثمة رجلًا سائرًا ببطء على الطريق العام. كان بهيجًا بالفعل كما قال روبن، وقد كان في هيئة حسنة، إذ كانت صديريته من الحرير القرمزي وكذلك جورباه، وعلى جانبه تدلى سيف جميل، له غمد جلدي مزخرف ومطعم بخيوط الذهب الرائعة، وكانت قبعته من المخمل الأرجواني، وريشة عريضة معلقة خلف إحدى أذنيه. كان شعره

أصفر طويلاً ومجعّداً على كتفيه، ويحمل بيده زهرة مبكرة يشمّها بين الحين والآخر
باعتناء. قال روبن هود ضاحكاً:

- بحق حياتي! أرايتم مثل هذا الرفيق الجميل الأنيق قط؟

قال آرثر أبلاند:

- حقاً، إن لملابسه جمالاً مبالغاً فيه بالنسبة إلى ذوقي، ولكن بغض النظر عن ذلك، لديه
أكتاف عريضة وحوض ضيق، ألا ترى أيها الزعيم الطيب كيف تتدلى ذراعاها من بدنه؟ إنها
لا تتدلى مثل أذرع، بل إنها متينة صلبة ومنحنية عن المفركين. أقسم أنه لا توجد أطراف
خبز وحليب في تلك الملابس الحسنة، بل مفاصل قوية وعضلات شديدة.

قال الصغير جون:

- أعتقد أنك على صواب يا صديقي آرثر. أنا أعتقد بلا ريب، أن من هنالك ليس أنيقاً مثل
ورقة وردة وقشدة مخفوقة بنحو ما قد يظنّ المرء به.

قال روبن هود:

- عجباً! إن منظر مثل هذا الرجل يثير طعمًا مقززًا في فمي! انظروا إليه كيف يمسك تلك
الوردة الجميلة بين إبهامه وإصبعه، وكأنه يقول: **أيتها الوردة الطيبة، أنا لا أريد بكِ سوءاً
كبيراً جداً، لكنني أتمكن من تحمل شذاك لوقت قصير.** أرى أنكما كلاكما على خطأ، فبكل
تأكيد هنالك فأرة غاضبة تجري على دربه، وسوف يصرخ: (ها!) أو يصرخ: (يا للعجب! ما
هذا اليوم!) وسيقع مباشرة في إغماءة! أتساءل من يكون؟



أجاب الصغير جون:

- لا أشك في أنه أحد أبناء البارونات الكبار، مع مقدار من أموال الرجال الحقيقية الطيبة تبطن كيسه.

قال روبن:

- أجل! يا للعجب! هذا حقيقي ولا ريب في ذلك. يا للأسف على مثل هذا النوع من الرجال الذين لا يشغلهم شيء إلا الخروج بملابس الرخاء والرجال المتنعمين- يكون لديهم أصحاب طيبون- الذين هم غير مؤهلين لربط أحذيتهم- يثبون عند أوامرهم. بحق القديس دونستان، والقديس ألفرد، والقديس وذهولد، وكل الرجال الأخيار في التقويم الساكسوني، إنه ليصيبني بالجنون أن أرى هؤلاء الموالى المتنعمين من وراء البحار، يدوسون على رقاب الساكسونيين الصالحين الذين يملكون هذه الأرض، قبل أن يمضغ أجدادهم شريحة من لحم الخنزير قط! بحق قوس السماء، إنني سأستولي على مكاسبهم غير المشروعة منهم، حتى لو اقتضى الأمر أن أعلق على أعلى شجرة في شيرود أبدأ!!

قال الصغير جون:

- ها! وكيف الآن! أيها الزعيم. أية نزوة وأي غضب هذا؟ أنت تضع قدرك للغليان وربما لا لحم لتطبخ! أعتقد أن شعر ذلك الرجل براق جدًا بالنسبة إلى شعر نورماندي. ربما يكون رجلاً طيباً، وحقاً لا شيء فيه مما تعرف.

- كلا! أراهن برأسي ضد الفارذنج الرصاصي: إنه كما قلت. متى رأيت متبخرًا ساكسونيًا على هذا المنوال قط، وكأنه يخشى من تلوث أطراف حذائه بالطين؟ في الأقل، سوف أتقدم نحوه وأعرضه، وأرى إذا كانت محفظته خالية من الأموال الحرام. فإن كنت مخطئًا بشأنه، فلعله يمضي على مسار رحلته من دون خسارة ولو مقدار غروت(42). ولكن إذا كنت مصيبًا فسوف أنتفه تمامًا مثل إوزة يُنتزع ريشها الحي في منتصف الصيف! أيها الصغير جون، تزعم أنه رجل راسخ، البث هنا وراقب، حتى أريك كيف تجعل حياة أرض الغابات الرجل قاسيًا وخشناً مثل حياة النعيم -التي كنت فيها أخيرًا - التي تطيح به. لذلك، أقول ابقيا هنا مستلقين حتى أريكما كيف أضرب هذا الشخص.

ثم نهض يخطو متقدمًا من ظل شجرة الزان، واجتاز كتف الطريق، ووقف -بينما يداه على وركيه- في وسط درب الغريب. في تلك الأثناء، كان الغريب على وضعه نفسه، فهو ما يزال يسير ببطء شديد، حتى أن كل هذه المحاورة قد قيلت قبل أن يصل إلى الموضع الذي كانوا فيه، لم يسرع الخطو، ولا بدا أنه لحظ رجلاً مثل روبن هود كان موجودًا في هذا العالم! وقف روبن في منتصف الطريق منتظرًا، ريثما يتقدم الماشي البطيء ويصل وهو يستنشق وردته، وهو ينظر في هذا الاتجاه وذاك في كل مكان باستثناء موضع روبن! وأخيرًا عندما اقترب جدًا، صاح روبن:

- توقف! توقف! قف حيث أنت!

قال الغريب بصوت ناعم ورقيق:

- ولأي سبب يجب أن أقف أيها الرجل الطيب؟ لا يهم، ما دمت راغبًا بأن أتوقف فإنني سأفعل ذلك لوقت قصير، فلعلني أسمع ما لديك لتقوله لي.

- إذن، كما تصرفت باعتدال كبير بنحو ما أخبرتك، وخاطبتني بكلام لطيف، فإنني أيضًا سوف أعاملك بكل ما تستحق من كياسة. أريد لك أن تعرف أيها الصديق الطيب، أنني -إن صح التعبير - متعبّد في ضريح القديس ولفريد، الذي -وربما تعلم ذلك - أخذ طوعًا أو كرهًا كل الذهب من الوثنيين، وأذابه في شكل شمعدانات. ولهذا السبب، -نظرًا إلى مثل ما يأتي في هذه الأنحاء - أنا أفرض ضريبة أستعملها لغرض أفضل -بنحو ما أمل - من صناعة شمعدانات بها. لذلك، أيها الشخص اللطيف، أريد منك أن تسلّم لي كيس نقودك لأرى ما فيه، وأحكم بأفضل ما لديّ من قواي البسيطة، ما إذا كنتَ تملك ثروة أكثر ما يسمح به القانون. إذ كما يقول رجلنا الطيب غافير سوانثولد: **من كان سميئًا من العيش الطويل فيجب أن يفقد دمًا!**

خلال الوقت... كان الشاب يشمّ الوردة التي يمسكها بين إبهامه وإصبعه، ثم قال مع ابتسامة لطيفة بعد أن أتمّ روبن كلامه:

- لا! حقًا لقد أعجبني كلامك أيها الرفيق الطيب، وإذا صادف أنك لم تنه خطابك بعد فإنني ألتمس منك إنهائه، لدي بعض الوقت لأبقى!

- قلتُ كل ما لدي. والآن إذا أعطيتني كيس نقودك، فإنني سأدعك تمضي على طريقك بلا ضرب أو إعاقة حالما أرى ما يحتويه، ولن آخذ منك شيئًا إذا لم يكن لديك إلا القليل.

- وا أسفاه! إن هذا يحزنني كثيرًا! لأنني لا أتمكّن من فعل ما ترغب فيه. ليس لدي من شيء أعطيته لك، دعني أمض في طريقي أتوسل إليك، فأنا لم أفعل لك أي أذى.

- كلا! أنت لن تذهب حتى تريني كيس نقودك!

قال الآخر بتهذيب:

- أيها الصديق الطيب، لديّ عمل في مكان آخر، لقد منحتك وقتًا كثيرًا وسمعتك بصبر. أتضرّع إليك دعني أغادر في سلام.

قال روبن بصرامة:

- لقد أخبرتك يا صديقي، وأقول لك مرة أخرى: إنك لن تتحرّك بخطوة واحدة إلى الأمام حتى تفعل ما أمرتك به!

ثم قام برفع عصاه فوق رأسه بطريقة مهدّدة! قال الغريب بحزن:

- يا للأسى! فعلاً يحزنني أن لا بد من حصول هذا الأمر! أخشى كثيراً أنني يجب أن أقتلك أيها الرجل المسكين.

ثم امتشق سيفه.

- ضع سيفك جانباً! فأنا لن أفيد من ذلك، إن سيفك لن يصمد أمام هراوة من السنديان كالتي لديّ. يمكنني أن أكسره مثل قشة شعير. هنالك عصا جيدة من السنديان على جانب الطريق، خذها ودافع عن نفسك بعدل، إذا كان لديك مزاج لضرب جيد!

قبل كل شيء، تفحص الغريب روبن بعينه وقاس طوله وطول عصاه، ثم قال له:

- أنت على حق، أيها الرفيق الطيب. بالفعل، فإن سيفي لا يتطابق مع تلك الهراوة التي لديك، أمهلني قليلاً من الوقت حتى أعدّ عصا لنفسي.

ثم رمى جانباً الوردة التي كان يمسكها طول الوقت، وأعاد سيفه إلى غمده، وبخطو متعجّل أكثر مما كان فيه من قبل، توجه نحو جانب الطريق، حيث تنمو مجموعة صغيرة من شجيرات السنديان الأرضية التي تكلم عليها روبن. ولم يتأخر بالانتقاء منها، إذ وجد فيها شجيرة فتية تلبي رؤيته، لكنه لم يقطعها، بل شمّر عن ساعديه قليلاً، وانحنى عليها قابضاً بحزم، وثبت كعب قدمه على الأرض، وبسحبة قديرة واحدة انتزع الشجيرة كلها بجذورها من موضعها! ثم عاد وهو يقلّم بسيفه جذورها وجذعها اللين، ذلك بهدوء وثبات، كأنه يفعل أمراً لا يستحق أن يُذكر! خلال ذلك، كان الصغير جون والدباغ يراقبان ما حصل، لكن عندما

شاهدا ما فعل الغريب من انتزاع الشجيرة من الأرض، وسمعا إزالة الجذور وتمزيقها، زمّ الدباغ شفثيه وسحب بينهما نفسًا بصفير طويل! قال الصغير جون عندما تما لك نفسه واستردّ رشده:

- بحقّ روح بدني! هل رأيت ذلك يا آرثر؟ يا للهول! أظن أن زعيمنا سيثبت ولكن لن تكون فرصته إلا ضئيلة أمام هذا الشخص. بحق سيدتنا! لقد استلّ الشجرة الخضراء هنالك وكأنها سويق شعير!

ومهما كانت أفكار روبن هود فإنه ثبت على موضعه، وها هو أمام الغريب بلباسه القرمزي يقفان وجهًا لوجه. في ذلك اليوم، قبض روبن هود على هراوته بشكل جيد مثل بطل وسط البلاد. وبطريقة وأخرى تقاتلا، تقدّما وتراجعا، مهارة روبن ضد قوة الغريب. تعالى غبار الطريق العام فوقهما مثل الغيمة، وفي بعض الأحيان لم يتمكن الصغير جون والدباغ من رؤية أي شيء، إلا سماع جلجلة تصادم الهراوات. ضرب روبن هود الغريب ثلاث ضربات: واحدة على ذراعه، واثنين على أضلعه، لكنه تمكن من صدّ كل ضربات الغريب، إلا واحدة -لو أصابت هدفها- لأطاحت بروبن القوي على الأرض كما لم يسقط من قبل. أخيرًا، سدّد الغريب ضربة على وسط عصا روبن بمهارة كبيرة، جعلت الأخير لا يستطيع التشبث بعصاه إلا بصعوبة، ثم ضربة أخرى انحنى روبن تحتها، وثالثة لم تجعل فقط حماية روبن تنهار، بل دفعت به بشدّة جعلته يتدحرج على الطريق المترب. صاح روبن هود عندما رأى الغريب يرفع هراوته عليه مرة أخرى:

- توقف! أنا أتنازل.

صاح الصغير جون وهو يبرز من غطائه، والدباغ على أعقابيه:

- توقف! توقف! كفّ عن ذلك أقول لك.

أجاب الغريب بهدوء:

- كلا! إذا كان هنالك اثنان آخران منك، وكل واحد يكون قويًا مثل هذا الرفيق القوي، فأنا أحب أن تكون يداي ممتلئتين! دعا عنكما هذا، تعالا وأنا سوف أبذل ما في وسعي لأضربكم كلكم.

صاح روبن هود:

- توقف! لن يكون المزيد من العراك، أقسمُ أن هذا يوم عصيب لي ولك أيها الصغير جون. أنا أجزم بكل تأكيد، إن معصمي وكذلك ذراعي مشلولة بصدمة الضربة التي سددها عليّ هذا الغريب.

ثم التفتَ الصغير جون نحو روبن هود:

- ها! والآن كيف أيها الزعيم الطيب. وا أسفاه أنت في مأزق عسير! يا للهول، سترتك كلها ملوثة بتراب الطريق! دعني أساعدك على النهوض.

صاح روبن بسخط:

- ليصب الطاعون مساعدتك! أنا أستطيع النهوض على قدميِّ بلا عون أيها الصديق الجيد.

قال الصغير جون بهدوء ورباطة جأش لكن مع نظرة خبيثة في عينيه:

- كلا! لكن دعني في الأقل أزل التراب عن معطفك، أنا أعتقد أن عظامك المسكينة قد رُضت بشدة!

استشاط روبن غضبًا:

- أقول لك اترك الأمر! إن معطفي قد نال ما يكفي قبلاً بلا مساعدة منك.

ثم التفتَ نحو الغريب:

- ماذا قد يكون اسمك أيها الصاحب الطيب؟

- اسمي غامويل.

صاح روبن:

- ها! أهو كذلك حقًا؟ لديّ من أقاربي الأدينين من له ذلك الاسم. من أين جئت يا صديقي الجميل؟

- أنحدر من مدينة ماكسفيلد، هنالك وُلدت ونشأت. ومن هنالك أتيتُ أسعى باحثًا عن أخي أمي الشاب، الذي يدعوه الرجال روبن هود. لذا، إذا كان هنالك احتمال أن تقوم بإرشادي...

صاح روبن وهو يضع كلتا يديه على كتفي الغريب، فأمسكه على مسافة ذراع:

- ها! ويل غامويل! بكل تأكيد لا يمكن أن تكون غيره! ربما عرفتك من خلال رائحة تلك المرأة الجميلة خاصتك، تلك طريقة المشي المتأنقة الحساسة المتطلبة! ألا تميّزني يا فتى؟ انظر إليّ جيدًا!

صاح الآخر:

- بحق روح بدني! أنا أصدّق من كل قلبي أنك خالي روبن. لا! بكل تأكيد هذا هو الأمر.

وطوّق كل واحد منها الآخر، لاقًا ذراعيه حوله ومقبلاً إياه على وجنتيه. ومرة أخرى قام روبن بإمساك ابن أخته على امتداد ذراع، وأخذ يتفحصه بدقة من أعلاه إلى أخمص قدمه:

- ها! كيف الآن! ما التغيير هنا؟ حقًا ثمانٍ أو عشر من السنوات مرّت على تركي إياك أيها الغلام المراهق، بعضلاتك الكبيرة وأطرافك النشطة القوية، وها! أنت كشخص متين لم تقع عيناى على مثيله! ألا تتذكّر يا غلام، كيف علّمتك الطريقة المناسبة لقرص ريشة الإوزة

في السهم بين أصابعك، ورميه عن سلاح قوسك بثبات؟ أنت رجل واعد لأن تكون رامياً حاذقاً. وألا تذكر كيف علمت أنك أن تناور وتصد

بالهراوة؟

قال غامويل الفتى:

- أجل! ولقد بحثت عنك كثيراً، وظننت أنك غير كل الرجال الآخرين، حتى أنني -وأقسم- لو عرفتك لما تجرأت برفع يدي ضدك هذا اليوم! أنا آمل بأنني لم أتسبب في أذى عظيم عليك!

قال روبن بسرعة وهو ينظر على جانبه نحو الصغير جون:

- لا! لا! أنت لم تؤذني، ولكن لا تقل المزيد عن ذلك أتوسل إليك! لكنني سأقول أيها الفتى: لعل مثل تلك الضربة التي ضربتني بها لا تمسني مجدداً. بحق سيدتنا، ذراعي ترتعش الآن من الظفر إلى المرفق! حقاً، لقد ظننت أنني قد أصبت بالشلل مدى الحياة. أقول لك يا ابن أختي: إنك الرجل الأقوى الذي رأيته عيناى، أقسم لقد شعرت ببطني ترتعد! عندما قبضت على الشجرة الخضراء ثمة وقلعتها كما فعلت. ولكن أخبرني: كيف لك أن غادرت وتركت السير إدوارد وأمك.

- يا للأسى! إنها قصة حزينة يا خالي، يجب أن أخبرك بها: كان متصرف شؤون أبي -الذي جاء إلينا بعد موت العجوز غيلز كروكلغ- شخصاً دنيئاً دائماً، ولم أكن أفهم لماذا يستبقيه أبي! إلا إذا كان يرى ذلك ببعده نظره وسلامة تقديره! لقد كان يسوؤني دائماً أن أسمعته يخاطب أبي بوقاحة وجرأة، أبي الذي -وأنت تعرف ذلك- كان رجلاً حليماً صبوراً على من حوله دائماً، ولا يتسرع بالانفعال أو التفوه بالكلمات النابية. طيب، في أحد الأيام -وقد كان يوماً سيئاً على ذلك الرجل الوغد- قام بتوبيخ أبي وأنا أقف قربه، فلم أتمكن من التحمل أكثر يا خالي الطيب، لذلك تقدمت نحوه ولكمته على أذنه، وقد سقط الرجل ميتاً! أكنت

لتصدّق الأمر؟ أظن أنهم قالوا إنني كسرتُ عنقه أو شيئًا مثل ذلك! لذلك، قاموا بتجهيزي للرحيل بعيدًا لأبحث عنك وأفرّ عن سلطة القانون. ولقد كنتُ على طريقي عندما رأيتني، وها أنا هنا!

- لا بأس، بحقّ معتقد قلبي! بالنسبة إلى أي شخص يفرّ من القانون، كنت ترى الأمر بأعظم سهولة لم أشهدها في طول حياتي! في كل العالم، متى رأى أي فرد شخصًا قد قتل رجلًا - وكان يهرب بسبب ذلك - يتمشى على الطريق العام مثل أنسة بلاط رقيقة هائلة، ويشمّ وردة في الأثناء؟

- كلا، يا خالي. كما يقول القول المأثور: **إن التسرّع بالمخض لن ينتج زبدة جيدة أبدًا.** أكثر من هذا، أنا أوّمن حقًا أن قوة بدني المفرطة قد أخذت الحنكة من بين قدمي. ها! أنت الآن لم تضربني إلا ثلاثًا، وأنا لم أضربك واحدة، باستثناء قهرك بقوتي.

- كلا! دعنا لا نتكلم أكثر على تلك المسألة. أنا مسرور جدًّا لرؤيتك يا ويل، ووجودك سيضيف مزيدًا من الشرف والفخر إلى عصابتي من الأتباع الظرفاء. لكن يجب أن تغيّر اسمك لأن أوامر إلقاء القبض عليك سرعان ما تصدر! وبسبب ملابسك البراقة أيضًا، من الآن وإلى الأبد سوف تُدعى: (ويل سكارلت).

ثم تقدّم نحوه الصغير جون، وقال هو يمدّ راحته الكبيرة التي تناولها الآخر:

- ويل سكارلت! الاسم يناسبك جيدًا. أنا سعيد جدًّا لأرحب بك بيننا. أدعى الصغير جون، وهذا عضو جديد لم يمضِ إلا القليل على انضمامه إلينا، إنه دباغ قوي اسمه آرثر أبلاند. يا ويل، يبدو أنك ترغب بتحقيق شهرة، لذا دعني أخبرك أن سيكون هنالك كثير من القصائد المغناة في أرجاء البلد، وقصص سعيدة عديدة تروى في شيروود، حول كيفية قيام روبن هود بتعليم الصغير جون وآرثر أبلاند الطريقة المناسبة لاستعمال الهراوة، وكذلك - بنحو ما كان - كيف قضم زعيمنا الطيب قطعة كبيرة جدًّا من كيكة اختنق بها!

قال روبن بلطف، إذ لم يكن يشعر بارتياح كبير لسرد مثل هذه المزحة عنه:

- لا! أيها الصغير جون الطيب، لماذا علينا أن نتكلم على هذا الأمر اليسير؟ أتوسل إليك دعنا نحفظ بمجريات هذا اليوم بيننا.

- من كل قلبي! لكن أيها القائد الطيب، ظننتُ أنك تحب القصة المرحّة، لأنك كثيرًا ما أقيمتَ نكاتًا حول الزيادة الواضحة من الشحم واللحم المتراكم على أطرافي، خلال إقامتي مع العمدة في...

قال روبن بعجالة:

- لا، أيها الصغير جون الطيب، أنا متأكد أنني قد قلتُ ما يكفي عن ذلك الأمر.

- جيد، لأنني بنفسني قد مللتُ من الأمر إلى حدّ ما. لكنني أرى الآن أيضًا، أنه يدور في ذهنك قول مزحة عن المطر الذي أنذر بالهطول الثقيل الليلة الماضية، لذا...

قال روبن بانزعاج وتكدر:

- كلا! إذ ذاك كنتُ على خطأ! أتذكر الآن أنها كانت تبدو لي ستمطر بشدة!

- حقًا وصدقًا! كذلك أنا اعتقدتُ. لذلك - بلا شك - أنت تعتقد أنه كان من الحكمة، أن ألبث الليلة كلها في حانة الخنزير الأزرق، بدلًا من المغامرة بالاندفاع في مثل ذلك الجو العاصف، ألا تعتقد ذلك؟

صاح روبن هود:

- ليحلّ الطاعون عليك وعلى أفعالك! إن كنت ترى الأمر هكذا فيحق لك الإقامة حيثما اخترت.

- مرة أخرى، الأمر جيد. بالنسبة إليّ كنتُ خلال هذا اليوم أعمى! فلم أركُ تُجلد، ولم أرَ عقبيك على رأسك في التراب، ولو أن أي رجل يقول، إن ذلك حصل لك فإنني أستطيع -وبضمير مرتاح- أن أجعل لسانه الكاذب يجلجل بين أسنانه!

صاح روبن وهو يعضُّ شفته السفلى، حينما لم يتمكن الآخرون من منع أنفسهم عن الكركرة:

- هيا تعالوا! لن نمضي اليوم أبعد من هذا، بل إننا سنعود إلى شيرود، وأنت أيها الصغير جون، سوف تذهب إلى أنكاستر في يوم آخر!

قال روبن ذلك، ولقد كانت عظامه موجوعة! وشعر كأن رحلة طويلة ستكون سيئة عليه، وهكذا، استداروا على أعقابهم، وتتبعوا خطواتهم عائدين إلى حيث جاؤوا.

(42) (Groat) عملة إنجليزية من الفضة تساوي أربعة بنسات.

المغامرة الظريفة مع ميچ الطحّان

عندما سار الرجال الأشداء الأربعة لوقت طويل باتجاه شيروود مرة أخرى، انقضى جزء كبير من مدّ النهار، فشعروا بالجوع قال روبن هود:

- ليتني بطريقةٍ ما أحظى بطعام. يبدو لي أن رغيّفًا لذيذًا من الخبز الأبيض، مع قطعة من الجبنة البيضاء كالثلج، منقوعة بشراب الجعة اللاذعة، ستكون وليمة لملك.

قال ويل سكارلت:

- ما دمتَ تكلمتَ على ذلك، يظهر لي أن الأمر ما كان ليخطئ شعوري، فهناك في داخلي يجأر: مؤن وأطعمة، أيها الصديق الطيب، مؤن وأطعمة!

قال آرثر أبلاند:

- أعرف منزلًا قريبًا، ولولا أنني لا أملك المال لجلبتُ لكم ما تتحدّثون عنه، أعني: رغيّف خبز حلو، وجبّنًا طيبًا، وقربة من الجعة البنية.

قال الصغير جون:

- زعيمي الطيب، في ما يخص ذلك أنت تدري أنني أحمل المال معي.

قال روبن:

- ها! إذن، أنت تملك أيها الصغير جون. آرثر الطيب، كم سيكلّف من المال أن تشتري لنا لحمًا وشرابًا؟

قال الدباغ:

- أعتقد أن ستة بنسات وافية لتشتري طعامًا كافيًا لذينة من الرجال.

قال روبن:

- إذن ناوله ستة بنسات أيها الصغير جون. إذ يبدو لي أن طعامًا يكفي لثلاثة سيكون مناسبًا لي. والآن امضِ إلى هناك يا آرثر، وخذ معك المال واجلب إلينا الطعام هنا، فهناك ظلُّ رحب عند تلك الأجمة على جانب الطريق، وهناك سناكل وجبتنا.

أعطى الصغير جون المال إلى آرثر، وسار الآخرون نحو الأجمة، هنالك حيث ينتظرون عودة الدباغ. بعد مضي وقتٍ.. عاد وهو يحمل رغيفًا كبيرًا من الخبز الأسمر، وجبنا مدورًا طيبًا، وعلى كتفيه قربة ممتلئة بجعة آذار القوية. بعد ذلك، قام ويل سكارلت بتقسيم الرغيف والجبين بسيفه إلى أربع حصص متناسبة، وأعدَّ كل واحد منهم وليمته. ثم عبَّ روبن هود شربة طويلة من الجعة، وقال بعد أن تنهَّد بعمق وارتياح:

- أها! لم أذق أطيب من هذا الشراب قط!

بعد هذه الجملة لم يتكلم أحد أكثر، بل انشغل كل واحد بالتهام خبزه وجبنته بشهية، وبين الحين والآخر رشفة من الجعة. عند النهاية، نظر ويل سكارلت إلى قطعة خبز صغيرة ما يزال يمسكها بيده، وقال:

- أرى أنني سأعطي هذه إلى العصافير.

ورماها من يديه، ثم نفض الفتات عن سترته. قال روبن:

- وأنا أيضًا أعتقد أنني تناولتُ ما فيه الكفاية.

أما الصغير جون والدباغ فقد أكلا كل قطعة من خبزهما وجبنتهما. ثم قال روبن:

- الآن، حقًا أشعر بنفسي كأنني رجل آخر، ويسرني كثيرًا أن أستمتع بأمرٍ قبل المضي أبعد على مسار رحلتنا. أرى بشكل كبير يا ويل أنك ذو صوت حسن، وقد ترنمت بأغنية عذبة. أتوسل إليك: غنّ لنا واحدة قبل انطلاقنا أبعد ...

- حقًا، أنا لا أمانع من الترتّم بأغنية، لكنني لن أغني وحيّدًا.

- كلا! الآخرون سوف يتابعون. هيا يا فتى.

- في هذه الحالة، هذا جيد. أستذكرُ أغنية كان أحد المغنين الشعبيين قد اعتاد أن يغنيها في صالة أبي في بعض المناسبات. لا أعرف عنوانها فلا يمكنني تسميتها لكم، ولكنها هكذا ...

ثم شرع بتصفية حنجرتة، وبدأ بالغناء:

في زمن التورّد البهيج

عندما تغمر أشواق الحب الصدر

وعندما تزهو الوردة على اليزفون

وحيثما تبني الطيور الصغيرة أعشاشها

يغني الهزار بعذوبة

وذكر السمانى الجريء جدًا

والوقوف في الوادي الندي

والسلحفاة في البرية.

لكنني أحب العزيز روبن

لأنه يعني خلال السنة.

روبين! روبين!

روبين السعيد!

لذلك أريد حبي الحقيقي أن يكون:

لا تفر

وشيكًا

علامة سوء الطالع القاسي.

عندما يجلب الربيع المسرات اللطيفة

عندما ترتقي القبرة عاليًا

يتودّد العشاق في الليالي النشوانة

ويختلس الشباب النظر إلى عيون العذارى

حينذاك يزهر الورد الياقوتي

وترقّط الأحيوانات التل

وزهرات الربيع والأنقوليا الجميلات

ووردات البنفسج الداكنات بجوار الغدير

لكن غطاء اللبلاب الأخضر ينمو

عندما تجلب الريح الشمالية الثلج.

لبلاب! لبلاب!

ملتزم وصادق!

لا تمت

وشيغًا

نفحة من الطالع القاسي.

قال روبن:

- إنها مغنّاة بشكل جيد، ولكن يابن أختي أخبرك بصراحة: أفضل أن أسمع رجلًا حازمًا
مثلك يعني قصيدة شعبية قوية، أكثر من أغنية متراخية عن الزهور والطيور وسوى ذلك...
لكنك قد غنّيتها بحسن، وهي ليست قطعة أغنية سيئة جدًا. الآن أيها الدباغ إنه دورك.

قال آرثر باسمًا، وقد أمال رأسه إلى جانب مثل فتاة يانعة طلبوا منها رقصة:

- لا أعرف! لا أدري كيف لي أن أتمكن من موافقة أغنية صديقنا العذبة، وفوق هذا، أعتقد
أنني أصبْتُ بالبرد ولديّ ألمٌ وبحّة في قصبتي الهوائية.

قال الصغير جون وكان يجلس قربه، وقد ربّت على كتفه:

- لديك صوت حسن تامٌ شجي؛ دعنا نسمع منه قليلًا.

- ها! سوف تنال شيئًا فقيرًا! سأفعل ما بوسعي. ألم تسمع قط غزلية السير كيث، الفارس
المغوار من كورنول في زمن الملك آرثر الطيب؟

قال روبن:

- أعتقد أنني سمعتُ عنه بعض الشيء، ولكن لندع ذلك، ونشرع بالأغنية القصيرة ونسمعها،
إذ كما أذكر أنها أغنية باسلة، لذا أذعها أيها الرفيق الطيب.

وبذلك، قام الدباغ -بلا مزيد من الأفعال- بتهيئة صوته وبدأ بالغناء:

غزلية السير كيث

جلس الملك آرثر في قاعته الملكية

وحول يديه كثير من النبلاء الأشراف الطوال،

وهم الأعظم في البلد.

جلس لانسيلوت بخصلاته السود اللامعة،

وغاوين بشعره الذهبي،

والسير ترسترام، وكاي الذي يستبقي الضفائر،

وآخرون كثيرون هنالك...

وخلال النوافذ الملونة الساطعة

من فوق الأفاريز ذات القرميد الأحمر

أشرق شعاع الشمس بالضياء الملون
على الخوذ ودروع السيقان الذهبية.
ولكن فجأة حلّ السكون حول المائدة!
إذ على التل كانت هنالك امرأة تمشي،
تنحني قريبة على الأرض.
كان أنفها معقوفًا، وعيناها دامعتين،
وخلص شعرها باهتة وبيضاء بالشيب،
على ذقنها نبتت لحية!
لقد كانت منظرًا بشعًا!
وبخطو زاحف جدًا جاءت
وركعت عند قدمي آرثر.
قال كاي: (إنها السيدة الأقدر الأشنع
التي لم تصافح مثلها عيناى قط).
(يا ملكى القدير! أنت من أدعو وأطلب منه بركةً
وأنا على ركبتى المثنية)،
هكذا كان كلامها.

قال آرثر: (ماذا لديك عندي؟)

قالت: (بي مرض شديد يقضم قلبي بقوة!

وشيء واحد يمكنه أن يجلب لي الراحة

أو يشفي مرارتي بحذق:

لا راحة ولا شفاء لي

شمالاً، شرقاً، غرباً، جنوباً...

حتى يقبلني الفارس المسيحي بلهفة

ثلاث مرات على الفم.

ولعل ذلك النبيل الذي يشفيني يكون أعزب

وأرى أن لا يكون متكلاً بل يقبلني برغبة!

فهل يوجد هنا فارس مسيحي من سلالة راقية

يمنح منكودة سيئة الحظ راحةً نقية حلوة لألم مميت؟)

قال الملك آرثر: (رجل متزوج، أنا رجل متزوج

وإلا فإنني أعدّه أمراً شهماً أن أقبلك بلهفة!

والآن يا لانسيلوت،

بنظر كل الرجال أنت قمة الفروسية والنخوة.

هيا، أيها الفارس النبيل، تعال وأعطها شفاء فوراً).

لكن لانسيلوت استدار جانباً، وأطرق ينظر إلى الأرض

فعلاً، لأن ذلك قد وخز كبرياءه المتعجرف

أن يسمعهم يضحكون من حوله!

قال الملك: (تعال أنت يا سير ترسترام)!

لكنه قال: (هذا لا يمكن، لأنني لا أقدر أبداً على جعل داخلي

يفعل ذلك برغبة!)

هل لك أيها السير كاي، نحو التعيسة المزdraة؟

قال كاي: (كلا! بحق إيماني!

أي سيدة نبيلة ستقبل فارساً

كان قد قبل فماً كريهاً فاسداً!؟)

(وأنت يا غاوين؟)، (لا أستطيع أيها الملك)

(السير غيرينت؟)، (لا، لست أنا،

قبلاتي لن تأتي بالإغاثة لأنني سرعان ما أموت).

ثم نهض وتكلم الرجل الأكثر شباباً في كل المجلس:

(كمسيحي أستطيع أن أقدم راحة

مثل هذه لها يا سيدي).

كان ذلك السير كيث الفارس الفتى،

ومع ذلك كان متين الأطراف وجريئاً

وله لحية مضيئة على ذقنه مثل أجمل الخيوط الذهبية.

قال كاي: إنه بلا حبيبة حتى الآن كي يناديها ويذكرها،

ولكن ها هنا واحدة سريعة المنال،

بنحو ما أظهرت نفسها للتوا!

فقبّلها مرة، وقبّلها الثانية، وقبّلها الثالثة...

وفي لحظة حصل تغير عجيب!

إذ لم تعد كريهة قذرة...

صارت وجنتاها حمراوين كالورد،

وجبينها أبيض كالقطن

وترائبها ناصعة مثل ثلج الشتاء،

وعيناها مثل عيون الخشف.

صار نَفْسها عذباً مثل نسمة صيف التي تهبّ على المروج أبداً،

وتحوّل صوتها إلى نعومة تشبه حفيف الأشجار

وما عاد أجشاً أو يؤذي بعد.

صار شعرها متألئاً مثل الذهب،

ويداها بيضاوين كالحليب

وأسمالها البالية الرثة القديمة تغيرت إلى أردية من حرير

حدّق الفرسان بدهشة هائلة!

قال كاي: (أقسم،

إذا كانت تسمح السيدة الرائعة فإنني سأقبلها بكل سرور الآن).

لكن السير كيث انحنى على ركبة واحدة،

وقبل ثوبها الجميل، وقال:

(دعيني أكن عبدك! إذ لا يُقارن بك).

أما هي فقد انحنى وقبلت جبينه،

وقبلت شفثيه وعينيه

وقالت: أنت سيدي الآن، يا سيدي، يا غرامي، انهض!

وكل الثروة التي أملكها وأراضي، أمنحها لك

إذ لم يُظهر فارسٌ لسيدة مثل هذه اللطافة واللياقة.

كنتُ مسحورة بالم فظيع لكنك حررتني

وها أنا أعود كما كنت مرة أخرى، فأمنحك نفسي.

قال روبن هود عندما وضع الدباغ خاتمة لغنائه:

- أجل، فعلاً! إنها كما أتذكرها: أغنية جميلة، وقصيدة ذات لحن غنائي سار.

قال ويل سكارلت:

- بدا لي في كثير من الأحيان أن فيها دافعاً معيئاً، حتى لو كان على هذا النحو: إن الواجب الذي يظهر أمامنا بعض الأحيان قبيحاً ومؤذيًا - عندما نُؤدّي تقبيله بإنصاف على الفم، إن جاز التعبير - ليس أمرًا كريهًا كذلك بعد كل شيء.

قال روبن:

- أعتقد أنك على صواب. وعلى النقيض من ذلك، عندما نقبل بمتعة وتسليّة تبدو مبهجة، فإنها تنقلب مزعجة مسيئة علينا، أليس كذلك أيها الصغير جون؟ بالفعل قد جلب مثل هذا الأمر عليك ضربات مؤلمة هذا اليوم. كلا! يا رجل، لا تنظر أبدًا عميقًا في الفم (43) صفّ قنواتك وغنّ لنا أغنية قصيرة.

- كلا! ليس لديّ شيء جميل، مثل تلك الأغنية الظريفة التي أطربنا بها آرثر للتو. كل التي أعرف هي أمور قليلة الشأن. وفوق هذا، صوتي اليوم ليس على ما يرام، وما كنت لأفسد حتى أغنية مقبولة بغنائي السيئ.

عند هذا، قاموا كلهم بالضغط والإلحاح على الصغير جون من أجل أن يغني، وعندما رفض الطول المناسب للوقت، بنحو ما يبدو في واحدة مطلوبة للغناء، وافق في ذلك الحين وتنازل. قال:

- حسنٌ، وبذلك سوف تنالونها، إنني سأقدم إليكم ما أستطيع، مثل ويل الجميل، ليس لديّ عنوان لأغنيّتي القصيرة، لكنها هكذا:

يا سيدتي، ها هو الربيع هيا انتبه! نوني نوني (44).

إنه الموسم السنوي للحب العذب

مع نيني نيني نوني

والآن أيها الفتى والفتاة

ارقدا في العشب الذي ينمو مخضراً

والأزهار خلاله

يرتاح الأيل

والأوراق تبدأ بالنمو، والديك بالصياح

ويهبّ النسيم، وكل الأشياء تضحك...

قال روبن فجأة مقاطعاً الأغنية:

- أي شخص قد يكون آتياً على طول الطريق؟

قال الصغير جون بصوت واثق:

- لا أدري. ولكنني أعلمُ هذا: إنه أمر سيئٍ تفعله، وهو أن تكبح تدفقَ أغنية جيدة!

- كلا! أيها الصغير جون، لا تنزعج أتوسل إليك! لكنني كنتُ قد لمحتُه وهو يأتي على طول الطريق، منحنيًا تحت تلك الحقيبة الكبيرة على كتفه، حتى قبل أن تشرع بأغنيته. تطلع أيها الصغير جون، أرجوك، وانظر لعلك تعرفه.

نظر الصغير جون إلى حيث أشار روبن هود، وقال بعد مرور وقت:

- حقًا! أعتقد أن الرجل هناك هو طحان شاب كنتُ أراه بين الحين والآخر حول حدود شيروود، أعتقد أنه مسكين بائس ليفسد أغنية جيدة.

قال روبن:

- والآن تحدثت عنه، وأنا نفسي أعتقد أنني رأيتُه في بعض الأوقات. أليس يملك طاحونة هناك وراء مدينة نوتنغهام قرب طريق سالزبوري؟

قال الصغير جون:

- أنت مصيب، إنه الرجل نفسه.

- إنه شخص قوي وطيب. لقد رأيتُه يحطّم رأس نيد برادفورد قبل أسبوعين تقريبًا، ولم أشهد رفعًا من مسافة قصيرة أكثر دقة في كل حياتي قط.

بحلول هذا الوقت، كان الطحان الشاب قد اقترب كثيرًا، فتمكّنوا من رؤيته بوضوح: كانت ملابسه مغبرة بالدقيق، وقد حمل على ظهره كيسًا كبيرًا من الطحين، وكان ينحني كثيرًا ليستقرّ الوزن على كتفيه، وعلى الكيس امتدت هراوة ثخينة. كان قويًا شديد الأسر، ويسير على الدرب المترب بقوة وثبات والحمل الباهظ يمتدّ بين كتفيه. كان خداه أحمرين مثل ثمرة ورد الشتاء(45). وشعره رماديًا مصفرًا، وعلى ذقنه نمت لحية زغبية ناعمة باللون نفسه.

قال روبن هود:

- إنه شخص طيب شريف، ومثله يُعدّ مفخرة للفروسية الإنجليزية. والآن دعونا نمازحه! سوف نتقدم نحوه وكأننا لصوص اعتياديون ونتظاهر بمحاولة سرقة أرباحه الحلال. وبعد ذلك، سوف نأخذه إلى داخل الغابة ونقدّم إليه وليمة لم تنلها بطنه في كل حياته السابقة!

سوف نغرق بلعومه بالنبيذ، ونرسله للبيت مع كراونات في كيسه مقابل كل بنس يملكه. ما رأيكم يا فتيان؟

قال ويل سكارلت:

- حقًا، إنها فكرة ظريفة!

قال الصغير جون:

- إنها خطة محبوكة بشكل جيد. ولكن ليحفظنا كل القديسين من أية ضربات إضافية في هذا اليوم! يا للهول! عظامي المسكينة تؤلمني إلى درجة أنني...

قال روبن:

- أرجوك اهدأ أيها الصغير جون! لسانك الأحمق سيجعلنا كلنا أضحوكة كبيرة في النهاية.

تذمّر الصغير جون مخاطبًا آرثر أبلاند:

- لساني الأحمق! ها! إنني أودّ أن يحفظ زعيمنا من التورط في مشكلة أخرى هذا اليوم.

عندئذٍ، كان الطحّان -وهو يتهادى بمشييه على الطريق- قد وصل إلى حيث يختبئ الرجال الأثداء، حينئذٍ انبثق أربعتهم راكضين باتجاهه وأحاطوا به! صاح روبن على الطحّان:

- توقف أيها الصديق!

عندها التفت ببطء -وثقل الكيس على كتفه- وحدق في كل واحد منهم بحيرة وارتباك! مع أنه كان رجلًا شديدًا، فإنه لم يفقد صوابه وحكمته مثل حبة كستناء محمّصة!

قال الطحّان بصوت عميق وأجش مثل هرير كلب ضخم:

- من يأمرني بالتوقف؟

قال روبن:

- ها! أنا أفعل. ودعني أخبرك، يا صديق: الأفضل لك أن تطيع أمري.

قال الطحان وهو يلقي كيس الدقيق الهائل على الأرض:

- ومن أنت أيها الصديق الطيب؟ ومن هؤلاء الذين معك؟

- نحن أربعة مسيحيين طيبين، ونريد بكل سرور مساعدتك على رفع جزء من حملك الثقيل.

- لكم كل الشكر، لكن كيسي ليس ثقیلاً إلى الحد الذي لا أتمكن حتى من حمله بنفسي.

- كلا! أنت على خطأ! لقد قصدت أنك قد تحمل بعض الفارذنغات أو البنسات الثقيلة معك، ناهيك عن الفضة والذهب. يقول عجوزنا الطيب سوانثولد: **إن الذهب حمل باهظ على قفا ذي رجلين**، لذا فإننا نودّ أن نرفع بعضاً من هذه الحمولة عنك.

صاح الطحان:

- وا أسفاه! ماذا تفعلون بي؟ ليس معي كثير جداً غير غروت مثلوم، لا تؤذوني أتضرّع إليكم، بل دعوني أمض في سلام. وأكثر من هذا، لأخبركم: أنكم الآن على أرض روبن هود، وإذا وجدكم وأنتم تسعون في سلب جرفي نزيه، فسوف يصفع آذانكم ويلصقها برؤوسكم، ويضربكم ضرباً حتى حدود أسوار نوتنغهام.

قال روبن المرح:

- في الواقع، أنا لا أخشى روبن هود أكثر من نفسي. يجب عليك في هذا اليوم أن تعطي لي كل بنس بحوزتك، ها! وإن لم تتزحزح بوصة فإنني سأجعل هذه الهراوة تجلجل حول أذنيك!

صاح الطحان وهو يرفع مرفقه وكأنه خشي الضربة:

- كلا! لا تضربني! لعلك تفتشني إذا شئت، لكنك لن تجد شيئاً عندي، الجراب، الجيب، أو القربة.

قال روبن هود وهو يركز النظر إليه:

- هل الأمر كذلك؟ والآن، فإنني على يقين أن ما تقول هو حكاية غير صادقة. إن لم أكن مخطئاً كثيراً، فإن لديك قليلاً في قعر ذلك الكيس السمين من الدقيق. يا آرثر الطيب، أفرغ الجراب على الأرض، فإنني أؤكد لك أنك ستجد شلناً أو اثنين في الدقيق.

صاح الطحان وهو يجثو على ركبتيه:

- وا حسرتاه! لا تنثروا كل طحيني الجيد، إنه لن ينفعكم وسوف يقضي عليّ. لا تفعل ذلك، وسأعطيك المال الذي في الكيس.

قال روبن وهو يلكز ويل سكارلت بمرفقه:

- ها! هكذا إذن! ألم أجد موضع المال؟ يا للدهشة! لديّ أنف عجيب من أجل الرمز المبارك للملك هاري الطيب. ظننتُ أنني شممتُ الذهب والفضة تحت دقيق الشعير، هيا يا طحان قدّم ما عندك.

ثم نهض الطحان على قدميه ببطء، وقام يحلّ عقدة فم الكيس بأناة وعلى كراهة، وأقحم بتمهّل يديه في الطحين وبدأ يتلمّس ما فيه، وذراعاها مدفونتان حتى المرفقين في دقيق الشعير. أما الآخرون، فقد تجمّعوا من حوله وقد تقاربت رؤوسهم، يحدّقون ويتساءلون عما

سوف يُخرجه. وهكذا وقفوا... متقاربي الرؤوس ناظرين نحو الأسفل في الكيس. ولكن بينما كان يتظاهر بالبحث عن المال، أخذ ملء قبضتين كبيرتين من الدقيق، وقال:

- ها! ها هي الجميلات!

وعندما اقترب الآخرون وانحنوا أكثر ليروا ما حصل عليه، فاجأهم برمي الطحين في وجوههم! فملاً عيونهم وأنوفهم وأفواههم، وأصابهم بالعمى وبعض السعال! وقد كان آرثر أبلاند الأسوأ فيهم، إذ كان فمه مفتوحاً فاغراً بالعجب مما سيحدث، فنزلت سحابة عظيمة من الدقيق في حلقه، جعلته في سعال لم يسيطر عليه إلا بشق الأنفس! وبينما كان الأربعة كلهم يترنّحون ويتعثرون هنا وهناك، ضاجين من حرقة الطحين في أحداقهم -وخلال ذلك، يفركون عيونهم، حتى انهمرت الدموع وصنعت مجاري كبيرة على وجوههم عبر الطحين- قام الطحان بأخذ قبضة أخرى وأخرى وأخرى... وربما في وجوههم، وإن كانوا قبلها قد نالوا بصيصاً من الرؤية، فهاهم الآن عميان وواحد منهم مثل شحاذ في مقاطعة نوتنغهام، وخلال ذلك، كانت شعورهم ولحاهم وملابسهم بيضاً كالثلج!

ثم تناول الطحان هراوته الضخمة، وشرع بضرب من حوله وكأنه قد جُنَّ! فتقاذف الأربعة باضطراب هنا وهناك مثل حبات بازلاء على سطح طبل! لكنهم لم يتمكنوا من الرؤية للدفاع عن أنفسهم ولا للفرار! وقد توالى الضربات: ثواك! ثواك! من الطحان على ظهورهم، وعند كل ضربة كانت زوابع طحين بيض هائلة تثور في الجو من ستراتهم، ثم تمضي منجرفة في النسيم... أخيراً صرخ روبن:

- توقف! كَفَّ عن ذلك، أيها الصديق الطيب! أنا روبن هود!

صاح الطحان:

- أنت تكذب أيها المحتال!

وسدّد إليه ضربة على أضلاعه أثارت سحابة من الدقيق مثل هبة دخان! وقال:

- روبن الشجاع لم يسرق من تاجر نزيه قط! ها! تريد سلب أموالي، سعيتَ إلى ذلك؟

وضربه ضربة أخرى! ثم قال:

- كلا! إنك لا تنال حصتك أيها الوغد طويل الساقين! فلتشارك الآخريين بالحصّة!

وضرب الصغير جون بين كتفيه ضربةً، أرسلته يثب ويعرج عبر الطريق! ثم قال:

- كلا! لا تخف! إنه دورك الآن أيتها اللحية السوداء.

وضرب الدباع بما جعله يجأر في سعاله كله! وصرخ:

- وكيف الآن أيها المعطف الأحمر، دعني أزل الغبار عنك!

وتوجّه بالضرب على ويل سكارلت! وهكذا سدّد إليهم عبارات ظريفة و ضربات لم يطيقوها إلا بأشدّ المعاناة، وكلما رأى واحداً منهم يحاول تنظيف عينيه، رمى مزيداً من الدقيق في وجهه. أخيراً تمكن روبن هود من الإمساك ببوقه ورفعته إلى شفّتيه، ونفخ ثلاث نفخات عاليات. وفي هذا الوقت، صادف أن ويل ستوتلي وجماعة روبن هود كانوا في الفسحة، غير بعيدين عن مكان حصول هذه الحادثة الطريفة. وعند سماعهم صخب الأصوات والضربات، التي كانت مثل صوت درس القمح، لفصل قشوره في مخزن الحبوب عند الشتاء، توقّفوا يصغون ويعجبون مما كان في ذلك الاتجاه! قال ويل ستوتلي:

- والآن، إن لم أكن مخطئاً، فإن هنالك نوعاً من القتال العنيف بالهراوات يحصل غير بعيد عن هنا؛ أود أن أرى هذا المشهد الجميل!

حينذاك حوّل هو وكل الجماعة خطواتهم إلى حيث تنبعث الضجة، وعندما اقتربوا من المكان الذي بدا فيه كل هذا الاضطراب، سمعوا النفخات الثلاث من بوق روبن، فصاح الفتى ديفيد دونكاستر:

- أسرعوا! زعيمنا في حاجة ملحة!

وهكذا، بلا أي توقف للحظة واحدة، اندفعوا نحو الأمام بقوة وعزم من المخبأ إلى الطريق العام! ولكن يا للمنظر الذي رأوه! كان الطريق كله مبييضاً بالدقيق، ووقف هناك خمسة رجال في بياض أيضاً من رؤوسهم حتى أقدامهم، إذ كان مقدار كبير من الطحين قد ارتدّ ساقطاً على الطحّان أيضاً. صاح ويل ستوتلي:

- ما حاجتك يا سيدي؟ وماذا يعني كل هذا؟

قال روبن بانفعال عظيم:

- ها! ذلك الرجل الخائن، قد أوشك على قتلي أكثر مما فعل أي رجل في العالم. لو لم تصل بسرعة -يا ستوتلي الطيب- لكان سيدك في عداد الأموات.

بعد ذلك، عندما قام هو والثلاثة الآخرون بمسح الطحين عن عيونهم، ونظّف ويل ستوتلي ورجاله ملابسهم، أخبرهم كلهم كيف أنه قصد إلى تمرير مزحة على الطحّان، فانقلبت نفسها بسوء وحزن عليهم! صرخ ستوتلي الذي كان يوشك على الاختناق بضحكاته كالبقية:

- أسرعوا يا رجال واقبضوا على الطحّان!

فركض بضعة منهم نحو الطحّان القوي وأمسكوه، وقاموا بتقييد ذراعيه خلف ظهره بأوتار الأقواس. وعندما جلبوه مرتجفاً أمام روبن، صاح نحوه:

- ها! كنت تنوي قتلي، أليس كذلك؟ بحق معتقدي...

وهنا توقف وعبس بوجه الطحّان! لكن غضب روبن لم يطل، أولاً طرفت عيناه ثم -رغم كل شيء- انفجر ضاحكاً! والآن عندما رأوا زعيمهم يضحك، لم يستطع الرجال الأشداء من حوله أن يمسكوا أنفسهم عن الضحك أكثر، فصدرت عنهم كلهم قهقهة صاخبة! ولم يتمكن

كثير منهم من الوقوف، بل تدحرجوا على الأرض بمرح رائق! قال روبن أخيرًا للطحان الذي ما يزال واقفًا يحدّق وكأنه كان في زهول:

- ما اسمك أيها الرفيق الطيب!

أجاب بصوت مرتعب:

- ها! يا للأسف سيدي، أنا ميخ ابن الطحان.

قال روبن الظريف وهو يربّت على كتفه:

- أقسم أنك ميخ الأشد الذي رأيته عيناى. والآن هل لك أن تترك طاحونتك المغبرة وتأتي لتنضمّ إلى عصابتي؟ أنت رجل قوي جدًّا، ولا يليق أن تقضي أيامك بين حاوية الحبوب والحراثة.

- إذن، بكل صدق: إذا سامحتني على الضربات التي وجهتها -إذ لم أكن أعرفك- فإنني سأكون معك بكل سعادة.

- إذن، لقد ربحت في هذا اليوم أشدّ ثلاثة رجال في مقاطعة نوتنغهام كلها. سوف نشقّ طريقنا نحو شجرة الغابة الخضراء، وهناك، نقيم وليمة سعيدة على شرف أصدقائنا الجدد. وربما بكأس أو اثنين من الساك والكناري تلين شدة مفاصلي وعظامي المسكينة، مع الظن أنني بحاجة لأكثر من يوم كي أرجع إلى ما كنت عليه.

بذلك، استدار وقاد الطريق والآخرين يتبعونه، ودخلوا في الغابة مرة أخرى وغابوا عن مرأى العين. وهكذا، في تلك الليلة كان كل شيء متقدّمًا بالنيران المفرقة في أراضي الغابة، إذ مع أن روبن وأولئك الآخرين المذكورين -باستثناء ميخ ابن الطحان- قد نالوا كدمات ورضوضًا هنا وهناك على أجسامهم، فإنهم لا يزالون غير متألّمين في مفاصلهم، بما لم يمنعهم من الاستمتاع بالوليمة السعيدة، التي قدّمت بكل ترحاب إلى الأعضاء الجدد من

العصابة. وبهذا، ترددت أصداء الأغنيات والنكات والضحكات خلال أعماق الغابة وأكثر زواياها سكونًا وعزلة، وقد انقضت الليلة بسرعة كما تنقضي الأوقات المرححة دائمًا... حتى انتهى ذلك بأن سعى كل رجل نحو سريره، وحلّ الصمت والسكون على كل الأشياء، وبدا أن كل الموجودات قد استسلمت لسلطان النوم. وهكذا، اجتمعت ثلاث مغامرات ظريفة في يوم واحد، كل واحدة جاءت على أعقاب الأخرى. لكن لسان الصغير جون لم يكن سهل التحكّم قط، إذ -بكل تفصيل بعد تفصيل- كان قتاله مع الدباغ، وقتال روبن مع ويل سكارلت قد تسرّب وشاع! وهكذا، فأنا قد رويتُ بما قد تضحكون من الحكاية الطريفة معي. والآن، الحوادث تأتي على هذا النحو إلينا في هذا العالم، حتى أن الأمور الجدية في الدنيا تصبح مختلطة جدًا مع الهزلية، فتمسي حياتنا كلها ركامًا ممتزجًا من الأسود والأبيض -إذا جاز التعبير- مثل ألواح ذات مربعات سود وبيض، التي عليها يلعب أهل الريف الداما، في الحانة بجانب النار المشتعلة في ليلة شتائية. وهكذا، وقعت الأمور لروبن هود، في هذا اليوم من التسلية المرححة -من خلال ما قد تسكّعنا وناضلنا معه، ومع المضحكين المجانين الآخرين المذكورين- وقد تلتته على الفور واحدة، التي فيها -إذ أن البهجة كانت مستمرة- أنجزت أمور أكثر عظمًا وتأثيرًا، لذلك أصغوا لما يلي...

(43) (Never look down in the mouth) إياك والشعور بالحزن والإحباط.

(44) (Nonny-Nonny) لازمة صوتية كانت شائعة في أغاني العصر الإليزابيثي.

(45) (Winter hip) أو (Rose hip) الورد البري.

روبن هود وآلن أديل

ها قد رويانا كيف أن ثلاث مغامرات سيئة الحظ، جرت على روبن هود والصغير جون، كلها في يوم واحد! وتركت فيهم أضلاعًا مرضوضة وعظامًا متألّمة. بعد ذلك، سوف نروي كيف قاموا بالتعويض عن تلك السعادات الخائبة، بفعل جيد لم يحصل من دون بعض الألم على روبن.

مرّ يومان.. وبنحو ما، زال بعض الوجع عن مفاصل روبن هود، ومع ذلك، عندما كان يتحرّك حركة مفاجئة بلا تحسّب، يدفعه الألم -إذا صحّ التعبير- وينبهه صائحًا: لقد نلتَ ضربًا مبرحًا، أيها الرفيق الطيب! كان النهار مشرقًا وسعيدًا، وما يزال ندى الصباح على العشب. تحت شجرة الغابة الخضراء جلس روبن هود، وإلى جانبه استلقى ويل سكارلت على امتداد ظهره، يحدّق نحو الأعلى في السماء الصافية، ويدها مشبوكتان خلف رأسه. وعلى الجانب الآخر، هنالك جلس الصغير جون يصنع هراوة من غصنٍ صلب لشجرة تفاح برية، وفي أماكن أخرى، انتشر كثير من أفراد العصاة الآخرين جالسين على الحشائش. كان ويل سكارلوك -الذي كان ضليعًا بالحكايات والأساطير مثل بيضة ممتلئة بالغذاء- يروي المغامرات التي حدثت للسير الشجاع كارودوك ذي الذراع الذاوية، من عصر الملك آرثر، وحبّه لفتاته الوحيدة المخلصة، ويروي عن جرأتها ومعاناتها من أجل بعضها. تلك القصة النبيلة التي لعلكم أنتم قد قرأتموها في وقت ما، إذ كانت قد كتبت وغيّبت في أكثر من حكاية تراثية وقصيدة مغناة، وبالتعبير البليغ والبسيط كليهما. لكل هذا، أصغى الجميع بلا قول كلمة... وعندما انتهت شهق كثيرون أنفاسًا عميقة، متحمّسين بحكاية الجرأة الفروسية والتضحية السامية! قال روبن هود:

- إن السماع عن أولئك الرجال الراقين الذين عاشوا قبل مدة طويلة جدًّا، بالفعل يجعل الإنسان أفضل، إذ حينما يصغي الفرد لمثل هذه الحكايات، فإن روحه تقول بكل تأكيد: دع رغباتك الصغيرة البائسة على جانب، واسعَ لطلب المعالي مثل تلك. في الحقيقة، قد لا

يفعل امرؤ مثل سموّ روح امرئ آخر، ولكن في المكابدة يكون المرء أفضل. أنا أذكر نفسي بما كان يريد قوله صالحنا غافير سوانثولد: **ذلك الذي يقفز من أجل القمر ولا يناله، فإنه يثب أعلى ممن ينحني من أجل بنس في الوحل.**

قال ويل ستوتلي:

- حقًا، إنها فكرة جميلة، ولكن بعيدًا عن ذلك أيها الزعيم الطيب، فإن هنالك شخصًا ينال بنسًا وآخر لا ينال شيئًا، ومن دون البنس ربما أن الفرد يمضي ومعدته فارغة! أمثال هذه القصص جيدة للاستماع ولكنها سيئة في الاقتداء، هكذا أرى.

قال روبن الطريف:

- بحقّ إيمان قلبي! أنت دائمًا ما تقبض على الفكرة السامية التي تحدّق إلى السماء، وتمرّع أنفها في التراب! وبغضّ النظر عن هذا، فأنت لديك عقل داهية في رأسك يا ستوتلي الطيب، وها أنت الآن تأتي بي إلى أمور الدنيا، فأجزم أننا لم نحظّ بأي فرد ليأكل معنا خلال هذا الوقت الطويل. وقد تناقص مالنا في الحقيقة، إذ لم يأت امرؤ ليدفع الحساب عدة أيام. والآن، خذ جولة يا ستوتلي الطيب، واختر ستة من الرجال، وامض بهم إلى طريق فوس أو ما حوله، وانظر في جلب أحدٍ ما ليأكل معنا هذا المساء. في هذه الأثناء، سوف نعدّ وليمة كبيرة لخدمة من قد يأتي إلينا بأعظم شرف. وانتظر يا ستوتلي الطيب: أريد منك أن تصطحب ويل سكارلت معك، إذ من المناسب أن يصبح مطلقًا عارفًا بدروب الغابة.

قال ستوتلي وهو يثب:

- والآن، أنا أشكرك كثيرًا يا سيدي الطيب، على اختيارك إياي من أجل هذه المغامرة. حقًا، لقد ارتخت أطرافي خلال بقائي بكسل هنا. أما بالنسبة لاثنين من مجموعتي السداسية، فإنني سأختار ميج الطحان، وآرثر أبلاند، إذ -كما تعرف يا زعيمي الطيب- هما قبضتان قويتان بالهراوة. أليس كذلك أيها الصغير جون؟

وعند هذا ضحك الجميع إلا الصغير جون وروبين، الذي لوى وجهه! وقال:

- أستطيع الكلام باسم ميچ، وكذلك عن ابن اختي سكارلت. في هذا الصباح المبارك تحديداً، نظرتُ إلى أضلاعي فوجدتها بألوان عدة مثل عباءة الشحاذا!

وباختياره أربعة رجال نشطاء آخرين، انطلق ويل ستوتلي وفرقته نحو درب فوس، لاكتشاف مصادفة ضيف ثري، ليحضر الوليمة في ذلك اليوم في شيروود مع روبين وجماعته. وخلال طول النهار لبثوا قرب الطريق العام، وقد أحضر كل رجل معه خزيئاً كافيًا من اللحم البارد وزجاجة جعة آذار القوية، ليهدئ معدته حتى العودة إلى المسكن. وعندما علا ضحى النهار رقدوا على العشب الناعم، تحت شجيرة خضراء منتشرة من الزعرور البري، وأقاموا وليمة ودّية مرحة. بعد هذا، بقي واحد منهم يقظًا للمراقبة بينما غفا الآخرون في قيلولة، فلقد كان نهارًا ساكنًا وقائظًا. وعلى هذا النحو، أمضوا الوقت بلطف وراحة كافية... ولكن لم يُظهر لهم -كما يرغبون- أي ضيف وجهه خلال كل وقت اختبائهم. وقد اجتاز كثيرون بالدرب الترابي في وهج الشمس: حينًا مرت مجموعة من الآنسات، يثرثرن بمرح ويمشين بخفة على طول الطريق، وحينًا آخر دبّاغ يمشي بخطوات ثقيلة، أو صبي راعٍ مسرور، أو مزارع متين... كلهم يمشون ناظرين نحو امتداد الطريق، غير منتبهين للرجال الأشداء السبعة المختبئين قربهم! كانت هذه أصناف الناس المارة على الدرب، ولكن ما من رئيس دير ثري، أو إقطاعي غني، أو مرابٍ مثقل بالأموال... أخيرًا، بدأت الشمس بالنزول وانخفضت في السماوات، وصار النور أحمر والظلال طويلة، وساد السكون على الجو، وسقسقت الطيور بخفوت ونعاس، ومن بعيد... وصل صوتٌ خافت ورائق، كان صوتًا موسيقيًا من أغنية الخادمة فتاة الحليب، وهي تنادي على الماشية لترجع إلى المسكن لحلبها. ثم قام ستوتلي من حيث كان راقداً، وقال:

- فليحلّ الطاعون على مثل هذا الحظ الرديء! ها هنا قد لبثنا النهار كله وما من طائر يستحقّ الصيد -إن صحّ التعبير- قد مرّ في مدى سهمنا القصير. لو أنني سعيثُ على مهمة غير مؤذية، لصادفتُ دزينة من الكهنة البدناء أو عشرين من مقرضي الأموال الممتهلين.

ولكنها على هذا النحو أبدًا: لا يكون الأيل الكميت نادرًا جدًّا أبدًا، إلا عندما يكون للفرد سهم ريشة الإوزة الرمادية ممسوكًا بين أصابعه! هيا يا فتیان، أقول لكم: دعونا نجتمع ونعود إلى المنزل مرة أخرى.

نتيجة لذلك، نهض الآخرون وخرجوا من مكنهم في الأجمة، واستدارت أقدامهم كلهم عائدة نحو شيروود. وبعد مسير على بعض المسافة، توقف فجأة ويل ستوتلي، الذي كان يقود الجماعة، وهمس:

- صه!

فلقد كانت أذناه حادثي السمع مثل ثعلب عمره خمس سنوات!

- أصغوا! يا فتیان! أعتقد أنني سمعتُ صوتًا!

عندئذٍ توقف الكل وأصغوا بنفسٍ محبوس -رغم أنهم لم يسمعوا شيئًا خلال مدة- إذ كانت آذانهم أثقل من أذن ستوتلي. بعد مرور وقت طويل سمعوا صوتًا خافتًا وحزينًا! وكان أحدهم في عزاء ونواحٍ، قال ويل سكارلت:

- ها! يجب النظر في هذا الأمر، هنالك شخص ما في مازق قريب منا.

قال ويل ستوتلي وهو يهزُّ رأسه شاكًا:

- لا أدري! زعيمنا لا يتسرّع أبدًا في حشر إصبعه داخل قدر يغلي! ولكن -بالنسبة إليّ- لا أرى فائدة من توريط أنفسنا في معضلات مؤذية. هنالك صوت رجل إن لم أكن مخطئًا، وعلى الرجل دائمًا أن يكون مستعدًّا لتخليص نفسه من اضطراباته الشخصية.

ثم تكلم ويل سكارلت بجرأة:

- والآن سحّاقاً لك! لتتكلم بهذه الطريقة يا ستوتلي! ابقَ إذا كنت تريد، أنا ذاهب لأرى ما تكون مشكلة هذا المخلوق البائس.

- كلاً! أنت تقفز بسرعة كبيرة لذلك ستتعثّر في خندق! من قال إنني لا أنوي الذهاب! هيا! أقول.

وبهذا، قاد الطريق وتبعه الآخرون، حتى وصلوا بعد مسافة قصيرة إلى غدير، بعد أن ينبع بخير من تحت أجمة متشابكة فوق رؤوسهم، يندفع في بركة عريضة ومحصبة بالأحجار اللامعة. عند جانب البركة وتحت أغصان صفصافة، رقد شاب على وجهه وهو ينوح عالياً! بالصوت نفسه الذي التقطته أذنا ستوتلي الحادثان أول مرة. كانت خصلات شعره الذهبية متشابكة، وكل ملابسه مجعّدة مضطربة، ودلّ كل شيء حوله على الحزن والكرب! وفوق رأسه تدلت قيثارة جميلة معلّقة على أغصان الصفصافة، كانت من الخشب المصبوغ اللامع، ومطعمّة بزخارف الذهب والفضة الرائعة. وإلى جانبه، كان هنالك قوس متين من خشب شجرة المُران (46) وعشرة سهام حسنة ناعمة. عندما خرجوا من الغابة إلى الفسحة المفتوحة الصغيرة، صاح ويل ستوتلي:

- من أنت أيها الرجل المستلقي هنالك مبيدًا العشب بالماء المالح؟ (47).

لدى سماعه الخطاب نهض الغريب قافزاً على قدميه! واختطف قوسه وركّب سهمًا، وجعل نفسه في الاستعداد لأي سوء قد يحيق به! قال واحد من اليومنين عندما شاهد وجه الشاب الغريب:

- حقاً! أنا أعرف ذلك الفتى بكل تأكيد! إنه الشاعر الغنائي المعروف الذي أراه في الأنحاء كثيرًا، لم يمضِ إلا أسبوع على رؤيتي إياه يتقاذف على التل مثل صغير ظبية. كان منظره جميلًا: زهرة على أذنه، وريشة طاووس مثبتة في قبعتة، ولكنني أعتقد الآن أن ديكننا الصغير مقصوص الريش السعيد!

صاح ويل ستوتلي وهو يتقدم نحو الغريب:

- باه! امسح عينيك يا رجل! أنا أمقتُ رؤية رجل فارع قوي يبكي غارقاً في مخاطه، مثل بنت في الرابعة عشرة تنوح جزعاً على بلبلها الغرّيد! اخفض قوسك يا رجل! لا ننوي إلحاق الأذى بك.

لكن ويل سكارلت -وقد رأى كيف أن الغريب ذا الوجه الفتى الصبياني قد وخزه كلام ستوتلي- جاء عنده، ووضع يده على كتفه، وقال بلطف:

- كلا! أنت في معضلة أيها الولد المسكين! لا تلقِ بالأّ لما يقول هؤلاء. إنهم قساة لكنهم يضمرون لك الطيب، ولعلهم لا يفهمون فتى مثلك. يجب عليك أن تأتي معنا وقد نجد شخصاً معيّنًا، يمكنه أن يساعدك على مشكلاتك مهما كانت.

قال ويل ستوتلي بخشونة:

- أجل، بالفعل! هيا تعال! لم أقصد أذاك، بل لعني قصدتُ بعض الخير لك. أنزل آلتك الغنائية عن هذه الشجرة الجميلة وامض معنا.

أطاع الشابُ ونفذ ما أمر به، وبرأس مطأطأ وخطوة حزينة، انضمّ إليهم سائرًا إلى جانب ويل سكارلت. وهكذا شقّوا طريقهم خلال الغابة، وقد تلاشى النور المشرق من السماء، وسقط الالتماع الرمادي فوق كل الأشياء. في الليل، ومن أعماق زوايا الغابة وصلت إلى الأذان أصوات هامسة غريبة، وكل شيء غير ذلك كان ساكنًا، إلا صوت جلجلة خطواتهم بين الأوراق اليابسة المتكسّرة، وهي من الشتاء المنقضي.

أخيرًا، التمع وميض محمر أمامهم هنا وهناك بين الأشجار، وعلى مسافة أبعد قليلًا وصلوا إلى الفسحة المفتوحة، وهي تسبح الآن في ضوء القمر الشاحب. في مركز الفسحة، كانت هنالك نار عظيمة تفرقع وهي تشعّ وهجًا أحمر من حولها. عند النار، كانت هنالك شرائح مشوية لها عصارة، من لحم الأيل، وطائر الدراج، والديكة، والسّمك الطازج من النهر. كان

الجو كله غارقًا في رائحة لذيذة من الأشياء الطيبة المطبوخة. شقت المجموعة الصغيرة طريقها عبر الفسحة، التفت كثير من اليومنين بنظرات فضولية تلاحقهم، لكن لم يتكلم أحد أو سألهم! وهكذا جاء الغريب -وهو بين ويل سكارلت وويل ستوتلي- إلى حيث جلس روبن هود على مقعد من الطحالب أسفل شجرة الغابة الخضراء، وإلى جانبه يقف الصغير جون. عندما أخذ الغريب بالاقتراب، قال روبن هود وهو ينهض:

- عمت مساءً صديقي الجميل، هل جئت لتشاركني الوليمة هذا اليوم؟

قال الغريب وهو ينظر حوله بعينين زائغتين! فلقد كان مضطربًا من كل ما رآه:

- أها! لا أدري!

ثم قال لنفسه بصوت واطئ: بالفعل، لا أدري هل أنا في حلم؟ قال روبن وهو يقهقه:

- كلا! يا للعجب! أنت صاح، وسوف تدرك ذلك الآن، إذ هنالك وليمة راقية تُعد لك. أنت ضيف الشرف هذا اليوم.

لكن الفتى الغريب ما يزال ينظر حوله وكأنه في خيال. والآن، قد التفت نحو روبن:

- أعتقد أنني أدرك أين أنا، وماذا حصل علي! ألسنت أنت العظيم روبن هود؟

قال روبن وهو يربّت على كتفه:

- لقد أصبت عين الثور! (48). الرجال في هذه الأرجاء يدعونني بذلك الاسم. وبما أنك ميّزتني، فأنت تعرف أيضًا أن من يتناول الوليمة معي فإنه يدفع حسابه! أنا أجزم أن لديك محفظة ممتلئة أيها الغريب الجميل.

قال الغريب:

- وا أسفاه! ليس لدي كيس ولا أموال أيضًا! إلا نصفًا من عملة الستة بنسات، والنصف الآخر منه عند معشوقتي العزيزة تحمله في صدرها، معلقًا حول جيدها بصفيرة من خيط الحرير.

وعند سماع هذا الخطاب صدرت ضحكة عالية عمن حوله، وقد جعلت الفتى المسكين يبدو كأنه سيموت من الخجل والعار! لكن روبن هود التفت نحو ويل ستوتلي:

- ها! وكيف الآن؟ أهذا هو الضيف الذي جئت به إلينا ليملاً كيسنا؟ أجزم أنك لم تحضر إلا ديكًا هزيلاً إلى السوق!

أجاب ويل ستوتلي وهو يكشر:

- كلا! يا زعيمي الطيب، إنه ليس ضيفي، ويل سكارلت هو من جلبه من هنالك.

ثم تكلم ويل سكارلت، وأخبر كيف أنهم عثروا على الفتى في حزن وكرب، وكيف جلبه إلى روبن معتقدًا أنه ربما تتوفر فرصة ليساعده على معضلته. ثم التفت روبن هود إلى الشاب، ووضع يده على كتفه الآخر، وأمسكه على مسافة ذراعه وتفحص وجهه من قرب، وقال بصوت واطئ جزئيًا منه لنفسه: وجه فتى، وجه لطيف، وجه جيد، إنه مثل وجه العذراء في صفائه، وهو خلال ذلك، الأجل الذي رآته عيناى! ولكن إذا أحكم بإنصاف من النظرات، فإن الحزن يأتي على الشاب كما يأتي على العجوز.

عند سماعه هذه الكلمات المقولة بلطف شديد، اغرورقت عينا الفتى المسكين بالدموع! فقال روبن بسرعة:

- كلا! كلا! ابتهج يا ولدا! أنا أظن أن قضيتك ليست سيئة جدًّا، لتكون عصية على الحل والتدبير. ما اسمك؟

- اسمي: آلن أديل، يا قائدي الطيب.

أعاده روبن وهو يتأمل:

- آلن أديل... آلن أديل. يبدو لي أن الاسم ليس غريبًا كليًا على أذنيّ. أجل! أنت بكل تأكيد المغتبي الذي سمعناه أخيرًا، وقد فتن صوته كل الرجال. ألسنتنحدر من ديل روزستريم، ما وراء ستيفلي؟

- أجل، بالفعل! أنا أتيت من هنالك.

- كم عمرك يا آلن؟

- ليس غير عشرين عامًا.

قال روبن بعطف وحنو:

- أرى أنك صغير جدًا على أن تتورط في معضلة.

ثم التفت نحو الآخرين، وصاح:

- هيا يا فتيان، تجولوا واجعلوا مائدتنا حاضرة، إلا أنت يا ويل سكارلت، وأنت أيها الصغير جون، ابقيا هنا معي.

ثم، بعد أن انصرف الآخرون، كل رجل نحو شأنه، استدار روبن مرة أخرى نحو الشاب:

- والآن يا فتى، أخبرنا عن مشكلاتك، ولتتكلم بشكل مطلق، فسيل الكلمات يفرج عن أصل الأحزان، الأمر مثل فتح الحاجز عندما يمتلئ سد الطاحونة. تعال، اجلس هنا إلى جانبي وتحادث بحرية.

ثم باح الشاب بشكل صريح ومباشر بكل ما في قلبه للرجال الثلاثة، تكلم أول الأمر بكلمات وعبارات مفككة مضطربة، ثم انساب حديثه بحرية وراحة أعظم، عندما رأى الكل يصغون

ويقبلون عليه بكل جوارحهم. وهكذا، حكى لهم كيف جاء من يورك إلى وادي روزر الهانى، مرتحلًا عبر البلد مغنيًا، متوقفًا حينًا عند قلعة، أو مبنى فخم، وحينًا آخر عند بيت مزرعة، وكيف أمضى أمسية عذبة في بيت مزرعة واسع جدًا ومنخفض، حيث غنى أمام فرانكلن القوي، وفتاة عذراء نقية وجميلة مثل أول قطرة جليد ذائبة في الربيع، وكيف عزف وغنى لها، وكيف أن ألين ديل أصغت له وأغرمت به! ثم تكلم بصوت خفيض وعذب أعلى من همسة بقليل، وأخبر كيف أنه راقبها والتقى بها بين الحين والآخر عندما تكون في الخارج، لكنه كان خائفًا مترددًا من الكلام عند حضورها المشرق... وأخيرًا أفصح لها عن عشقه قرب ضفاف روزر، وقد همست له بما جعل أوتار قلبه تهتز طربًا! ثم قاما بكسر عملة الستة بنسات بينهما، وأقسما على الوفاء والإخلاص بينهما إلى الأبد... بعد ذلك، روى كيف أن والدها اكتشف ما يحصل، فقام بإبعادها عنه ولم يرها مرة أخرى. وبدأ أن قلبه في بعض الأحيان يوشك على التحطم والانهيار! إذ في هذا الصباح -لقد مضى شهر قصير(49) ونصف على آخر مرة رآها - سمع وعرف أنها سوف تتزوج بالسير العجوز ستيفن ترينت، بعد يومين من الآن، إذ اعتقد والد ألين، أن من العظمة أن تكون ابنته في زواج سام رفيع رغم أنها لا ترغب بذلك، ولم يكن عجبًا أن فارسًا سوف يرغب بالزواج من حبيبة قلبه الأثيرة، التي كانت أجمل عذراء في العالم كله.

إلى كل هذا الكلام أصغى الرجال الأشداء وهم في صمت مطبق وسكون! وحولهم كثير من جلبة أصوات النكات والضحك التي تحيط بهم، والضوء الأحمر من النار يلتمع على وجوههم وفي عيونهم. كانت عبارات الفتى المسكين بسيطة جدًا ولكن أحزانه كانت عميقة، حتى أن الصغير جون شعر بضيق عسير مؤكد في حلقومه! نطق روبن بعد برهة صمت:

- لا عجب أن معشوقتك قد أحبتك، فلديك بكل تأكيد صليب فضي تحت لسانك، حتى كأنك القديس فرانسيس الطيب، الذي تمكن من سحر طيور السماء بخطابه!

اندلع الصغير جون ساخطًا! ساعيًا لتغطية مشاعره بالكلمات الغاضبة:

- بحقّ روحي وجسدي، لديّ قرار حازم بأن أمضي من فوري، وأنتزع بضرب الهراوة حياة ذلك الخبيث السير ستيفن. عجبًا! هيا، أقول -يا لها من كارثة وبلاء- هل يعتقد عجوز هرم أن الفتيات الرقيقات تُشترى مثل فراخ الدجاج في نهار السوق؟ بعدًا له! أنا. ولكن لا يهم، فقط دعه ينظر إلى نفسه.

ثم تكلم ويل سكارلت:

- يظهر لي أنه ليس غير أمر سيّئ من الفتاة، أنها تغيّرت بسرعة عند عرض الآخرين، ولا سيما حين يكون الأمر بالاقتران برجل عجوز مثل السير ستيفن بالذات. لا يعجبني ذلك فيها يا آلن.

قال آلن بانفعال:

- كلا! أنت تخطئ بحقها! إنها رقيقة ووديدة مثل يمامة، أنا أعرفها حقّ المعرفة أكثر من أي شخص في العالم كله. إنها قد تنفّذ رغبة والدها، لكنها إذا تزوجت السير ستيفن فسيتحطّم



قلبا وتموت! حبيبتي وغاليتي، أنا...

ثم أمسك عن الكلام وهزّ رأسه، إذ لم يتمكن من قول المزيد! وبينما كان الآخرون يتحدثون كان روبن هود غارقًا في التفكير:

- أعتقد أن لديّ خطة تناسب قضيتك يا آلن، ولكن أخبرني قبل كل شيء: أعتقد يا فتى أن محبوبتك لها الاندفاع الكافي للزواج بك عندما تكونان معًا في كنيسة، وقد نُشر إعلان الزواج، وحضر القسيس، حتى إذا كان والدها رافضًا معارضًا؟

فصاح آلن بلهفة:

- أجل! سوف تتزوج!

- إذن، إذا كان والدها الرجل الذي أظن أنه سيكون، فإنني أتعهد بأنه سوف يمنحكما مباركته كرجل وامرأة زوجين بدلًا من السير ستيفن العجوز، وفي صبيحة زواجه! ولكن يبقى، وأنا -الآن أفكر - هو أمرٌ غير محلول... وهو القسيس! في الواقع، أولئك الذين في ذلك الزي لا يحبونني كثيرًا! وعندما يتعلّق الأمر بالقيام بما أريد في مثل هذه المسألة، فإنهم مثل نبي عنق صلب(50) بما لا يحتاج إلى إثبات. أما بالنسبة إلى رجال الدين الأدنى، فإنهم يخشون إنجاز عمل وخدمة لي بسبب رئيس دير أو مطران.

قال ويل سكارلت ضاحكًا:

- كلا! بقدر ما يتعلق الأمر بذلك، أنا أعرف راهبًا معينًا -يمكنك بكل تأكيد أن تستميل عطفه- سوف ينقذ لك عملك، حتى لو أن البابا جون بنفسه وقف ليمنعه! إنه معروف بأنه الراهب ذو الرداء القصير لدير فاونتتين، ويقع في فاونتتين ديل.

قال روبن:

- ولكن دير فاونتتين على مسافة مئة ميل تامة عن هنا! ونحن نوّد مساعدة هذا الفتى، ولا وقت لدينا للذهاب إلى هناك والعودة قبل أن تتزوج معشوقته! فلن نحصل على نتيجة من ذلك، يابن أختي.

قال ويل سكارلت وهو يضحك من جديد:

- أجل! لكن دير فاونتئين هذا ليس بعيدًا جدًا كالذي تتحدّث عنه يا خال. دير فاونتئين الذي أتكلم عليه ليس غنيًا وضحًا كالآخر، بل إنه حجرة بسيطة صغيرة، وأيضًا لطيف كموضع استوطنه ناسك قوي أبدًا. أنا أعرف المكان جيدًا، ويمكنني أن أقودكم إلى هنالك، إذ مع أنه على مسافة كبيرة، فإنني أعتقد أن زوجًا من السيقان النشطة يمكن أن تحملا رجلًا حتى هنالك وتعودان في يوم واحد.

صاح روبن:

- إذن، ناولني يدك يا آلن، ودعني أخبرك: أقسم بشعر القديسة ألفريدا المشرق، أنه وبظرف يومين من الآن، سوف تكون أئين ديل زوجتك. سوف أسعى وأبحث عن ذلك المدعو راهب دير فاونتئين يوم غد، وأتعهد بأن أستميل عطفه حتى لو وجب عليّ أن أضرب إنسانًا ضعيفًا!

وعند هذا ضحك ويل سكارلت مرة أخرى:

- لا تكن واثقًا جدًا من ذلك، أيها الخال الطيب. بغض النظر عن ذلك، وبمعرفتي إياه، أعتقد أن الراهب ذا الرداء القصير هذا، سوف يكون مسرورًا لإجراء عقد اثنين من العشاق الجميلين مثل هذين، ولا سيما إذا كان هنالك طعام وشراب جيدين يجري تقديمهما بعد ذلك!

وعندئذٍ، أتى أحد أفراد العصابة، وقال إن السماط قد مدّ على العشب، فتقدّم روبن وتبعه الآخرون إلى حيث بُسطت المائدة العامرة. وكانت وليمة بهيجة: تداولوا نكات وقصصًا بحريّة... وضحك الكل حتى اهتزت الغابة وربت بالأصوات! أما آلن فقد ضحك مع البقية، إذ كانت وجنتاه متوهجتين بالأمل الذي منحه إياه روبن هود. وبعد أن انقضت الوليمة التفت روبن هود نحو آلن الذي كان يجلس إلى جانبه:

- والآن يا آلن، قيل الكثير عن غنائك، لذا، فإننا نودّ بكل سرور أن نسمع طرفًا من مهاراتك بأنفسنا، ألا يمكنك أن تقدّم إلينا شيئًا؟

أجاب آلن باستعداد:

- بكل تأكيد!

إذ أنه لم يكن مطربًا دوليًا من الدرجة الثالثة، حتى يلزم أن يُطلب منه مجددًا ومجددًا، بل إنه يقول (نعم) أو (لا) عند أول طلب. وهكذا تناول قيثارته ومرّر أصابعه بخفة ورشاقة على الأوتار الصاححة بعدوبة، والكل حول قماش المائدة قد سكنوا وأصغوا. ثم -بتعزيز صوته بالموسيقا اللطيفة على القيثارة- شرع يغني:

زواج مي ألين

(يقدم سردًا عن كيفية أنها كانت معشوقة أمير جميل أخذها لبيته الخاص).

١

جلست مي ألين تحت شجرة زعرور بري

وحولها على وشك أن تقام حفلة زواج

والزهر يتساقط عند كل هبة نسيم مثل الثلج على الأرض

وفي شجرة زيزفون قريبة

سُمعت الأغنية العذبة لطائر بري غريب:

٢

يا حلوة، حلوة، حلوة، يا شديدة اللطافة،

يا لطيفة السلالة الدائمة

قلب مي ألين في صدرها

ما يزال رغم ذلك ينبض بألم في الهناء.

وهكذا -بالإصغاء- بوجه مقلوب،

جلست كالميتة في ذلك المكان الجميل.

٣

(تعال وانزل عن الزهر أيها الطائر!

اخرج واهبط من الشجرة

وسوف أدعك تستقرّ على فؤادي وأحبك بشفقة وحنان).

هكذا نادى مي ألين برقة وصوت خفيض

من حيث كانت شجرة الزعرور تصبّ ثلجها.

٤

انحدر الطائر بجناح مرتعش منبثقًا من الشجرة المزهرة

واستقر في صدرها الأبيض الثلجي،

صاحت: يا حبي! يا حبي

ثم -نحو البيت باستقامة، بين الشمس والورد-

حملته نحو تعريشتها الصيفية الجميلة.

٥

انقضى النهار حتى الليلة الشجية

والقمر يعوم فوق المرج

وفي نوره الجليل المصفرّ يقف شاب بسكون:

شاب الجمال الغامض النادر هناك داخل تعريشة مي ألين.

٦

وقف حيث فوق الأرضية المرصوفة الباردة

تسقط أعمدة نور القمر البراقة.

حدّقت مي ألين بعينين متّسعيتين خائفتين!

ولم تتمكن من التراجع

إذ -مثلما نرى روحًا في الأحلام الغامضة- وقف بصمت وسكون!

٧

بصوت واطئ متهدّج كليًا قالت: من أين جئت؟

أأنت مخلوق في حلم أم رؤية أراها؟

ثم نطق بلطف ونعومة

مثلما يتردد النسيم القريب خلال القصب القوي عند جانب النهر:

٨

لقد جئث -على جناح طائر مريّش- من أرض الخيال البعيدة

حيث تصدح المياه الفوّارة بلطف على الضفة الذهبية

حيث تظل الأشجار الجميلة خضراً إلى الأبد،

وحيث تكون أُمي ملكة.

٩

ما عادت مي ألين تغادر تعريشتها لتكسب حسن الزهر

لكن في ساعة منتصف الليل الصامتة يسمعون كلامها هناك

أو -عندما يشرق القمر الأبيض- يسمعون غناءها خلال الليل.

١٠

أوه، البسي ملابسك الحريري والمجوهرات الجميلة،

قالت أم مي ألين، إذ يأتي هنا لورد لاين

وأنت يجب أن تتزوجي بهذا اللورد.

تقول مي ألين: قد لا يكون ذلك.

فإنه لن يجد في زوجة له أبدًا!

١١

فتكلم أخوها عابسًا مكفهرًا:

والآن بحق السماء الزرقاء المشرقة

مع أنه لم يمض عليه يوم،

يموت ذلك الطائر الشرير

لأنه قد أحدث لك أذى مريعًا

ربما بفن غريب ما أو سحر بارع!

١٢

ثم -بأغنية حزينة وملأى بالرتاء- حلق الطائر بعيدًا

فوق أفاريز القلعة، وخلال السماء الرمادية ذات الرياح العاتية

صاح الأخ متجهماً: تعالي واظهري!

لماذا تنظرين وراءه بهذا الشكل؟

١٣

إنه يوم زفاف مي ألين، السماء زرقاء وجميلة

وكثير من اللوردات والسيدات السعداء تجمعوا هنالك في الكنيسة

الزوج كان السير هوغ المقدام وهو متّشح كله بالحريير والذهب

١٤

دخلت العروس وهي ترتدي حريير السيمائت(51). الأبيض

وعلى عينيها تثبتت نظرة زجاجية(52).

ويعلو رأسها إكليل ورد أبيض

ووجهها كسيماء الميت

وحين وقفت بين الحشد غنت أغنية بريّة عجيبة!

١٥

ثم حلّ صوت غريب وسريع مثل ما تأتي به الريح القادمة

وفي النوافذ المفتوحة

تدفقت تسع إوزات بأجنحة تؤرّ أزا

حلقت عاليًا فوق الرؤوس

وشقت طريقها خلال الظلام بلمعان

١٦

ودارت حول رأس مي ألين بصخب واسع وعاصف

ودارت ثلاث مرات حول الشرفة

فلاذ الضيوف بعضهم ببعض ذعرًا

وهناك القسيس في جانب المذبح

أدى علامة الصليب وتمتم بصلاته!

١٧

ولكن عند الدورة الثالثة لها اختفت الجميلة ألين مباشرة!

وفي موضعها على الأرض

وقفت هناك إوزة بيضاء كالثلج!

ثم -بترتيل برّي حبيب- انضمت إلى السرب السريع المرفرف.

١٨

كان في ذلك الحفل رجال كبار السن بعمر الستين وأكثر

لكنهم لم يشهدوا يوم زفاف عجيب مثل هذا قط!

ولكن لا أحد أرجأ ولا أوقف الإوزات

التي حملت العروس بعيدًا...

لم يصدر صوت يعكّر السكون عندما أكمل آلن أديل، بل جلس الكل محدقين بالمغني
الوسيم، إذ كان صوته رائعًا جدًّا وموسيقاه كذلك، حتى أن كل رجل قبع محبوس الأنفاس!
خشية أن تحصل نعمة زائدة قد يفقدها. أخيرًا قال روبن وهو يشهق نفسًا عميقًا:

- بحق إيماني وولائي! أيها الفتى، يجب أن لا تغادر صحبتنا، يا آلن! ألا تبقى معنا هنا في الغابة الخضراء الرائعة؟ حقًا، أنا أحسّ بقلبي يندفع نحوك بحبّ عظيم!

فأمسك آلن بيد روبن وقبّلها:

- سوف أبقى معكم دائمًا يا زعيمي العزيز، لأنني لم ألق مثل هذه الطيبة والحنو كالتى أظهرتموها لي هذا اليوم.

ثم مدّ ويل سكارلت يده وصافح يد آلن رمزًا للرفقة، وكذلك فعل الصغير جون. وهكذا، أصبح آلن أديل المشهور واحدًا من عصبة روبن هود.

(46) (Ash tree).

(47) يقصد دموعه الغزيرة.

(48) كلامك صحيح.

(49) (Short Month) لعله يقصد أحد الأشهر ذات الثلاثين يومًا، أو شهر شباط خاصة.

(50) (Stiff-necked) عنيد.

(51) (Samite) نوع من النسيج الحريري الغني المحاك مع خيوط الذهب والفضة، كان يستعمل لثياب الزينة والزخرفة في العصور الوسطى.

(52) (Glassy look) نظرة كابية.

روبن يبحث عن راهب فاونتين ذي الرداء القصير

كان شجعان غابة شيرود ينهضون مبكرين عند الصباح دائماً، ولا سيما عندما يحلّ زمن الصيف، إذ في طراوة الفجر يكون الندى الأكثر التماعاً، وأغنية الطيور الصغيرة الأعذب لحنًا. قال روبن:

- والآن، سوف أنطلق باحثًا عن المدعو راهب دير فاونتين، الذي تكلمنا بشأنه الليلة الماضية، وسأخذ معي أربعة من رجالي المخلصين، وهم: الصغير جون، وويل سكارلت، وديفيد دونكاستر، وأرثر أبلاند. ليظلّ بقيتكم هنا، وليكن ويل ستوتلي قائدًا عليكم في مدة سفري.

ثم قام روبن هود من فوره بارتداء درع من السلاسل الفولاذية الجيدة، وفوقه لبس سترة خفيفة من خضرة لنكولن، وركّب على رأسه غطاء فولاذيًا، ثم جعل عليه واحدًا من الجلود البيض، وفيه ثبتت ريشة طاووس كبيرة متمايلة، وعلّق على جانبه سيفًا عريضًا جيدًا من الحديد المقسى، وقد غطت النقوش والرسوم كل النصل المزرق، بأشكال غريبة من التنانين والنساء المجنّحات وسواها... وظهر روبن في مشهد سامٍ رفيع -كما أرى- والتمع الحديد هنا وهناك، عندما سقط نور الشمس بإشراق، على حلقات روابط الدرع الصقيل الذي ظهر تحت معطفه الأخضر.

وهكذا -بترتيبه ملبسه ونفسه- انطلق مع الأربعة الأقوياء على طريقهم بقيادة ويل سكارلت، إذ كان يعلم إلى أين يمضي أكثر من الآخرين. وقد قطعوا على هذا النحو ميلًا بعد ميل... حينًا يخوضون عبر جدول هادر، وحينًا آخر يسرون على طول درب مشمس، وحينًا عبر أحد المسالك الجميلة في الغابة، وفوقهم التقت أغصان الأشجار في ظلة

خضراء ذات حفيف، وصادفوا عند نهايتها قطيعًا من الظباء الجافلة! التي اندفعت مسرعة وتلاشت بعيدًا مع حفيف الأوراق وفرقة الأغصان.

ساروا سعدًا وهم يغتّون ويمرحون بالنكات والضحكات، حتى انقضت سحابة النهار، ووصلوا عند ضفاف نهر عريض ولامع ومغطى بزهرات النيلوفر. وها هنا يمتدّ درب عريض على طول جوانب الضفاف، وهو معبّد بسير الخيول، التي سحبت بتثاقل مراكبَ بطيئة محمّلة بكميات من الشعير وسواه، من الريف إلى المدينة ذات الأبراج الكثيرة. ولكن في هذا الوقت الساكن المطبق والحر من منتصف النهار، لم يُرَ أي حصان أو رجل قريبًا منهم. يمتد خلفهم وأمامهم النهر، تتكدر ترائبه الهادئة هنا وهناك بالغسق الأرجواني ذي النسيم الضعيف. أحاطت أغصان الصفصاف الخضر الغضة بالضفاف، وعلى البعد التمتع في الشمس القرميد الأحمر من بعض أفاريز الأبراج الطويلة، وومضت مؤشره الرياح في مواجهة السماء الزرقاء. وفي هذا الوقت، سافروا بيسر أكثر، إذ كان الدرب مستويًا وصلبًا، ومن حولهم وفوق سطح الماء قفزت طيور السنونو وغطست، وانبثقت اليعاسيب هنا وهناك وهي تتلألأ في شعاع الشمس، وبين الحين والآخر ينهض أحد طيور مالك الحزين المنعزل وهو يرشّ الماء، وبصيحة زعر من مخبئه بين القصب والبردي، الذي نما في الحافات الضحلة من الجدول. وأخيرًا، قال ويل سكارلت، بعد أن ساروا وقتًا طويلًا والنهر المضيء الجميل:

- والآن، يا عمي الطيب. أمامنا تمامًا، وراء تلك الاستدارة مجرى منخفض لا عمق فيه أكثر مما يصل إلى منتصف فخذك، وعلى الجانب الآخر من النهر، هنالك صومعة معينة صغيرة مختبئة وسط كثافة الأغصان المتشابكة، حيث يستقرّ فيها راهب دير وادي فاونتين. إلى هنالك، سوف أقودكم لأنني أميّز الطريق مع أنه ليس عسيرًا أن تعثروا عليه.

لكن روبن المرخ توقف فجأة! وقال:

- كلا! لو أنني ظننتُ أنه سوف يجب عليّ أن أخوض في النهر، حتى لو كان جدولًا صافيًا كرساليًا كهذا، لارتديتُ ملابس أكثر مما وضعتُ. ولكن هذا لا يهمّ الآن، فمهما يكن فإن

البلل لن يجرف الجلد ويزيله، وليحصل ما يجب أن يحصل! لكن ابقوا هنا أيها الفتيان،
لأنني أودّ الاستمتاع بهذه المغامرة وحدي. ومع ذلك، انتبهوا جيدًا: إذا سمعتموني أطلق
صوتًا ببوق القرن فتعالوا من فوركم!

فهمهم الصغير جون قليلًا:

- على هذا النحو أبدًا! أنت دائمًا تبحث عن المغامرات وحدك، أما نحن -الذين لأرواحنا قيمة
قليلة بالنسبة إلى روحك، والتي لا تكون مسرورة إلا بالتقدم علينا - فيجب أن نقبع -إن
صح التعبير - مقلّبين إبهاماتنا بكسل(53).

قال روبن المرح:

- كلا، أيها الصغير جون، أعتقد أن هذه المغامرة بلا خطر عليّ. أنا أعلم أنكم فوق الاستعداد
للمجازفة بأرواحكم، وبغض النظر عن هذا، البثوا هنا في هذا الوقت كما أمرتكم.

وبعد هذا، استدار وغادرهم سائرًا متقدّمًا على وجهته وحده. لم يمشِ روبن أبعد من حيث
موضع التواء الطريق أخفى صحبه المخلصين عن ناظريه، لكنه توقف على حين غرة! لقد
ظنّ أنه سمع أصواتًا! فلبث ساكنًا وأصغى، وها هو الآن يسمع كلماتٍ تتردّد بين ما يبدو
أنهما رجلان، ومع ذلك، بدا أن الصوتين متماثلان بصورة عجيبة! يصل الصوت عبر ما خلف
الضفة، وهناك كانت منحدرًا وعالية، تنخفض عن حافة الطريق عشرة أقدام نحو حافة
النهر ذات البردي. بعد لحظات، وعندما كفّ الصوتان عن الكلام، تمتم روبن لنفسه: هذا
غريب! بكل تأكيد هنالك اثنان من الناس تكلمًا مع بعضهما، ومع ذلك، أرى أن صوتيهما
متشابهان بشكل كبير! أقسم على أنني لم أسمع مثل ذلك في كل حياتي. حقًا، لو جرى
الحكم بين هذا التوأمين بصوتيهما، فما كانت حبتنا بازلاء أكثر شبهاً! سوف أنظر في هذا
الحدث. بعد ذلك، تقربّ بهدوء نحو ضفة النهر وخفض جسمه على الحشائش، واسترق
النظر من فوق الحافة نحو الأسفل: كان الموضع كله لطيفًا وظليلاً أسفل الضفة، نما هنالك
صفصاف ثخين، لكنه لم يكن باستقامة نحو الأعلى بل منحنيًا عبر الماء، مظللًا البقعة

بأفياء أغصانه وأوراقه الوارفة الخلافة. وفي الأرجاء ينمو كثير من السرخس المريش، مثل ما يختبئ ويعشش في أماكن باردة لطيفة، وارتفع نحو منخري روبن شذا رقيق من الزعتر البري، الذي يعشق الحافات الرطبة من الجداول الجارية. هنا، جلس -بظهره العريض مستندًا إلى جذع وعر من شجرة صفصاف، ونصف محجوب بالسرخس اللين حوله - رجل ممتلئ قوي، ولكن لم يكن من رجل آخر هنالك! كان رأسه مدورًا كالكرة، ومغطى بحصيرة كثيفة (54). النسج من الشعر الأسود المجعد التي نمت وتدلّت على جبينه. لكن قمة رأسه كانت حليقة بشكل ناعم مثل راحة اليد، تلك التي مع رداؤه الفضفاض، وقلنسوته، والمسبحة، أظهرت أنها -رغم أن سيماءه لم تكن ذات صلة تامة كليًا- لا تعدو أن تكون لراهب. كانت وجنتاه حمراوين ومشرقتين مثل تفاح الشتاء، مع أنهما كانتا تقريبًا تحت غطاء من لحية سوداء مجعدة متراصة، كذلك ذقنه وشفته العليا. كانت رقبتة غليظة مثل عنق ثور شمال البلاد، ورأسه المكور مثبت بقرب على كتفيه المماثلتين لما عند الصغير جون نفسه. وتحت حاجبيه الأسودين الكثيين تراقصت عينان رماديتان صغيرتان، لا تستقران بسبب ظرافة المزاج، إذ لا يمكن لرجل أن ينظر إلى وجهه، من دون أن يشعر بأوتار قلبه وهي تُداعب بهجة نظراتهما.

وعلى جانبه كانت هنالك خوزة معدنية، قد نزعها طلبًا لتبريد رأسه. كانت ساقاه ممدودتين باتساع، وقد أمسك بين ركبتيه فطيرة كبيرة مكونة من اللحوم ذات العصارة من أنواع مختلفة، وطُيبت بالبصل الطازج اللذيذ، وكلاهما: اللحم والبصل ممتزجان بالصلصة الغنية الطيبة. وكان يمسك بقبضته اليمنى قطعة كبيرة من الخبز الأسمر، وكان يمضغ منها بقوة، وبين الحين والآخر يقحم يده اليسرى في الفطيرة ويجذب منها قطعة لحم؛ وبسرعة يتناول رشفة كبيرة من زجاجة كبيرة من نبيذ المزي (55). ملقية إلى جانبه. قال روبن لنفسه: بحق إيماني! أعتقد بلا ريب أن تلك ألدّ وليمة، وأبهج مخلوق، وأجمل مكان، وأروع مشهد في كل إنجلترا السعيدة. كنتُ أظن أن هنالك شخصًا آخر، ولكن لا بد من أن هذا الرجل المقدس كان يتحدث مع نفسه!

وهكذا اضطلع روبن مراقبًا الراهب، أما الراهب نفسه -وهو يجهل تمامًا أنه مُراقب- فقد تناول وجبته بسكينة وتروّ. وعندما أنهى ذلك، قام أولاً بمسح يديه المدهنتين على السرخس والزعتر البري، (وما كان المنديل النظيف سائدًا في العالم كله)، ثم أمسك زجاجته ورفعها، وبدأ يتكلم مع نفسه وكأنه رجل آخر، ويجيب نفسه كأنه شخص مختلف:

- عزيزي الفتى، أنت أطف رفيق في العالم كله، أوكد أنني أحبك مثل عاشق مغرم بفتاته. يا فتى! حقًا جعلتني أشعر بالخجل والعار! بسبب كلامي هكذا مع نفسي في هذا المكان المنعزل، لا أحد في الجوار، وحتى لو أنك جعلتني على هذا النحو، فإنني أحبك وكأنك تحبني. ها إذن! ألن تأخذ رشفة من نبيذ مالسمي الجيد؟ بعدك يا فتى! بعدك! كلا، أنا أتضرّع إليك، اجعل الرشفة عذبة بشفتيك (وهنا مرّر الزجاجاة من يده اليمنى إلى اليسرى). وأنت سوف تفرض ذلك عليّ كذلك، فأنا يجب أن أقبل دعوتك، ومع ذلك، بسرور أكثر في ما أفعل عندما أشرب لصحتك الشخصية العظيمة، (عندئذ تناول جرعة طويلة عميقة). والآن، أيها الفتى اللطيف، ها هو دورك قادمٌ (وقام بتمرير الزجاجاة وإعادتها من يده اليسرى إلى اليمنى). ها أنا آخذها يا صديقي الجميل، وأرجو لك من الخير بمقدار ما ترجو لي.

بعد ذلك، أخذ رشفة أخرى، وبالفعل كان قد شرب ما يكفي لشخصين! خلال كل هذا الوقت... كان روبن المرح مستلقيًا على الضفة وهو يصغي، بينما كانت بطنه ترتج بقوة بالضحك! الذي كان يكتمه بوضع يده على فمه ليمنع نفسه من الانفجار بالقهقهة! إذ فعلاً ما كان ليفسد مثل هذا المشهد المضحك المتقن، ولو أعطيت له نصف مقاطعة نوتنغهام! وبعد التقاط الراهب أنفاسه من جرعته الأخيرة، بدأ يتكلم على هذا النحو:

- والآن، أيها الولد الجميل، ألا يمكنك أن تغني لي أغنية؟ لا، لا أعرف، أنا في صوت معتلّ اليوم، وأتوسّل إليك أن لا تطلب مني ذلك، ألا تسمعني كيف أنقّ مثل ضفدع؟ كلا! كلا! صوت رائق مثل عصفور الدغناش (56). هيا، غنّ، أرجوك، أنا أفضل سماعتك تغني أكثر من أكل وليمة لذيذة كبيرة. يا للأسف! ما كان ليسرني إلا أن أغني أمام من ينفخ بشكل جيد، وقد سمع كثيرًا من الأغاني الجيدة والقصائد الملحنة، ولا يهمّ، سوف تنالها، سأفعل ما

بوسعي. ولكن الآن أعتقد أننا أنا وأنت قد نغني أغنية جميلة ما معًا، ألا تعرف أغنية معينة قصيرة أنيقة تدعى: (الشاب العاشق والفتاة المحترقة)، ها! بالفعل، إنني أعتقد أنني سمعتها قبل هذا الوقت. وألا تعتقد أنك يمكن أن تؤدي دور الفتاة إذا أخذت دور الفتى؟ لا أعرف ولكنني سأحاول، ابدأ أنت بما يقوله الشاب، وبعدهك سوف أتلو ما تقوله الفتاة.

ثم شرع بالغناء أولاً بصوت عميق أجش، وفوراً في صوت عالٍ وجهير، ثم غنى بهجة الأغنية اللطيفة حول:

الشاب العاشق والفتاة المحترقة

هو

آه، هل ستأتين معي يا حبي؟

وهل ستكونين -أيتها الحب- لي؟

لأنني سأمنحك -يا غرامي- أربطة رائعة وأشرطة جميلة جداً.

أتوسل إليك -يا عشقي- وأجثو على ركبتي المطوية.

ولن أعزف أعذب الأغاني لأحد سواك.

في ذلك الحين: استمعي! استمعي! استمعي!

إلى القبرة المحلقة وإصغائها إلى اليمامة ذات الهديل!

والنرجس البري المتألق ينمو عند الجدول

لذلك تعالي وكوني حبي.

هي:

ابتعد! أيها الرجل الفتى الوسيم

الآن أقول لك: امض بعيداً

فحبي الحقيقي لن يكون لك

والأجدر بك أن لا تبقى هنا.

أنت لست فتى جديراً تماماً بالنسبة إليّ

لذلك فإنني سأنتظر حتى أرى رجلاً أفضل

في ذلك الحين: استمع! استمع! استمع!

إلى القبرة المحلقة وإصغائها إلى اليمامة ذات الهديل!

والنرجس البري المتألق ينمو عند الجدول

لكنني لن أكون حبك.

هو:

إذن سأقوم مباشرة بالبحث عن جميلة أخرى،

إذ يمكن العثور على كثير من الفتيات

وبما أنه لن يكون لديك شيء لي، فأنا لن أكون ملزماً لك

فلا يندر جدًّا وجود زهرة في الحقل أبدًا

ولكن النادر هو وجود الآخرين الطيبين بكل بساطة.

في ذلك الحين: استمعي! استمعي! استمعي!

إلى القبرة المحلقة وإصغائها إلى اليمامة ذات الهديل!

والنرجس البري المتألق ينمو عند الجدول

وسوف أبحث لنفسي عن حب عزيز آخر.

هي:

أيها الفتى، لا تمض بعيدًا بسرعة!

لتبحث عن فتاة حسناء أخرى.

أعتقد أنني تكلمت باستعجال اليوم،

ولم أتدبّر وأقرّر بعقلي.

فقط إذا بقيت معي فلن أهوى شخصًا آخر -أيها الفتى الرائع- إلا إياك.

وهنا لم يتمالك رобен نفسه، فلم يستطع منع نفسه من الانفجار بالضحك والقهقهة العالية!

ثم -وقد استمرّ الراهب المقدّس بالأغنية- انضمّ إلى جوقة الإنشاد، ومغًا غثيا، أو -قد يقول

المرء- جأرا:

ثم: استمعي! استمعي! استمعي!

إلى القبرة السعيدة وإصغائها إلى اليمامة ذات الهديل!

والنرجس البري المتألق ينمو عند الجدول

وسأكون عشقك الحقيقي الخاص.

وهكذا، أخذاً ينشدان معاً! إذ لم يبداً أن الراهب الشديد سمع ضحكة روبن، ولا درى أن الرجل الشجاع قد دخل في أغنيته، بل إنه -بعينين نصف مغمضتين، وهو ينظر باستقامة أمامه ويؤرجح رأسه المكور من جانب إلى آخر نحو الموسيقى- استمر بإقدام حتى النهاية، وقد ختم مع روبن بصيحة شديدة قد تُسمع على مسافة ميل! ولكن ما إن تمت آخر كلمة من الأغنية حتى اختطف الرجل المقدس خوذته الفولاذية، وركبها على رأسه، ووثب على قدميه، وصاح بصوتٍ مجلجل:

- أي جاسوس لدينا هنا؟ تقدم! - أنت طرف شرٌّ - وسوف أشرحك إلى أوصال مثل سجق اللحم، كما لم تطبخ زوجة في يوركشاير يوم أحد قط!

وهنا، قام من تحت إبطه باستلال سيف عريض هائل شديد كالذي عند روبن، فقال روبن وهو ينهض ودموع الضحك ما تزال عالقة على وجنتيه!

- كلا! دع ذلك الحديد الغاضب يا صديق، إن الناس الذين يغنون معاً بانسجام وهناء يجب أن لا يتقاتلوا بعد ذلك.

وعند ذاك وثب نازلاً نحو الضفة إلى حيث وقف الآخر، وقال:

- أقول لك يا صديق: أصاب حلقومي الظماً بسبب تلك الأغنية، مثل أعواد الشعير في تشرين الأول، أيصادف أن لديك أي نبيذ مالمسي بقي في تلك القارورة المتينة؟

قال الراهب بصوت كئيب:

- حقاً! أنت نفسك تطلب بحريّة ولست مدعوّاً. ولكن أنا أوّمن بأنني مسيحي طيب جداً، وهذا يمنعني من رفض أي رجل يشرب وهو ظامئ. وبوجود من هو في مثل حالتك، فإنه

يُسمح لك أن تشرب بالمثل.



وقام بامساك الزجاجة ومدّها نحو روبن. فتناولها بلا مزيد من الصعوبة، ووضعها على شفّتيه، وقد أمال رأسه نحو الخلف، وأعتقد أنه كرع ذلك في ضمن ما يصدر بثلاثة أصوات من الجرعات: غلوغ، غلوغ، غلوغ، في أكثر مما تطرف العين بثلاث مرات! راقب الراهب النشيط روبن بقلق في تلك المدة القصيرة، وعندما انتهى أخذ الزجاجة بسرعة! هزّها وجعلها بين عينيه والضياء، وهو ينظر شزراً بتوبيخ نحو الرجل اليومن، وقام من فوره بوضعها على شفّتيه. وعندما نزعها عن فمه مرة أخرى لم تكن فيها قطرة. سأله روبن وهو يضحك:

- أيها الرجل الطيب المقدس، هل تعرف البلدة في هذه الأنحاء؟

فأجاب بجفاف:

- نعم، نوعاً ما!

- وهل لك علم بموضع معين يُدعى: دير فاونتتين؟

- أجل، تقريباً!

- إذن، من المحتمل أن تعرف أيضًا شخصًا محددًا له اسم: الراهب ذو الرداء القصير في دير فاونتتين.

- نعم، تقريبًا!

- حسنٌ أيها الرفيق الطيب، الأب المقدس، أو مهما تكن... أودّ أن أعرف: إن كان هذا الراهب نفسه موجودًا على هذا الجانب من النهر أو ذلك.

- بالفعل، ليس للنهر من جانب إلا الآخر.

- كيف تثبت ذلك؟

- قال الراهب وهو يحسب النقاط على أصابعه:

- ها! على هذا النحو: الجانب الآخر من النهر هو الآخر، أتسلّم بذلك؟

- نعم، حقًا.

- لكن الجانب الآخر ليس إلا جانبًا واحدًا، هل تلاحظ؟

- لا أحد يمكنه أن ينفي ذلك.

- إذن، إذا كان الجانب الآخر جانبًا واحدًا، فإن هذا الجانب هو الجانب الآخر، لكن الجانب الآخر هو الجانب الآخر، لذلك، فإن جانبي النهر هما الجانب الآخر، وهو المطلوب إثباته!

قال روبن:

- هذا مبرهن بيسر وكما يجب. ولكنني ما أزال في إبهام! أن هذا المدعو الراهب ذا الرداء القصير على جانب النهر الذي نقف عليه، أو على جانب النهر الذي لا نقف عليه.

- ذلك سؤال عملي، حيث لا ترتبط فيه المبادئ البارعة بالطابع المنطقي. أنا أنصحك بالفعل أن تكتشف ذلك بالاستعانة بحواسك الخمس الخاصة: النظر، اللمس، وسواها...

قال روبن وهو ينعم النظر إلى الراهب الشديد:

- أودّ فعل ذلك كثيرًا: بأن أعبّر النهر الواطئ هنالك، وأسعى إلى العثور على هذا الراهب الطيب المذكور.

قال الراهب بورع:

- حقًا، إنها رغبة جيدة على جانب الشخص الفتى جدًّا. وبعيد جدًّا بالنسبة إليّ أن أكبحك في مثل هذا الطلب المقدس. أيها الصديق، النهر متاح للجميع.

- أجل، أيها الأب الطيب، لكنك ترى أن ملابسي من أفضل الأنواع، ولا أريد أن أجعلها تبتل! أعتقد أن منكبيك عريضان وراسخان، ألا يمَسّ ذلك قلبك لتحملني عبر النهر؟

وهنا انفجر الراهب في غضب غير مسيطر عليه:

- والآن! بحق اليد البيضاء لسيدة فاونتين الطاهرة! هل أنت -أيها الفتى الغرّ البائس التافه، أنت أيها الببغاء المتأنق متزلف النساء- أنت... أنت، ماذا أدعوك؟ أنت تطلب مني -أنا الرداء المقدس- أن أحملك؟ والآن أنا أقسم...

وهنا أحجم فجأة! ثم تلاشى السخط عن وجهه رويدًا رويدًا، ورمشت عيناه الصغيرتان مرة أخرى، وقال بتقوى:

- ولكن لم لا أفعل؟ ألم يقيم القديس كريستوفر دائمًا بحمل الغريب عبر النهر؟ فهل يجب أن أكون -أنا المذنب المسكين- خجلًا من فعل الأمر نفسه؟ تعال معي أيها الغريب، وسوف أنقذ طلبك بطريقة عقلانية متواضعة.

وهكذا قام بالتسلق بجهد إلى أعلى الضفة، وتبعه روبن قريبًا، وقاده نحو المجرى المائي الضحل وهو يضحك وحده! وكأنه كان يستمتع بنكتة جيدة ما مع نفسه! وعند الوصول إلى المجرى الواطئ، قام برفع أذنيه وربط طرفها حول خصره، وأدار سيفه العريض القوي تحت ذراعه، وأحنى ظهره ليتمكن روبن من الركوب. لكنه فجأة استقام، وقال:

- أعتقد أن سلاحك سيبتل، فدعني أجعله تحت ذراعي مع سلاحني الخاص.

- كلا! أيها الأب الطيب، ما كنت لأثقل عليك بأي شيء يخصني إلا أنا.

قال الراهب بدمائة:

- أعتقد أن القديس كريستوفر الطيب يرى راحته على هذا النحو؟ كلا! ناولني أداتك كما طلبت منك، فإنني أريد حملها تكفيرًا عن كبريائي وغرروي!

وعلى هذا -وبلا مزيد من الاحتجاج- انتزع روبن هود سيفه من جانبه، وسلّمه إلى الراهب الذي أقحمه تحت إبطه. ومرة أخرى، انحنى الراهب واعتلى عليه روبن هود، واقتحم الماء وأخذ يخطو بثبات وهو يثير المياه الضحلة، ويعكّر السطح الرائق بحلقات تتسع وتتسع... وفي النهاية، وصل إلى الطرف الآخر ووثب روبن برشاقة من على ظهره، وقال:

- أشكرك كثيرًا أيها الأب الخير. حقًا أنت رجل طيب ومقدّس. أرجوك الآن: أعطني سيفي ودعني أمض لأنني على عجلة من أمري!

وعند ذلك، صعد الراهب القوي في روبن النظر لوقت طويل... ورأسه يميل إلى جانب، وعلى وجهه أشدّ تعبير من المزاح، ثم غمز بعينه اليمنى ببطء، وقال بهدوء ولطف:

- كلا! أيها الشاب الطيب. لا أشك في أنك على عجلة من شؤونك، لكنك لا تفكر في أي أمر مما يخصني. أنت ذو طبيعة مادية شهوانية، أما أنا فذو صبغة روحية، عمل مقدس -إن صح التعبير- وفوق هذا، فإن أموري الخاصة تقبع هنالك على الجانب الآخر من هذا

الجدول. أنا أرى بسعيك بحثًا عن هذا المتوحّد المقدس نفسه، أنك رجل فتي طيب والأكثر تبحرًا لرجل الدين. لقد أصابني البلل وأنا أعبّر إلى هنا، وأخشى بكل حزن أنني سوف أخوض في الماء مرة أخرى، وأن ستصيبني تشنّجات وآلام في المفاصل، بما قد يضرّ توجهاتي العبادية لعدة أيام قادمة. أنا أعلم بما أنني قد أنجزتُ بتواضع كبير طلبك، فإنك سوف تحملي وتعود بي. أنت ترى كيف أن القديس كودرك -ذلك الناسك الطاهر وفي هذا اليوم ذكرى ولادته- قد جعل في يديّ سيفين وجرّدك من سيفك! لذلك، كن مقتنعًا راضيًا أيها الفتى الطيب، واحملي وعد بي مرة أخرى.

تفحصه روبن هود ناظرًا إلى الأعلى والأسفل، وعضّ على شفته السفلى:

- أيها الراهب الماكر! لقد نلت مني بشكل منصف وسريع بما يكفي! دعني أقل لك إن لا قطعة من ملبسك، قد خدعتني بشدة بمظهرها الكاذب في كل حياتي قط. لعلي أدرك من نظراتك أنك لست رجلًا قديسًا تمامًا كما تظاهرت بأن تكون.

قاطعته الراهب:

- كلا! أطلب منك أن لا تتكلم بحقد شديد، وإلا ربما ستصادف شعورًا بوخزة بمقدار بوصة أو قريب من ذلك من الفولاذ الأزرق!

- وي! وي! لا تتكلم هكذا أيها الراهب! للخاسر الحقّ دائمًا في أن يستعمل لسانه ما دام راغبًا. أعطني سيفي، وأعدك بكل ثقة أن أحملك على قفاي مباشرة. ها! لن أرفع السلاح ضدك!

قال الراهب:

- ها! تعال! أنا لا أخافك أيها الرفيق. هذا سفّودك، ولتكن الآن حاضرًا لأنني أستعجل الرجوع.

وهكذا استردّ روبن سيفه وثبته على جانبه، ثم أحنى ظهره وأخذ الراهب عليه. والآن، أعلم أن روبن هود قد نال حمولة أثقل بنقل الراهب، أكبر مما حمله الراهب عند عبوره. وأكثر من ذلك، لم يعرف مسار المياه المنخفضة، ولهذا، مضى يتعثّر بين الأحجار، ويخطو حينًا على حفرة عميقة، أو يكاد يكبو عند جلمود، والعرق ينضح نازلًا على وجهه في شكل حباتٍ، بسبب الجهد والصعوبة من رحلته وثقل من يحمل. في تلك الأثناء، استمرّ الراهب يطعن بعقبه في جانبي روبن ويأمره بالإسراع، ويناديه بعدة ألقاب مشينة. وعن كل ذلك لم يجب روبن بكلمة، بل -وهو يتحسّس بحذر ما حوله، حتى وجد محمل الحزام الذي يثبّت سيف الراهب- عمل بمكر ودهاء على الروابط، قاصدًا إلى حلّها! وبهذا، كان قد أنجز ذلك تقريبًا عند وقت وصوله إلى الضفة الأخرى بحمولته، وكان سيف الراهب قد انحلّ لكنه لم يدرك ذلك، إذ عندما وقف روبن على الأرض الجافة، وثب الراهب من على قفاه، وقبض الرجل اليومن على السيف، فنال في يده النصل والغمد والحمايل، واستلّها بعيدًا عن الرجل المقدس تاركًا إياه أعزل! قال روبن المرح وهو يلهث ويمسح العرق عن جبينه:

- والآن! ها أنا أنال منك أيها الرفيق! هذه المرة: إن ذلك القديس نفسه الذي تكلمت عليه، قد جعل سيفين في يدي وجرّدك مما لديك! والآن إن لم تقم بحملي والعودة بي بتلك السرعة، فإنني أقسم على وخز جلدك حتى أجعله مليئًا بالثقوب مثل صديرية مشقّقة.

لم ينبس الراهب الطيب بكلمة لوهلة، بل عبس نحو روبن! وأخيرًا قال:

- الآن، كنتُ أظن فعلاً أن ملكاتك العقلية من النوع الثقيل البليد، وما كنتُ أعلم أنك على مكر ودهاء شديدين! حقًا أنت توقع بي من قفائي. إليّ بسيفي وأنا أعد بأن لا أستلّه ضدك إلا دفاعًا عن النفس، وأيضًا، أعد بتنفيذ أمرك وأجعلك على ظهري وأحملك.

وبهذا، أعطاه روبن المرح سيفه مرة أخرى فقام بربطه إلى جانبه، وفي هذه المرة، تطلّع إليه كي يكون أكثر أمانًا وإحكامًا في محامله، ثم شمّر عن أرديته مجددًا، وأخذ روبن هود على ظهره بلا أي كلمة وخطا في الماء، وخاض بصمت بينما قبع روبن على قفاه وهو يقهقه! بعد ذلك، وصل إلى منتصف الجدول المنخفض حيث كان الماء أعمق. هنا توقّف

للحظة، ثم -بحركة رفعٍ مباغتةٍ من يده وانتفاضةٍ كتفيه- قذف بكل قوة وإحكام روبن عن عاتقه وكأنه كيس حبوب! سقط روبن في الماء بصورةٍ فظيعة! قال الرجل المقدس وهو يستدير بهدوء نحو الضفة:

- هناك! دع ذلك يلطف حرارة روحك! لعل ذلك!

في هذه الأثناء -وبعد تخبّطاتٍ في رشاش المياه- نهض روبن ووقف يحدق إلى ما حوله بحيرةٍ ودهشةٍ كاملة، والماء يجري بمساقطٍ صغيرةٍ جميلةٍ منه! آخر الأمر، نفّض الماء عن أذنيه وبصق بعضًا منه، واستجمع قواه ورشده، ورأى الراهب القوي يقف على الضفة وهو يضحك. ثم أظن أن روبن هود تحول إلى رجل مجنون، إذ زمجر:

- ابقَ في مكانك! أيها الوغد الحقير! أنا أت إليك مباشرة، وإن لم أقطع عضلاتك بسبب ما حصل اليوم، فلا رفعتُ إصبعًا بعد هذا!

أنهى كلامه واندفع متخبّطًا في الماء نحو الضفة! قال الراهب الصنديد:

- لا حاجة بك إلى الاستعجال بإفراط. لا أخشى! سوف ألبث هنا، وإن لم تصرخ: (يا للأسف في هذا اليوم!) قبل أن ينقضي وقت طويل، فلا نظرتُ أبدًا عبر الأجمة نحو أيل أسمر.

أما روبن -وقد وصل إلى الضفة- فقد بدأ برفع أكمامه عن معصميه بلا أي مزيد من الأفعال. وأما الراهب فقد قام أيضًا بحزم أرديته حوله أكثر، مظهرًا ذراعًا متينةً عظيمة، وقد برزت عليه العضلات مثل حدبات شجرة معمرة! ثم رأى روبن -وهو ما لم يتوقّعه من قبل- أن للراهب درعَ السلسلة تحت رداءه. صاح روبن وهو يستلّ سيفه القوي:

- انتبه إلى نفسك!

قال الراهب وهو قد جعل سيفه بيده من قبل:

- نعم، ها!

وهكذا، بلا مزيد من الفعل تقدما نحو بعضهما، وهنالك بدأ بعراك شرس وكبير. تقاتلا يمينًا وشمالًا، في الأعلى والأسفل، جيئةً وذهابًا، تقدّمًا وتراجعا... والتمع السيفان في ضياء الشمس، ثم التقيا بصدام أصدر أصواتًا في كلا الاتجاهات. لم أكن أظن أنها مباراة هازلة بالهراوات، بل قتالًا متجهّمًا وجادًا بنوايا حقيقية! وعلى ذلك النحو ناضلا لساعة أو يزيد، يتوقفان بين الحين والآخر ليرتاحا، وفي ذلك الوقت يتطلعان نحو بعضهما بتساؤل وعجب! ويفكر كل واحد منهما في أنه لم يرَ رجلًا بمثل هذه الشدة، ثم يستأنفان العراك مرة أخرى بشراسة أكبر! لكن في كل هذا الوقت لم يؤذ أحدهما الآخر، ولا سبّب له ما يجعل دمه ينزف. آخر الأمر صاح روبن هود الظريف:

- أمسك يدك! أيها الصديق الطيب.

وعند ذاك خفضا سيفيهما معًا. قال روبن وهو يمسح العرق عن جبينه، إذ قد ناضلا لمدة طويلة جدًا... حتى بدأ يعتقد أنه أمر سيئ وريء، سواء أُضرب بنفسه أو أن يضرب رجلًا شجاعًا ومتينًا جدًا:

- الآن، أنا أتوسّل من أجل معروف وعون قبل أن نبدأ مرة أخرى.

سأل الراهب:

- ماذا لديك بشأنى؟

- هذا فقط: أن تسمح لي بأن أنفخ ثلاث نفخات في بوقي القرني.

قوّس الراهب حاجبيه ونظر إلى روبن هود بدهشة:

- الآن، أعتقد بكل تأكيد أن لديك مكرًا وخدعة ما في هذا! ومع ذلك، أنا لا أخشاك! وسوف أدعك تنفّذ رغبتك، وفي المقابل: تدعني أيضًا أنفخ ثلاثًا في صقّارتي الصغيرة هذه.

- بكل سرور. إذن، ها نحن ننفّذ الأمر الأول.

ثم قام برفع قرنه الفضي نحو شفتيه ونفخ به ثلاثاً بوضوح وعلو. في هذه الأثناء، وقف الراهب مراقباً بحذر واعتناء ما قد يحدث، ممسكاً بين أصابعه صفارة فضية جميلة، مثل التي يستعملها الفرسان للنداء على صقورهم لتعود على أذرعهم، وصفارته معلقة دائماً في زناره إلى جانب مسبحته. وما إن انعطف صدى آخر نفخة من بوق روبن مرتداً عبر النهر، حتى جاء أربعة رجال طوال يرتدون خضرة لنعولن راكضين حول انحناءة الطريق، ويحمل كل واحد منهم في يده قوساً مع سهم متأهب على الوتر! صاح الراهب:

- ها! أهكذا الأمر؟! أيها الغادر الوضيع! إذن، ها! انظر إلى حالك!

وبعد هذا مباشرةً وضع صفارة الصقر على شفتيه، ونفخ نفخة كانت عالية وحادة، فخشخت الأجمات التي تشكّل خطّ الجانب الآخر من الطريق، وعلى الفور انبثقت من تشابك مكمن الشجيرات الكثيفة أربعة كلاب صيد هائلة شعثناء! (57). فصرخ الراهب وهو يشير نحو روبن:

- اهجم عليه يا سويتلبس! عليه يا بيلثروت! عليه يا بيوتي! عليه يا فانكزا!

والآن، كان من الخير لذلك اليومن وجود شجرة قريبة منه إلى جانب الطريق، وإلا فإنه لولاها لحظي بفرصة رديئة! وقبل أن يتمكن المرء من قول: (غافير داونثيدل) (58). انقضت الكلاب عليه، ولم يكن لديه وقت، إلا لإلقاء سيفه والوثوب بخفة على الشجرة التي تجمعت الكلاب من حولها، وهي تنظر نحوه كأنه قطة على الأفاريز! لكن الراهب بسرعة أمر كلابه بالإحجام، وصرخ:

- نحوهم!

وأشار نحو نهاية الطريق حيث يقف الأشداء الأربعة، جاهزين يغمروهم العجب مما رأوا! وكما ينقضّ الباشق على طريدته، أسرع الكلاب الأربعة بقوة نحو اليومنين، لكن الرجال

عندما شاهدوا وأيقنوا من مجيء الكلاب، سحب كل واحد منهم -إلا ويل سكارلت- ريشة الإوزة حتى أذنه وأطلق سهمه محلقةً.

والآن تخبر الأغنية الشعبية القديمة عن حدوث أمر عجيب، إذ كما تقول، إن كل كلب أُطلق عليه انحرف بخفة جانبًا، وعندما مرق السهم قربه صافرًا قبض عليه بفمه وقضمه إلى قطعتين! وكان من الممكن أن يكون يومًا سيئًا على هؤلاء الرفاق الأربعة الطيبين، لولا أن ويل سكارلت تقدّم أمام الآخرين، وواجه الكلاب الآتية باندفاع وهياج! وصاح بقسوة وصرامة:

- ماذا! كيف هذا! يا فانكزا! اقع يا بيوتي! اقعد يا دوني! (59) ماذا يعني هذا؟

وعند سماع صوته انكفأ كل كلب وانكمش بسرعة! ثم أتت إليه مباشرة ولحست يديه وتزلّفت له، بمثل سلوك الكلاب التي تلتقي شخصًا تألفه. ثم اقترب الأشداء الأربعة، والكلاب تثب حول ويل سكارلت بجذل! صاح الراهب العنيف:

- ماذا! كيف الآن! ماذا يعني هذا؟

وقد صاح عندما صارت أكثر هدوءًا وألفة:

- هل أنت ساحر لتحوّل تلك الذئاب إلى حملان؟ ها! هل أصدّق عيني؟ ماذا يعني الأمر أنني أرى السيد الشاب وويليام غامويل في مثل هذه الرفقة؟

- كلا! يا تاك.

قال ذلك الرجل الشاب عندما دنا الأربعة، إلى حيث كان روبن ينزل من الشجرة التي كان جاثمًا عليها، ورأى أن كل الخطر قد زال عند هذا الوقت.

- كلا! يا تاك، اسمي لم يعد ويل غامويل، بل ويل سكارلت، وهذا هو خالي الطيب روبن هود، الذي أقيم معه حاليًا.

قال الراهب وهو يبدو محرّجًا نوعًا ما ويمدّ راحته العظيمة إلى روبن:

- فعلاً، سيدي الطيب. كثيرًا ما سمعتُ باسمك سواء يفتنى أو يُتكلم عليه، لكنني لم أظن أن ألتقي بك في قتالٍ قط! أتضرّع إلى صفحك، ولا عجب أنني عثرتُ على رجل قوي همام ضدي!

قال الصغير جون:

- حقًا، أيها الأب الأقدس، أنا شاكر أكثر من أي وقت مضى في حياتي كلها، قبل أن يكون صديقنا الطيب سكارلت عرفك وعرف كلابك. أخبرك بكل جدية: إنني شعرتُ بقلبي يتداعى عني، عندما رأيتُ سهمي يخطئ هدفه تمامًا! وتلك حيواناتك الخطرة تأتي نحوي باستقامة.

قال الراهب باتزان وجلال:

- لعلك تكون ممتنًا فعلاً، أيها الصديق. ولكن أيها السيد ويل، كيف حصل أنك الآن تقيم في شيرود؟

أجاب سكارلت:

- ها! يا تارك، ألم تعلم عما حدث عليّ من بلاء مع أبي ستيوارت؟

- بلى، حقًا، لكنني لم أدر أنك كنتَ مختبئًا بسبب الأمر. يا للعجب! كل الأزمنة عوجاء عندما يجب أن يختبئ رجل نبيل بسبب أمر ضئيل.

قال روبن:

- لكننا نفقد الوقت! ومع ذلك، ما يزال عليّ أن أجد ذلك الراهب قصير الرداء نفسه.

قال ويل سكارلت وهو يشير إلى الراهب:

- يا خالي، لا يجب عليك أن تمضي بعيدًا، إذ ها هو يقف قريبك!

- كيف؟ أنتَ الرجل الذي كنتُ في مثل هذه المشقّات أبحث عنه طول النهار، ونلتُ الغطس من أجله؟

قال الراهب باحتشام وورزانة:

- ها! فعلاً. البعض يدعونني بالراهب ذي الرداء القصير من وادي فاونتين، وآخرون يمزحون فيدعونني برئيس دير فاونتين، وغيرهم ما يزالون ينادونني ببساطة: الراهب تاك.

قال روبن:

- أنا أفضل الاسم الأخير لأنه ذلق على اللسان بلا تكلف. ولكن لماذا لم تخبرني أنك كنت من أبحث عنه، بدلاً من إرسالتي للتفتيش عن أنوار القمر السود؟(60).

قال تاك القوي:

- ها! فعلاً، أنتَ لم تطلب منّي أيها السيد الطيب. ولكن ما الذي ترغب فيه مني؟

- كلا! اليوم يتأخر، ولا يمكننا البقاء أطول ونحن نتكلم هنا. عد معنا إلى شيروود، وسوف أبيّن لك كل الأمر ونحن في طريق سفرنا.

وهكذا، بلا أي مزيد من التلكؤ غادروا كلهم والكلاب الشديدة على أعقابهم، وشقّوا طريقهم عائدين نحو شيروود مجددًا، ولكن كان قد مضى وقت طويل بعد حلول الظلام، قبل أن يصلوا إلى شجرة شيروود. والآن أصغوا، إذ أنني سوف أروي كيف أن روبن هود أنجز وأتمّ سعادة عاشقين شابين اثنين، بمساعدة من الراهب السعيد تاك من وادي فاونتين.

(53) (Twiddling our thumbs in idleness).

(54) يقصد جُمة شعره.

(55) (Malmsey).

(56) (Bullfinch) عصفور أوراسي، له منقار قصير سميك وريش رمادي عادة وأجنحة داكنة.

(57) (Shaggy hounds).

(58) (Gaffer Downthedale) يتردد هذا الاسم كثيرًا، وهو يشير إلى اسم عام لرجل ريفي عجوز تحببًا وتسامحًا. وقد يكون تغييرًا لغويًا من اسم العراب (Godfather)، وهو من يجعله روبن هود حكيماً يستشهد بأقواله.

(59) (Sirrah) كلمة مخاطبة لمن دون المتكلم.

(60) (Black moonbeams) كناية عن استحالة العثور على شيء.

روبين هود ينجز زواج حبيبين مخلصين



والآن، حلّ الصباح الذي يحين فيه زواج ألين الجميلة، والذي أقسم فيه روبين السعيد، بأن آلن أديل -بنحو ما كان- سيصيب مأكلاً من الطبق الكبير، المملوء من أجل السير ستيفن من ترينت. نهض روبن هود سعيداً مبتهجاً، ونهض رجاله الظرفاء كلهم، وآخر من نهض هو تارك الراهب القوي، وهو يطرف عينيه ليطرده النوم الكبير عنهما. ثم -بينما بدا أن الجو يمتلئ بأغنية الطيور السعيدة، والكل امتزج معاً يبتهج في الفجر الضبابي- غسل كل رجل وجهه ويديه في الجدول الوثاب، وبهذا بدأ اليوم. وعندما كسروا جوعهم، وكلّ رجل قد تناول ما يملأ جوفه، قال روبن:

- والآن، هذا وقتنا لننطلق لإنجاز ما بين أيدينا لليوم. سأختار لي عشرين من أفضل رجالي للذهاب معي، إذ لعلني أحتاج إلى العون، أما أنت يا ويل سكارلت، فسوف تلبث هنا وتكون الولي مدة زهابي.

ثم قام روبن بالبحث خلال كل رجال فرقته، وكل واحد منهم تقدّم محتشداً متلهفاً ليكون مختاراً، ونادى على من يرغب به بالاسم، حتى اكتمل عنده عشرون من الرجال الأشداء، وهم نخبة البسالة والفتوة. وفضلاً عن الصغير جون وويل ستوتلي، كان فيهم كل أولئك الفتيان المعروفين الذين ذكرتهم لكم من قبل. ثم، بينما كان أولئك المختارون يسعون واثبين وطافحين بالمرح، ليسلّحوا أنفسهم بالأقواس والسهام والسيوف العريضة، خطا روبن هود جانباً في أجمة ظليلة، وهناك ارتدى رداءً جميلاً ذا أشرطة، مثل الذي يرتديه بعض الشعراء الغنائيين الجوالين، وعلّق بين كتفيه قيثاراً، وهي أفضل ما ينجز ذلك الدور.

والآن، أؤكد أن هيئة روبن هود جعلت كل الرجال يتفَرَّسون! كان سرواله الضيق أخضر، أما صديريته فكانت خليطًا من الأحمر والأصفر، وتدلت من كل جوانبه أشرطة وعقد وعلامات حمرة وصفرة أيضًا. وعلى رأسه وضع طاقية طويلة من الجلد الأحمر، وأقحم فيها ريشة طاووس متأرجحة. أخذت كل العصابة تحدق وتضحك! إذ لم يحصل أن رأوا زعيمهم في مثل هذا الزي الأحمق قط! مشى الصغير جون من حوله بجدية، وأخذ يراقبه بدقة، وجعل عنقه مرفوعًا ورأسه مائلًا. ولعلكم قد رأيتم ديك الحظيرة وهو يسير ببطء حول شيء غريب، مثل قطة نائمة وسوى ذلك، يتوقف بين الحين والحين، ثم يتحرك بخطوة مترددة شاكة، متسائلًا خلال ذلك ويقوقى لنفسه، كذلك مشى الصغير جون حول روبن مع التفوّه بكلمات من مثل:

- ها! انظر هنالك! هل هذا حقيقة؟ إنه جميل، أؤكد!

أخيرًا توقف أمام روبن، وقال:

- بحقّ روحي، هذا بالذات رداء أنيق وجميل قد جعلته عليك يا سيدي الطيب. لم يُرَ ملبس ألطف منه منذ القديس الطيب ولفهاد الشهيد، عندما شاهد شخصًا يجلس على صخرة وهو يصيغ أذباله بالأرجواني والأخضر.

قال روبن وهو يرفع ذراعيه وينظر إلى نفسه من أعلى إلى أسفل:

- حقًا، أنا أعتقد بكل تأكيد أنه نوعًا ما رداء لطيف ومبهرج مثل الجرادة، لكنه بالرغم من ذلك أمر جميل، ولا يغيّر نظراتي بسوء، وإن يكن، فإنني لا أرتديه إلا لهذه المناسبة. ولكن انتظر أيها الصغير جون، فها هنا كيسان أودّ منك أن تحملهما في جرابك من أجل الحفظ، فلا يمكنني الاهتمام بهما بنفسني تحت هذا الرداء متعدد الألوان إلا بصعوبة.

قال الصغير جون وهو يتناولهما ويزنهما على يده:

- ها! سيدي! ها هنا خشخشة نقود.

- حسنٌ، مهما يكن فيهما، إنه نقدي الشخصي ولا أذى على الجماعة بما يكون هنالك. تعالوا، هيا تحرّكوا يا فتيان.

وانصرف بسرعة:

- استعدّوا حالاً.

ثم جمّع الأفراد العشرين معاً في نسق متقارب، في وسطهم كان آلن أديل والراهب تاك، وقادهم متجهين على طريقهم خارجين من أستار الغابة. وهكذا ساروا لوقت طويل... حتى خرجوا من حدود شيروود إلى وادي جدول روزر. وهنا يرى المرء مناظر مختلفة عما كان في الغابة: أسيجة، وحقول عريضة من حبوب الشعير، ومراعٍ تمتدّ متماوجة صاعدة حتى تلاقي السماء، وكلها مبقّعة بقطعان من الأغنام البيض، وحقول التبن حيث تنتشر رائحة التبن المحصود من قريب، وموضوع في لفافات مصقولة ملساء تنزلق فوقها طيور السمامة(61). بتحليق سريع، هكذا شاهدوا، وقد كان مختلفاً -بنحو ما أرى - عن الأعماق المتشابكة لأراضي الغابة اللطيفة، لكنها غنية الجمال والحسن. وعلى هذا النحو قاد روبن مجموعته، يسير وصدره مندفع ورأسه إلى الوراء، مستنشقاً عطور النسيم الرقيق الفوّاح الذي يهب فوق حقول القش. قال:

- بالفعل، العالم جميل هنا بمثل جمال ظلال أراضي الغابة. من يدعوه وادي الدموع؟ برأيي إنه ليس إلا الظلام في عقولنا ذلك الذي يجلب الكآبة على العالم. من أجل ماذا تلك الأغنية الطروب التي تغنيها أيها الصغير جون؟ أليست على هذا النحو؟

من أجل عيون حبي حين تشرق وتضيء،

وحين تبسم شفاتها بشكل نادر جداً

فإن النهار يكون مرحاً جميلاً، جميلاً جداً

برغم ذلك دعه ليكون مبتلاً أو يكون حسناً

وعندما تتدقق الجعة القوية كلها بسرعة كبيرة

فإن أحزاننا ومشكلاتنا تكون أموراً من الماضي.

قال الراهب تاك بورع:

- كلا! أنت بالفعل تعتقد بتدنيس الأشياء ولا شيء غير ذلك، لكن حقاً، هنالك حمايات أفضل ضدّ الهم والبلاء أكثر من شرب الجعة، والعيون المشرقة -أعني- هما الصيام والتأمل الروحي. انظر إليّ: أيببدو عليّ مظهر الرجل الحزين؟

وعند ذاك انفجرت ضجة ضحك عظيمة من كل الأنحاء! إذ في الليلة الفائتة كان الراهب الشديد قد كرع دلوين خشبيين صغيرين من الجعة، مثل أي فرد من كل الرجال الظرفاء. ثم قال روبن عندما استطاع أن يتكلم بعد ما حدث من الضحك:

- بالفعل، وجب أن أقول إن أحزانك كانت مساوية تقريباً لوضعك الجيد.

وبعد ذلك ساروا على طول المسار، وهم يتكلمون ويغنون ويلقون النكات ويضحكون... حتى وصلوا إلى حيث كنيسة صغيرة معينة، تنتمي إلى العقارات الواسعة المملوكة لدير إيميت الغني. هنا كان مقرراً تزويج الجميلة ألين في ذلك الصباح، وهذه هي البقعة التي وجّه نحوها الرجال الأشداء أصابع أقدامهم. وعلى الجانب الآخر من الطريق، حيث موضع الكنيسة مع حقول الشعير المتماوجة المنتشرة حوله، يمتدّ سور حجري على طول جانب الطريق. أعلى السور من الطريق العام، كان هنالك سياج من الأشجار والأجمات الفتية، وهنا وهناك كان السور نفسه مغطى بكتلة من المتسلق المزهري، وقد ملأ الجو الدافئ في أماكن متناثرة بشذاه الصيفي العذب.

ثم وثب اليومنون فوق الجدار مباشرة، ونزلوا على الجانب الآخر حيث العشب الطويل الناعم، وقد أفرعوا قطيعًا من الأغنام كان يستلقي هناك في الظلّة، فجرت مبتعدة وانتشرت في كل الاتجاهات. هنا، كان ظل لطيف عذب بفعل السور والأشجار والشجيرات الفتية معًا، وهنا جلس الرجال الأشداء، وهم في سرور كافٍ لينالوا قسطًا من الراحة، بعد رحلة طويلة مضية سيرًا على الأقدام في الصباح. قال روبن:

- والآن، أودّ من أحدكم أن يكون مراقبًا، لينبئني حينما يرى أي شخص قادم إلى الكنيسة، وسيكون المختار الفتى ديفيد دونكاستر. لذا، ارتق على السور يا ديفيد، واختبئ تحت عريشة المتسلق لتحافظ على المراقبة.

ووفقًا لذلك، فعل الشاب ديفيد بنحو ما أمر، أما الآخرون فتمطّوا وتمدّدوا على العشب، بعضهم استغرق في الحوار معًا، ونام بعض آخر. ثم ساد الهدوء على الكلّ باستثناء الأصوات الواطئة من أولئك المتحاورين، أما آلن فقد كان يخطو بخطوات قلقة جيئة وذهابًا، إذ كانت روحه مملأ بالاضطراب! فلم يتمكن من الاستقرار! وأيضًا باستثناء شخير الانتشاء من الراهب تاك، الذي استمتع بنومه مع ضوضاء كأنها صوت نشر بطيء لخشب طري. أما روبن فقد رقد على ظهره محدقًا بالأعلى إلى أوراق الأشجار، وفكره يسرح بعيدًا، وهكذا مضى وقت طويل... ثم تكلم روبن:

- والآن، أنبئنا أيها الفتى ديفيد من دونكاستر، ماذا ترى؟

- أرى الغيوم البيض تسبح، وأشعر بالريح تهب، وهناك ثلاثة غربان سود تحلق فوق الأرض العالية المفتوحة (62) لكنني لا أرى شيئًا آخر يا قائدي الطيب.

وهكذا حلّ السكون مرة أخرى، وانقضى وقت آخر، وقد تعكّر فقط بما ذكرته من قبل، حتى نفذ صبر روبن، فتكلم:

- والآن، أخبرني أيها الفتى ديفيد، ماذا تشاهد في هذا الوقت؟

- أشاهد طواحين الهواء تدور، وثلاث شجرات حور تتمايل أمام السماء، وسربًا من طيور السمانى(63) تحلق فوق التل، ولا شيء آخر لأراه يا زعيمة الطيب.

وقد مرّ زمن... حتى نطق روبن سائلًا الفتى ديفيد مرة أخرى عما يراه، فأجاب:

- أسمع طائر الوقواق يغني، وأرى كيف أن الرياح تصنع أمواجًا في حقل الشعير، والآن على التل باتجاه الكنيسة يقدم راهب عجوز، وفي يديه يحمل حزمة مفاتيح كبيرة، وها! إنه يأتي الآن إلى باب الكنيسة.

فنهض روبن هود وهزّ الراهب تارك من كتفه، وصاح:

- هيا، انهض أنت! أيها الرجل المقدس!

وهناك -مع كثير من الخوار- قفز الراهب المتين، وقال روبن:

- يا للعجب! ابذل جهدًا بنفسك. فهناك -عند باب الكنيسة- واحد من بني جنسك ويرتدي زيك. امض إليه وتكلم معه، وبذلك أدخل نفسك في الكنيسة، إذ لعلك تكون حيث الحاجة إليك، في هذه الأثناء: الصغير جون وويل ستوتلي وأنا سنتبعك مباشرة!

فتسلق الراهب تارك على السور، واجتاز الطريق وجاء إلى الكنيسة، حيث كان الراهب العجوز ما يزال يعالج الباب بالمفتاح الكبير، ويبدو أن القفل كان صدئًا قليلًا، والراهب إلى حدّ ما كبير السن وواهن. قال تارك:

- هالو أيها الأخ، دعني أساعدك.

وقام بأخذ المفتاح من يديه وفتح الباب بسرعة بتدوير فيه. ثم سأله الراهب العجوز بصوت عالٍ ولاهت:

- من أنت أيها الأخ الطيب؟ من أين أتيت، وإلى أي مكان تمضي؟

ثم ومض وطرف عينيه باتجاه الراهب القوي تاك مثل بومة بعين الشمس!

- وهكذا أجيب عن أسئلتك يا أخ: اسمي تاك، ولست أمضي أبعد من هذا الموضع، لو يصادف أنك فقط أن تدعني أبقى حين يقام هذا الزفاف. أنا جئت من وادي فاونتين، وفي الحقيقة أنا ناسك فقير جدًا - إذا جاز التعبير - لأنني أعيش في صومعة بجانب النبع المبارك من القديسة الطاهرة أثيلرادا. وهي نفسها التي عانت من أشد العذاب الذي وقع على امرأة قط - ليكن في علمك - إذ قُطع لسانها، فلم يكن بمقدورها أن تنطق كلمات أكثر من غراب الزاغ (64). الميت إذا صح التعبير. ولكن ماذا جرى؟ ها! استمع. مباشرة جاءت هذه المرأة المباركة إلى عند ذلك النبع نفسه، على هذا النحو، حتى أنني راغب بالاعتراف أنني لم أنل كثيرًا من الجيد من المياه هنالك، إذا طالما هيّج الماء البارد أحشائي بأنواع معينة من الانقباضات وسواها.

فقال الراهب العجوز بصوت فيه ما يشبه الصغير العالي وهو يلهث:

- ولكن، أنا أرغب بشدة في معرفة ما وقع لهذه المرأة المقدسة، بمجيئها إلى ذلك النبع المبارك نفسه.

- عجبًا! شرب من المياه، وعلى الفور استعادت ما قد ينطق به رجل ذو عقل شرير، وكثيرون يعتقدون أنه لم تكن هنالك هدية سماوية مثل ذلك، وتلك كانت قواها بالكلام. ولكن - إذا أفهم بأي حال - سيقام هنا اليوم زواج سار. لذا - إذا كنت لا ترى خلاف ذلك - فإنني أودّ بسرور أن أريح نفسي في الظل اللطيف في الداخل، إذ أرغب برؤية هذا المنظر الجميل.

قال الرجل المسن وهو يقود الطريق للداخل:

- حقًا، على الرحب والسعة، أيها الأخ.

في تلك الأثناء، جاء روبن هود -في رداء الموسيقيين- مع الصغير جون وويل ستوتلي إلى الكنيسة. فجلس روبن على مصطبة إلى جانب الباب، أما الصغير جون -وهو يحمل كيسي الذهب- فقد ولج إلى الداخل وكذلك فعل ويل ستوتلي. وهكذا قعد روبن عند الباب، وبدأ بالمراقبة نحو بداية الطريق وامتداده ليُشاهد من يأتي، حتى مر وقت... ثم رأى ستة فرسان راكبين يتقدمون بهدوء وببطء -كما اتضح من أمرهم- إذ كانوا من رجال الكنيسة ذوي المراتب العليا. ثم بعد أن اقتربوا أكثر رأى روبن من كانوا وقد عرفهم. كان الأول مطران هيريفورد، وقد ظهر في سيماء حسنة كما يبدو. كانت أرديته الكهنوتية من أفخر الحرير وأغلاه، وحول رقبته سلسلة رائعة من الذهب المسكوك المصفّح، وكانت القلنسوة التي تغطّي الجزء الحليق من رأسه من المخمل الأسود، وحول حافات جواهر التمتع في وهج الشمس، كل حجر منها مثبت في الذهب. وكان سرواله الضيّق من الحرير الملون البراق، وحذاؤه من الإستبرق الأسود، طرفاه مدبان نحو الأعلى ومربوطان لركبتيه، وعلى كل مشط من قدميه كان صليب مزخرف من الخيط الذهبي. إلى جانب المطران، سار رئيس دير إيميت على جواد اعتيادي مؤثّق. وكانت ملابسه فاخرة أيضًا، لكنها ليست بمثل بهرجة المطران الهائلة. خلفهما كان هنالك اثنان من الإخوان الأعلى في إيميت، وخلف هؤلاء مرة أخرى اثنان من الخدم التابعين للمطران، إذ جاهد اللورد مطران هيريفورد، ليكون مثل أحد البارونات العظماء بسلطته في الأنظمة المقدسة. عندما شاهد روبن الموكب يقترب -مع بريق الجواهر والحرير، وجلجلة الأجراس الفضية على الأسرجة المزركشة فوق الأحصنة- نظر بنكد وتذمّر نحوهم، وقال لنفسه:

- ذلك المطران هنالك، مبهرج ومزيّن بشكل مبالغ فيه بالنسبة إلى رجل مقدس. فعلاً أنا أتساءل إن كان راعيه الحامي -وأعتقد أنه كان القديس توماس - قد سُمح له أن يرتدي السلاسل الذهبية حول عنقه، والأردية الحريرية على بدنه، والأحذية المدببة على قدميه. وأموال كل ذلك -يعلم الرب - انتزعت من عرق الأجراء المساكين! أيها المطران، المطران، لعل كبرياءك تسقط قبل أن تعلم بذلك. وهكذا وصل الرجال المقدّسون إلى الكنيسة، وكان المطران ورئيس الدير يتبادلان النكت، ويتضحان بينهما حول سيدات جميلات معيّنات،

وأرى أن كلماتهم كانت تلائم أفواه رجال من العامة البسيطة (65). أكثر من ملاءمتها لرجال دين مقدسين.

ثم ترجّلا وتطلّع المطران حوله، ولمح حينذاك منظر روبن واقفاً عند المدخل، فخاطبه بصوت جدل:

- هالو، أيها الرفيق الطيب، من أنت أيها المتبختر بهذا الريش المبهج؟

- أنا عازف قيثارة من البلد الشمالي، وأنا قادر على مسّ الأوتار -أعتقد- كما لم يستطع رجل آخر في كل إنجلترا السعيدة. بالفعل -أيها السيد المطران الطيب- كثير من الفرسان والمواطنين، ورجال الدين والعامة قد رقصوا بموسيقاي شاؤوا أم أبوا! وفي أكثر الأحيان رغماً عن إراداتهم! وهكذا سحرُ عزفي على القيثارة! والآن في يومنا هذا -يا سيدي المطران- لعلي إذا عزفتُ في هذا الزواج، فأنا أعدُّ بكل تأكيد أن أجعل العروس الحسنة تغرم بالرجل الذي تتزوَّجه، حباً سوف يخلد طالما عاش الزوجان معاً.

صاح المطران:

- ها! أهكذا؟ أتعني ذلك حقاً؟

ونظر بإمعان وتدقيق نحو روبن، الذي بدوره حدّق إلى عينيه بجرأة. ثم قال المطران:

- الآن، إذا كنت ستجعل هذه العذراء -التي فتنت بكل تأكيد ابن عمي ستيفن المسكين- بهذا أن تغرم بالرجل المقبلة على الزواج به، بنحو ما زعمت أنك قادر عليه، فإنني سأمنحك مهما تطلب مني بمقدار كافٍ. دعني أتل قليلاً من الاختبار لمهارتك يا صاحب.

- كلا! موسيقاي لا تظهر إلا باختياري، حتى لو كانت بأمر سيد مطران. في الحقيقة، لن أعزف إلا عند مجيء العروسين!

قال المطران متجهماً عابساً تجاه روبن:

- والآن، أنت غلام وقح إذ تخاطب رفعتي بهذا الأسلوب! ولكن يجب أن أصطبر عليك!
انظر أيها الرئيس! هنا يأتي ابن عمنا السير ستيفن وسيدته المعشوقة.

جاء الآخرون عند انعطافة الطريق العام راكبين على خيولهم. كان أولهم رجلاً طويلاً نحيفاً ذا مشية وسلوك فروسية، مشتماً كله بالحرير الأسود، وغطاء من المخمل الأسود على رأسه، ذو حاشية مطوية قرمزية. نظر روبن، ولم يكن لديه شك في أن ذلك كان السير ستيفن، بسبب هياثه الفروسية وشعره الأشيب معاً. وإلى جانبه ركب مالك أرض (66). ساكسوني قوي، وهو والد ألين: إدوارد من ديروولد، وخلف أولئك الاثنين تأتي محقة (67). وفيها كانت فتاة عذراء أيقن روبن أنها ألين. وخلفها ركب ستة رجال مسلحين، وقد التمع ضوء الشمس على حديد خوذهم، وهم يقبلون مجلجلين على الطريق المغبر. وهكذا، جاء هؤلاء أيضاً إلى الكنيسة، وهناك ترجل السير ستيفن عن حصانه، واقترب من المحقة، وساعد ألين الحسنة على النزول. وعندما نظر إليها روبن هود، زال عجه من رغبة فارس ذي كبرياء عالية مثل السير ستيفن من ترينت، بالزواج بابنة مالك عام، ولم يعجب أيضاً إذ لم تكن ضجة حول الأمر، فلقد كانت العذراء الأكثر حسناً التي رأتها عيناه! والآن - مهما يكن الأمر - كانت مجللة بالشحوب والانكسار، مثل زهرة نيلوفر بيضاء فاتنة مقضومة الساق! وهكذا - بالرأس المنحني والمظهر الحزين - مضت لتدخل الكنيسة يقودها السير ستيفن من يدها. قال المطران وهو ينظر بصرامة إلى روبن:

- لم لا تعزف أيها الرجل؟

قال روبن بهدوء:

- عجباً! سوف أعزف بحكمة أكثر مما يعتقد سيادتكم، ولكن ليس قبل حلول الوقت المناسب.

فقال المطران لنفسه بينما ينظر بسخط على روبن:

- عندما ينقضي هذا الزفاف، سأجعل هذا الرجل ينال الضرب بالسوط بسبب لسانه الوقح وخطابه الجريء!

ثم وقفت ألين الجميلة والسير ستيفن أمام المذبح، وجاء المطران بنفسه وأرديته وفتح كتابه، حيث نظرت ألين الحسنة نحو الأعلى وحولها بيأس مريب، مثل خشف يرى كلاب الصيد عند فخذه. ثم -وبكل قطعه وأشرطته المرفرفة الحمر والصفرة- خطا روبن هود متقدمًا. قام بثلاث خطوات من العمود حيث يستند، ووقف بين العروسين، وقال بصوت عالٍ:

- دعني أنظر إلى هذه الشابة. ها! كيف الآن! ماذا لدينا هنا؟ هنا زهرات السوسن في الوجنات، وليست وروداً مثل التي تلائم عروسًا جميلة جذابة! هذا ليس زواجًا لائقًا! أنت -أيها السير الفارس- مسنٌ جدًّا، وهي يافعة جدًّا، فهل تعتقد أنك تجعلها زوجة لك؟ أقول لك إنه لا يكون، لأنك لستَ حبها الحقيقي الخاص!

عندئذٍ تسمّر الكل مدهوشين! وما عرفوا إلى أين ينظرون أو بماذا يفكّرون أو يقولون، إذ كانوا كلهم مضطربين متحيرين بما يحصل! وهكذا -بينما كان كل فرد ينظر إلى روبن وكأنهم تحوّلوا إلى أحجار!- جعل بوقه على شفّتيه، ونفخ ثلاث نفخات عاليات وصافيات جدًّا... فتردّد صداها من الأرضية إلى دعامات السقف، وكأنها صادرة من صور القيامة! ومن فورهم جاء يثبان: الصغير جون وويل ستوتلي، ووقفوا علي جانبي روبن هود، وبسرعة سحبا سيفيهما العريضين، بينما سبح الصوت الجليل فوق هامات الكل:

- ها أنا هنا، يا زعيمي الطيب، عندما تحتاجني.

كان الراهب تاك، وقد نادى بمثل ذلك من شرفة الأرغن(68).

والآن صار الجميع في هرج ومرج! تقدم الشديد إدوارد غاضبًا، وكان يودّ الإمساك بابنته لانتزاعها بعيدًا، لكن الصغير جون وقف بينهما ودفعه إلى الوراء:

- تراجع أيها الرجل العجوز! أنت حسان أعرج في هذا اليوم!

صرخ السير ستيفن:

- تبًا للأوغاد!

وتحسّس سيفه، لكنه لم يكن معلقًا إلى جانبه في يوم الزفاف! ثم استلّ رجال الحرس سيوفهم، وبدا كأن الدماء ستُغرق الأحجار! ولكن فجأة وصلت من عند الباب ضجة وأصوات عالية، وبرق الحديد في الضوء، وصدرت أصوات هزيم الضربات. تراجع الحراس، وجاء على مجاز الكنيسة (69). ثمانية عشر يومًا مقدمًا، يثبون مرتدين كلهم خضرة لنكولن، يتقدمهم آلن أديل. وحمل بيده قوس روبن هود القوي الموثوق من شجر الطقسوس، وناوله إياه وهو يجثو على ركبة واحدة. ثم تكلم إدوارد من ديروولد بصوت مستغرق في الغضب:

- أهذا أنت، يا آلن أديل الذي سببت كل هذه الفوضى في كنيسة؟

قال روبن السعيد:

- لا! ذلك ما أحدثته أنا، ولا أهتم لمن يعرف بالأمر، لأن اسمي هو روبن هود.

وعند وقع هذا الاسم حلّ سكون مطبق مفاجئ! تجمّع رئيس دير إيميت وأولئك المنتمين إليه معًا، مثل قطيع من الأغنام المرتعبة عندما تكون رائحة الذئب دانية، بينما وضع مطران هيريفورد كتابه جانبًا، وأدى صلاة الصليب بتقوى! وقال:

- والآن لتحفظنا السماء في يومنا هذا من ذلك الرجل الشرير!

قال روبن:

- كلا! أنا لا أقصد إحداه الأذى عليك، ولكن ها هنا زوج الحسناء ألين المراد لها، وسوف تتزوجه وإلا فإن الألم سيصيب بعضكم.

ثم صرّح القوي إدوارد بصوت صاخب وساخط:

- الآن، أقول كلا! أنا والدها، وهي سوف تتزوج بالسير ستيفن ولا أحد غيره!

وفي خلال هذا الوقت كله، عندما كان كل شيء في اضطراب ولغط من حوله، كان السير ستيفن ما يزال واقفاً في كبريائه وصمته المحترق...

ثم قال ببرود:

- كلا يا رجل! لعلك تستعيد ابنتك مجدداً، فإنني لن أتزوجها بعد ما حصل من أحداث هذا اليوم، ولو تمكنت من نيل كل إنجلترا العامرة بهذه الطريقة! أخبرك بصراحة: لقد عشقت ابنتك -وأنا الرجل المسنّ- وودت أن آخذها، وارتقي بها مثل جوهرة من حظيرة خنازير! لكنني بكل صدق ما كنت أدري أنها شغفت بهذا الرجل، وهو يحبها أيضاً. أيتها الفتاة البتول، إذا كنت في الواقع تختارين مغنياً معدماً، تفضّليته على فارس شريف المولد والنسب فأنت واختيارك! فعلاً أنا أشعر بالعار من وقوفي هكذا أتحدّث وسط هذا القطيع! ولذلك سوف أترككم.

بعد ذلك، استدار وجمع رجاله حوله، وسار بفخر وزهو على المجاز! وقد حلّ الخرس على كل اليومنين بسبب كلماته المزدرية. إلا الراهب تاك الذي مال مستنداً إلى حافة شرفة الإنشاد، وخاطبه قبل أن يمضي مبتعداً:

- تحية طيبة، سيدي الفارس! أنت ترى أن العظام المسنة يجب دائماً أن تمنح مجالاً لدم فتى.

لكن السير ستيفن لم يُجب ولم يتطلع إلى الأعلى، بل مضى خارجًا من الكنيسة وكأنه لم يسمع شيئًا ورجاله من خلفه. ثم تكلم مطران هيريفود على عجل:

- أنا أيضًا لا عمل لي هنا، ولذلك سأغادر!

وتهيأ كما لو أنه سيتحرك للانصراف، لكن روبن هود قبض على أرديته وأمسكه:

- ابق، يا سيدي المطران. ما يزال لدي أمرٌ ما لأقوله لك.

تطاير الشرر من وجه المطران! لكنه لبث كما أمره روبن، إذ رأى أنه لا يستطيع الذهاب! ثم استدار روبن هود نحو القوي إدوارد من ديروولد، وقال له:

- بارك زواج ابنتك بهذا الهمام وكل شيء سيكون على ما يرام. أيها الصغير جون، ناولني أكياس الذهب. انظر أيها المزارع: ها هنا مئتان من الأنجلات الذهبية البراقة، امنح بركتك مثلما أقول، وسوف أعدّها لك مهرًا عن ابنتك. أو لا تبارك، وابنتك سوف تتزوج بلا فرق، ولكن لا أكثر من فارذنج مشقق سيمر على راحتك! لك الخيار!

أطرق إدوارد نحو الأرض بحاجبين مقطبين، وأخذ يقلّب الفكرة في عقله مرارًا وتكرارًا، لكنه كان رجلاً داهية وشخصًا -خلال ذلك- يستحصل أفضل ما يمكن من جرة مصدعة... وأخيرًا رفع ناظره وقال، لكن في نبرة غير سارة:

- إذا أرادت الفتاة أن تمشي على مسارها الخاص فليكن ذلك وتمضي. لقد خططت لأن أصنع منها سيدهة، لكنها إذا اختارت أن تكون على ما هي عليه، فإنني لا أملك ما أفعله تجاهها من الآن فصاعدًا. وبغض النظر عن هذا، فإنني سوف أمنحها موافقتي ومباركتي عندما تكون متزوجة كما ينبغي ووفقًا للأصول.

انبرى أحد المنتمين إلى إيमित:

- لعل ذلك لا يكون! إذ لم تُنشر إشهارات الزواج الكنسية(70) على نحو وافي بعد، ولا يوجد هنا أي قسيس لتزويجهما.

زمجر تاك من على مقصورة الكورس:

- كيف تقول ذلك؟! لا قسيس! يا للعجب! هنا يقف رجل به مثل قداستك -في أي يوم من أيام الأسبوع، رجل دين في الضوابط والأوامر - أودّ أن تعرف. أما الإشهارات فلا تتعثر فوق ذلك القش(71) أيها الأخ، لأنني سوف أنشرها.

وبعد ذلك نطق بالإشهارات -وتذكر القصيدة المغناة القديمة، خشية أن ترديدها ثلاث مرات لن يكون كافيًا- فرددها تسع مرات! ثم نزل مباشرة من المقصورة، ومن فوره أنجز مراسيم العقد، وبذلك أصبح آلن وألين متزوجين حسب الأصول. والآن، قام روبن بعدّ مئتي أنجل ذهبي لصالح إدوارد من ديروولد، وهو بدوره منح مباركته، لكنها لم تكن -أرى ذلك- كما يقصد مع إرادة طيبة كبيرة. بعد ذلك اجتمع اليومنون وصافحوا يد آلن، أما هو فقد أمسك يد أيلين وضمّها إلى يده، ونظر حوله في دوار من السعادة! أخيرًا، التفت روبن البهيج نحو مطران هيريفورد، الذي كان ينظر إلى كل ما جرى بنظرة عبوس ونكد! وقال له:

- مولاي المطران، لعلك تتذكّر أنك قد وعدتني، أنني إذا عزفتُ بشكل حازق يحبّب هذه الفتاة الحسناء إلى زوجها، فإنك ستعطيني ما أطلب في حدود معتدلة. لقد عزفتُ مقطوعتي(72) -وهي قد أحببت زوجها - التي ما كانت لتنجز لولاي، إذن، الآن نَقذ وعدك! لديك ما هو عليك، وأعتقد أنك ستكون أفضل من دونه، لذلك أتوسّل إليك أن تعطيني تلك السلسلة الذهبية المعلقة حول رقبتك، هدية زواجٍ من أجل هذه العروس الفاتنة.

صارت وجنتا المطران حمراوين بالغضب والتهبت عيناه! ونظر نحو روبن بنظرة شديدة! لكنه رأى وجه الهمام، ذلك بما جعله يتوقف. ثم قام ببطء بنزع السلسلة عن عنقه وسلّمها إلى روبن، الذي طرحها فوق رأس أيلين فتعلقت لامعة مشرقة حول كتفيها. ثم قال روبن السعيد:

- أشكرك نيابة عن العروس على هديتك الجميلة، وأنت حقًا أكثر أناقة من دونها! والآن، إذا جئت قريبًا من شيروود، فإنني آمل كثيرًا بإقامة وليمة لك كما لم تنل مثلها في سابق حياتك!

فصاح المطران بجديّة:

- أعوذ بالله!

إذ كان يعلم جيدًا طريقة الوليمة التي يقدمها روبن هود لضيوفه في غابة شيروود! ولكن الآن جمع روبن هود رجاله معًا، وبجعل آلن وعروسه الفتية في الوسط، توجهت خطواتهم نحو أراضي الغابات. وفي الطريق إلى هناك دنا الراهب تارك من روبن وجذبه من كفه:

- أنت تقود حياة بهيجة، أيها الزعيم الطيب. لكن ألا تعتقد من أجل رفاهية كل الأرواح التي معك، بأن تحظى بقسيس طيب شجاع مثلي ليشرّف على الأمور المقدسة؟ بالفعل أنا مشغوف بهذه الحياة إلى حد بعيد.

عندئذٍ ضحك روبن هود من أعماق قلبه! وطلب منه البقاء ليصبح عضوًا في عصاباتهم إذا رغب. في تلك الليلة، أُقيمت وليمة في الغابة الخضراء بما لم تشهد مقاطعة نوتنغهام مثلها! ولتلك المائدة لم تُدع أنت ولا أنا، وجميل أننا لم نكن، لذلك -خشية أن نشعر كلانا بالأمر بتحمس أكثر- لن أخبر المزيد عنها.

وهكذا تنتهي قصة آلن أديل السعيدة، وكيف نفعه روبن هود والراهب تارك. وسوف نسمع من قريب عن معضلات أخرى، أكثر من تلك التي أزعجت عاشقين لطيفين، وكيف أعان روبن هود فارسًا طيبًا شجاعًا كان في حاجة عسيرة إلى المساعدة. لذلك أصغوا لما هو آتٍ...

(61) (Swift) طائر يشبه السنونو.

(62) (Wold).

(63) (Fieldfares).

(64) (Jackdaw) غراب صغير ذو رأس رمادي يعيش عادة في المباني العالية والمداخن، ويمتاز بسلوكه الفضولي.

(65) (Layman) من غير أهل المعرفة بالدين والورع.

(66) (Franklin) مالك أرض حر لكن ليس من مولد نبيل.

(67) (Litter) نوع من الهودج الواطئ محمول بين حصانين أمامي وخلفي.

(68) (Organ loft) شرفة في الطابق الأعلى داخل الكنيسة خاصة بالموسيقا والإنشاد.

(69) (Aisle) الممر في وسط صفي مقاعد الكنيسة.

(70) (The banns) إشهار يُقرأ في ثلاثة آحاد متتالية في كنيسة، فيه إعلان عن إقامة زواج، وإتاحة الفرصة للاعتراضات.

(71) لا تجعل أمراً هيئاً يعوقك.

(72) يتلاعب روبن بالألفاظ يستعمل الفعل (I have played my play) بقصد إحكام الخدعة.

روبن هود يساعد فارسًا حزينًا

وهكذا، انقضى زمن الربيع اللطيف في جمال تبرعته، بأقطاره المتفرقة وسطوع شمسه الفضية، ومروجه الخضر وأزهاره. وكذلك انقضى الصيف بنور الشمس الأصفر، وسخونته العميقة المتموجة، ولفيف الأوراق السميك، وأوقات الغسق الطويلة، ولياليه المرحية التي نقت الضفادع خلالها، وقيل إن شعب الجن يخرج إلى جوانب التلال. كل ذلك راح... وجاء زمن الخريف حاملاً معه مسرّاته وأفراحه الخاصة! إذ الآن، عندما جمع الحصيد في المنزل، وطافت مجموعات سعيدة من الحصّالين (73) في البلاد، يفتون على طول الطريق في أوقات النهار، وينامون أسفل الأسيجة الشجرية وأكوام التبن في الليل.

والآن، احمرت الورود البرية في الأجمات المتشابكة، وامتألت الشقوق في الأسيجة الشجرية بالشمع الأسود، وظلت سيقان القش متيبسة ومجردة تحت السماء، وسرعان ما تحولت الأوراق الخضر إلى اللون الخمري والبني. أيضاً، في هذا الفصل السعيد، تجمعت أشياء العام الطيبة في ذخيرة عظيمة: الجعة البنية أينعت في قبو النبيذ، وعُلقت قطع لحم الخنزير المدخن والمقدد في سقيفة الدخان (74). وصفت التفاحات البريات في القش لشيها في فصل الشتاء، عندما تراكم ريح الشمال الثلج في تدفقات حول أطراف السقف المائل، وتفرقع النار دافئة على الموقد. وهكذا تلاشت الفصول من قبل، وها هي تمضي الآن، وسوف تزول في الزمن الآتي... ونحن نأتي ونغادر مثل أوراق الشجرة التي تتساقط وسرعان ما تُنسى... قال روبن هود وهو يتنشق نسيم الجو:

- هذا نهار رائع أيها الصغير جون، ويمكن أن نبده ببطالة وكسل. اختر ما تحتاج من الرجال، وانطلق نحو الشرق بينما سأهيم نحو الغرب، ولير كل واحد منا أن يعود بضيف طيب ما، ليتناول وجبة في هذا اليوم تحت شجرة الغابة الخضراء.

صاح الصغير جون وصفق فرحاً:

- ها! طلبك يلائم رغبتني مثل استلال سيف! سوف أعود ومعني ضيف في هذا اليوم، أو لن أعود بنفسني!

ثم قاما باختيار مجموعتين ممن يرغبان، وسلكا مسلكين مختلفين في الغابة. والآن، لا يمكننا أنا وأنت أن نمضي في طريقين في الوقت نفسه، عندما ندخل في هذه الأفعال المرحية، لذا سوف نترك الصغير جون يتبع سبيله، في حين نرفع أذيالنا ونسعى بجهد وراء روبن هود. وأيضًا ها هنا رفقة جيدة: روبن هود، وويل سكارلت، وآلان أديل، وويل سكاتلوك، وميج ابن الطحان، وآخرون... عشرون أو أكثر من الرجال اليومنين بقوا في الغابة مع الراهب تاك، لإعداد ما يستلزم العودة إلى البيت، لكن البقية كلهم التحقوا إما بروبن هود أو الصغير جون.

شقوا طريقهم مسافرين نحو الأمام، كان روبن يتبع نزوته وخياله، والآخرون على أثره. حينًا كانوا يسيرون خلال وادٍ مفتوح مع وجود كوخ وحقل هنالك، وحينًا آخر يدخلون في أراضي الغابات مرة أخرى. وبمرورهم على مدينة مانسفيلد الجميلة -بأبراجها وفتحات أسوارها وقممها المخروطية وكلها باسمه بوجه الشمس- خرجوا أخيرًا من بقاع الغابات. ارتحلوا نحو الأمام، على الطريق العام والفرعي، مجتازين القرى حيث ربات البيوت والفتيات اللطيفات، يختلسن النظر خلال النوافذ نحو منظر الفتیان الجميل، حتى وصلوا إلى ما وراء ألفيرتون في ديربيشاير. وعند هذا الوقت كان منتصف النهار قد حلّ، ومع ذلك، لم يصادفوا أي ضيف محتمل مستحقّ لوقت إعادته إلى شيروود. وهكذا -عندما وصلوا إلى نقطة معينة حيث ينتصب ضريح مقدس على مفترق طريقين- نادى روبن على جماعته للوقوف، إذ كان هنا على كل جانب ملجأ من الأسيجة الشجرية العالية، وخلفهما كان مخبأ جيد، حيث يمكنهم من هنالك مراقبة الطريقين بلا عناء، بينما يتناولون وجبتهم لمنتصف النهار. قال روبن السعيد:

- هنا، أعتقد أنه مستقر جيد، حيث الناس المسالمون -مثلما كنا- يمكنهم تناول الطعام في هدوء وسكينة، لذلك سوف نرتاح هنا، ونرى ما لعله يقع -بالمصادفة- في جرة حطنا!

ثم قاموا باجتياز مرقى لعبور جدار، وجاؤوا خلف سياج شجري حيث أشعة الشمس البهيجة كانت ساطعة ودافئة، والعشب ناعمًا، وهناك جلسوا. ثم قام كل رجل بإخراج ما جلبه للأكل من جرابه المعلق إلى جانبه، إذ أن مسيرة جيدة مثل هذه كانت قد شحذت شهيتهم، حتى صارت قوية قاطعة مثل ربح آذار. ولم يُنطق بكلمة بل هيئاً كل رجل أسنانه لأفضل استعمال، بمضغ الخبز البني واللحم البارد والتهامها بشهية تامة! أمامهم، كان هناك واحدٌ من الطرق العامة، يتقدم صاعدًا التل المنحدر ثم فجأة ينزل على قمته، وهو محدّد بوضوح مع السياج الشجري والعشب الطويل المبعثر أمام السماء. فوق قمة التل الريحي، ظهرت أفاريز سقوف بضعة بيوت من القرية، التي تتراجع داخل الوادي الواقع خلفها، هنالك أيضًا بزغت قمة طاحونة هواء، وببطء ترتفع ريشاتها وتنخفض من وراء التل، بمواجهة السماء الزرقاء الصافية، والريح الخفيفة حرّكتها بأرجحة ذات صرير ومشقة.

وهكذا استلقى اليومنون خلف السياج وأنهوا وجبتهم لمنتصف النهار، ولكن ما يزال الوقت يمرّ طويلاً ولا أحد أتى! أخيراً، جاء رجل ببطء راكبًا عبر التل وعلى الطريق الحجري، باتجاه الموضع الذي كان روبن وعصابته مختبئين فيه. كان فارسًا همامًا جدًّا، لكنه حزين الوجه ومكتئب الهيئة. كانت ملابسه بسيطة وأنيقة، ولكن بلا سلسلة ذهبية حول عنقه كما يرتدي أهل طبقته في أكثر الأوقات، ولا جواهر تزيّنه، ومع ذلك لا أحد يخطئ في تمييزه بأي حال إلا بأنه واحد من المتّصفين بسمو المحتد ونبالة الدم. كان مطأطئ الرأس على صدره، وكانت يدها طرفين متدليين على الجانبين، وعلى هذا النحو جاء راكبًا ببطء وكأنه غارق في خواطره الحزينة، في حين حتى حصانه الجيد كان ملقى العنان على عنقه، يخطو ورأسه معلق وكأنه يشاطر سيده بأحزانه! قال روبن هود:

- هنالك بكل تأكيد باسل مكروب المنظر، ويبدو بالفعل أنه قد اشتمل بالسخط في صديريته هذا الصباح، وبغضّ النظر عن هذا، سوف أخرج وأتحدّث إليه، فلعل بعض البقايا هنا تكون لمغفل جائع. أرى أن ملبسه غني مع أنه في نفسه مقهور جدًّا. البثوا هنا حتى أرى في هذا الأمر.

بعد ذلك، نهض وتركهم، وعبر الطريق نحو الضريح ووقف هنالك، منتظرًا الفارس الحزين ليأتي قربه. والآن، عند مجيء الفارس راكبًا وهو يسير ببطء على طول الطريق، تقدّم روبن الظريف ووضع يده على عنان اللجام، وقال:

- توقف أيها السير الفارس! أتوسل إليك تريث قليلًا، فلديّ بضع كلمات أريد أن أقولها لك.

- من أنت يا صديق؟ ومن يوقف مسافرًا بهذه الطريقة، على الطريق العام التابع لجلالة سيادته؟

- يا للدهشة! إنه سؤال صعب الإجابة. رجل يصفني باللطف، وآخر يصفني بالقسوة، وهذا الشخص يدعوني بالرجل الطيب الشريف، وذلك الشخص باللص النذل! حقًا إن للعالم عيونًا كثيرة ينظر بها لرجل، بقدر البقع على علجوم، لذلك، بأية عينين جعلتني بنظر الاعتبار فذلك يكمن بالكامل في نفسك، اسمي روبن هود.

قال الفارس وابتسامة ترتعش عند زاويتي فمه:

- حقًا، روبن الطيب. لديك خيال طريف! أما زوج العينين اللتين بهما أراك بنظر الاعتبار، فإنني أقول إنهما ملائمتان مبشّرتان كما قد تكونان، إذ قد سمعتُ كثيرًا جيدًا عنك وسيئًا قليلًا. ماذا تريد مني؟

- أقسم أيها السير الفارس، أنك من المؤكد علمت بحكمة الطيب غافير سوانثولد، إذ قال: **ثقال الكلمات الطيبة بالسهولة نفسها مثل الكلمات الخاطئة، وسوف تجلب الخير بدلًا من الضربات.** والآن سوف أعرض لك حقيقة هذا القول، إذ أنني -إذا ذهبت معي هذا النهار إلى غابة شيرود - سوف أقيم لك مائدة بهيجة كما لم تشهد في كل حياتك.

- أنت لطيف حقًا، لكنني أعتقد أنك لن تجدني إلا ضيفًا حزينًا وسقيم المحيّا. الأفضل لك أن تدعني أمرّ على طريقي في سلام.

- كلا، لعلك تذهب في سبيك الخاص ولكن من أجل شيء واحد، وأنا سأخبرك به: نحن نقيم نزلًا - إذا جاز التعبير - في أعماق شيرود، لكنها بعيدة جدًا عن الطرق العامة والدروب المسلوكة، بما لا يجعل الضيوف يأتون قريبًا منا، لذلك أقوم أنا وأصدقائي بالانطلاق بسرور، بحثًا عن الضيوف عندما يتصاعد سأمنا! وهكذا يكون الأمر أيها السير الفارس، بل إنني سوف أخبرك بالمزيد، ذلك أننا نفرض على ضيوفنا أن يدفعوا الحساب!

قال الفارس بجديّة:

- أفهم قصدك يا صديق، لكنني لستُ رجلك، إذ لا أملك مالاّ معي.

قال روبن وهو ينظر إلى الفارس بتفحص:

- أهذه حقيقة؟ لا يمكن إلا أن أختار صعوبة تصديقك، لكن أيها السير الفارس، ومع ذلك فهناك من هم في منزلتك، الذين لا يوثق بكلمتهم بقدر ما يودّون ثقة الآخرين. لن تشعر بسوء إذا نظرتُ في الأمر بنفسي.

ثم - وهو ما يزال ممسكًا بالعنان - وضع أصابعه إلى فمه وأطلق صفيّرًا عاليًا، عندئذٍ جاء ثمانون يومًا يثبون فوق المرقاة، وركضوا باتجاه موقف الفارس وروبن. قال روبن وهو ينظر إليهم بفخر واعتزاز:

- هؤلاء بعض من الرجال الظرفاء، إنهم يشاطرونني كل الأفراح والأفراح، المغانم والخسارات. أيها السير الفارس، أتضرّع إليك، أخبرني عما لديك من مال.

لبعض الوقت... لم ينطق الفارس بكلمة! بل إن حمرة بطيئة تصاعدت في وجنتيه، آخر الأمر نظر إلى وجه روبن، وقال:

- لا أدري لماذا وجب أن أكون خجلًا، إذ المفروض أن لا يكون مخجلًا بالنسبة إليّ، ولكن أيها الصديق، أخبرك بالحقيقة: عندما أقول في كيسي عشرة شلنات، فإن ذلك هو الغروت

فقط الذي لدى السير ريتشارد لي في كل العالم الواسع.

عندما أنهى السير ريتشارد قوله حل الصمت! حتى خاطبه روبن:

- هل تتعهد لي بكلمتك الفروسية أن هذا كل ما معك؟

- أجل! بكل تأكيد أتعهد بكلمتي الأعلى مهابة ورسمية فارسًا حقيقيًا، أن ذلك كل المال الذي أملكه في الدنيا، لا بل لعلك تكتشف الحقيقة بنفسك في ما أقول.

وقام بإخراج كيسه ومدّ يده نحو روبن.

- أعد كيسك يا سير ريتشارد. إن من البعيد عني أن أشك بكلمة من فارس مستقيم ومهذب جدًّا. أنا أفخر بالنضال من أجل إحقاق العدالة، لكن أولئك السائرين في حزن أودّ مساعدتهم. هيا أيها السير ريتشارد، دع قلبك يبتهج وامض معنا في داخل الغابة الخضراء. حتى أنني قد أجد العون إليك، إذ بكل تأكيد، تعرف كيف أن أثليستان الطيب قد أنقذه الخلد الأعمى الصغير الذي حفر خندقًا، إذ قد شاهد حياة الملك اضطربت.

- حقًا يا صديق، أعتقد أنك تقصد إظهار اللطف بطريقتك الخاصة، ومع ذلك، فإن مشكلاتي من النوع الذي لا يبدو أنك قادر على شفائها. لكنني سوف أمضي معكم هذا اليوم داخل شيرود.

عندئذٍ أدار رأس حصانه، وكلهم توجهوا على طريقهم نحو أراضي الغابات، يمشي روبن على جانب من الفارس وويل سكارلت على الآخر، بينما سار بقية أفراد العصابة سيرًا وئيديًا خلفهم... وبعد أن ساروا على هذا النحو مدة من الزمن، قال روبن هود:

- أيها السير الفارس، لا أودّ إزعاجك بأسئلتني المملة، لكن ألا يرغب قلبك بالإفصاح لي عن أحزانك؟

- بالفعل يا روبن، لا أرى سببًا يمنعني من عدم فعل ذلك. هذه هي: إن قلعتي وأراضي مرتهنة بدين عليّ. يجب أن يُدفع المال خلال ثلاثة أيام من الآن، وإلا فإنني سأفقد كل عقاراتي إلى الأبد، إذ ستقع بين يدي دير إيميت، وما يبتلعونه لن يرجع مرة أخرى!

- لا أفهم سبب عيش أمثالك، بطريقة تجعل كل ثروتهم مفقودة تحت ناظرهم، مثل جليد يذوب تحت حرارة شمس الربيع!

- أنت تفهمني بالخطأ. اسمع: لديّ ابن لا يتجاوز عمره عشرين سنة، وبغض النظر عن هذا، فإن لديه حوافزه ومؤهلاته فارسًا. في العام الماضي -في يوم نحس - أقيمت منافسات الطعان (75) في جيستر، فذهب ابني إلى هناك، وكذلك أنا والسيدة زوجتي. ظننتُ أن الأمر سيكون وقت عزّ وافتخار لنا، إذ نجح بإسقاط كل فارس مأل عليه. أخيرًا جرى في المضمار ضد فارس كبير معروف: السير والتر لانكستر، لكن -مع أن ولدي كان شابًا جدًّا - فإنه احتفظ بمقعده، وإن يكن أن كلا الرمحين تحطّما حتى المقبضين، لكن حدث أن شظية من رمح ولدي اندفعت خلال مقدمة قناع السير والتر، وثقبت عينه داخله إلى دماغه! وبذلك مات قبل أن يتمكن مرافقه المرشح (76) من فكّ رباط خوذته عنه. طيب، يا روبن، كان لدى السير والتر أصدقاء نافذون في المحكمة، لذلك فإن أقاربه قلبوا الأمور ضد ابني، وبذلك -ولإبعاده عن الحكم بالسجن - اضطررتُ لدفع دية تبلغ ست مئة باوند ذهبًا. حتى الآن، كان معظم الأمر قد انقضى، إلا أنني -بكل شاردات وواردات والتواءات القوانين - كنتُ في اقتصاص مثل خروف مجزوز على وجه السرعة! وصادف الأمر أن اضطررتُ إلى رهن ما أملك من أراضٍ إلى دير إيميت من أجل المزيد من المال، وقد عقدوا معي صفقة مجحفة مستغلين حاجتي. لكنني أريدك أن تدرك، أنني لم أحزن كذلك على ما لدي من أراضٍ إلا بسبب زوجتي السيدة العزيزة.

قال روبن الذي كان يصغي باهتمام لكل ما قاله الفارس:

- ولكن أين ابنك الآن؟

- في فلسطين، يقاتل مثل كل جندي مسيحي شجاع، من أجل الصليب وكنيسة القيامة (77) حقًا، كانت إنجلترا مكانًا سيئًا عليه، من موت السير والتر وكراهية الأقارب في لانكستر.

قال روبن وقد أثاره الأمر كثيرًا:

- بالفعل، مشكلتك صعبة جدًا. ولكن أخبرني: ما الذي تدين به إلى إيميت مقابل عقاراتك؟

- فقط أربع مئة باوند.

عند هذا ضرب روبن فخذة غضبًا، وصاح:

- يا لمصاصي الدماء! عقار سام يُصدر من أجل أربع مئة باوند! ولكن ماذا سيحدث لك إذا فقدت أراضيكَ، أيها السير ريتشارد؟

- ليست أرضي الخاصة ما يقلقني في تلك القضية، بل شأن سيدتي العزيزة، فإنني إذا فقدت أرضي فسيكون عليها أن تلوذ ببعض أقاربها، وهناك تكون تحت رحمة الصدقة والإحسان، التي باعتقادي سوف تكسر كبرياء قلبها! أما أنا، فسوف أعبّر البحر المالح وأمضي نحو فلسطين، لأنضمّ إلى ابني لأقاتل من أجل الضريح المقدس.

ثم تكلم ويل سكارلت:

- ولكن أليس لديك من صديق يساعدك في هذه الحاجة الملحة؟

- لا رجل في الإطلاق! عندما كنتُ ثريًا بما يكفي في منزلي، وكان لديّ أصدقاء، كانوا يتفاخرون أشدّ التفاخر بحبهم إياي. ولكن عندما تهاوت السنديانة في الغابة، فرّت الخنازير من تحتها! كي لا يصيبها الضرب والسقوط أيضًا. وبذلك تخلصني أصدقائي، وليس بسبب فقري فقط، بل لأن لدي أعداء كبارًا.

قال روبن:

- أنت تقول إنك بلا أصدقاء، أيها السير ريتشارد. لا فخر، ولكن كثيرين وجدوا روبن هود صديقًا في ساعة العسرة، لتبتهج أيها السير الفارس، فلعلني أساعدك أيضًا.

هزَّ الفارس رأسه مع ابتسامة باهتة، ولكن بكل كلمات روبن تلك صار أكثر سرورًا في قلبه، إذ في الأمل الحقيقي، لا يكون الأمر خوفًا جدًّا، بجلب بريق نور في عتمة الظلمة، مثل مُشعل شمعة صغيرة لا تكلف إلا غروتًا. كان النهار على وشك الانقضاء عندما وصلوا قرب شجرة الغابة الخضراء. وحتى على بعد المسافة، رأوا عندها الرجال الذين يقودهم الصغير جون وقد عادوا مع بعض الضيوف، ولكنهم عندما اقتربوا مسافة كافية، ما كانوا سيجدون إلا اللورد مطران هيريفورد! وقد كان في قلق واضطراب حسبما أرى! كان يسير بهياج هنا وهناك أسفل الشجرة، مثل ثعلب محاصر في قن دجاج! وخلفه كان هنالك ثلاثة من الرهبان السود، يقفون قرب بعض في حالة مرعوبة! مثل ثلاثة خرفان في زوبعة! وعند الأشجار، كانت هنالك ستة أحصنة قريبة مربوطة إلى الأغصان، واحد منها كان حصانًا صغيرًا (78). يعلوه غطاء سرج مزركش فاخر، اعتاد المطران أن يركب عليه، وكانت البقية مثقلة برزم متنوعة الأشكال والأنواع، واحد منها جعل عيني روبن تلتمعان! إذ لم يكن صندوقًا كبير الحجم جدًّا، لكنه مربوط بإحكام بأشرطة وقيود من حديد.

وعندما شاهد المطران روبن والذين معه يدخلون في الفسحة، صار كأنه يوّد أن يركض باتجاه اليومن، لكن الرجل المكلف بحراسة المطران والرهبان الثلاثة جعل هراوته أمامه، لذلك فإن جلالته كان مذعنًا للتراجع، رغم الجبين العابس والخطاب الغاضب! صرخ روبن السعيد بصوت عالٍ، عندما رأى ما حصل:

- قف عندك، سيدي المطران. سأتي إليك بأقصى سرعة، لأنني أودّ رؤيتك أنت أكثر من أي رجل في إنجلترا البهيجة.

ثم أسرع خطواته، وعلى الفور جاء إلى حيث يقف المطران ثائرًا من الغضب! قال المطران بصوت صاخب وغازب عندما اقترب روبن منه:

- كيف الآن! أهذه هي الطريقة التي تعامل بها أنت وعصابتك واحدًا من أرقى مراتب الكنيسة مثلي؟ كنتُ مع هؤلاء الإخوة نمرّ بسلام على طول الطريق العام مع خيولنا المحمّلة، وعشرة من الرجال لحراستها، حينئذٍ طلع علينا رجل عملاق عظيم بطول سبعة أقدام تامات، مع ثمانين رجلًا أو أكثر خلفه، ونادوا عليّ بالتوقف... عليّ! مطران هيريفورد المقدس! انتبه! وقد فرّ حرسى المسلحون -يا لهم من جناء! لتحلّ اللعنة عليهم- لا يلوون على شيء! ولكن انظر! لم يكتفِ هذا الرجل بإيقافي، بل هدّني قائلاً إن روبن هود كان ليجردني ويجعلني مثل أشجار السياج في الشتاء! ثم -إلى جانب هذا كله- نعتني بأسماء دنيئة فظة، مثل: كاهن سمين، المطران أكل البشر، المرابي ملتهم الأموال... وسواها، وكأنني لم أكن غير شحاذ جوال أو حرفيّ! وأكثر من ذلك، عندما وصلتُ إلى هنا وجدتُ رجلًا هائلًا بدينًا، راهبًا زائفًا، قد صفعني على كتفي وكأنني -يعلم الله- كنتُ رجل حانة صغيرة!

فصاح الراهب تاك وهو يندفع متقدّمًا ويحشر نفسه أمام المطران:

- ها! دبّر الانتقام! ها! جئ به، أنا أقول!

وفرقع أصابعه تحت أنف المطران، حيث تراجع الآخر وكأن صوت الفرقة كانت قصفًا من الرعد! واستمر تاك:

- راهب زائف! تدعوني بذلك، بالحقيقة! انظر إلى نفسك يا مطران، أعتقد أنني رجل مقدس مثلك، ولكنك مطرانًا بذاتي لولا أنني ولدت تحت سياج. وأيضًا أنا متعلم مثلك، سوى أنني لم أتمكّن من تدبر أمري بتلك اللاتينية التافهة، إن لساني مشكّل للإنجليزية القوية الصالحة، لكنني أخبرك أنني أستطيع قول (باترز وأيفز)(79) بلا مزيد من زلة اللسان، أكثر منك أيها الرجل السمين!

عند هذا، ازداد انفعال المطران وتهيج مثل قط غاضب! حتى أن السير ريتشارد ضحك!
بينما حافظ روبن على وجه رزين، وقال:

- تراجع يا تاك، عليك أن لا تتحدى نيافته بهذه الطريقة. يا للأسى! يا سيدي، أنك قد
عوملتَ بطريقة سيئة جداً من عصابتي! أخبرك بأننا فعلاً نجلّ ونحترم مهنة رجال الدين.
أيها الصغير جون، تقدم مباشرة!

وعند هذه الكلمات، تقدّم الصغير جون باستقامة وهو يلوي سحنته بنظرة متقلّبة، وكأنه
يوّد أن يقول: (ها! ارحمني يا سيدي الطيب)، ثم التفتَ روبن إلى مطران هيريفورد، وقال:

- أكان هذا الرجل هو من تكلم مع نيافتك بجرأة وقحة؟

- أجل، حقاً كان هو، رجل سيّئ السلوك، أعتقد ذلك.

قال روبن بصوت حزين:

- وأنت أيها الصغير جون، دعوتَ جلالته بالكاهن السمين؟

قال الصغير جون بأسف وحزن:

- نعم.

- والمطران أكل الإنسان؟

قال الصغير جون بأسى أكثر من قبل:

- نعم!

- والمرابي ملتهم الأموال؟

فأجاب الصغير جون بصوت مكروب جدًّا، قد يستنزل الدمع من تين وينتلي(80):

- نعم!

قال روبن المرح وهو يستدير نحو المطران:

- يا للأسف! إن هذه الأمور يجب أن تكون! لأنني دائمًا ما وجدت الصغير جون رجلًا صادقًا.

عند هذا، تصاعدت ضجة من الضحك! وبسببها احتقن الدم في وجه المطران، حتى صار بحمرة الكرز من هامة رأسه حتى ذقنه! لكنه لم يقل شيئًا بل اكتفى بابتلاع كلماته، مع أنها خنقته تقريبًا!

- كلا يا سيدي المطران. نحن رجال فظّون، لكنني -بعد كل هذا - واثق أننا لسنا سيئين بنحو ما تعتقد فينا. ليس هنا من رجل مستعد لأن يمسّ شعرة من رأس جلاتك. أدري أنك حانق من مزاحنا، لكننا كلنا هنا متساوون في الغابة الخضراء، فليس هنالك من مطرانات ولا بارونات ولا إيرلات(81). بيننا، بل رجال ليس إلا، فيجب عليك أن تشاركنا حياتنا ما دمت تقيم هنا. تعالوا، تحرّكوا يا رجالي الظرفاء، وأعدّوا الوليمة. في هذه الأثناء، سوف تُري ضيوفنا فعاليات أرض الغابة لدينا.

وهكذا، بينما سعى بعضهم إلى إيقاد النيران لشبيّ اللحوم، تفرّق بعض آخر ليجلبوا هراواتهم وأقواسهم الطويلة. ثم قدّم روبن السير ريتشارد لي:

- سيدي المطران، ها هو ضيف آخر نزل عندنا هذا اليوم. أرغب في أن تعرفه بشكل أفضل، لأنني أنا ورجالي كلهم سوف نبذل ما في الوسع لتكريمكم معًا في هذا الاحتفال والإسعاد.

قال المطران بنغمة تأنيب:

- أيها السير ريتشارد، أعتقد أننا أنا وأنت أصحاب وشركاء معاونة في وكر...

كان على وشك أن يلفظ كلمة (الصوص)، لكنه أحجم فجأة! ونظر بريية إلى روبن هود.
ضحك روبن، وقال:

- أفصح عنها أيها المطران. نحن في شيروود لا نمنع من تدفق الكلمات بسهولة. (وكر
الصوص) كنت على وشك قولها!

- لعل ذلك ما عنيث أن أقول، السير ريتشارد، ولكنني سأقول الآتي: قد رأيتك قبل قليل
تضحك من النكات السوقية من هؤلاء الرجال. أعتقد أنه كان الأحرى بك أن تعارضهم
بالعبوس بدلاً من تشجيعهم بالضحك!

قال السير ريتشارد:

- لم أقصد الأذى عليك، لكن النكتة الجيدة تبقى نكتة جيدة، ولعلي بالفعل أقول: كنت
لأضحك منها ولو كانت قيلت فيّ أنا شخصياً!

والآن، نادى روبن هود على بعض الأفراد المعيّنين من عصابته، وقد جعلوا أرضية الطحلب
ناعمة، ثم فرشوا عليها جلود الأيائل. ثم دعا روبن هود ضيفيه ليجلسا، وهكذا قعدوا
ثلاثتهم، أما بعض الرجال الأساسيين منهم، الصغير جون، وويل سكارلت، وآلن أديل،
وآخرون، فقد أراحوا أنفسهم على الأرض قريباً. ثم أُقيمت حلقة رماية عند الطرف البعيد
من الفسحة، وإلى هنالك سدّ الرماة، وقد أنجز رمي في ذلك اليوم بما قد يجعل قلب المرء
يثب تطلعاً ليرى! وخلال ذلك كله، كان روبن يتكلم بطرافة مع المطران والفارس، حتى
أنهما - إذ ينسى أحدهما غيظه والآخر معضلاته - ضحكا عاليًا مرارًا وتكرارًا!

قام عشرة رجال بإطلاق ثلاث مرات من الأسهم لكل واحد، ومع أن الهدف لم يكن إلا
بعرض ثلاث راحات يد، وعلى بعد مئة وأربعين ياردة تامات، فلم تخطئ الهدف إلا رميتان!
فقال المطران لروبن:

- بحق سيدتنا! أيها الصديق الطيب، إنني لم أشهد رماية في كل حياتي مثلما يقوم بها رجالك هؤلاء، لكنني كثيرًا ما سمعتُ عن مهارتك، أفلا يمكنك أن ترينا شيئًا منها؟

- ها! إن ضياء النهار يعتم نوعًا ما، وتبدأ الأشياء باللمعان، ومع ذلك، سوف أحاول ما يمكنني فعله.

ثم نهض من مجلسه، وسحب حربته واقتطع عصًا من شجرة بندق، أعرض قليلاً بقطرها من إبهام الإنسان، وقشّر عنها لحاءها، ثم مشى بخطوات محسوبة لمسافة ثمانين ياردة. ثم غرز العصا في الأرض وعاد إلى حيث جلس الآخرون، وناوله آلن أديل قوسه القوي وقد وثره روبن. ثم قام بإفراغ كنانته على الأرض، وبحث بين السهام بعناية حتى اختار واحدًا يُرضي رغبته. وبعد إنجاز ذلك، ثبت السهم ووقف في الوضع، وقد سكن الكل من حوله حتى لعلك تسمع صوت سقوط ورقة! ثم سحب الوتر حتى أذنه ومدّ ذراعه الحاملة للقوس باستقامة، وقبل أن تتمكن من جذب نفس أرخي الوتر برّنة، فانطلق السهم بسرعة كبيرة حتى أن العين لم تتمكن من متابعته، لكن صيحة عظيمة ارتفعت من اليومنين عندما تقدم، ووثب ويل سكاتلوك وجرى لجلب العود، ويا للدهشة! كان السهم قد شق العود وانغرز في الخشب الذي تفلّع. ثم صاح كل اليومنين من جديد! حتى جاء أولئك الذين حول النار يسعون إذ كانوا فخورين بمهارة زعيمهم، التي لا أمل لواحد أن يصل لمستواها.

ولكن في الوقت نفسه جلس روبن مرة أخرى بين ضيوفه، ثم -ولم يعطهم الوقت لقول كلمة ثناء- نادى على أولئك الذين في عصابته ممن كانوا الأبرع في القتال بالعصا. لذلك، جلسوا وأخذوا يراقبون اللعبة حتى هبطت ظلال المساء، وما عاد من ضياء يكفي للقيام بضربات هجومية أو دفاعية. ثم تقدم آلن أديل وضبط قيثارته، وصار الكل ساكنين من حوله، وقد غنى بصوت مذهل أغاني عن الحب والحرب والمجد والحزن... وقد أصغى كلهم بلا إحداث أية نامة. وهكذا، صدح آلن حتى بزغ القمر الفضي العظيم، المستدير بنوره الأبيض الصافي، من خلال أعلى اشتباك أغصان الأشجار الملتفة. أخيرًا، قدم اثنان من الأصحاب ليقولا إن المائدة جاهزة، فقام روبن وقاد ضيفيه بكلتا يديه، وأتى بهما إلى حيث

الأطباق المدخنة الكبيرة، التي تنبعث منها روائح شهية ولذيذة هنا وهناك، على طول القماش الكتّاني الأبيض الممدود على العشب.

سطع نور المشاعل التي أضاءت بالوهج الأحمر كل شيء، ثم جلسوا جميعهم مباشرة وشرعوا بتناول الطعام عبر الضجة والصخب، ورنين الصحون المختلط مع صوت الكلام والقهقهات العالية. وقد طال أمد الوليمة وقتًا طويلًا... ولكن أخيرًا انتهى كل شيء، وقد جرى تمرير النبيذ الصافي الرائق والجمعة اللاذعة بنشاط وحيوية. ثم نادى روبن هود عاليًا بالتزام الصمت! فلزم الكل السكون حتى نطق:

- لدي قصة أخبركم بها كلكم، لذا أنصتوا لما سأقول.

وعند ذاك -بلا أي مزيد من الأفعال- تلا عليهم كل ما يتصل بشأن السير ريتشارد، وكيف حُبست أراضيه في الرهن، ولكن -وقد استمرّ روبن في كلامه- وجه المطران اكتسى بالجدية! بعد أن كان في السابق طافحًا بالابتسامات والحمرة من السرور! وقام بوضع قرن النبيذ الذي كان يمسكه جانبًا، لأنه عرف قصة السير ريتشارد، وقد انهار قلبه في جوفه بنذر الشر والنحس! ثم أنهى روبن هود خطابه والتفت نحو مطران هيريفورد:

- والآن يا سيدي المطران، ألا تعتقد أن هذا أمر سيئ من أي إنسان، والأكثر أن يصدر عن رجل كنيسة، ذلك الذي يلزم أن يعيش في تواضع وإحسان؟

عن هذا لم يجب المطران ولو بشطر كلمة، بل أطرق نحو الأرض بعينين كئيبتين!

- والآن، أنت المطران الأغنى في إنجلترا كلها، ألا يمكنك أن تساعد هذا الأخ المحتاج؟

لكن المطران لم يجر جوابًا قط. ثم التفت روبن نحو الصغير جون، وقال له:

- اذهب أنت وويل ستوتلي، واجلبا إلى هنا تلك الخيول الخمسة المحملة هناك.

فقام اليومنان بتنفيذ ما أمرا به، أما أولئك الذين حول المائدة فقد أفسحوا مجالاً على المساحة الخضراء، حيث كان سطوع الضوء أكثر، من أجل الخيول الخمسة التي ساقها الصغير جون وويل ستوتلي نحو الأمام. سأل روبن هود وهو ينظر نحو الرهبان السود:

- من يملك سجل هذه البضائع؟

تكلم أضعف الكل بصوت مرتجف! كان رجلاً عجوزاً له وجه وديع مجعد:

- ذلك أنا، لكنني أتوسل إليك! فأنا لا أؤذي أحداً!

- كلا! أنا لم أؤذ رجلاً بريئاً حتى الآن، ولكن ناولني إياه أيها الأب الطيب.

فنفذ الرجل العجوز الأمر، وسلم إلى روبن السجل، الذي دونت فيه حسابات تفاصيل الرزم المتنوعة المحمولة على الخيول، فقام روبن بتسليمه لويل سكارلت، وأمره بأن يقرأ ما فيه، فقام الأخير برفع عقيرته كي يسمع الجميع:

- ثلاث رزم من الحرير إلى كوينتن البزاز في أنكاستر.

قال روبن:

- ذلك لن نمسه، لأن كوينتن هذا رجل نزيه، وقد نشأ بتدبيره الخاص.

فتركت رزم الحرير هذه على جانب ولم تُفتح.

- رزمة واحدة من الحرير المخملي إلى دير بيومونت.

- ماذا يفعل هؤلاء القسيسون بالحرير المخملي؟ بغض النظر عن هذا -رغم أنهم لا يحتاجونه- فإنني لن أصادره كله منهم. قم بقياسه على ثلاثة أطوال: واحد يُباع من أجل الصدقة، وواحد لنا، وواحد للدير.

وهكذا أيضًا تم إنجاز الأمر حسب توجيه روبن هود.

- أربعون شمعة كبيرة إلى كنيسة القديس توماس الصغيرة.

- ذلك يعود بكل إنصاف إلى الكنيسة الصغيرة، لذلك دعوه على جانب، إذ ما أبعدنا عن الاستيلاء على ما يخصّ القديس توماس المبارك!

وهكذا تمّ فعل ما يقتضي أمر روبن، فعُزلت الشموع، مع رزم الحرير غير المفتوحة الخاصة بالصالح كوينتن. وعلى هذا المنوال جرت تفاصيل القائمة... وقد حصل النظر في البضائع وفاقًا لما يراه روبن ملائمًا. بعض الأشياء تُركت ولم تُمس، وأخرى كثيرة فُتحت وقُسمت إلى ثلاثة أقسام متساوية: للصدقة، ولهم، وللمالك. والآن، ها هي الأرضية كلها تحت نور المشاعل، مغطاة بأكداس الحرير والمخمل، والملابس المذهّبة، وصناديق الخمور الراقية... وهكذا، وصلوا إلى آخر سطر على السجل: صندوق يعود إلى سيادة مطران هيريفورد. عند سماع هذه الكلمات اقشعرّ المطران! ووُضع الصندوق على الأرض. سأله روبن:

- سيدي المطران، أديك مفتاح هذا الصندوق؟

هزّ المطران رأسه نفيًا، فقال روبن:

- هيا يا ويل سكارلت، أنت الرجل الأقوى هنا، اجلب سيفًا واقطع هذا الصندوق لتفتحه إذا تقدر.

فنهض ويل سكارلت وتركهم، ثم عاد بعد وقت قصير وهو يحمل سيف القبضتين (82). فسدّد ثلاث ضربات قويات على الصندوق المربّط بأشرطة الحديد، وعند الضربة الثالثة انكسر منفتحًا، فاندلق منه كدس ذهبي عظيم توهّج بالحمرة تحت نور المشاعل. وعند رؤية هذا المنظر سرت همهمة بين كل أفراد العصابة مثل صوت الريح في الأشجار البعيدة، ولكن لا رجل تقدم أو مسّ الأموال.. قال روبن:

- أنتم: يا ويل سكارلت، وآلن أديل، والصغير جون، عدّوا الأموال.

استلزم عدّها كلها وقتًا طويلاً... وعندما تم إحصاؤها كما ينبغي، صرّح ويل سكارلت بأن عددها كان ألفًا وخمس مئة باوند ذهبي. ولكنهم وجدوا بين الذهب ورقة، قام ويل سكارلت بقراءتها بصوت عالٍ، فسمع الكل أن هذه الأموال كانت بدل إيجار وغرامات ورهانات من عقارات معينة تعود إلى أسقفية هيريفورد. فقال روبن هود:

- سيدي المطران، لن أجردك مثلما قال الصغير جون كأشجار السياج في الشتاء، إذ سوف تستردّ معك ثلثًا من أموالك. إذ أن ثلثًا منه يمكنك أن تخصّنا به من أجل تسليتك أنت وقافتك، لأنك ثري جدًا، وثلث منه يمكنك أن تقتطعه على نحو أفضل من أجل الإحسان، إذ أنني -أيها المطران- أسمع أنك سيد متزمت وشديد على من هم تحتك، ومدخّر متحفّظ على المكاسب، التي يمكنك بشكل أفضل وبثقة بنفسك وسمعة أكثر، أن تمنحها للصدقات أكثر مما تنفقها على ملذّاتك وميولك الشخصية.

عند ذاك رفع المطران ناظريه، لكنه لم يقوَ على نطق كلمة! ومع ذلك كان ممتنًا إذ استبقى بعضًا من ثروته. ثم التفت السير روبن هود نحو السير ريتشارد لي، وقال له:

- والآن، أيها السير ريتشارد، يبدو أن الكنيسة تريد أن تسلبك ما لديك، لذلك، لعل بعضًا من فائض أرباح الكنيسة سيكون مساعدًا لك بشكل طيب. أنت سوف تأخذ تلك الخمس مئة باوند المعزولة جانبًا، من أجل الناس المحتاجين أكثر من حاجة المطران، وسوف تسدّد ديونك إلى إيميت بها.

نظر السير ريتشارد نحو روبن، حتى ظهر في عينيه ما جعل كل الأنوار والوجوه تكون مغطاة ومضربة معًا! وأخيرًا قال:

- أشكرك من أعماق قلبي يا صديق على ما فعلته من أجلي، ولكن لا تظنّ أنني ناكر إذا لم أتمكن من أخذ هديتك بحريّة. ولكنني سوف أفعل هذا: سأخذ المال وأسدّد ديوني، وفي

سنة وبدءًا من هذا اليوم ستعود بأمان، سواء لك أو إلى السيد مطران هيريفورد. على هذا أتعهد بأعظم أقوالي الفروسية الرصينة. أنا أشعر بحرية للاقتراض، لأنني لا أعرف رجلًا يجب عليه أن يكون أكثر التزامًا بمساعدتي، أكثر من ذي منصب عالٍ في تلك الكنيسة التي سببت مثل هذه الصفقة العسيرة.

قال روبن:

- حقًا أيها السير الفارس، أنا لا أفهم تلك الترددات والوساوس الحساسة التي ترهق أولئك الذين من صنفك، ولكن بعيدًا عن هذا، كل الأمور سوف تكون كما ترغب، ولكن الأفضل أن تعيد إليّ المال عند نهاية العام، إذ لعليّ أوّظف المال باستعمال أحسن مما يقوم به المطران.

عندئذٍ - وقد استدار نحو القريبيين منه - أصدر أمره، وتم استخراج خمس مئة باوند، وجُعِلت في كيس جلدي من أجل السير ريتشارد. أما بقية الثروة فقد قُسمت: جزء منها جُعِل في خزانة العصابة، وجزء آخر وُضع مع الأشياء الأخرى الخاصة بالمطران. ثم نهض السير ريتشارد:

- أيها الأصدقاء الطيبون، أنا لا يمكنني المكوث لمزيد من الوقت، إذ سوف يزداد قلق سيدتي إذا لم أعد إلى البيت، فأنا ألتمس منكم الإذن للمغادرة.

فنهض روبن هود وكل أصحابه الظرفاء، وقال روبن:

- أيها السير ريتشارد، لا يمكننا أن ندعك ترحل من هنا من دون اعتناء ومراقبة.

فتكلم الصغير جون:

- سيدي الطيب، دعني أختار مجموعة من يومني العصابة، ولنسلح أنفسنا بطريقة ملائمة، وهكذا نسلك مثل الخدم للسير ريتشارد حتى يتمكن من الحصول على آخرين بدلًا منا.

- لقد تكلمتَ بشكل حسن، أيها الصغير جون، ويجب أن يحصل هذا.

ثم انبرى ويل سكارلت:

- دعنا نمنحه سلسلة ذهبية ليعلقها حول عنقه، بما يلائم فردًا من سلالته، وكذلك مهمازين ذهبيين ليجعلهما على عقبي حذائه.

- لقد تكلمتَ بشكل حسن، يا ويل سكارلت، ويجب أن يحصل هذا.

بعده نطق ويل ستوتلي:

- لنعطه رزمة من المخمل الراقى، ولفة من القماش الذهبي، ليأخذها معه إلى البيت إلى زوجته السيدة النبيلة، هديةً من روبن هود وكل رجاله الظرفاء.

وعند ذاك صفق الكل فرحًا وابتهاجًا! وقال روبن أيضًا:

- لقد تكلمتَ بشكل حسن، يا ويل ستوتلي، ويجب أن يحصل هذا.

ثم إن السير ريتشارد لي نظر حوله وجاهد ليتكلم، لكنه لم يستطع ذلك إلا بمشقة! إذ خنقته المشاعر المضطربة! وأخيرًا قال بصوت مرتعش مبحوح:

- كلكم سوف ترون أيها الأصدقاء الطيبون، أن السير ريتشارد لي لن ينسى عطفكم وكرمكم أبدًا هذا اليوم. وإذا كنتم في أي وقت بحاجة ملحة أو في مشكلة، فتعالوا إليّ أنا وسيدتي، ولثقف أسوار قلعة لي وتهدم قبل أن يصيبكم أي أذى! أنا...

ولم يتمكن من قول المزيد، بل استدار وأشاح بوجهه بعجالة... ولكن الآن كان الصغير جون مع تسعة عشر مقدمًا، الذين اختيروا من عصابته، وقد تقدّموا وكلهم مستعدّون للرحلة. ارتدى كل واحد منهم على صدره رداءً من درع محبوك (83). وعلى رأسه خوذة من حديد، وعلى جنبه سيف متين قوي. كانوا في مظهر باسل ومهيب وهم يقفون صفًا! ثم جاء روبن

وقلّد السير ريتشارد سلسلة من ذهب، وجثا ويل سكارلت وثبت المهمازين الذهبيين على عقبية، والآن، قدّم الصغير جون حصان السير ريتشارد فامتطاه الفارس. ولبعض الوقت نظر نحو الأسفل إلى روبن، ثم انحنى فجأة وقبل خدّه! وردّدت كل فسحات الغابة صدى الصيحة التي ارتقت عندما شرع الفارس واليومنون بالمسير خارجين خلال أرض الغابة، مع وميض المشاعل والتماع الحديد، وعلى هذا النحو مضوا... ثم تكلم مطران هيريفورد بصوت كئيب:

- أنا أيضًا يجب أن أمضي أيها الرفيق الطيب، إذ أن الليل ازداد تأخّرًا بالوقت.

لكن روبن وضع يده على ذراع المطران واستبقاه:

- لا تكن متعجلًا، سيادة المطران. بدءًا من الآن ولثلاثة أيام يجب أن يسدّد السير ريتشارد ديونه إلى إيميت، وإلى ذلك الحين عليك أن تكون راضيًا بالإقامة معي، خشية أن تختلق المشكلات للفارس! أعدك بأنك سوف تنال تسليّة عظيمة، فأنا أدري أنك مغرم بصيد الأيل الكमित. انزع رداء الكآبة والسوداوية، وأكره نفسك على الشروع بحياة يوم من مرحلة لثلاثة أيام تامات. أعدك أنك سوف تكون أسفًا على الرحيل عند حلول الميعاد.

وهكذا أقام المطران وقافلته مع روبن ثلاثة أيام... وهناك أُقيمت المزيد من الفعاليات لجلالته في ذلك الوقت، وبذلك -كما قال روبن- عندما حان الوقت ليغادر، كان يشعر بالأسف على ترك الغابة الخضراء! عند انتهاء الأيام الثلاثة أطلق روبن سراحه، وأرسله ليخرج من الغابة مع حراسة مرافقة من اليومنين، ليحفظوه من قطاع الطرق الذين قد يستولون على ما تبقى من الرزم وكميات الأموال. ولكن المطران وهو يركب مبتعدًا، أقسم في داخله أنه في وقت ما، سوف يجعل روبن هود نادمًا على اليوم الذي استوقفه فيه عند شيروود! ولكن الآن سوف نتبع السير ريتشارد، لذلك استمعوا، وسوف تعرفون ما حدث له، وكيف سدّد ديونه إلى أسقفية إيميت، ومثل ذلك في الوقت المناسب إلى روبن هود.

(74) (Smoke shed).

(75) (Joust) مبارزة الفرسان بالتصادم بالرماح الخشبية المعروفة في القرون الوسطى.

(76) (Esquire).

(77) (The Holy Sepulcher) ذكرنا أن مغامرات روبن هود تحمل جانبًا تاريخيًا خاصًا بالحمالات الصليبية، وهذه الكنيسة هي -حسبما يعتقد المسيحيون - هي موضع دفن النبي عيسى (ع)، وهي أقدم وأهم الكنائس، وتقع داخل أسوار البلدة القديمة في القدس.

(78) (Barb).

(79) (Paters and Aves) من كلمات التسبيح.

(80) (The Dragon of Wentley) تنين أسطوري شرير جدًا يُقتل بيد فارس في جنوب يوركشاير. اشتهرت القصة في قصيدة مغناة في القرون الوسطى.

(81) (Earl) لقب إنجليزي فوق الفيسكونت ودون الماركيز.

(82) (Two-handed sword) وهو أطول السيوف وأثقلها وبطيء في الحركة، يمتاز بمقبض طويل لإمساكه بكلتا اليدين.

(83) (Linked mail).

كيف سدّد السير ريتشارد لي ديونه

امتدّ الطريق العام الطويل باستقامة، وكان رماديًا ومغبرًا في وهج الشمس، وعلى الجانبين كان الخندقان ممتلئين بالماء ومحاطين بالصفصاف، وفي المدى البعيد ينتصب برجا دير إيميت وحولهما أشجار الحور السامقة. وعلى طول الطريق المرتفع عن الماء، سار فارس وخلفه عشرون من الرجال المسلحين الأثداء. كان الفارس يرتدي رداءً بسيطًا وطويلاً من قماش السيرج(84) الرمادي، وملموماً عند الخصر بحزام جلدي عريض، تعلّق فيه خنجر طويل وسيف قاطع. ومع أنه كان يرتدي بشكل بسيط جداً، فإن حصانه كان من نوع البارب النجيب، وكانت أغطية سرجه فاخرة بالحرير والأجراس الفضية. وهكذا سارت الفرقة على امتداد الطريق المرتفع بين جانبي الماء... حتى وصلا عند بوابة دير إيميت العظيمة، وهناك نادى الفارس على أحد رجاله، وأمره بأن يطرق باب كوخ البوّاب بمقبض سيفه. كان البوّاب غافياً مسترخياً على المصطبة داخل كوخه، ولكن عند سماع الطرق نهض وفتح الباب الصغير، جاء نحوهم وهو يتأرجح بسيره وحيًا الفارس، بينما نطق زرزور(85) أليف في قفصه المصنوع من الأغصان المعلق بالداخل: (السلام في الفردوس! السلام في الفردوس!) (86) ومثلها من الكلمات التي قام البواب الفقير الأعرج بتعليمه إياها لينطقها. سأل الفارس البوّاب العجوز:

- أين رئيس ديرك؟

- إنه وقت الطعام أيها الفارس الطيب، وهو ينتظر مقدمك! فإذا لم أكن مخطئاً: أنت السير ريتشارد لي.

- أنا السير ريتشارد لي، إذن سوف أمضي لأبحث عنه حالاً.

- ألا يجب أن أرسل حصانك إلى الإسطبل؟ بحق سيدتنا! إنه الفرس الصغير(87) الأكثر نبالة، وهو الأفضل إسراجاً، بما لم أر في كل حياتي قط!

وقام بوضع راحته على خاصرة الحصان وتمسيدها، فردّ عليه السير ريتشارد:

- كلا! إسطبلات هذا المكان ليست لي، لذلك أفسح الطريق أرجوك.

واندفع متقدّمًا، وفُتحت له البوابات، فولج إلى باحة الدير المرصوفة بالحجر ورجاله من ورائه. دخلوا هنالك يصحبهم صوت رنين الحديد واحتكاك السيوف، ووقع حوافر الخيول على الأحجار الكبيرة، حيث حلّق سرب من الحمام مختلاً في الشمس برفرفة الأجنحة، نحو الأفاريز العالية من البرجين المستديرين. وبينما كان الفارس يركب متجهًا على طول الطريق المعبد نحو إيميت، كانت هنالك وليمة سعيدة تُقام في حجرة الطعام. كانت شمس ما بعد الظهر تلقي أشعتها خلال النوافذ المقوّسة العظيمة، وتسقط بمربعات نور عريضة على الأرضية الحجرية، وعبر اللوح المغطى بقماش الكتان الأبيض كالثلج، حيث مُدت وليمة ملكية عامرة. عند رأس المائدة جلس رئيس الدير فنسنت إيميت، وهو مشتمل بالأردية الناعمة من القماش الحريري الفاخر، وعلى رأسه غطاء من المخمل الأسود الموشى بالذهب، وطوّقت عنقه سلسلة ذهبية ثقيلة، لها واسطة من جوهرة عظيمة متدلّية. إلى جانبه -على ذراع كرسيه الكبير- جثم صقره المفضّل، إذ كان رئيس الدير مولعًا بمهارة راقية هي الصيد بالصقور. وعن يمينه، جلس عمدة نوتنغهام بملبسه الغني الأرجواني المزيّن حول أطرافه بالفرو، وعلى شماله دكتور القانون في ملبس أسود معتدل، وأدنى منهم جلس الوكيل الأعلى للمؤن في إيميت، ومسؤولون آخرون في ضمن الأخوية. مرت بينهم النكات والضحكات، وكان الكل في أقصى ما يمكن من السعادة والانشراح. أما الوجه الداوي لرجل القانون فقد كان ملتويًا بالظهور بابتسامة متغصّنة، إذ كان في جرابه ثمانون أنجلًا ذهبيًا، دفعها إليه رئيس الدير أجرًا عن قضية بينه وبين السير ريتشارد لي. وقد دُفع للدكتور المتعلّم سلفًا، إذ لم يكن يثق كثيرًا بفنسننت المقدس في إيميت. قال عمدة نوتنغهام:

- ولكن هل أنت متأكد أيها السير رئيس الدير أنك تملك الأراضي بأمان كبير؟

قال الرئيس فنسنت وهو يتلمّظ بشفتيه بعد جرعة عميقة من الخمر:

- أجل، عجبًا! لقد أبقىثُ مراقبة محكمة عليه، وإن يكن فإنه ليس عالمًا بالأمر، وأنا أعلم جيدًا أن لا مال لديه ليدفعه إليّ.

قال رجل القانون بصوت أجش جاف:

- أجل، حقًا. إن أراضه بكل تأكيد عرضة للمصادرة إن لم يأت ليُدفع، ولكن أيها السير الرئيس، يجب أن تحصل على تنازل بتوقيع يده، وإلا فإنك لن تتمكن من الاستيلاء على الأرض بلا مشاكل معه.

- أجل، لقد أخبرتني من قبل، لكنني أدري أن هذا الفارس فقير جدًا، لذا فإنه سيوقع بسرور ليمنح أراضيه من أجل مئتي باوند من المال العسير.

ثم تكلم وكيل المؤن:

- أعتقد أن من المخجل دفع فارس منكود الحظ إلى الحفرة، وأعتقد أن من المؤسف أن تؤخذ أرقى العقارات في ديربيشاير منه، من أجل مبلغ خسيس مثل خمس مئة باوند. بالفعل أنا...

اندلع رئيس الدير في صوت صاخب، وعيناه تقدحان واحمرّت وجنتاه غضبًا:

- ألسّت تهذي عند لحيتي، يا ولد؟ بحق القديس هوبرت، الأفضل لك أن تحفظ أنفاسك لتلطّف حساءك، وإلا فإنه سيسلق فمك!

قال رجل القانون بلطف:

- كلا! أجرؤ على القسم أن هذا الفارس نفسه لن يأتي للاتفاق هذا اليوم، بل سوف يبرهن على جبنه. وبغضّ النظر عن ذلك، سوف نجد بعض الوسائل لتحصيل أراضيه منه، لذا لا تخف أبدًا!

ولكن عند كلام الدكتور، وصل إلى أسماعهم من الأسفل صوت حوافر الخيول وصليل الدروع الحديدية في الباحة، فتكلم الرئيس ونادى على واحد من الإخوة الجالسين أدنى المملحة (88). وأمره بأن ينظر إلى خارج النافذة ويرى من في الأسفل، وإن يكن يدري جيداً أنه قد يكون أي شخص إلا السير ريتشارد. فنهض الأخ ومضى لينظر، ثم قال:

- أرى في الأسفل فرقة من الرجال المسلحين، وفارساً يترجّل الآن عن حصانه، إنه مرتدٍ أردية طويلة رمادية، وأعتقد أنها فقيرة المظهر، لكن الحصان الذي يركبه له أوفر وأعلى تجهيز رأيته قط. يترجّل الفارس وها هم يأتون بهذا الطريق، بل هم حتى الآن في الأسفل في القاعة الكبرى.

قال الرئيس فنسنت:

- ها! انظر هنالك الآن! لديك هنا فارس لديه كيس نقود نحيف جداً، بما لا يقدره على شراء كسرة خبز ليمضغها، لكنه يحتفظ بفرقة من الخدم، ويضع أغطية سرج راقية على جلد حصانه، بينما قفاه عارٍ! أليس من الجيد أن مثل هؤلاء الرجال يجب أن يُخضعوا وتُخفض منزلتهم؟

قال الدكتور وهو يرتجف رعباً:

- ولكن هل أنت متأكد من أن هذا الفارس لن يفعل ما يؤذينا؟ فمثله شرس حين عبر، ولديه عصابة من الرجال الأشرار على أعقابهم، لعل من الأفضل أن تمنحه أجلاً أطول على دينه.

هكذا تكلم، إذ كان يخشى أن يلحق السير ريتشارد الأذى به، قال رئيس الدير وهو ينظر من عليّ إلى الرجل الضئيل جانبه:

- لا حاجة بك إلى الخوف! هذا الفارس شهيم وما كان ليفكر أن يؤذي امرأة عجوزاً مثلك!

حينما أتمّ الرئيس كلامه، فُتِحَ باب عند الطرف الأدنى في حجرة الطعام، ودخل السير ريتشارد مطبقاً راحتيه وخافضاً رأسه على صدره. بهذا التواضع مشى ببطء على مسار القاعة، بينما وقف حرّاسه حول الباب. عندما جاء إلى حيث وقف رئيس الدير، جثا على إحدى ركبتيه، وقال:

- دمتَ في حفظ ورعاية أيها السير رئيس الدير، جئتُ لأُفي بوعدِي في اليوم.

وكانت أول كلمة قالها له رئيس الدير:

- هل جلبتَ لي أموالِي؟

قال الفارس بما جعل عيني الرئيس تتقدان:

- يا للأسف! ليس لدي أكثر من بنس واحد على جسدي!

- والآن، أرى أنك مدين داهية! أيها السير العمدة، أنا أشرب النخب لك.

لكن الفارس ما يزال جاثياً على الحجارة الصلبة، لذلك التفت إليه الرئيس مرة أخرى، وقال بحدة:

- ماذا قد يكون لديك؟

عند هذه الكلمات تصاعدت حمرة في وجنتي الفارس لكنه لم يزل راکعاً، وقال:

- أودّ أن أسألك الرحمة! كما تأملُ رحمةَ السماء، امنحني العفو. لا تجرّدني من أراضي ولا تقلل بذلك من شأن فارس حقيقي لتجعله فقيراً.

قال رجل القانون وقد تشجّعت معنوياته عند خطاب الفارس المستكين:

- يومك قد حلّ والمصادرة على أراضيكَ!

- أنت رجل قانون: ألن تكون صديقي في ساعة حاجتي؟

- كلا! أنا ملتزم مع هذا الرئيس المقدس، الذي دفع إليّ أجوري بالذهب الخالص، لذلك أنا ميّال إليه.

- ألن تكون صديقي، أيها السير العمدة؟

- كلا! العياذ بالله! هذا ليس من شأنِي، ومع ذلك سوف أفعل ما يمكن.

وهنا نكز الرئيس تحت غطاء المائدة بركبته، وأضاف:

- ألن تخفّف عنه بعض ديونه، أيها السير الرئيس؟

وهنا ابتسم رئيس الدير بشر وعبوس:

- ادفع إليّ ثلاث مئة باوند أيها السير ريتشارد، سوف أمنحك براءةً لدينك.

- أنت تدري أيها السير الرئيس، أن دفع أربع مئة باوند سهل بالنسبة إليّ كدفع ثلاث مئة. ولكن ألن تمنحني اثني عشر شهرًا آخر لسداد ديني؟

قال الرئيس بصرامة:

- ولا يومًا آخر!

فسأل الفارِس:

- وهذا كل ما سوف تفعله من أجلي؟

فانفجر رئيس الدير ساخطًا، وصرخ:

- والآن، كَفَّ عن هذا أيها الفارس المخادع! إما أن تدفع دينك كما قلت، أو تخلَّ عن أرضك
واخرج من قاعتي!

ثم نهض السير ريتشارد، وقال:

- أنت المخادع أيها القسيس الكاذب!

قال ذلك بصوت عنيف جعل رجل القانون ينكمش رعبًا! وأضاف:

- أنا لستُ فارسًا مخادعًا، وأنت تعرف ذلك تمام المعرفة، بل إنني لطالما أقمتُ منزلتي في
الهجوم والمسابقة. ألا تملك ولو قليلاً من الكياسة وأنت ترى فارسًا حقيقياً يجثو على
ركبته كل هذا الوقت، أو تراه يدخل إلى قاعتك، ولا تقدّم إليه لحمًا أو شرابًا؟

ثم قال رجل القانون بصوت مرتعش:

- بكل تأكيد هذه طريقة سيئة للحوار في شؤون لها علاقة بالعمل، لنكن أكثر حصافة
وانزائًا في الخطاب. أيها السير الرئيس، ما الذي ستدفعه إلى هذا الفارس ليعطيك منح
أرضه؟

كنتُ لأمنحه مئتي باوند، ولكن بما أنه تكلم بوضاعة أمام أسناني! (89) فلن أزيد غروتًا
واحدًا على مئة باوند يحصل عليها.

قال الفارس:

- أيها الرئيس الغشّاش، لو عرضتَ عليّ ألف باوند ما كنت لتنال بوضة من أرضي.

ثم التفت نحو موقف حرّاسه عند الباب، ونادى:

- تعال هنا.

وأوماً بإصبعه، عندئذٍ تقدم أطولهم وناولوه كيسًا جلدًا طويلاً. أخذ السير ريتشارد الكيس، وأطلق منه على المنضدة جدولاً من المال الذهبي البراق! ثم قال:

- ضع في اعتبارك، أيها السير الرئيس، أنك قد وعدتني بسداد الدين مقابل ثلاث مئة باوند، ولن تحصل على فارذنج واحد فوق ذلك.

ثم باشر عدّ ثلاث مئة من الباوندات ودفعها نحو رئيس الدير! ولكن الآن سقطت يدا الرئيس على جانبيه وتدلى رأسه على كتفه! إذ لم يخسر كل آماله بالأرض فقط، بل إنه تنازل عن مئة باوند من دينه، ودفع بغير ضرورة وحاجة إلى رجل القانون ثمانين أنجلاً! فالتفت إليه، وقال:

- أعد إليّ مالي الذي لديك!

صاح الآخر بحدة:

- كلا! إنه ليس إلا أجري الذي دفعته إليّ، ولا يرجع إليك.

وقام بإحكام ردائه من حوله! قال السير ريتشارد:

- والآن أيها السير رئيس الدير، أنا التزمْتُ بالوقت المحدد، ودفعتُ كل المتطلبات المستحقة عليّ، لذلك - بما أنه لا مزيد من الأمور بيننا - أنا أغادر هذا المكان الحقيقير مباشرة!

بعد ذلك، استدار على عقبه وسار مبتعدًا. خلال هذا الوقت كله كان العمدة يحدّق بعينين متسعيتين كل السعة! وفيّ مفعور أمام طول الرجل المسلح، الذي وقف وكأنه منحوت من الصخر! وأخيرًا صاح لاهثًا:

- رينولد غرينليف!

عند هذا استدار الرجل المسلح الطويل - الذي لم يكن غير الصغير جون - وقال مع تكشيرة:

- لك أطيب التحية، أيها الرفيق الطيب. أودّ أن أقول أيها العمدة اللطيف، إنني سمعتُ كل محاورتكم الجميلة هذا اليوم، وسوف تُتلى بنحو وافٍ على روبن هود. لذلك، وداعًا في هذه المناسبة حتى نلتقي مرة أخرى في غابة شيرودود.

ثم استدار هو أيضًا وتبع السير ريتشارد إلى أسفل القاعة، تاركًا العمدة يجلّله الشحوب والدهشة، وقد انكمش على نفسه في كرسيه! كانت مائدة بهيجة تلك التي حضر عندها السير ريتشارد، لكنه ترك مقدارًا من الحزن بعده! وما ظلّ فيهم إلا مقدار ضئيل من الجوع للوليمة السخية الممدودة أمامهم، باستثناء الدكتور المتعلم الذي كان سعيدًا لأنه نال أجره! والآن، مرّت سنة ويومٌ منذ أن جلس فنسنت رئيس دير إيميت إلى المائدة، ومرة أخرى ها هو حلولُ يانع لعام آخر. لكن العام جلب معه تغييرًا عظيمًا -أرى ذلك- إلى أراضي السير ريتشارد لي، إذ -قبل أن تنمو الحشائش البرية الطويلة الكثيفة على أراضي المرج- الآن امتدّ عليها القش الذهبي، الذي يدلّ على أن محصولًا غنيًا وفيرًا قد استُحصل منه. عام واحد أحدث تغييرًا عظيمًا في القلعة، إذ بعد أن كانت الخنادق فارغة والتصدّعات من الإهمال، ها هي الآن مننظمة ومرتبّة ومحفوطة بشكل حسن.

أشرقت الشمس على السور والبرج، وفي الفضاء الأزرق حلّق فوق الرؤوس سرب من الزاغ الصيّاح حول القمة ودوّارة الريح. ثم -في ضياء ذلك الصباح- نزل جسر القلعة عبر الخندق بجلجلة السلاسل ورنينها، وتأرجحت بوابة القلعة ببطء وفُتحت، ومن باحة القلعة، ظهر في التماعٍ وسطوع نسقٍ جميل من الحرس يرتدون كلهم دروعًا منسوجة من الحديد، مع فارسٍ مشتمل كله بالدرع المحبوك، أبيض مثل الثلج على الزهر الأبيض البري والزعرور الشوكي في صباح الشتاء. كان الفارس يحمل رمحًا كبيرًا، رفرف على رأسه علم مثلث بلون الدم وبعرض راحة اليد. وهكذا طلع هذا الموكب العسكري من القلعة، وفي وسطهم سارت قافلة من ثلاثة أحصنة محمّلة برزم متنوعة الأشكال والأنواع.

وعلى هذا النحو، ركب السير ريتشارد لي الطيب، ليؤدي ما عليه من دين إلى روبن هود في هذا الصباح المشرق البهيج. وعلى امتداد الطريق العام، اتخذوا وجهتهم بمسير ذي وقع

أقدام موزونة مع جلجلة السيوف ولأمة الحرب. تقدموا بمسيرهم حتى وصلوا قريبًا من دينبي، حيث رأوا من على قمة التل -ما وراء المدينة- أعلامًا ورايات سعيدة عدة وهي ترفرف في الجو المضيء، فالتفت السير ريتشارد إلى أقرب حارس إليه، وقال:

- ما الذي باتجاهنا هناك عند دينبي اليوم؟

- عفو جلالتك! إنه مهرجان جميل يُقام هناك اليوم، ومباراة مصارعة كبيرة، يحضرها كثير من الناس، وهناك برميل من النبيذ الأحمر، وخاتم ذهبي جميل، وزوج من القفازات، كلها تُمنح للمصارع الأفضل.

قال السير ريتشارد الذي طالما أحب كثيرًا الرياضات الرجولية القوية:

- سيكون هذا أمرًا جميلًا نراه، أرى أن علينا أن نلبث وقتًا قليلًا خلال رحلتنا ونشاهد هذه الرياضة المفرحة.

وقام بإدارة رأس حصانه جانبًا باتجاه دينبي والمهرجان، وإلى المكان شقّ هو ورجاله طريقهم. هناك وجدوا صخبًا عظيمًا من المرح والابتهاج، كانت الأعلام والرايات ترفرف، والبهلوانيون يتقاذون على الأرض الخضراء، والمزامير تعزف، والفتيان والفتيات يرقصون على أنغام الموسيقى. لكن أكثر الحشد كان متجمعًا حول حلبة حيث تُقام المصارعة، وإليها وجّه السير ريتشارد ورجاله خطواتهم. والآن، عندما رأى حكام المصارعة السير ريتشارد قادمًا وميّزوا شخصه، نزل كبيرهم من المنصة حيث كان يجلس مع الآخرين، وتوجّه نحو الفارس وأخذ بيده، وتوسّل إليه أن يأتي وينضم إلى حكام اللعبة. ولذلك، ترجّل السير ريتشارد عن حصانه، وانضمّ إلى الآخرين على المنصة المقامة إلى جانب الحلبة. كانت هناك حركات كبيرة ذلك الصباح، إذ أن بطلاً معروفًا اسمه إيغبرت، وقد جاء من ستوك هناك في ستافوردشاير، قد طرح بسهولة كل أولئك الذين صارعوه، إلا رجل دينبي -المعروف خلال كل الريف بـ (ويليام ذو الندبة)- الذي كان ينتظر دوره مع رجل ستوك، وهكذا، عندما أطاح إيغبرت بكل متبارٍ آخر، وثب الشديد ويليام إلى داخل

الحلبة، فأقيمت جولة قوية. وفي النهاية تمكّن من رمي إيغبرت بقوة، وعند ذاك كان هنالك صياح عظيم ومصافحة أيدي، إذ كان كل رجال دينبي فخورين بمصارعهم. عندما جاء السير ريتشارد، وجد البطل ويليام متباهياً منتفخاً بصيحات أصدقائه، يسير أعلى الحلبة وأسفلها، متحدياً أي شخص أن يأتي ويجرّب جولة معه:

- تعال واحداً! تعالوا جماعة! ها هنا أقف: ويليام ذو الندبة، ضد أي رجل! إن لم يكن أحد في ديربيشاير ليأتي ضدي، فتعالوا جميعاً يا من تفعلون، من نوتنغهام، أو ستافورد، أو يورك، وإن لم أجعلكم واحداً أو جميعاً تحفرون الأرض بأنوفكم مثل الخنازير في الغابات، فلا تدعوني بويليام المصارع الشجاع بعد ذلك!

وعند هذا ضحك الجميع! ولكن فوق الضحك سُمع صوت عالٍ يصيح:

- بما أنك تكلمت بكلام كبير، فما هو واحد من مقاطعة نوتنغهام يأتي ليحاول جولة معك أيها الرجل!

ومباشرة جاء شاب طويل معه عصاً متينة بيده، شقّ طريقه متدافعاً بين الجمهور، وأخيراً وثب بخفة فوق الحبال إلى الحلبة. لم يكن ثقيلاً مثل ويليام، لكنه أطول وأعرض ما بين المنكبين، وكل مفاصله كانت متماسكة بقوة. نظر إليه السير ريتشارد بتدقيق، ثم التفت نحو واحد من القضاة، وقال:

- أتعرف من يكون هذا الشاب؟ أظن أنني رأيته من قبل.

- كلا! إنه غريب عليّ!

في تلك الأثناء -وبلا أدنى كلمة- قام الشاب بوضع عصاه جانباً، وبدأ بخلع صديريته وملابسه حتى وقف عاري الذراعين والنصف الأعلى، وقد كان منظره وسيماً عندما كان مكشوفاً جداً أمام الأنظار، إذ كانت عضلاته ذات استدارة وتقاطيع ونعومة مثل الماء الجاري. والآن، بصق كل رجل منهما في يديه، وصفقهما على ركبتيه، وانحنيا مقرّفين،

يتراقبان بحذر وانتباه، لينال كل منهما فائدة المبادرة بالقبض المناسب. ثم انقضَّ معًا على بعضيهما مثل الوميض، فعلت صيحة عظيمة، إذ تمكَّن ويليام من إحراز المسكة الأفضل على خصمه. توثَّرا لبعض الوقت وناضلا والتوى جسماهما، ثم اندفع ويليام الهمام بأبرع ما لديه من الحيلة والاشتباك، لكن الغريب واجهها بمهارة أعظم منه، فلم تؤت المحاولة النتيجة المرجوة! ثم فجأة -وبالتواءة وسحبة قوية- حرَّر الغريب نفسه، ووجد ذو الندبة نفسه محاصرًا بين ذراعين محكمتين جعلتا أضلاعه تقعقع! وهكذا وقفا لمدة يناضلان بالتنفُّس الباهظ الحار، وجسداهما كلاهما يلتمعان بالعرق، ومنه رشحت قطرات كبيرة تنزل أسفل وجهيهما. لكن مسكة الغريب كانت ثقيلة ومحكمة جدًّا، حتى أن عضلات البطل ويليام ارتخت تحت قبضته، ومنحه نفسًا. ثم استجمع الشاب كل قوَّته، وقام بحركة إعتار بعقبه، وألقاه على وركه الأيمن، فوقع البطل ويليام وله جوار مقرف، واستلقى كأنه ما كان ليحرِّك يداً أو قدمًا مرة أخرى! ولكن الآن لم يظهر أدنى هتاف من أجل الغريب، بل سُمعت غمغمة غاضبة بين الحشد، فهو قد ربح المباراة بسهولة جدًّا. ثم نهض أحد الحكام -وهو من أقارب ويليام ذي الندبة- ترتعد شفته وعليه نظرة منذرة بالويل والثبور! وقال:

- إذا كنتَ قد قتلتَ ذلك الرجل فسيكون الأمر وبالاً عليك، دعني أخبرك بذلك يا رجل!

لكن الغريب أجاب بتحدٍّ:

- لقد نال فرصته معي مثلما فعلتُ أنا معه، لا قانون يمكنه أن يمسنني بأذى حتى لو قتلته، إذ كان ذلك منجزًا بعدالة في حلبة المصارعة.

قال الحكم وهو يسدّ نظرات التجهم والتقطيب نحو الشاب:

- ذلك ما سوف نرى!

في تلك الأثناء، تصاعدت همهمة انزعاج وتبرُّم أخرى بين الجمهور، إذ -كما ذكرتُ- كان رجال دينبي فخورين بالبطل الهمام ويليام ذي الندبة. ثم تكلم السير ريتشارد بلطف:

- لا! الشاب محقّ، إذا مات الآخر فإنه يموت داخل حلبة المصارعة، حيث نال فرصته، وكان ملقيًا ومهزومًا بشكل عادل جدًا.

ولكن في الوقت نفسه، تقدّم ثلاثة رجال ورفعوا البطل ويليام عن الأرض، واكتشفوا أنه لم يكن ميتًا، مع أنه تلقى ارتجاجًا سيئًا بسبب سقطته الثقيلة! ثم نهض الحكم الرئيس، وقال:

- أيها الشاب، الجائزة استحقاق منصف لك، هذا هو الخاتم الذهبي الأحمر، وها هي القفازات، وهناك برميل النبيذ لتفعل به ما تشاء.

عند هذا، ارتدى الشاب ملابسه وتناول هراوته، وانحنى بلا كلام، ثم -وقد أخذ القفازين وحشرهما في حزامه، وجعل الخاتم في إصبه- استدار ووثب بخفة فوق الحبال مرة أخرى، وشقّ طريقه خلال الجمهور ومضى... التفت الحكم وخاطب السير ريتشارد:

- والآن، أتساءل: أي شاب يكون ذلك؟ من وجنتيه الحمراء وشعره الجميل يبدو أنه بطل ساكسوني. رجلنا ويليام بطل هامام أيضًا، ولم يحدث أن رأيتَه يسقط في الحلبة، مع أنه لم يصارع حتى الآن المصارعين العظام، مثل: توماس كورنول، وديكون يورك، والشاب ديفيد دونكاستر، ألا تعتقد أنه يمتلك قدمًا ثابتة في الحلبة أيها السير ريتشارد؟

قال السير ريتشارد بصوت عميق التفكير:

- نعم، فعلاً، ومع ذلك فقد هزمه هذا الشاب بإنصاف وسهولة عجيبة! وأتساءل كثيرًا: من قد يكون؟

ظلّ الفارس يتكلم مع أولئك الذين حوله لمدة من الوقت، ولكنه في النهاية نهض واستعدّ للرحيل، فنادى على رجاله قربه، وقام بربط أحزمة السرج، وامتنطى حصانه مرة أخرى. في تلك الأثناء، سار الشاب الغريب خلال الحشد، لكنه خلال مروره سمع من جواره همهمة ساخطة بمثل هذه العبارات: (انظروا إلى الديك الصغير!)، (انتبهوا، كيف يتباهى بنفسه!)، (أجرؤ بالقسم على أنه هزم ويليام الطيب بغير عدل!)، (أجل! ألم تروا المادة المزلقة(90))

على يديه؟)، (سيكون من الأفضل قصّ شعره!)... لكل هذه لم يعر الغريب انتباهًا، بل خطأ بفخر في المكان وكأنه لم يسمع! وهكذا سار ببطء عبر البستان الأخضر، إلى حيث حجرة الرقص منصوبة وفيها الرقص قائم، ووقف عند الباب يراقب الفعاليات. وبينما هو واقف كذلك، أصابه فجأة حجر في ذراعه بصدمة حادة! فالتفت وإذا به يرى الجمع الغاضب من الرجال قد تبعوه من حلبة المصارعة! ثم عندما رأوه يستدير تصاعد منهم كلهم هياج وصيحات وصفير هائل، ذلك ما جعل الناس يسعون راكضين من حجرة الرقص ليشاهدوا ما يحصل! أخيرًا، تقدم حدّاد ضخم طويل عريض المنكبين وخرج من بين الحشد، وأخذ يؤرّجح بيده هراوة قوية متينة من خشب الزعرور الشوكي(91). وزمجر بصوت عميق مثل خوار ثور عنيف:

- هل أتيتَ هنا إلى مهرجاننا في دينبي -أنت أيها الخنزير الصغير في الحظيرة- لتصرع
فَتَى طيبًا شريفًا بالخدع الحقيرة المشعوذة؟ إذن إليك هذا!

وفجأة قام بتسديد ضربة على الشاب كانت لتطيح بثور! لكن الآخر حرف ببراعة الضربة جانبًا، وسدّد لكمة مرتدّة رهيبة جدًّا! جعلت رجل دينبي يتهاوى وهو يئن كأن الصاعقة قد أصابته! عندما رأى الناس كبيرهم يسقط، فزعوا بصرخة غضب أخرى! لكن الغريب أسند ظهره إلى الخيمة قرب موقفه، وأخذ يهزّ هراوته القوية، وبما أن ضربته قد أوقعت الحداد القوي بشدة، فلم يجرؤ أحدٌ على الاقتراب من محيط عصاه، فتراجع الحشد الضاغط مثل قطيع كلاب عن دب عند مغارة. ولكن يدًا جبانة غادرة رمته بحجر ناتيّ حاد أصاب هامته، فترنّح متقهقرًا! وتفجّر الدم القاني من جرحه ونزل على وجهه وصديريته. ثم -وقد شاهدوا أنه أصيب بالدوار من هذه الضربة الخسيصة- انهالوا عليه وتهاوى تحت أقدامهم! والآن، كان لهذه الأحداث أن تقع بالسوء الشديد على الشاب، حتى بفقدانه حياته الفتية، لولا حضور السير ريتشارد إلى المهرجان، إذ فجأة سُمعت الصيحات والتمتع الحديد في الجو، وسُدّت الضربات بظهر النصل، إذ جاء السير ريتشارد لي بين الحشد يحقّز حصانه الأبيض! وقد شاهد الحشدُ الفارس المشتتم والرجال المسلحين، يشقّون طريقهم منهمرين عليهم مثل الجليد على موقد حار، انصرفوا عن الرجل الشاب وهو على الأرض والدماء

والغبار يجللانه! وعندما رأى نفسه في خلاص منهم، نهض وأخذ يمسح الدم عن وجهه وتطلع، وقال:

- أيها السير ريتشارد لي، لعلك أنقذت حياتي في هذا اليوم.

- من أنت الذي يعرف السير ريتشارد لي بشكل جيد؟ أظن أنني رأيت وجهك من قبل أيها الفتى.

- أجل، أنت كذلك. إذ يناديني الرجال ديفيد دونكاستر.

- ها! لقد شككت في أنني لم أعرفك يا ديفيد، لكن لحيتك نمت أطول، وأنت نفسك قد تقدمت في الرجولة عبر سنة حتى هذا اليوم. تعال يا ديفيد من هنا إلى داخل هذه الخيمة، واغسل وجهك لإزالة الدم. وأنت يا رالف، أحضر له فوراً صديرية نظيفة. والآن، أنا آسف من أجلك، لكنني مسرور تمامًا، أنني قد حظيتُ بفرصة لأردّ جزءًا من دين الإحسان عليّ إلى قائدك الطيب روبن هود، إذ لكانت الأمور تجري بسوءٍ وبلاء عليك لولا حضوري إليك أيها الفتى.

وبهذا، قاد الفارسُ الفتى ديفيد إلى داخل الخيمة، وهناك غسل الشاب وجهه وارتدى صديرية جديدة. وفي هذه الأثناء، سرت شائعة في الجوار من أولئك أقرب الواقفين، أن هذا لم يكن غير العظيم ديفيد دونكاستر، أفضل مصارع في وسط البلاد، الذي أطاح في الربيع الفائت بالقوي آدم من لينكولن في حلبة بسيلبي في يوركشاير، والآن، هو مطوّق بحزام بطل وسط البلاد. وبالتالي، حدث عند خروج الفتى ديفيد من الخيمة مع السير ريتشارد، وقد أزال الدماء عن وجهه، واستبدل صديريته الملطّخة، أن لم تُسمع أية أصوات احتجاج غاضبة! بل تقدّم الكل واحتشدوا ليروا الرجل الشاب، وهم في فخر لرؤية أحد أعظم مصارعي إنجلترا، وقد التزم بالدخول في الحلبة في مهرجان دينبي. وهكذا انقلب موقف أكثر الرجال وميلهم. ثم نادى السير ريتشارد بصوت عالٍ:

- أيها الأصدقاء، هذا هو ديفيد دونكاستر، لذلك لا تشعرُوا بالعار أن صاحبكم فتى دينبي قد أسقط من مصارع كهذا. إنه لا يضر تجاهكم أية نية سوء بسبب ما جرى، ولكن ليكن الأمر إنذارًا لكم حول كيفية معاملة الغرباء من الآن فصاعدًا... لو أنكم قتلتموه لكان يومَ بلاء عليكم، إذ لخرب روبن هود مدينتكم مثلما ينقض الصقر على برج الحمام ويكدر وضعه! لقد قمتُ بشراء برمبل النبيذ النصفى منه، والآن أنا أعطيه لكم مجانًا لتشربوا كما ترغبون، ولكن إياكم بعد الآن أن تقعوا على رجل لكونه يومنًا قويًا.

عند هذا صاح الكل معًا بأعلى أصواتهم! ولكنهم في الواقع فكروا في النبيذ أكثر من كلمات الفارس. ثم استدار السير ريتشارد وديفيد إلى جانبه، والرجال المسلحون حولهما، وغادروا المهرجان. ولكن في مرور الأيام... عندما كبر وأسن الرجال الذين شهدوا مسابقة المصارعة تلك، كانوا يهزون رؤوسهم إذا سمعوا عن أية مسابقة قوية، ويقولون: (أجل، أجل، ولكن كان يجب أن تروا العظيم ديفيد دونكاستر، وهو يطيح بالشديد ويليام ذي الندبة في مهرجان دينبي!). وقف روبن هود في الغابة الخضراء السعيدة، مع الصغير جون وأكثر رجاله الأشداء حوله، كانوا ينتظرون مقدم السير ريتشارد. أخيرًا لمحو التماع الحديد خلال أوراق الغابة البنية، وظهر من الظلة السير ريتشارد يتقدم رجاله على الطريق المفتوح، جاء مباشرة نحو روبن هود ووثب عن حصانه، واعتنق اليومن عاقدًا ذراعيه حوله. بعد مرور وقت قال روبن لريتشارد وهو ينهي عناقه، وينظر نحوه من رأسه إلى أصابع قدميه:

- ها! كيف الآن! أعتقد أنك شخص أسعد مما رأيتك آخر مرة!

قال الفارس وهو يضع يده على كتف اليومن الهمام:

- أجل، شكرًا لك يا روبن. ولكن من أجلك أنا كنتُ أطوف في تعاسة ومرارة في البلد البعيد في هذا الوقت، ولكنني رعيثٌ عهدي يا روبن، وقد جئتُك بالمال الذي أقرضته لي، وقد ضاعفته أربعة أضعاف، وبهذا صرتُ غنيًا مرة أخرى، ولقد جلبتُ مع هذا المال هدية صغيرة إليك ولرجالك الشجعان من زوجتي ومثي.

ثم التفت إلى رجاله ونادى بعلو:

- قدّموا الخيول حاملة الرزم.

لكن روبن استوقفه:

- لا يا سير ريتشارد! لا تعتقد أن من جرأتي أن أقاطع عرضك، ولكن نحن في غابة شيرود لا نباشر الأعمال حتى نصيب طعامًا وشرابًا.

وعند ذلك أخذ السير ريتشارد من ذراعه، وقاده نحو المجلس أسفل شجرة الغابة الخضراء، بينما جاء رجال العصاة الكبار وجلسوا من حولهما. ثم قال روبن:

- كيف يتفق أنني أرى الشاب ديفيد دونكاستر معك، ومع رجالك أيها السير الفارس؟

ثم تلا الفارس مباشرة كل ما يخص إقامته في دينبي وما حصل في المهرجان، وكيف كان وشيغًا أن يسوء الأمر على الفتى ديفيد، ولذلك روى حكايته، وقال:

- ذلك يا روبن الطيب، ما أخرني عن مسيرتي، وإلا فإنني كنت أصل إلى هنا قبل ساعة.

وبعد أن أنهى كلامه، مدّ روبن يده وقبض على راحة الفارس، وقال بصوت متهدج:

- أيها السير ريتشارد، أنا مدين لك بمعروف لا يمكنني تخيل كيفية رده، إذ دعني أخبرك أنني أفضل خسارة يدي اليمنى على وقوع أي أدنى على الشاب ديفيد دونكاستر، بنحو ما بدا أنه يحصل عليه في دينبي!

وظلا يتحادثان لوقت، حتى اقترب أحد الأفراد ليعلن أن المائدة معدة، حينئذ نهض الكل واتجهوا إليها. وعندما انقضى وقت الطعام، نادى الفارس على رجاله من أجل جلب أحصنة الرزم، ففعلوا ما أمرهم به، ثم جاء أحد الرجال إلى الفارس بصندوق خزينة قوي (92).

ففتحه وأخذ منه كيسًا وعدَّ خمس مئة باوند، وهو المبلغ الذي كان أخذه من روبن. قال روبن:

- أيها السير ريتشارد، سوف يسرنا كلنا إذا أبقيت على ذلك المال هديةً منا أهل شيرود.
أليس الأمر كذلك يا فتياي؟

فصاح الكل بأعلى الأصوات:

- أجل!

قال الفارس بجديّة:

- أشكركم كلكم من أعماقي، ولكن لا تظنّوا بي ظنّ السوء إذا لم أتمكّن من أخذها، لقد اقترضتها بكل سرور منكم، ولكن لعلي لا أستطيع أخذها هدية.

ثم لم يقل روبن هود المزيد، بل أعطى المال إلى الصغير جون ليُدخره في الخزينة، فهو على ما يكفي من الفطنة، ليدرك أن لا شيء يوَلد سوء النية والامتعاض في القلب، مثل الهدايا المفروضة على شخص لا خيار له إلا بأخذها. ثم وضع السير ريتشارد الرزم على الأرض وفتحها، وعند ذلك ارتقت صيحة دهشة عالية جعلت الغابة تردّد الصدى! إذ يا للعجب أن كان هنالك مئتا قوس من أفضل أنواع الطقسوس الإسباني، وكلها مجلّوة حتى صارت برّاقة مرة أخرى، وكل قوس مرصّع بأشكال خرافية عجيبة من الفضة، لكنها لم ترصّع بشكل يوهن من قوتها. وإلى جانبها كانت مئتا كنانة جلدية مطرّزة بالخيط الذهبي، وكل كنانة تحتوي عشرين سهمًا برؤوس مصقولة التمتع مثل الفضة، وكل سهم منها مزيّل بريشة طاووس، مع لازمات فضية (93). أهدى السير ريتشارد كل يوم من منهم قوسًا وكنانة، أما روبن فقد أهدى إليه قوسًا مصنوعًا من الذهب بأبرع وأدقّ مهارة، وكل قوس في كنانته كان ذا لازمة ذهبية. فصاح الكل مرة أخرى صيحات البهجة والسرور على هذه الهدية

الرائعة! وكلهم قد أقسموا في أنفسهم أنهم مستعدون للموت من أجل السير ريتشارد وسيدته.

عند النهاية، حلّ وقت رحيل السير ريتشارد، حينئذ نادى روبن هود عصابته وجمعهم من حوله، وأخذ كل واحد منهم مشعلًا ليضيء خلال أرض الغابات. وهكذا وصلوا إلى حدود شيرود، وهناك قبّل الفارس روبن هود على وجنتيه ورحل عنه. وهكذا كانت مساعدة روبن هود للفارس النبيل للخلاص من تعاساته الأليمة، وإلا لكانت كفيّلة بإخماد السعادات في حياته. والآن أصغوا، وسوف تسمعون في ما يأتي عن مغامرات مرحلة معيّنة حصلت لروبن هود والصغير جون، وكيف تحوّل أحدهما إلى شحاذ والآخر إلى راهب عاري القدمين، وبالمثل ما نال كل واحد نتيجة لذلك.

(84) (Serge) نسيج صوفي متين.

(85) (Starling).

(86) باللاتينية: (In Coelo Quies).

(87) (Nag).

(88) (Below the salt) عبارة تشير إلى الفصل بين الجالسين على موائد الطعام من أهل الرتب السامية والرتب الأدنى، باستعمال وضع مملحة.

(89) بأكبر قدر ممكن وحرية!

(90) (Birdlime) مادة لزجة تُنشر على الأغصان لاصطياد الطيور الصغيرة.

(91) (Blackthorn).

(92) (Strongbox).

(93) (Nock) القطعة التي تغطّي طرف نهاية السهم، وتكون مشقوقة لتثبيتها على وتر القوس.

الصغير جون يتحول إلى راهب عاري القدمين



انقضى الشتاء القارس وحلّ الربيع، ولكن لمّا تزلّ مساحات الغابات غير مشتملة على كثافة الأوراق، بل إن الأوراق المتبرعمة تعلقت مثل ضباب رقيق ناعم حول الأشجار. في الريف المفتوح امتدت أراضي المروج خضراء براقّة، ولحقول الذرة لون مخمليّ داكن، إذ كانت سميكة وناعمة من الأوراق النامية. صاح فتى المحرّات في وهج الشمس، وفي الأخاديد الأرجوانية المحروثة من جديد، انتشرت أسراب من الطيور لتصطاد الديدان السمينة، ابتسّمت الأرض الواسعة الرطبة كلها في النور الدافئ، وصفّق كلّ تل أخضر صغير بيديه جذلاً!

على جلد غزال ممدود على الأرض المفتوحة أمام شجرة الغابة الخضراء، جلس روبن هود وهو يتدفأ بنور الشمس مثل ثعلب عجوز. كان يستند إلى الخلف عاقداً يديه حول ركبتيه، وأخذ يراقب بكسل الصغير جون، وهو يلفّ وتر الأقواس القوي من صفائر القنّب الطويلة، وبين الحين والآخر يبّلّ راحتيه، ويلفّ الخيط على فخذه، وإلى جانبه جلس آلن أديل وهو يلائم وترًا جديدًا لقيثارته. أخيرًا نطق روبن:

- أعتقد أنني أفضل التجوال في هذه الغابة عند وقت الربيع الرائق، على أن أكون ملكًا لكل إنجلترا السعيدة. أي قصر في العالم الكبير له مثل جمال أرض الغابات اللطيفة الآن، وأي ملك في كل الدنيا له الشهية لبيض الزقزاق (94) وسمك الجلكي (95) مثل شهيتي للحم الأيل الطري والجة اللاذعة؟ لم يصرح غافير سوانثولد إلا بالحق، إذ قال: **كسرة خبز في قناعة أفضل من عسل مع قلب متألم!**

قال الصغير جون وهو يمسح الوتر المصنوع الجديد بشمع النحل الأصفر:

- أجل! الحياة التي نحيها هي حياتي. أنت تتكلم عن فصل الربيع، لكنني أعتقد أن حتى الشتاء له مسرّاته الخاصة. أنت وأنا أيها القائد الطيب، مررنا بأكثر من يوم بهيج في هذا الشتاء الماضي عند حانة الخنزير الأزرق، ألا تتذكّر تلك الليلة، عندما اجتزنا أنت، وويل ستوتلي، والراهب تاك، وأنا - الحانة نفسها مع الشحاذين الاثنين والراهب الجوّال؟

فأجاب روبن السعيد وهو يضحك:

- أجل! تلك الليلة التي كان ويل ستوتلي فيها يحتاج بشدة إلى خطف قبلة عابرة من النادلة الرائعة، ونال تفريغ دلو جعة على رأسه من أجل مكابذاته!

قال الصغير جون وهو يقهقه أيضًا:

- بالفعل! كان هذا الأمر! أعتقد أنها كانت أغنية جيدة، تلك التي غناها الراهب الجوّال. أيها الراهب تاك، لديك أذن مرهفة للنغم، ألا تتذكّرها؟

- بالفعل لدي التقاطة ذكرى عنها في وقت مضى؛ دعني أرى.

وقام بلمس جبهته بسبّابته مستذكرًا، ومدندنًا مع نفسه، يتوقف بين الحين والآخر ليلائم بين ما كان لديه مع ما بحث عنه في عقله... وفي النهاية عثر عليها كلها، فصقّى حنجرته، وغنى بمرح:

في السياج الشجري المزدهر

غنى ذكر طائر أبي الحناء (96)

فالشمس كانت مرحة ومشرقة،

فتقافز بجذل ورفرف بجناحيه،

إذ كان قلبه كله ممتلئًا بالمسرة!

لقد كان آيار يورق بالحسن

وهناك القليل من الحرص،

والوفير مما يؤكل في شحة وقت آيار.

عندما تموت كل الأزهار فإنه سيحلّق بعيدًا

ليحفظ نفسه دافئًا في إحدى الحظائر البهيجة القديمة

حيث لا يصيبه الصقيع ولا الرياح بالبرد أو الأذى.

ومثل ذلك حياة الراهب الجوّال مع وفرة المأكول والمشروب،

لأن الزوجة الصالحة سوف تجعل له مقعدًا قرب النار

والفتيات الجميلات يبتسمن عند غمزته!

ثم يطوف بحيوية وشغف،

وبينما يتقدم في جولانه

هنالك أغنية نابضة بالحياة لحفظ الأرواح

عندما تهبّ الرياح، مع قدوم الثلج

هنالك موضع إلى جانب النار من أجل الراهب الأبوي،

وتفاحة مشوية في الوعاء لتلبية شهية قلبه!

وهكذا غنى الراهب تاك بصوت غني وبهيح، متمايلًا برأسه من جانب لآخر طربًا مع توقيت الموسيقى! وعندما أكمل ذلك صَقَّ الكل له، وضجّوا بالضحك فلقد ناسبتة الأغنية بحسن.
قال الصغير جون:

- في الحقيقة إنها أغنية رائعة، ولو لم أكن مقاتلاً في غابة شيرود، لفضّلتُ أن أكون راهبًا
جوّالاً على أي أمر آخر في الدنيا.

قال روبن هود:

- أجل، إنها أغنية جيدة، لكن بدا لي أن ذينك الشحاذيين الضخمين الاثنين، سردا الحكايات
الأسعد وعاشا الحياة الأبهج. ألا تتذكّر ما قال ذلك الرجل ذو اللحية السوداء العظيمة عن
تسوّله في مهرجان يورك؟

قال الصغير جون:

- نعم! ولكن ماذا أخبر راهب مهرجان الحصاد(97) في كينتشاير؟ أنا أتذكّر أنه سار بنمط
حياة أسعد من الاثنين الآخرين.

قال الراهب تاك:

صدقًا، بحق شرف المهنة! أنا أتمسّك برفيقي الطيب، أيها الصغير جون.

قال روبن:

- الآن، أنا أتمسك بما في ذهني. ولكن ما تقول أيها الصغير جون بمغامرة لطيفة في هذا اليوم الجميل؟ خذ معك رداء راهب من صندوقنا للملابس الغريبة، وارتندي على ذلك النحو. أما أنا، فسوف أستوقف أول شحاذ التقييه وأبادل ملابسي معه. ثم دعنا نتجول في البلاد بهذا اليوم العذب، ونر ما يقع أمام كل منا.

- ذلك يناسب رغبتني، فأقول: إذن، دعنا نمض.

فذهب الصغير جون والراهب تاك إلى مستودع العصابة، ومن هنالك اختارا للمقدام رداء الراهب الفرانسكاني. ثم جاء مرة أخرى، فانبعث صخب ضحك هائل! إذ لم تكن العصابة قد شهدت الصغير جون في مثل هذا الذي من قبل فقط، بل إن الرداء نفسه كان قصيرًا جدًا بمقدار عرض كف وافية، ولكن يدي الصغير جون كانتا مطويتين في كُميه الفضفاضين، وعيناه مطرقتين نحو الأرض! وتعلق على حزامه خيط مسبحة كبيرة طويلة. قال الراهب تاك وهو ينكره بمرفقه:

- وي! وي! لا تنظر إلى الأسفل بتلك الطريقة، ارفع عينيك بجرأة، وإلا فإن الكل سيعرفون بأنك مخادع، ولن تمنحك أية فتاة ابتسامة أبدًا، ولا تعطيك ربة بيت كسرة خبز، في كل الريف.

فضحك الجميع بسبب هذا مرة أخرى، وهم يقسمون على أن لم يكن هنالك من راهب عملاق، مثلما بدا الصغير جون في طول إنجلترا السعيدة وعرضها... والآن، تناول الصغير جون هراوته المتينة، وقد تعلق في طرفها قربة جلدية صغيرة ممتلئة، مثل التي يرفعها الحجاج على أطراف عصيهم، ولكنني أظن أن في داخلها شيئًا ما، يكون خمر المزمي اللذيذ أكثر من كونه ماء الربيع البارد مثلما يحمله الحجاج الطيبون. ثم نهض روبن وتناول عصاه القوية، ودس -فوق ذلك- عشرة من الأنجلات الذهبية في جرابه، إذ لم يتوفّر زي متسول في مخازن العصابة، لذلك كان مسرورًا بأن يجرب حظه ويلتقي بشحاذ ليشتري منه

ملابسه. وهكذا -وقد تمت كل الاستعدادات لهما- انطلق اليومنان على دربهما، يمشيان بتلهف واندفاع في خضم امتداد الصبح الضبابي. سارا على ممر الغابة حتى وصلا إلى الطريق العام، ثم اتخذا طريقهما عليه حتى تفرّعا إلى مسارين: يقود أحدهما نحو بلايث والآخر نحو غينزبورو، وهنا توقف اليومنان. قال روبن السعيد:

- خذ أنت الطريق إلى غينزبورو، وأنا آخذ طريق بلايث. إذن، أودّعك بخير أيها الأب المقدس، وأرجو أن لا تحظى بما يجعلك تعدّ خرز مسبحتك بجدية قبل أن نلتقي مرة أخرى.

- تحية طيبة، أنت في هيئة شحاذ جيدة. وأرجو أن لا يحصل لك ما يجعلك تتوسّل طلبًا للرحمة والعطف قبل أن أراك من جديد.

وهكذا خطا كل واحد منهما بعزم وإصرار، حتى كان تُلُّ أخضر مرتفع بينهما، واختفى أحدهما عن نظر الآخر. سار الصغير جون وحيدًا وأخذ يصفر، فلا أحد كان يقربه على الدرب، كانت الطيور الصغيرة في الأسيجة المتبرعمة تغرّد بسعادة، وعلى الجانبين امتدت التلال الخضراء حتى السماء، وأبحرت الغيوم البيض العظيمة ببطء فوق قممها بتحليق كسول. مشى الصغير جون أعلى التل وأسفل الوادي، والرياح المنعشة تهبّ على وجهه، وترفرف أرديته من خلفه، وهكذا وصل إلى مفترق طريق يقود إلى توكسفورد، وهنا التقى بثلاث فتيات حسناوات، تحمل كل واحدة منهن سلة بيض إلى السوق، فجعل نفسه في طريقهن ممسكًا هراوته أمامهن ليوقفهن، وقال:

- بأي اتجاه تمضين، أيتها الجميلات؟

فتجمعنّ معًا ولكزت إحداهن الأخرى، ونطقت واحدة:

- نحن على طريقنا إلى سوق توكسفورد، أيها الراهب المقدس، لبيع بيضنا.

قال الصغير جون وهو ينظر نحوهن ورأسه مائل إلى أحد جانبيه:

- والآن، بعدًا لهذا! بكل تأكيد: إنه أمر مؤسف أن مثل هذه الفتيات الجميلات يجبرن على حمل البيض إلى السوق. لأخبركن -وأنا لديّ تصوّر عن الأشياء في هذه الدنيا- أنه يلزم أن يكون وضعكن أنتنّ الثلاثة في أرقّ الملابس الحريرية، وتركبن على خيول بيض كالحليب، والوصيفات على جوانبكن، ولا يكون طعامكن إلا من القشطة المخفوقة والفراولة، إذ أن هذه هي الحياة التي تلائمكن بكل تأكيد.

وعند هذا الخطاب أطرقت الفتيات الثلاث نحو الأرض، وقد احمرت خدودهنّ خجلًا وابتسمن بتكلّف! قالت واحدة منهن:

- ها!

وأخرى:

- عجبًا! يهزأ بنا!

والثالثة:

- اسمعن ما يقول الرجل المقدس!

ولكنهن في الوقت نفسه نظرن خلسة إلى الصغير جون من زوايا عيونهن.

- والآن، انظرن. أنا لا يمكنني أن أرى مثل هذه الأنسات الرقيقات، يحملن سلالاً على طول الطريق العام، اتركنني أتولاهنّ بنفسي، ولعل واحدة منكن -إذا رغبت- تحمل عصاي من أجلي.

قالت إحداهن:

- كلا! لكنك لا تستطيع حمل ثلاث سلال كلها في وقت واحد!

- بل أقدر، وسأريكن ذلك الآن. أنا أشكر القديس الطيب ويلفرد أن منحني ذكاءً وقادًا.
انظرن الآن: هنا آخذ هذه السلة الكبيرة، لذلك، هنا أربط مسبحتي حول المقبض، وهكذا،
هنا أمرر المسبحة فوق رأسي، وأعلق السلة على عنقي بهذه الطريقة.

وقام بالتنفيذ وفاقًا لكلماته، فتدلت السلة خلفه مثل حقيبة الظهر لبائع جوال، ثم -وقد
ناول عصاه لواحدة من الفتيات، وأمسك سلةً على كل جانب- وجّه وجهه نحو مدينة
توكسفورد، وأخذ يسير بسعادة، وعن يمينه وشماله فتاتان ضاحكتان، وثالثة تتقدمه حاملة
العصا! وعلى هذا النحو ارتحلوا على طول طريقهم، وكان كل من صادفهم يتوقف وينظر
خلفهم ضاحكًا! إذ لم يشهد أي أحد قط مثل هذا المنظر الطريف من مثل راهب
فرانسسكاني طويل ضخم، وكل أرديته قصيرة جدًا عليه، ومثقلًا بحمولة البيض، سائرًا
على الدرب مع ثلاث فتيات حسناوات. لم يبد الصغير جون مثقال ذرة من الاهتمام لهذا،
ولكن حين كان بعض الناس يتندرون عليه كان يردّ عليهم بما يماثل مرح الخطاب! ساروا
باتجاه توكسفورد يثرثرون ويتضحكون... حتى وصلوا قريبًا من المدينة. وهنا، توقف
الصغير جون ووضع عنه السلال، فهو لم يرد الدخول إلى المدينة خشية أن يصادف بعضًا
من رجال العمدة. قال:

- يا للأسف! أيتها العذراوات اللطيفات! هنا يجب أن أترككن! أنا لم أحسب أنني سأتي على
هذا الطريق، لكنني سعيد أن فعلت ذلك. والآن، قبل أن نفترق يجب أن نشرب لنخب
الصداقة اللطيفة.

ثم انتزع القربة الجلدية عن طرف عصاه، وسحب السدادة منها، وناولها إلى الفتاة التي
حملت العصا، وقبل كل شيء مسح فم القربة بكمه. ثم تناولت كل فتاة شربة وافية مما كان
فيها، وعندما اكتمل دوران القربة بينهن، أنهى الصغير جون ما كان فيها، حتى لم تظّل فيها
قطرة يمكن أن تُعصر منها. ثم قبّل كل واحدة منهن برقة، وتمنى لهنّ جميعهن مساءً طيبًا،
وغادرهن! لكن الفتيات وقفن يتطلّعن إليه وهو يسير مبتعدًا ويصفر، وقالت إحداهن:

- يا للأسف! مثل ذلك الفتى الهمام القوي يكون خاضعًا للضوابط المقدسة.

قال الصغير جون يحدث نفسه وهو يمضي قدمًا:

- يا للعجب! ليس من أمر سيئ كبير يحصل! أيها القديس دونستان أرسل إليّ المزيد من ذلك.

وبعد أن سار وتسكع متثاقلاً لبعض الوقت، أخذ يشعر بالعطش مرة أخرى في دفء النهار. هزّ القربة الجلدية قرب أذنه، ولكن ما من صوت هنالك! ثم وضعها على شفثيه وأمالها عاليًا، ولكن لم تنزل قطرة، فقال بحزن لنفسه، وهو يهزّ رأسه لوقت قليل:

- أيها الصغير جون، أيها الصغير جون، سوف تفسدك المرأة في النهاية إن لم تنتبه لنفسك بشكل أفضل.

ولكنه أخيرًا وصل عند قمة تل معروف، ورأى في الأسفل حانة لطيفة صغيرة مسقوفة بالقش، تستقرّ بدفء وراحة في المنخفض تحته، وباتجاهها يمتدّ الدرب نازلًا بحدة. وعند هذا المشهد، صاح صوت عالٍ في أعماقه: أنا أمنحك المتعة، أيها الصديق الطيب، فهنالك سرور قلبك -لتعرف- في راحة عذبة وكأس من الجعة البنية.

ولذلك أسرع خطوه نازلًا عن التل نحو الحانة الصغيرة. وقد كانت تتدلى لافتة منه وعليها رأس أيل مصبوغ، وأمام الباب كانت دجاجة مقوقنة تبحث في التراب مع عدد من فراخها حول قدميها، أما العصافير فقد كانت تثرثر حول شؤونها المنزلية تحت الأفاريز، وكل شيء كان لطيفًا ومسالماً جدًّا، ذلك ما جعل قلب الصغير جون يضحك بهجة في داخله! إلى جانب الباب وقف حصانان قويان وعليهما سرجان عريضان محشوان بنعومة، وهما ملائمان للسفر المريح، ويدلان على وجود ضيوف أغنياء في الردهة. أمام الباب، كان هنالك ثلاثة رجال: حرفي جوال، وبائع متجول، وشحاذ، كانوا يجلسون على مصطبة في أشعة الشمس ويعبّون المزر اللاذع. قال الصغير جون وهو يرتقي نحو موضع جلوسهم:

- لكم أجمل تحيات المساء أيها الأصدقاء اللطفاء.

قال الشحاذ الظريف وهو يكشّر:

- مساء الخير أيها الأب المقدس. ولكن انتبه أنت! فرداؤك قصير جداً! كان الأولى أن تقصّ قطعة من الأعلى وتربطها إلى الأسفل، كي يبدو طويلاً بما يكفي. ولكن تعال، اجلس إلى جانبنا هنا وخذ رشفة من المزر، إذا كانت نذكرك لا تحرم.

قال الصغير جون وهو يبتسم أيضاً:

- كلا! إن القديس المبارك دونستان منحني إعفاءً حرّاً من أجل كل الانغماس في ذلك المسار.

وأقحم يده في جرابه ليخرج مالاً ويدفع حسابه، فقال الحرفيّ:

- حقاً، بدون ملامحك التي تناقضك أيها الأب المقدس، فإن القديس الطيب دونستان كان حكيمًا، فلولا مثل هذا الإعفاء والسماح، لكن من المحتمل على تابعه أن يجري كثيرًا من التكفير. لا، أخرج يدك من جرابك يا أخ، فلن تدفع على هذه الشربة. هوو! أيها المالك، إينا بكأس من الجعة!

ثم جُلبت له الجعة، ثم -وقد أزاح الرغوة قليلاً كي يفسح مجالاً لشفتيه- رفع الكأس وأمال قعره أعلى فأعلى حتى أشارت عمودياً نحو السماء، وكان عليه أن يغلق عينيه ليحفظهما من الالتقاء بوهج الشمس. ثم أبعده الكأس عنه إذ لم تبق فيه باقية، وشهق بتهيدة عميقة ناظرًا إلى الآخرين بعينين دامعتين وهو يهزّ رأسه بجلال! فصاح البائع الجوّال:

- هوو! أيها المالك. اجلب لهذا الرجل الطيب كأسًا من المزر، فحقًا إن من الفخر لنا كلنا أن نحظى بواحد بيننا، يمكن أن يفرغ كأسًا كبيرة بمثل هذه اللفهة.

وهكذا خاضوا في حديث مشترك بهيج... حتى انقضى وقت، ثم قال الصغير جون:

- من يمتطي هذين الجوادين النجيبين؟

قال الشحاذ:

- هنالك رجلان مقدّسان، يا أخ. الآن هما يتناولان وليمة لذيذة في الداخل، فلقد شممتُ بخارًا من فرخ دجاج مسلوق قبل قليل. تقول مالكة المكان إنهما قدما من دير فاونتتين في يوركشاير، ويمضيان نحو لنكولن لبعض شؤون العمل والتجارة.

قال الحرفي:

- إنهما زوج طريف! لأن أحدهما هزيل مثل مغزل زوجة عجوز، والآخر سمين مثل حلوى البودنغ بالشحم!

قال البائع:

- بالكلام على السمنة! أنت نفسك أيها الراهب المقدس تبدو سيّئ التغذية كثيرًا.

قال الصغير جون:

- كلا! حقًا، أنت ترى فيّ ما يتمكّن القديس الطاهر دونستان من فعله في من يخدمونه، على قبضة من البازلاء المجفّفة ورشفة من الماء البارد.

وعند ذاك تصاعدت ضحكة عظيمة! وقال المتسول:

- بالفعل! إنه أمر عجيب! كنتُ لأنذر أن أرى الطريقة الحاذقة التي بها التهمت ما في وعاء الجعة، وكأنك لم تذق الماء العذب لشهرين! ألم يلقنك هذا القديس الطاهر دونستان نفسه أغنية جميلة أو اثنتين؟

قال الصغير جون وهو يبتسم:

- ها! بالنسبة إلى ذلك، ربما قدّم إليّ عونًا، أعني أغنية قصيرة أو نحو ذلك:

ها! أيتها الفتاة الجميلة الجميلة، إلى أين تذهبين؟

أتوسل إليك، أتوسل، انتظري حبيبك أيضًا،

وسوف نقطف الورد معًا وهي تشذو بلطف

لأن الرياح العذبة العذبة تهب تهووب (98).

والآن، بدا كما لو أن أغنية الصغير جون لم تُعزَّ من قبل، إذ لم يمضِ وقت أقل من هذا حتى فُتح باب الحانة، وجاء عبره الأخوان اللذان من دير فاونتين، وعلى أثرهما تبع المالك، وهو -وفاقًا للقول المعروف - يغسل يديه بصابون متواضع (99). ولكن حين رأى الأخوان من دير فاونتين من غنى، ومن كان لابسا أردية الراهب الفرانسكاني توقفا فجأة! جمع الأخ السمين القصير حاجبيه الثقيلين بعبوس عظيم، أما الأخ النحيف فلوى وجهه وكان جعة لاذعة في فمه! ثم -وقد استجمع الصغير جون أنفاسه من أجل أغنية جديدة - صاح الأخ السمين:

- كيف الآن!

وكان صوته صادرًا مثل رعد صاحب عن غيمة صغيرة:

- أنت أيها الرجل المشاغب! أهذا مكان مناسب لامرئ بمثل ملبسك، أن يعاقر الخمر ويفغني أغاني مدنسة!؟

قال الصغير جون:

- كلا! بما أنني لا أستطيع أن أحتسي وأغني -مثل جلالتك- في مكان طيب كدير فاونتين، فيجب أن أشرب وأغني حيثما أتمكّن.

صرخ الأخ الطويل النحيف بصوت فظ:

- والآن، سحَقًا لك! بعدًا لك أنت! لأنك تحتقر مهنتك بهذا الحديث والسلوك.

قال الصغير جون:

- عجبًا! ها! احتقار؟ أعتقد أن الأكثر احتقارًا لفرد من مجموعة مهنتنا، هو انتزاع فاردنغات مستحصلة بعرق الجبين من حوزة فلاحين مساكين مهزولين. أليس كذلك أيها الأخ؟

وعند هذا نكز الحرفي والبائع والشحاذ بعضهما بعضًا بالمرافق، وابتسموا كلهم، أما الراهبان فقد اكفهرت ملامحهما بغيظٍ واسوداد على الصغير جون، لكنهما لم يتمكنا من التفكير في شيء للقول أكثر، لذلك توجَّها نحو حصانئهما. ثم قام الصغير جون فجأة من على المصطبة حيث كان يجلس، وركض نحو الأخوين من دير فاونتئين، حيث كانا يهمان بالامتطاء، وقال:

- دعاني أمسك لكما لجامي حصانئكما، حقًا إن كلماتكما قد صدمت قلبي المثقل بالذنوب والخطايا، لذلك لن أقيم مدة أطول في وكر الشرِّ هذا، بل إنني سوف أمضي معكما. أرى أن لا إغراء للردائل سوف يقع عليَّ في مثل هذه الرفقة.

قال الأخ النحيل بقسوة:

- كلا! يا رجل.

لأنه رأى أن الصغير جون قد سخر منهم، وأضاف:

- لا نريد أحدًا في رفقتنا، لذلك امض!

- يا للأسف! أنا آسف بالفعل لأنكما لا ترغبان فيَّ ولا في رفقتي، ولكن بالنسبة إلى رحيلكما، لعله لن يكون، إذ أن قلبي تغيَّر كثيرًا، وأني بكل الأحوال يجب أن أمضي معكما من أجل صحبتكما المقدَّسة.

والآن، عند هذه المحادثة تبسّم كل الرجال الطيبين على المصطبة حتى التمتع أسنانهم، وحتى المالك لم يستطع إمساك نفسه عن الابتسام! أما الراهبان، فقد نظرا نحو بعضهما بنظرة الحيرة! ولم يدركا ما يفعلانه تجاه هذا الأمر! كانا في كبرياء عالية جعلتهما يشعران بالسوء والعار، أن يفكّرا في الركوب على طول الطريق العام مع راهب جوّال -وهو في أردية قصيرة جدًا- يركض إلى جانبيهما، لكنهما لم يستطيعا أن يجعلوا الصغير جون يبقى ضدّ رغبتة، لأنهما أدركا أن له القدرة على تحطيم عظامهما كليهما بطرفة عين إذا كان عازمًا جدًا. ثم تكلم الأخ السمين بطريقة أكثر دماثة مما فعل سابقًا:

- لا، أيها الأخ الطيب، نحن سوف نسير بسرعة، وسيصيبك التعب حتى الهلاك بالخطو...

- حقًا أنا ممتنٌ لك على التفكير والعناية بشأني، ولا تخش شيئًا أيها الأخ، فأطرافي متينة شديدة، ويمكن لي الركض مثل الأرنب البري حتى غينزبور!

وعند هذه العبارات انبثق صوت ضحك من عند المصطبة بهياج عظيم وصخب! وعلى ذلك غلى غضب الأخ النحيف مثل الماء على النار، وصاح:

- والآن، سحقًا لك، أيها الرجل المشاغب! ألا تشعر بالعار بما تجلبه من احتقار على قداستنا؟ ابق هنا أيها السكّير مع هذه الخنازير! أنت لست رقيقًا مناسبًا لصحبتنا.

قال الصغير جون:

- ها! أنت هناك الآن! أنت تسمع أيها المالك، أنت لست صاحبًا ملائمًا لهؤلاء الرجال الطاهرين، عد إلى خمارتك. كلا! فقط لو أن هؤلاء الإخوة الأكثر قداسة الخاصين بي، لا يفعلون إلا إعطائي الكلمة، فإنني سأضرب رأسك بهذه الهراوة الشديدة حتى يكون كالبيض المخفوق!

وعند هذه الكلمات اندلعت ضحكة عالية من أولئك الذين على المصطبة! وقد احمرّ وجه المالك مثل الكرز من كبت الضحك في صدره! ولكنه خفض من جذله، إذ خشي من إثارة

الحقد عند إخوة دير فاونتتين على مرحة غير المناسب. وهكذا قام أخوا الدين - إذ لم يتمكننا من فعل شيء آخر- بامتطاء حصانيهما، وأدارا خطميهما باتجاه لنكولن ومضيا. قال الصغير جون وهو يحشر نفسه بين الحصانين:

- أيها الأصدقاء اللطفاء، لا يمكنني المكث أكثر من هذا، لذلك أرجو لكم مساءً طيبًا. نحن ننتقل بعيدًا، نحن الثلاثة!

وبعد ذلك، رفع عصاه على كتفه وانطلق يغذ السير، يضبط خطواته مع جري الخيول. حملق الأخوان بسخط على الصغير جون عندما أخذ يحشر نفسه كثيرًا بينهما، ثم سارا مبتعدين عنه بأكثر ما يمكن لهما، وهكذا مضى اليومن الهمام في وسط الطريق، بينما كانا يسيران خببًا على جانبي الدرب. وبينما كانوا يمضون في سبيلهم، ركض الحرفي والبائع والشحاذ يثبون وسط الطريق العام، وكل واحد يمسك بيده كأسًا، ينظرون خلف المغادرين وهم يضحكون. وعندما كانا في مدى النظر من أهل الحانة، أجرى الأخوان حصانيهما باتزان وهدوء، حريصين على عدم جعل الأمور أسوأ بفرارهما بعيدًا عن الصغير جون، إذ لم يفكرًا إلا في كيفية ما يبدو لأذان عامة الناس، إذا سمعوا كيفية ركض الأخوين من دير فاونتتين فرارًا عن راهب جوال، مثل ذلك الشيطان القبيح الذي أرخى القديس المبارك دونستان أنفه الأحمر من الكماشات الحمر الساخنة التي كان يمسكها بإحكام (100). ولكن عندما اجتازا قمة الربوة وغابت الحانة عن النظر، قال الأخ السمين للنحيف:

- أيها الراهب أمبروز، ألا يكون من الأفضل أن نحسن خطواتنا؟

فنطق الصغير جون:

- ها! فعلاً يا صديق، أعتقد أن من الأفضل أن نزيد غلي قدرنا أسرع قليلاً، فالنهار يمرّ. وأرى أن التقدّم لن يضايق بدانتك كثيرًا!

وعندئذ لم يقل الراهبان مزيدًا من الكلام، لكنهما سلّطا نظرات الأذى والغضب الشرس على الصغير جون مرة أخرى! ثم -وبلا أية كلمة أخرى- صوّتا لحصانيهما، واندفع كلاهما في عدو سريع. وعلى هذا النحو انطلقا بالفرسين بسرعةٍ لميل وأكثر، والصغير جون يركض بينهما بخفة مثل ظبي! ولم يصبه تغيّر ولو بمقدار شعرة بهذا الجري! أخيرًا جذب الأخ السمين عنان حصانه بتذمر! إذ لم يطق الاهتزاز أكثر. قال الصغير جون وليس مع أكثر من التقاطة نفس:

- يا للأسف! لقد خشيتُ بحزن أن القسوة بهذا الجري تهزّ كرشك السمين العجوز المسكين!

على هذا، لم يعلّق الراهب السمين بكلمة، بل حدّق أمامه باستقامة، وعصّ شفته السفلى تميّزًا من الغيظ! والآن ها هم يرتحلون متقدمين بهدوء وسكينة أكثر: الصغير جون في وسط الطريق يصفر لنفسه بابتهاج، والراهبان على الرصيفين الجانبيين لا ينبسان ببنت شفة! وسرعان ما صادفوا ثلاثة من المغنين الظرفاء، وكلهم في أردية حمر، وأخذوا يحدّقون إليهم بكل اتساع وتركيز، ليروا راهبًا فرانسكانيًا -وبمثل هذه الملابس القصيرة في وسط الطريق- مع أخوين مطأطي الرأسين شعورًا بالعار! يمتطيان جوادين نجبيين غنبي السرجين على ممري المشاة. عندما وصلوا قريبًا من المغنّين، لوّح الصغير جون بعصاه مثل حاجب يُخلي الطريق، فأخذ يصرخ بصوت عالٍ:

- أفسحوا الطريق! أفسحوا الطريق! أفسحوا الطريق! نحن نمضي من هنا، نحن الثلاثة!

ويا لمقدار الدهشة التي حدّق بها المغنون، وما أشدّ ضحكهم! لكن الراهب السمين ارتجف واقشعر، أما الأعجف فقد أحنى رأسه على عنق جواده! ثم التقيا بفارسين نبيلين في ثياب ونسق غنبيين، مع صقر على الساعد، ومثلهما سيدتان حسناوان ترتديان الحرير والمخمل، وكلهم يمتطون أفراسًا نجبيات. وحينما مرّ الصغير جون مع الراهبين على طول الطريق أفسحوا لهم مجالًا وهم يحدّقون إليهم! فانحنى الصغير جون لهم تواضعًا، وخاطبهم:

- أقدم إليكم تحياتي أيها السادة والسيدات، ولكننا نمضي من هنا، نحن الثلاثة.

فضحكوا منهم كلهم، وقالت إحدى السيدات الجميلات:

- أي ثلاثة تعني أيها الصديق الظريف؟

فنظر الصغير جون من فوق كتفه، إذ كانوا قد خلفوهم وراءهم، وقال له:

- جاك الكبير، وجاك الهزيل، وجاك حلوى البودنغ السمينة!

عندئذ عبس الراهب السمين وتذمّر، وبدا كأنه سيسقط عن سرجه من شدة الخجل! ولم يقل الآخر شيئاً، بل نظر أمامه بتجهم وبنظرة حجرية! وأمامهم مباشرة، كانت هناك انعطافة مفاجئة في الطريق حول سياج شجري عالٍ، وعلى بعدٍ قريب من أربعين خطوة بعد الانعطافة، يمتدّ طريق آخر يقاطع طريق رحلتهم. وعندما وصلوا إلى التقاطع -وقد ابتعدوا بما يكفي عمّن صادفهم- جذب الراهب النحيل العنان فجأة! وقال بصوت مضطرب بالسخط:

- انظر أنت! يا رجل! لقد نلنا ما يكفي من صحبتك المنحطة! ولسنا مهتمين بمزيد من التسلية في هذا. ارحل على طريقك، ودعنا نمض على طريقنا في سلام.

- ها! عجباً! الآن! اعتقدت أننا كنا في رفقة سعيدة، وها أنت الآن تتقدّم مثل زبدة في المقلاة! ولكن حقاً، لقد اكتفيث منكما لهذا اليوم، مع أن لدي المزيد من السوء لإفساد صحبتكم. أدري بأنكم سوف تشتاقون إليّ، ولكن إذا أردتما صحبتي مرة أخرى، فاصفروا إلى غودمان وند، وهو سوف يجلب الأخبار إليّ من هنالك. لكنما تريان أنني رجل فقير وأنتما غنيان، أتضرّع إليكما أن تعطيا لي بنساً او اثنين لأشتري خبزاً وجبناً عند الحانة التالية.

فأجاب الهزيل بصرامة:

- لا مال لدينا، يا رجل! هيا أيها الأخ توماس لنمض.

لكن الصغير جون قبض على عناني الحصانين، كل عنان بيد، وقال:

- أحقًا وصدقًا أنكما لا تملكان مالا مهما كان؟ والآن، أنا أتوسل إليكما أيها الأخوان، من أجل عمل المعروف والإحسان، أعطيانني شيئًا ما لأشتري قطعة خبز، حتى لو كان بنسًا فقط!

فأرعد الراهب السمين الصغير بصوت عظيم:

- أقول لك أيها الرجل: لا مال عندنا!

- بالحقيقة المقدسة: ألا يوجد لديكما مال؟

قال الراهب الضعيف بتأكيد:

- ولا فارذنغ!

وقال الراهب البدين بعلو:

- ولا حتى غروت!

قال الصغير جون:

- كلا! يجب أن يكون هذا. ما أبعد عني أن أرى رجلين مقدسين مثلكما ينصرفان عني من دون أي مال! ترجلا كلاكما عن حصانكما فورًا، وسوف نجثو هنا في وسط تقاطع الطرق، ونصلي للقديس المبارك دونستان، كي يرسل إلينا بعض المال لنحمله في رحلتنا.

صاح الراهب الأعجف، وهو يصرّ على أسنانه تمامًا مستعرا من الغضب:

- ماذا تقول يا طرف الشر! أتأمرني -أنا الأعلى وكيل مؤونة دير فاونتتين- أن أنزل عن حصاني، وأجثو في الطريق القذر لأدعو أحد القديسين الساكسونيين الشحاذين؟

- والآن، لدي قرار عظيم في ذهني: أن أحطم رأسك بسبب الكلام هكذا بحق القديس الطيب دونستان! ولكن ترجل الآن مباشرة، فلن يدوم صبري أطول، وقد أنسى أنكما في

الضوابط المقدّسة.

وبعد ذلك، قام بتدوير عصاه القوية حتى أصدرت صفيراً من جديد. وعند سماع هذا الخطاب شحب وجها الراهبين مثل العجينة! فنزل الأخ السمين على جهة، ونزل الآخر الضعيف من حصانه على الجهة الأخرى. قال الصغير جون:

- والآن أيها الأخوان، انزلا على ركبكما وصلّيا.

وقام بعد ذلك بوضع يديه الثقيلتين على كتفيهما، فأجبرهما على الركوع، وجثا معهما أيضاً. ثم بدأ الصغير جون بالتوسّل إلى القديس دونستان من أجل المال، وقد فعل ذلك بصوت عالٍ. وبعد التضرّع لبعض الوقت، أمر الراهبين بأن يتحسّسا ما في جرابيهما، ليريا إذا كان القديس قد أرسل إليهما أي شيء، فوضع كل واحد منهما يده ببطء في الجراب المعلّق إلى جانبه، لكنهما لم يأتيا بشيء من هناك! قال الصغير جون:

- ها! في صلاتكم تأثير قليل جدّاً؟ إذن دعونا نفعلها مرة أخرى!

ثم أخذ فوراً بالدعاء إلى القديس دونستان مجدداً، وبعض الشيء على هذا النحو:

- يا أيها القديس الكريم دونستان! أرسل بعض المال مباشرة إلى هؤلاء الناس المساكين، خشية أن يتضاءل السمين ويمسي نحيفاً مثل ذلك النحيل، والنحيل نفسه يتلاشى ولا يبقى منه شيء بعد ذلك، ذلك قبل أن يصلا إلى مدينة لنكولن. ولكن أرسل إليهم عشرة شلنات فقط لكل واحد، لئلا ينتفخا بالكبرياء! وأي زيادة على ذلك ترسلها! فلتكن لي!

قال وهو ينهض:

- الآن دعونا نرى ما عند كل رجل.

فأدخل يده في كيسه هو وأخرج من هناك أربعة أنجلات ذهبيات، ثم قال:

- ماذا عندكم أيها الإخوة؟

ومرّة أخرى أقحم كل راهب يده في جرابه ببطء، وكذلك لم يخرجوا بشيء من هناك! فقال الصغير جون:

- أليس معكم من شيء؟ كلا! أنا أجزم أن شيئًا ما قد زحف داخل شقوق جرابيكما، ولذلك فإنكما قد فقدتما المال، دعوني أنظر.

لذلك، توجه نحو الراهب النحيف، وأقحم يده في جرابه، وسحب من هناك كيسًا جلديًا وعدّ منه مالا بمقدار مئة وعشرة باوندات ذهبية، وقال:

- أظن أنك قد فقدت -في زاوية غريبة ما من جرابك- المال الذي أرسله هنالك القديس الطاهر. والآن، دعوني أر إذا كنت لا تملك البعض أيضًا أيها الأخ.

وأدخل يده في جراب الراهب السمين، وجذب كيسًا مثل كيس صاحبه وعدّ منه سبعين باوندًا. فقال:

- انظر أنت هنا! أنا أعلم أن القديس الطيب قد أرسل هناك بعض النقود لكنك أيضًا فقدتها.

ثم أعطاهما باوندًا واحدًا بينهما، وجعل بقية الأموال في جرابه الخاص، وقال:

- لقد تعهدتما إليّ بكلمتكما المقدسة: أن لا مال لديكما. وبما أنكما رجلا مقدسان، فإنني وثقت بأنكما لن تنقضا عهدكما الذي أقررتماه بوثاقه. لذلك، أنا أدري أن القديس الطيب دونستان قد أرسل هذا استجابة لأدعيتي! ولكن، بما أنني دعوت من أجل عشرة شلنات تُرسل لكل واحد منكما، فإن كل ما فوق ذلك يعود عبر الحقوق والالتزامات إليّ، وهكذا أخذته. أطيب التحيات أيها الإخوة، ولكم رحلة طيبة سارة من هنا فصاعدًا.

بعد ذلك، استدار عنهما وغادر سائرًا مبتعدًا. تبادل الراهبان نظرات الأسى والرثاء نحو بعضيهما! وببطء وحزن ركبا على حصانيهما، وسارا على طريقهما ولم يقولوا كلمة قط! أما

الصغير جون، فقد وجّه خطواته عائداً نحو غابة شيرود مرة أخرى، وأخذ يسير على طول الطريق وهو يصفر بمرح وابتهاج! والآن، سوف نرى ما وقع لروبين هود في مغامرته شحاذاً.

(94) (Plover).

(95) (Lamprey).

(96) (Robin).

(97) (Harvest home) مهرجان إنجليزي عند نهاية موسم الحصاد.

(98) (Blo-o-o-wing).

(99) يفرك راحتيه تزلّفاً ومحاباةً.

(100) قصة عن إمساك القديس دونستان بخطم الشيطان بكلابات حمر ساخنات، جعلته يجأر بصراخه مسموعاً على بعد أميال.

روبين هود يتحوّل إلى متسوّل



بعد أن افترق روبن هود عن الصغير جون عند مفترق الطرق، سار مبتهجًا لا يلوي على شيء، متقدمًا في شعاع يانع من الشمس التي أشرقت حوله. وكان بين الحين والآخر يقفز ويشب، أو يغني نثفة من أغنية بسبب بهجة النهار، إذ -بعذوبة فيض الربيع- كان قلبه مفعمًا بالحيوية في داخله، كأن مُهرًا خرج إلى كلاً المرعى أول مرة! في بعض الأحيان كان يحلو له أن يسير مسافات طويلة، متأملًا نحو الأعلى بالغيوم المنتفخة البيض الكبيرة، التي تتحرك ببطء عبر السماء الزرقاء العميقة، أو يتوقّف لوقت قصير ويشرب، بالتمتع بالحياة الكاملة لكل الأشياء، إذ كانت الأسيجة الشجرية متبرعمة بلطف وحنو، وحشائش المروج ممتدة طويلة وخضراء، ومرة أخرى، كان يودّ أن يلبث ويصغي للأغنية الجميلة من الطيور الصغيرة في الأجمات، أو يستمع إلى الصوت الصافي من الديك، وهو يتحدّى السماء أن تمطر، وعلى ذلك كان يضحك! إذ لم يتطلب إلا القليل لدغدغة قلب روبن بالسعادة. وهكذا سار متقدمًا بانديفاع، راغبًا كلّ الرغبة بأن يتوقّف لهذا السبب أو ذاك، ومستعدًا كل الاستعداد لتبادل الحوار مع فتيات جميلات يصادفهن بين الحين والآخر.

وعلى هذا النحو استمرّ الصباح، ولكنه لحد الآن لم يلتقِ بشخّاذ يتمكن معه من استبدال ملابسه، فقال لنفسه: إذا لم أتمكن من تغيير حظي على عجل، فيبدو أنني سأحظى بيوم

خالٍ منه، إذ ها قد انقضى قريب من نصف الصباح من قبل، ومع أنني نلتُ مسيرة سعيدة خلال الريف، فأنا لا أعرف شيئًا عن حياة الشحاذين.

ثم بعد مرور مدة بدأ يشعر بالجوع، ومن هنالك، تحوّل عقله من أفكار وقت الربيع والأزهار والطيور، واستغرق بالتفكير في لحوم الديكة المسلوقة، ونبيد المالمزي، والخبز الأبيض، وسواها... كل ذلك بشوق عظيم! ثم خاطب نفسه: أتمنى لو كان لديّ معطف ويلي وينكن للأمنيات، فأنا أدرك تمام الإدراك ما أرغب فيه، وهذا ما يجب أن يكون. وهنا حدّد على أصابع يده اليسرى، بسبابة إصبع يده اليمنى تلك الأشياء التي تمناها: أولاً، أودّ الحصول على فطيرة حلوة بنيّة من القبرّات اللينة، وانتبه: لا تكون يابسة بالطبخ، بل مع مرق طيّب من صلصة اللحم لتكون منقوعة فيه. ثم أرغب بالحصول على دجاجة لذيذة، مسلوقة بشكل جيد، مع بيض الحمام الطري المقطّع باعتناء ويزخرف محيطّ الصحن، وأريد إضافة إلى هذه: رغيفًا طويلًا نحيفًا من خبز القمح المخبوز على الموقد، ويجب أن يكون دافئًا من النار، له قشرة بنية لامعة مثل لون شعر فتاتي الحميمة ماريان، وهذه القشرة نفسها يجب أن تكون ناضجة وهشّة، مثل الجليد الأبيض الرقيق الذي يكون على الأخاديد في صباح مبكر من الشتاء. هذه ستؤدّي دورها للأشياء الأكثر صلابة، ولكن معها يجب أن أنال ثلاثة أوعية، سميّنة ومدورة: واحد ممتلئ بنبيد المالمزي، وواحد من الكناري، وواحد مترع بعزيزي الخاص: نبيد الساك القوي. هكذا تكلم روبرن مع نفسه، وفمه يزداد ترطبًا ويسيل لعبه عند زوايا فمه، بهذه التصورات عن الأشياء اللذيذة التي أنشأها في تصوّره الخاص.

وبينما هو يكلم نفسه، وصل حيث ينعطف الطريق الترابي بحدّة حول السياج الشجري، وكله برونق خضرة الورق المتفتّح النامي، وهنالك شاهد أمامه رجلًا قويًا يجلس على مرقاة(101) يؤرّجح ساقيه بكسل ولهو. وحول هذا المتشرّد المفعم بالحيوية، تدلت جرابات متنوعة وأكياس من مختلف الحجم والأنواع بدزينة منها أو أكثر، ولها أفواه فاغرة عظيمة عريضة، مثل قطيع حمقى جائعين! كان معطفه متجمّعًا عند خصره، ومرقّعًا بعدة ألوان مثل تلك الأشرطة على عمود شهر آيار(102) في ذروة الربيع. على رأسه كان يرتدي قبعة جلدية طويلة كبيرة، وأراح على ركبتيه عصًا متينة من خشب البرقوق، وافية

الطول والثقل كالتي عند روبن تمامًا. كان شحاذًا ظريفًا لم يماثله أحدٌ سار على المجازات والطرق الفرعية لمقاطعة نوتنغهام قط، إذ كانت عيناه رماديتين كصخر الأردواز (103). تتراقصان وتنظران وتنغلقان بطرب، وتجعد شعره متقاربًا كله فوق رأسه بحلقات صغيرة من اللوالب. عندما وصل روبن قريبًا منه، خاطبه:

- هالو أيها الرفيق الطيب، ماذا تفعل هنا في هذا اليوم اللطيف حين تبتثق الورود وتنتفخ
البراعم؟

فغمز الآخر عينًا واحدة، ومن فوره شرع يتغنى بصوت مطرب سعيد:

أنا أقعد على المرقاة، وأغني لمدة قليلة

بينما أنتظر عزيزتي الخاصة، أووو

لأن الشمس تشرق بلمعان والأوراق ترقص بخفة،

والطائر الصغير يصدح بأنها قريبة، أووو.

ثم قال:

- هذا ما يحصل لي أيها الفتى القوي، باستثناء أن معشوقتي لا تأتي.

- والآن، إنها أغنية عذبة تمامًا، وأنا -حيث كنتُ على القرار الصائب بالإصغاء إليك- أتحمّل

الاستماع للمزيد بشكل جيد، لكن لدي أمرين جادّين أطلبهما منك، لذا استمع، أتوسل إليك.

عندئذٍ أمال المتشردّ الظريف رأسه إلى جانب مثل محتال ثرثار، قال:

- أيها الصديق الطيب، أنا وعاء رديء لا تُصبّ الأمور الثقيلة فيه، وإذا لم أكن مخطئًا فإن

لديك بضع كلمات خطيرة جادة تدّخرها في أي وقت.

قال روبن الظريف:

- كلا، ما أودّ قوله قبل كل شيء، هو الأمر الأكثر جدية في كل أفكارى - أعني - وهو: أين أجد شيئًا ما لأكله وأشربه؟

- أتقول هذا؟ يا للعجب! أنا لا أحدث مثل هذه التصورات الجادة على الأمر. أنا آكل حينما أتمكن من الحصول على الطعام، وأمضغ قشرة رغيفي عندما لا أستطيع تحصيل فتات، ومثل ذلك، حين لا تكون هنالك جعة فإنني أزيل الغبار عن حلقي بقليل من الماء البارد. كنتُ أجلس هنا - عندما قدمتَ نحوي - أفكر في داخلي: أيجب عليّ أن أنهى صيامي أم لا؟ فعلاً أنا أحبّ أن أدع جوعي يستمرّ بالازدياد حدّة كثيرًا قبل أن آكل، إذ بعد ذلك تكون القشرة اليابسة لذيدة مثل لذة فطيرة لحم الأيل مع شحم الضأن والزبيب عند الملك الهمام هاري. أنا الآن في سغب شديد، لكنني أعتقد أن شهية تامة رائعة سوف ترتقي عندي خلال وقت قصير.

فضحك روبن المبتهج:

- والآن، في الحقيقة الواضحة: لديك لسان طريف غريب بين أسنانك! ولكن أحقًا ليس لديك من شيء إلا قشرة يابسة؟ أعتقد أن تلك الأكياس والجرابات سمينة وطافحة بالنسبة إلى طعام رقيق.

قال الشحاذ بدهاء:

- ها! ربما هنالك بعض من وجبة ضعيفة أخرى.

- وليس لديك ما تشرب إلا الماء البارد؟

- أبدًا! لا أكثر من قطرة! هنالك وراء مجموعة الأشجار تلك حانة لطيفة لم يرتفع جفناك أمام مثيلتها قط، لكنني لا أذهب هنالك، لأن لديهم طريقة سيئة بالتعامل معي. في إحدى

المرات -عندما كان رئيس دير إيميت الطيب يتناول وجبة هنالك - وضعت مالكة المكان كيككة صغيرة غالية، من التفاح المطبوخ وحلوى خلاصة الشعير(104) على النافذة كي تبرد، وبرؤيتها هنالك والخشية عليها من فقدان، أخذتها معي حتى أجد المالك لذلك! ومنذ ذلك الحين أخذوا يتصرفون معي بسوء شديد، لكن الحقيقة تجبرني على القول: إن لديهم أفضل جعة انسابت على لساني.

وعند ذاك قهقهه روبن عاليًا:

- ها! لقد فعلوا السوء تجاهك من أجل ما بدر من لطفك! ولكن بالحق أخبرني: ماذا لديك في جراباتك؟

قال المتسول وهو يختلس النظر إلى أفواه الأكياس:

- أجدُ هنا قطعة طيبة من فطيرة الحمام، ملفوفة بورقة لهانة لتحجز العصارة. وهنا لديّ قطعة لحم خنزير مشرّحة لذيذة المذاق، وها هنا قطعة كبيرة من الخبز الأبيض. وأرى هنا أربع كيككات من الشوفان، ومفصل من لحم الخنزير المدخّن البارد. ها! في الحقيقة، هذا غريب! ولكن لديّ هنا ست بيضات، لا بد من أنها جاءت بمحض الصدفة من إحدى باحات الدواجن في هذه الأنحاء. إنهن باردات ولكن مشويات على الفحم، ومنشورات مع قطعة من الزبدة التي أرى...

صاح روبن وهو يرفع يده:

- سلام أيها الصديق الطيب! أنت تجعل معدتي المسكينة ترتعش من الفرح، لما تخبرني به بلطف وعدوبة! إذا أعطيتني لأكل فإنني مباشرة سوف أسرع إلى تلك الحانة الصغيرة التي أخبرتني عنها قبل قليل، وسوف أجلب قربةً من الجعة لنشرب معًا.

قال الشحاذ وهو يهبط من المرقاة:

- يا صديق، لقد قلتَ ما يكفي. سأولمُ لك بالأفضل الذي عندي، وليبارك القديس سيدريك صحبتك. ولكن أيها الصاحب، أتوسّل إليك أن تحضر ثلاثة أرباع في الأقل من الجعة: واحد لشربك، واثنان لي، لأن عطشي يجعلني أعتقد أنني أتمكّن من شرب الجعة كما تشرب رمال نهر دي (105). الماء المالح!

وعلى هذا انصرف روبن عن الشحاذ، الذي بدوره مضى نحو أجمة ليمون مزهرة وراء السياج، وهناك فرش مائدةً وليمته على العشب، وقام بشي البيضات على نار صغيرة من العيدان، بمهارة وسرعة مكتسبة من طول الممارسة في ذلك المجال. بعد مرور زمن قصير، عاد روبن حاملاً قربة وافية من الجعة على كتفه، ووضعها على العشب. ثم -وقد رأى المائدة ممدودة على الأرض، وكانت في أبهى مشهد- مسح على بطنه ببطء، إذ بدا لعينيهِ الجائعتين أنه أجمل منظر قد رآه في كل حياته! قال المتسول:

- يا صديق! دعني أتحمّس وزنَ تلك القربة!

- أجل! بالفعل، تفضّل أيها الفتى العذب. وفي الوقت نفسه، دعني أر إن كانت فطيرة الحمام طازجة أم لا.

وهكذا، تولّى أحدهم أمرَ الجعة، والآخر فطيرة الحمام، ولم يُسمع صوت لوقت إلا مضغ الطعام وقرقرة الجعة وهي تغادر القربة! أخيراً، وبعد انقضاء وقت طويل على هذا النحو... دفع روبن الطعام عنه وشهق شهقة عظيمة تنمّ عن رضا كبير، إذ قد شعر وكأنه وُلد كله من جديد! ثم قال وهو يتكئ على إحدى مرفقيه:

- والآن أيها الصديق الطيب، أودّ أن أخبرك بالشأن الآخر من الجدية التي تكلمتُ عليها قبل وقت قليل.

قال المتسول بتوبيخ:

- كيف! لعلك بكل تأكيد لا تريد الحديث عن أشياء تتعلق بشؤونك الجدية، على جعة مثل هذه!

فضحك روبن، وقال:

- لا! أنا لن أكبح ظمأك أيها الصديق اللطيف، استمرّ بالشرب بينما أحادثك. هذا هو الأمر: أريد منك أن تعلم أنني قد أعجبني سلوكك، وأودّ بسرور أن أختبر مذاق حياة المتسولين بنفسني!

- أنا لا أندesh من إعجابك بأسلوب حياتي، أيها الرفيق الطيب، ولكن (أن تعجب) و(أن تفعل) أمران مختلفان. أخبرك يا صديق: إن على المرء أن يمارس ويتدرّب لمدة طويلة، قبل أن يتمكن حتى من أن يصبح في الأكثر مثل شحاذ مريض، وأقل بكثير مثل المهووس النزق أو شحاذ مجنون(106). أقول لك يا فتى: إنك كبير جدًا على أن تدخل في ما قد يتطلب منك سنواتٍ لتستحوذ على الأمر...

- قد يكون الأمر كذلك، إذ إنني أستحضر في ذهني، أن غافير سوانثولد قال: **إن جاك صانع الأحذية يصنع خبزًا رديئًا، وتوم الخباز يصنع حذاءً رديئًا.** وبغض النظر عن هذا، لدي قرار بأن أختبر حياة الشحاذ، ولا أحتاج إلا إلى الملابس لأبدو جيدًا مثل أي واحد منهم.

- أقول لك أيها الرجل: إذا كنت ستتردي بلطف وتكامل مثل القديس وينتن الطيب، راعي مهنتنا، فلن تكون شحاذًا أبدًا. ها! إن أول مسافر ظريف قد تلتقيه ربما يضربك على حلوى البودنغ، لأنك تقحم أنفك في مجال لا يعود إليك ولا يناسبك.

- لا يهم! أودّ أن أجرب الأمر، وأعتقد أنني سوف أبادل الملابس معك، إذ يبدو لي رداؤك جميلًا ولا أقول مبهجًا. ولذلك لن أستبدل الملابس فقط، بل إنني سأعطيك أنجليين ذهبيين أيضًا. لقد جلبتُ معي عصاي القوية، مفكرًا أنني قد أضطر لضرب أحدهم على رأسه، ممن

على شاكلتك وملبسك كوسيلة للجدال في هذا الشأن، لكنني أحبك كثيرًا من أجل الوليمة التي قدّمتها إليّ، حتى أنني ما كنت لأرفع إصبعي الصغير عليك، لذا لا يصبك أقل خوف!

إلى كل ذلك أصغى الشحاذ ومفاصل أصابعه تستريحان على وركيه، وعندما ختم روبن كلامه أمال رأسه إلى جانب، وأقحم لسانه في خده هازئًا (107):

- ها! عجبًا، ترفع إصبعك ضدي، حقًا! هل خرجت عن عقلك وحكمتك، يا رجل؟ اسمي ريكون هيزل، وأنا من هوليويل في فلنتشاير، بالقرب من نهر دي. أقول لك أيها الوغد: لقد قرعت رؤوس كثيرين ممن هم أفضل منك، وحتى الآن، أود أن أسلق هامتك لولا الجعة التي قدّمتها إليّ. والآن، أنت لن تنال مئتي ولو بمقدار رقعة، حتى لو كان بإمكانها أن تنقذك من الشنق!

- والآن أيها الرجل، لن يناسبني أن أفسد رأسك الجميل، ولكنني أعلمك بكل وضوح: إنني لن أفعل ما يوقف تجوالك في البلاد لعدة أيام آتية إلا من أجل هذه الوليمة! أبق على شفتيك مغلقتين يا فتى، وإلا فإن حظك سيتعثر خارجًا من فمك مع خطابك!

صاح الشحاذ وهو يتناول عصاه ويرفعها:

- والآن، سحّاقًا ويا للأسف على هذا يا صاحب، أنك جلبت على روحك السوء هذا اليوم! أمسك هراوتك ودافع عن نفسك يا رجل، فإنني لن أضربك فقط، بل سوف آخذ منك أموالك وأتركك في حال ليس معك أكثر من غروت مقطوع، لتشتري لنفسك قطعة من شحم الإوز لتدهن بها رأسك المتصدّع! لذا تأهب ودافع عن نفسك، أقول لك!

وثب روبن الظريف واختطف عصاه أيضًا:

- استول على أموالي إذا كنت تقدر! أعدك بصورة مطلقة أن أسلم إليك كل فارذنج إذا تمكنت من لمسي!

وقام بهزّ عصاه وتدويرها بأصابعه حتى أصدرت صفيراً مجدداً. فقام المتسول بهزّ عصاه أيضاً، وسدّد ضربة هائلة إلى روبن، لكن اليومن الهمام تفادها. بعد ذلك، وجّه المتسول ثلاث ضربات، ولكن لم تصب أية واحدة منها ولو شعرة من رأس روبن. عند ذلك، رأى روبن أن فرصته سانحة، وقبل أن تتمكن من العدّ إلى ثلاثة، كانت هراوة سيكون قد طارت عبر السياج! بل إن سيكون نفسه استلقى على العشب الأخضر، ولا حركة تصدر عنه أكثر مما قد تصدر عن كيس بودنغ فارغ! قال روبن الظريف وهو يقهقه:

- والآن كيف! أتتال جلدي أم أموالي، أيها الفتى اللطيف؟

لكن الآخر لم يجب عن هذا بكلمة! ثم -وقد رأى روبن مأزقه وأنه مصعوق بالضربة- ركض وما يزال يضحك، وجلب قربة الجعة، وسكب بعضاً منها على رأس الشحاذ وسقاه منها أيضاً، ففتح عينيه وتطلّع حوله وكأنه يتعجّب من رقوده على ظهره! ثم قال روبن، وقد رأى أن الشحاذ، بنحو ما، استجمع رشده وقواه العقلية، التي كانت قد طارت عن رأسه:

- والآن، أيها الرجل الطيب، أتبادل الملابس معي أم أنني سوف أضربك من جديد؟ ها هنا أنجلان ذهبان إذا أعطيتني عن طيب خاطر كل رقعة وأكياسك وقبعتك وأشياءك. فإن شئت أن لا تمنحها بدون حساب، فأنا أخشى كثيراً أنني سوف أضطرّ إلى...

وهنا أخذ ينظر إلى أعلى عصاه وأسفلها. ثم قعد ليكون وفرك كدمة رأسه، وقال:

- الآن، تبّاً لهذا الأمر! لقد اعتقدتُ حقاً أن أضربك بلطف يا صاحب. لا أدري كيف الأمر، ولكنني أرى -بنحو ما كان- أنني اشتريتهُ مزيداً من الجعة أكثر مما أتمكّن من شربه. إذا وجب عليّ أن أتخلّى عن أرديتي، فأنا أوجب -ولكن أولاً عدني بالكلام بوصفك يوماً حقيقياً- أنك لن تأخذ شيئاً مني إلا ملابسي.

فقال روبن وهو يظنّ أن الرجل عنده بضع بنسات يريد استبقاءها:

- أقسمُ على العهد من يومن حقيقي!

عندئذٍ سحب الشحاذ سكينًا صغيرًا معلقًا إلى جانبه، وقام بتمزيق بطانة معطفه، واستخرج من هنالك عشرة باوندات ذهبيات لامعات! ثم وضعها على الأرض بجانبه، وغمز غمزة ماكرة نحو روبن:

- والآن، لعلك تحصل على ملابسني؛ فأهلاً، وربما تنالها بدلاً من ملابسك من دون أي تكلفة من فارذنج واحد، وأقل بكثير وأهون من أنجلين ذهبيين.

فضحك روبن:

- ها! أنت رجل ماكر داهية، وأقول لك بكل صدق: لو أنني علمتُ أن معك مالاً كثيراً جداً، لربما ما كنت لتأخذه معك بعيداً، لأنني أعلم أنك نلتها بطرق غير مشروعة!

ثم قاما بنزع ملابسهما وتبادلا ارتداءها، وظهر روبن مدهشاً مفعماً كشحاذ متكامل، بما يمكنك أن تراه في نهار صيف! أما ريكون القوي من هوليويل، فقد قفز ووثب ورقص فرحاً بلباس لنكولن الأخضر الرائع لأنه حصل عليه واستملكه! قال:

- أنا الآن طائر سعيد منفوش الريش! بالفعل، فإن عزيزتي مول بيسكود لن تميّزني في هذا الرداء. لعلك تحتفظ بالبقايا الباردة من الوليمة يا صديق، لأنني أنوي أن أعيش بصورة جيدة ومفعمة بالحياة، ما دامت أموالني باقية وملابسي جديدة زاهرة!

بعد ذلك انصرف عن روبن، وعبرَ المرقاة ثم مضى مبتعداً، لكن روبن سمعه وهو يغني من وراء السياج الشجري، وهو يسير:

لأجل بولي التي تبتسم وسرور مولي

عندما يأتي المتسول داخلاً عند الباب

وجاك ودك ينادونه: فتى رائع مفعم

والمضيفة تجري حسابًا كبيرًا.

ثم: مرحبًا ويلي واديكن،

ابقِ بيلى واديكن،

ودعوا الجعة البنية تتدفق بحرية، تتدفق بحرية

المتسول هو رجلي.

ظل روبن يصغي إلى الأغنية حتى تلاشت في البعد، ثم قام هو أيضًا بعبور المرقاة في الطريق، لكنه حوّل قدميه بعيدًا عن مسار الشحاذ. قاده الطريق نحو تل لطيف فاعتلاه سائرًا، وعشرة أكياس أو أكثر تتدلى حول قدميه. توجه نحو الأمام لمدة طويلة... ولكن لم يصادف مغامرة أخرى. لم يكن هنالك سواه في الطريق، وبينما كان يسير كانت ترتفع سحبات صغيرة عند كل خطوة، إذ كان الوقت ضحى، وهو الوقت الأكثر سكونًا وسلامًا في النهار كله، من بعد الغسق. كانت كل الأرض ساكنة في راحة وقت تناول الطعام، وقفت خيول الحراثة في المرز وهي تلوك، وجرابات عظيمة على أخطامها توفر لها الطعام اللذيذ، أما الحارث فقد جلس تحت السياج الشجري ومعه صبي المحراث أيضًا، وكانا كلاهما يمضغان، كل واحد منها كان يقبض بيدٍ على قطعة كبيرة من الخبز، وباليد الأخرى قطعة هائلة من الجبنة.

وهكذا، سار روبن على امتداد الطريق الخالي له وهو يصفر بمرح، وأكياسه وجراباته تهتز وتتدلى معلقة عند فخذه. أخيرًا، وصل إلى عند مسلك مغطى بالعشب النامي القصير على يسار الطريق، ويستمرّ عبر مرقاة نحو أسفل التل، ويقود في وادٍ صغير عبر غدير في الوادي، وأعلى التل على الجانب الآخر، حتى يصل إلى طاحونة تقف على قمة الارتفاع، حيث الريح تحني الأشجار بحركة مياسة. نظر روبن مليًا نحو البقعة وأعجب بها، وبلا سبب سوى أن خياله دفعه، أخذ طريق المسلك الصغير، ومشى على المنحدر المعشوشب

المشمس للمرج المفتوح، وهكذا أتى على المنخفض الصغير، وقبل أن يميّز ذلك، كان هنالك أربعة رجال مفعمين بالحيوية، جالسين وأرجلهم ممدودة حول مائدة طيبة على الأرض. كانوا أربعة متسولين، وقد علّق كل واحد منهم حول عنقه لوحًا صغيرًا كان مستقرًا على صدره. على أحدها كُتب: (أنا أعمى)، وآخر: (أنا أصم)، والآخر: (أنا أبكم)، والرابع: (أشفقوا على الأعرج)! ومع أن كل هذه العضلات والشدائد مكتوبة على الألوح قد بدت مفاجئة، فإن الرجال الأقوياء الأربعة جلسوا حول المائدة، يتناولون طعامهم بمرح وجذل وكان زوجة قابيل لم تفتح القربة التي تحتوي على المصائب، ولم تدعها تندفع مثل سحابة من الذباب لتضايقنا! (108). كان الرجل الأصم أول من سمع روبن، إذ قال:

- صه! أيها الإخوة، أنا أسمع أحدهم قادمًا.

أما الأعمى فكان أول من رآه، وقال:

- إنه رجل شريف، أيها الإخوة، ويبدو واحدًا من أهل صنفنا.

ثم ناداه الأخرس بصوت عظيم:

- مرحبًا بك يا أخ، تعال واجلس بينما لا يزال بعض من الوليمة باقيًا، وقليل من المالمزي في الزجاجة.

عند هذا، أفسح الرجل الأعرج - وكان قد نزع ساقه الخشبية وحلّ أربطة ساقه الوحيدة، وجلس بها ممدودة على العشب ليريحها - المجال لروبن بينهم، وقال وهو يمسك بزجاجة المالمزي نحوه:

- نحن مسرورون لرؤيتك، يا أخ.

قال روبن وهو يضحك، ويتناول الزجاجة ويزنها بيده قبل أن يشرب منها:

- ها! يبدو لي أن الأمر ليس أكثر من أنكم كلكم مسرورون لرؤيتي! لأنني جلبت الرؤية للأعمى، والكلام للأبكم، والسمع للأصم، ومثل تلك الساق الصحية لرجل أعرج. أنا أشرب من أجل سعادتكم أيها الإخوة، كما أنني لن أشرب لصحتكم، لأنكم من الأصل أصحاء نفساً وطرفاً (109).

حينئذٍ كثر الكل، أما المتسول الأعمى -وهو القائد فيهم، وكان الأعرض منكبين بينهم والوغد الأكثر قوة فيهم- فضرب روبن على كتفه، وأقسم أنه مهرج مرح تمامًا! سأله الرجل: الأبكم:

- من أين أتيت، يا فتى؟

قال روبن:

- ها! جنث هذا الصباح من قضاء الليلة نائمًا في شيروود.

قال الأصم:

- أياكون الأمر كذلك؟ ما كنتُ أودّ مقابل المال الذي نحمله نحن الأربعة نحو مدينة لنكولن النوم ليلة واحدة في شيروود! لو أن روبن هود أمسك بواحد من صنفنا في أراضي غاباته، فإنه -أعتقد هذا- سيقوم بقصّ أذنيه!

قال روبن وهو يضحك:

- أظن ذلك أيضًا. ولكن أي مال ذلك الذي تتكلم عليه؟

ثم تكلم الرجل الأعرج:

- ملكنا: بيتر في يورك، أرسلنا إلى لنكولن مع هذه الأموال لكي...

فقاطعه الأعمى متدخلًا في الحوار:

- توقف يا أخي هوج! لا شك لديّ في أحيينا هنا، ولكن ليكن في عقلك أننا لا نعرفه! ماذا تكون يا أخ؟ رجل سليم معتدل، شحاذ رث، شحاذ مريض، شحاذ مقطوع اللسان، شحاذ مجنون؟

وعند سماع هذه الكلمات نظر روبن من رجل إلى آخر بفم فاغرا! وقال:

- حقًا، أنا أتعهد بأنني رجل مستقيم، في الأقل أنا أحاول أن أكون، ولكنني لا أدري ما تعني بمثل هذه الرطانة(110). أيها الأخ. أعتقد أن بدا لي أكثر، أنك أنت الرجل الأبكم من تملك صوتًا عذبًا سوف تقدم إلينا به أغنية.

عند هذه الكلمات حلّ السكون على الجميع! وبعد برهة من الزمن نطق الأعمى من جديد:

- أنت تمزح بكل تأكيد عندما تقول إنك لا تفهم مثل هذه الكلمات. أجبني عن هذه: ألم تضرب رجلًا أو فتى قط على الطريق العام من أجل المال الذي في محفظته؟(111).

أصاب روبن النكد والنزق، فقال:

- والآن سحقاّ وبعدًا لذلك! محاولتكم للتسلية والسخرية مني بالثرثرة بمثل هذه الرطانة، ستنقلب وبالأعلى عليكم كلكم، أقول لكم ذلك. لدي قرار في رأسي بأن أقرع رؤوسكم أنتم الأربعة، وأودّ فعل ذلك أيضًا، لولا المالمزي السائغ الذي قدّمتموه إليّ. يا أخ، مرّر القربة قبل أن يبرد الأمر(112).

ولكن كل الشحاذين الأربعة وثبوا بسرعة عندما أنهى روبن كلامه! واستلّ الأعمى هراوة ثقيلة ذات عُقد كانت ملقاة إلى جانبه على العشب، وكذلك فعل الآخرون. ثم قام روبن -وقد أدرك أن الأمور تزداد سوءًا عليه، مع أنه لم يعرف ما سبب الاضطراب!- بالقفز

منتصبًا، ومتناولًا عصاه الأمانة، ولصق ظهره على جذع الشجرة، واتخذ موقفًا دفاعيًا ضدّهم. وصاح بهم، وهو يدورّ عصاه بين أصابعه:

- كيف الآن! هل ستنقضّون أنتم أيها الرجال الأربعة الأقوياء على رجل واحد؟ تراجعوا أيها الأندال، وإلا فإنني سأخذش رؤوسكم حتى يكون فيها كثيرٌ من الندوب مثل باب حانة صغيرة! هل جننتم؟ أنا لم أتسبّب بأي أنى عليكم.

قال من كان يتظاهر بأنه أعمى، وهو الأشدّ عنفًا ووقاحة فيهم، وكان قائدًا على الآخرين:

- أنت تكذب! تكذب! فلقد جئت بيننا مثل جاسوس نذل! ولكن أذنيك سمعتنا كثيرًا جدًّا بالنسبة إلى سلامة جسدك، ولن تمضي من هذا الموضع ما لم تحرك أقدامك في المقام الأول، ففي هذا اليوم سوف تموت! تعالوا أيها الإخوة، كلكم جميعًا! أطيحوا به!

وقام بهزّ هراوته، واندفع نحو روبن مثل ثور غاضب يزمجر نحو رقعة حمراء! لكن روبن كان مستعدًّا لأي حادث يحصل. كرك كراك! وسدّ ضربتين سريعتين مثل طرفة العين، فسقط الرجل الأعمى متقلّبًا على العشب! عند ذلك تحرك الآخرون متراجعين! ووقفوا على مسافة صغيرة متجهمي الوجوه نحو روبن، وقد صرخ عليهم بمرح:

- هيا تعالوا أيها الحثالة! ها هنا كيكات مع جعة للجميع! والآن، من التالي لنقدّم إليه؟

لم يردّ الشحاذون على هذا بكلمة! ولكنهم حدّقوا إلى روبن مثل العملاق بلندربور(113) وهو ينظر نحو الشجاع جاك قتال العمالقة، وكأنهم كانوا يودّون التهامه بلحمه وعظامه، ولكن بغضّ النظر عن ذلك، لم يُظهروا اهتمامًا بالاقتراب إليه وإلى عصاه الفظيعة!

ثم قام روبن فجأة -وقد شاهد ترددهم وإحجامهم! - بالوثوب نحوهم، يضربهم حتى وهو يقفز. أوقع الرجل الأبكى، وانقذت هراوته من يده بعيدًا عند سقوطه! حينئذ أخذ الآخرون بالتملص لتجنّب ضربة أخرى، ثم شرعوا بالفرار على أعقابهم، واحد في اتجاهه وصاحبه في آخر، وكأن قد كان في أقدامهم أحذية الجهة الغربية(114).

نظر روبن وراءهم وهو يقهقه! وفكر في أنه لم يرَ فأرًا هاربًا مثل الرجل الأعرج قط، ولكن لم يتوقف أي من الشحاذين ولم يلتفت، إذ أحس كل واحد منهما في ذهنه بنفخة عصا روبن حول أذنيه! ثم التفت روبن نحو المحتالين القويين الراقدين على الأرض، وقال: هؤلاء الرجال تكلموا بنحو ما على أموالٍ معينة كانوا بصدد أخذها إلى لنكون، فأعتقد أنني قد أجدّها عند هذا الرجل الأعمى الصنديد، الذي له سيماء حادة تعود إلى مثل رجل غابات مدرّب في نوتنغهام أو يوركشاير. إن من المؤسف أن أدع مألًا طيبًا يبقى في جيوب مثل هؤلاء اللصوص الأوغاد. وأعقب ذلك بالانحناء على الوغد المتين، والتفتيش بين رقعته وأسماله البالية، حتى شعرت أصابعه بجراب جلدي معلق حول بدنه، تحت معطفه المرقّع الرث، فقام بانتزاعه منه، ووزنه بيده، معتقدًا أنه كان بثقل كبير، فقال لنفسه: لقد كان أمرًا لطيفًا، إذا كان هذا مليئًا بالذهب بدلًا من البنسات النحاسيات. ثم جلس على العشب، وفتح الجراب ونظر إلى ما فيه، وهناك وجد أربع لفافات مغلّفة بجلد الأغنام المزيّن، ففتح إحداها، ففغر فمه وحدّقت عيناه -أظن- وكأنه ما كان لهما أن ينغلقا من جديد أبدًا! إذ لم يرَ إلا خمسين باوندًا من الأموال الذهبية اللامعة! ثم قام بفتح الأكياس الأخرى، ووجد المحتويات نفسها: خمسون باوندًا ذهبيًا لامعًا حديث السك. قال لنفسه: طالما سمعتُ أن رابطة المتسولين كانت ثرية جدًّا، ولكنني لم أعتقد أنهم أرسلوا مثل هذه المبالغ إلى خزينتهم! سوف آخذه معي، فإن الأجدر هو استعماله في أعمال البر والإحسان وصالح عصابتي الظريفة أكثر من إثراء هؤلاء الأوغاد.

وبذلك، أعاد لَفّ الأموال في الكيس الجلدي من جديد، ووضعها في الجراب، ثم أقحمه في صدره، وأخذ قارورة المالمزي، وأمسكها تجاه الرجلين الراقدين على الحشائش، وقال:

- أيها الأصدقاء اللطفاء، أنا أشرب نخب صحتكم، وشكرًا لكم بإخلاص على ما قدّمتموه إليّ بسخاء هذا النهار، وهكذا أرجو لكم مساءً طيبًا!

ثم تناول عصاه، وانصرف عن المكان، ومضى على دربه بسعادة وفرح! ولكن عندما أفاق الشحاذان اللذان ضُربا على رأسيهما وقعدا، وعندما تغلّب الاثنان الآخران على فزعهما

وعادا، كانوا في الحزن والكرب العظيم مثل أربعة ضفادع في طقس الجفاف! إذ كان اثنان منهما قد نالا تصدع الرؤوس، وفقدوا نبيذ المالمزي خاصتهم، وما عاد لديهم أكثر من فارذنج ليدفعوا به. أما بالنسبة إلى خزينة رابطة المتسولين في حانة غابة الشحاذين، قرب مدينة لنكون، فإنها ما كانت لتفتقر لمئتي باوند لو أن روبن الجريء لم يلتق الرجل الأعمى، والرجل الأصم، والرجل الأبكم، والرجل الأعرج، قرب الطريق العام المؤدي نحو بلايث.

ولكن، بعد أن ترك روبن الوادي الصغير، تهادى في مشيه على طول الطريق ببهجة، وظلَّ يغني كما سبق، وكان مسرورا جدا وشحاذا متكاملا نشطا! وإضافة إلى ذلك كان عذبا نضرا ونظيفا، حتى أن كل فتاة سعيدة صادفته تلقت كلمة لطيفة بسببه ولم تشعر بخوف! بينما كانت الكلاب بالتحديد -وهي في أكثر الأوقات تكره منظر المتسول- تشممت عند ساقيه بطريقة ودودة وهزت ذيولها بمسرة! إذ أن الكلاب تعرف الرجل الصالح من رائحته، وقد كان روبن رجلا نزيها على طريقته الخاصة. وهكذا، مضى حتى وصل عند النهاية إلى تقاطع طريق جانبي قرب أوليرتون، وقد كان متعبا نوعا ما، فجلس ليسترخ على الضفة المعشوشبة أمامه. قال لنفسه: الوقت يحين لعودتي من جديد إلى شيروود؛ ولكن إن ما يسرني بشكل جيد هو أن أحظى بمغامرة ظريفة واحدة، قبل ذهابي إلى عصابتي المرحة.

نظر إلى أعلى الطريق وأسفله ليرى من قد يقدم، وأخيرا رأى أحدا ما يقترب، كان راكبا على حصان. عندما اقترب المسافر مسافة كافية بما يجعله يراه جيدا، ضحك روبن! لأنه قطع الطريق على شكل غريب تماما! كان رجلا نحيفا زاويا، وبإلقاء نظرة عليه، لا يمكنك أن تميز سواء أكان في الثلاثين من عمره أم الستين! كان جافا جدا حتى لجلده وعظمه! أما الحصان، فقد كان هزيلا كراكبه، وكلاهما بدا وكأنه مخبوز في فرن الأم هودل (115). حيث يجفف الناس كي يعيشوا إلى الأبد.

كان عنق الفرس المسكين منحنيا بدلا من الارتفاع كما تفعل أكثر الخيول، وعرفه أشعث وكان الفئران قد جعلت جحورها فيه! أما عموده الفقري فقد برز حادا ومسننا، مثل أخدود جديد عندما يمر به المحراث، وظهرت أضلاعه تحت جلده مثل الأطواق حول برمبل جعة

معتق لخمس سنوات! وهكذا قدم الحصانُ يتمايل على طول المسار، وعند كل خطوة كان الراكب يتقاذف أعلى وأسفل على سرجه، وبهذا تمايل رأسه وتأرجح على عنقه الهزيل في كل وقت لحركة الحصان. ومن هذا المشهد ضحك روبن حتى جرت الدموع على وجنتيه! إذ -وكأن ذلك ما يجعل المشهد أكثر سخرية- كان الراكب يرتدي قبقابًا كبيرًا بقدميه بدلًا من الحذاء، وكان النعلان منهُما مصنوعين من الخشب، بسمك نصف راحة، ومرصعين بشكل كامل بالمسامير الكبيرة.

ولكن مع أن روبن ضحك من المنظر الغريب، فإنه عرف بأن عابر السبيل الجوال هذا، يكون أحد مشتري الحبوب بالجملة ومحتكريها من وركسوب، اشترى كل الذرة من الريف غير مرة، واحتكرها حتى ارتفعت إلى أسعار مجاعة فاحشة، وبذلك يكسب أموالًا كثيرة من حاجات الناس الفقراء، وبسبب ذلك كان مكروهًا في كل مكان، ومن كل شخص عرف عنه القليل. قال روبن لنفسه عندما شاهد القادم:

- أوهو! يا عقعقي اللص! إنه أنت، أليس كذلك؟ والآن أودّ أن أتمكن من نتفك وتجريدك حتى تكون عاريًا بجلدك! ولكنك مخادع ماكر جدًّا، فإنني أشكّ في أن أجد شيئًا من الأموال غير المشروعة عندك قريبًا جدًّا من شيروود. ولكن مع هذا، سوف أرى ما يمكن فعله، إذ كما يقول غافير سوانثولد: **إذا لم يحاول نيد، فلن يفعل نيد شيئًا.**

وهكذا، بعد وهلة، جاء محتكر الذرة إلى حيث يجلس روبن، فقام الظريف بالتقدم نحوه وهو في كامل هيأته من الرقع والملابس الرثة، تتدلى حقائبه وجراباته حوله، فوضع يده على لجام الحصان، مناديًا على الآخر كي يتوقف! فقال الرجل النحيف بصوت جاف فظ:

- من أنت يا رجل، حتى تجرؤ على إيقافي هكذا على طريق الملك العام؟

- أشفقّ على شحاذ بائس! لا تعطني إلا فارذنعًا لأشتري لنفسني قطعة من الخبز.

فصرخ الآخر:

- والآن بعدًا لك! إن أوغادًا متشردين أصحاب مثلك، الأكثر أمنا أن يكونوا في السجون أو يرقصوا على فراغ(116) مع ياقة من القنب حول العنق، بدلًا من أن يسيروا بحريتهم وهوام على الطرق العامة.

- يا للسخف! كيف تتكلم! أنا وأنت إخوة يا رجل. ألسنا معًا نأخذ من الناس الفقراء ما يوقرونه بتعب وشدة؟ ألسنا نتدبر أمور معيشتنا بعدم فعل أي شيء من الخير؟ ألسنا نعيش من دون أن تلامس راحتنا عملاً شريفًا؟ أقام أحد منا من قبل بفرك إبهامه على فاردنغات مكتسبة بحق وعرق الجبين؟ لا أتفق معك! نحن إخوة، أقول، إلا أن الفرق الوحيد هو أنك غني وأنا فقير، ومن أجل هذا، أتوسل مرة أخرى: امنحني بنسًا.

صاح المحتكر بغضب:

- أيها الغلام! ألسنت تثرثر وتهذي بكلامك معي؟! والآن، إنني سأجعلك تنال جلدًا كاملًا إذا رأيتك في أية مدينة لاحقًا، حيث يمكن للقانون أن يقبض عليك! أما بالنسبة لإعطائك بنسًا، فأنا أقسم لك أنني لا أملك أكثر من غروت واحد في محفظتي. لو كان لروبن هود بنفسه أن يمسكني، لفتشني من هامتي إلى أخمص قدمي، من دون العثور على أصغر قطعة مال عندي! أوكد أنني أكثر مكرًا من أن أسافر قريبًا جدًا من شيروود ومعني في جراي مال كثير، وذلك اللص طليق حر في الغابات.

ثم نظر روبن أعلى وأسفل، وكأنه يريد أن يرى ليتأكد من عدم وجود أحد بالجوار، ثم تقرب إلى المحتكر، وارتفع على أطراف قدميه وتكلم في أذنه:

- أيدور في خلدك أنني متسول كما يبدو عليّ؟ انظر إليّ جيدًا، ليس هنالك من ذرة تراب على يديّ أو على وجهي أو على بدني، فهل رأيت شحاذًا على هذا النحو قط؟ أخبرك أنني رجل مستقيم مثلك، انظر يا صديق!

وهنا قام بإخراج محفظة النقود من صدره، وأظهر إلى عيون المحتكر الزائغة القطع الذهبية المشرقة، وقال:

- يا صديق، هذه الخرق لا تنفع إلا لإخفاء رجل نبيل ثري عن عيون روبن هود!

فصاح الآخر بسرعة:

- ضع مالك يا فتى! هل أنت أحمق لتثق بأن خرق شحاذ كانت لتحجبك عن روبن هود؟ لو أمسك لجرّدك حتى جلدك! لأنه يكره الشحاذ القوي، كما يفعل الأمر نفسه بقسيس ثري أو أولئك الذين من نوعي!

- أهذا بالفعل؟ لو أنني علمت ذلك فلربما لم أسر قرب هذه الأنحاء في هذا الزي، ولكنني يجب أن أمضي قدماً الآن، فكثير يعتمد على رحلتي. وأنت أين تذهب يا صديق؟

- أنا ذاهب إلى غرانتام، ولكنني سوف أقيم هذه الليلة في نيوارك، إذا تمكنت من الوصول إلى هنالك على مساري.

قال روبن الظريف:

- ها! أنا بنفسني على طريقي نحو نيوارك! لذلك، بما أن رجلين صالحين أفضل من واحد في الطرق التي يقلقها رجل مثل روبن هود، فإنني سوف أهرول على طول الطريق معك، إذا لم تكن لك كراهية لرفقتي.

- ها! بما أنك رفيق صادق وغني فأنا لا أمانع من صحبتك، ولكن في الواقع ليس لدي ميل وولع نحو المتسولين!

قال روبن:

- إذن تقدم! فإن النهار يتناقص، وسوف يحلّ الظلام قبل وصولنا إلى نيوارك.

وهكذا انطلقا: الحصان الهزيل يعدو بعرجه وتمايله مثل السابق، وروبن إلى جانبه يركض، مع أنه كان يكركر بالضحك في سرّه! إذ لم يمنع نفسه من ذلك إلا بمشقة، فلم يجرؤ على الضحك عاليًا، خشية أن يشكّ المحتكر في شيء. وعلى هذا النحو ارتحلا طويلاً، حتى وصلا إلى تل يقع مباشرة على حافات شيروود، وهنا جعل الرجل النحيف حصانه يسير بروية لأن الطريق كان منحدرًا، وكان يريد أن يستبقي قوة الحصان، فما يزال أمامه طريق بعيد قبل الوصول إلى نيوارك. ثم التفت وهو على السرج وتكلم مع روبن مرة أخرى، وهي المرة الأولى منذ أن غادرا مفترق الطرق:

- ها هنا الخطر الأعظم! يا صديق، فنحن على مقربة من ذلك الوغد روبن هود، والمكان الذي يقطن فيه. ووراء هذا يمكن أن نصل إلى البلد الأمين المفتوح، وبذلك يكون أكثر أمانًا لنا في سفرنا.

- يا للأسى! تمنيت لو أنني أمتلك مقدارًا قليلًا من المال عندي كما تملك أنت، فأنا أخشى في يومي هذا، أن روبن هود سوف يستولي على كل غروت من ثروتني!

ولكن الآخر نظر نحو روبن وطرف بعينيه مكرًا، وقال:

- أخبرك يا صديق، أنني أمتلك قريبًا مما تملك من مقدار، ولكنه مخفي فلا يمكن لأي محتال في شيروود أن يعثر عليه.

- لا بد من أنك تمزح! إذ كيف يمكن لشخص أن يخبئ مالا كثيرًا بمقدار مئتي باوند عنده؟

- والآن أنت صادق ونزيه جدًا يا رجل، وفي ذلك، أنت أكثر شبابًا مني، ولسوف أخبرك بما لم أخبر به رجلًا في العالم كله قط! وبهذا، لعلك تتعلم أن لا تفعل مرة أخرى أمرًا غبيًا ومتهورًا، كالوثوق بالاحتماء بزي متسول ليحرسك ضد روبن هود. أترى زوج القبقاب هذا على قدمي؟

قال روبن وهو يضحك:

- أجل! بالفعل! إنهما كبيران بما يكفي لإثارة نظر أي رجل، حتى لو كان ضعيف النظر مثل بيتر باتر، الذي لم يتمكن قط من رؤية متى يذهب إلى العمل!

- اهدأ يا صديق! فهذا ليس أمرًا للمزاح! إن نعلي القبقابين هذين ليسا كما يبدوان عليه، إذ أن كل واحد منهما هو عبارة عن صندوق صغير لطيف، وإن ليّ المسمار الثاني من مقدم النعل، يجعل أعلى الحذاء وجزءًا من النعل يرتفعان مثل غطاء، وفي الفراغات الداخلية هنالك تسعون باوندًا ذهبيًا لامعًا في كل نعل، وكلها ملفوفة بقماش من الصوف للحفاظ عليها من الرنين، فهي تكشف عن نفسها!

وعندما أخبره المحترق بهذا، اندفع روبن في نوبة ضحك صاخبة، ووضع يديه على عنان اللجام، وأوقف الحصان ذا الهيئة الحزينة، وقال بين نوبتي مرح:

- توقف أيها الصديق الطيب! أنت أمكر ثعلب عجوز رأيتته في كل حياتي! في نعلي حذائه، قال! إذا وثقتُ برجل تبدو عليه سيماء الفقر مرة أخرى، فاحلق رأسي واصبغه بالأزرق! أقول: تاجر ذرة، سائس حصان، وكيل عقار، غراب المكر والخديعة!

واستغرق في الضحك واهتزّ وارتعش حتى حذائه من المرح الصاخب! خلال كل هذا الوقت، كان المحترق مستمرًا بالتحديق إلى روبن! وفمه فاغر بالعجب والدهشة! قال له:

- هل أنت مجنون كي تتكلم بهذه الطريقة: بصوت عالٍ وفي مكان كهذا؟ دعنا نتقدم، واحتفظ ببهجتك حتى نصل سالمين آمنين إلى نيوارك.

قال روبن ودموع البهجة جرت على وجنتيه:

- كلا! على الأفكار الثانية (117) لا أمضي إلى أبعد من هنا، لأن لديّ أصدقاء طيبين في هذه الأرجاء. يجب عليك أن تمضي قدمًا، إذا كنت عازمًا بكل تأكيد أيها صاحب اللطيف الجميل، ولكنك يجب أن تذهب حافي القدمين، إذ أخشى أن حذاءك يجب أن يتخلف وراءك. بعدًا له يا صديق، لأنني أقول لك إنني قد أولعتُ به ولعًا عظيمًا!

وعند هذه الكلمات صار تاجر الذرة شاحبًا مثل فوطة من الكتان، وقال:

- من أنت كي تتكلم على هذا النحو؟

فضحك روبن هود مرة أخرى، وقال:

- الرجال في هذه المناطق يدعونني: روبن هود! لذلك، أيها الصديق اللطيف، الأفضل لك أن تنقذ أمري وتعطيني حذاءك، وبذلك أرجوك أن تعجل، وإلا فلن تصل إلى مدينة نيوارك الجميلة حتى بعد حلول الظلام.

وعند سماع اسم (روبن هود)، ارتجف تاجر الذرة رعبًا! وكان عليه أن يقبض على عرف الحصان كي يمنع نفسه من السقوط عن ظهره! ثم على عجل وبلا أي مزيد من الكلمات، خلع قبقيبته وتركهما يسقطان على الطريق! انحنى روبن -وهو ما يزال قابضًا على العنان- والتقطهما، وقال:

- أيها الصديق اللطيف، لقد اعتدت أن أطلب من أولئك الذين أتعامل معهم، أن يأتوا ويحضروا معي وليمة في شيروود. لن أسألك ذلك، بسبب رحلتنا اللطيفة معًا، لأنني أخبرك أن هنالك في شيروود أولئك الذين لن يكونوا لطفاء معك كما كنتُ أنا. إن اسم محتكر الذرة يترك مذاقًا مزعجًا على لسان كل الرجال الأتقياء. فخذ نصيحة حمقاء مني: لا تأتِ أبدًا قريبًا جدًّا من شيروود، وإلا فإنك في يوم ما تُفاجأ بعصا بطول ياردة بين أضلاعك! وبهذا أرجو لك مساءً طيبًا.

وبذلك، صفق يده على خاصرة الحصان فانطلق مبتعدًا مع راكبه! ولكن وجه الرجل كان مبتلًا بعرق الخوف! وأظن أنه لم يرَ مرة أخرى قريبًا من غابة شيروود، بنحو ما كان منه في هذا اليوم. وقف روبن هود ونظر خلفه، وعندما مضى بعيدًا جدًّا، استدار ضاحكًا ودخل في الغابة حاملاً القبقيبين في يده.

تلك الليلة في شيرود اللطيفة، توهجت النيران الحمر مشعةً بأنوار متراقصة على الشجر والأجمات، وكل رجال العصابة الأشداء قد جلسوا أو استلقوا، متحلّقين لسماع روبن هود والصغير جون وهما يرويان مغامراتهما. أولاً، بدأ الصغير جون وسرد كل ما يتعلّق بلقائه مع الفتيات الثلاث، وسط صيحات وضحكات عظيما، إذ كان طريفاً في الكلام، وقد روى أفعاله بمرح. ثم أخبر روبن عن لقائه مع الشحاذ القوي، وما وقع وراء السياج تحت شجرة الليمون. ثم حكى الصغير جون عن اللقاء مع الرجال الطيبين في الحانة، وروى روبن مغامرته مع المتسولين الأربعة، وأظهر المال الذي استولى عليه منهم. وآخر كل شيء، أخبر الصغير جون كيف أنه صلّى إلى القديس دونستان مع الرهبان الفرانسسكانيين، وأظهر الذهب الذي أرسله إليه القديس! وطابق روبن هذا مع قصته حول لقاء محتكر الذرة عند مفترق الطرق قرب أوليرتن، ورفع النعل الذي أخذه من الرجل الهزيل. وعندما روي كل شيء، تكلم الراهب تاك:

- سيدي الطيب، لقد حظيت بوقت طيب، ولكنني مصرٌّ على قولِي إن حياة الراهب عاري
القدمين أسعد الاثنين.

قال ويل ستوتلي:

- كلا! أنا أتفق مع زعيمنا، في أنه نال الأفعال الأكثر بهجة بين الاثنين، لأنه كسب قتالين
شديدين بالهراوات هذا النهار.

وهكذا انحاز بعض رجال العصابة إلى روبن هود، وبعض آخر مع الصغير جون. أما بالنسبة إليّ، أعتقد... لكنني أترك الأمر معكم لتقولوا لأنفسكم مع أي طرف أنتم. وبعد أن تثبتوا الأمر في عقولكم، سوف نرى كيف أن روبن السعيد ذهب إلى مدينة لندن المشهورة، وكيف رمى بالقوس الطويل أمام الملكة إينور، ومثل ذلك، سوف نسمع المغامرات التي حصلت له من بعد، لذلك أصغوا إلى ما سيُتلى...

(101) (Stile) سلّم خشبي عريض يكون متصلًا عبر جانبي سياج شجري أو حجري عالٍ.

(102) (Maypole) عمود مصبوغ ومزيّن بالورود، يرقص الناس حوله بصورة تقليدية في الأول من آيار.

(103) (Slate).

(104) (Barley sugar).

(105) (The River Dee).

(106) من فئات المتسوّلين الجوّالين الذين انتشروا في إنجلترا: (Clapper-dudgeon)، شحاذ محتال يتصنّع هيئة المرض والقرح الجلدية. أما (Abraham-men) فهم الذين يتظاهرون بالجنون من أجل التسوّل.

(107) (Tongue-in-cheek).

(108) العيش بمرح وتجاهل الهموم.

(109) (Wind and Limb) كناية عن تمام الصحة والسلامة.

(110) يقصد التصنيفات المذكورة أنفاً، ثم اللهجة.

(111) بلهجة الشحاذين القديمة الخاصة (Cant):

Hast thou ever fibbed a chouse quarrons in the Rome pad for the loure in his
?(bung

(112) (Grow cold) قبل أن يتلاشى هذا الشعور.

(113) (Blunderbore) غول أسطوري.

(114) [The west wind's boots](#) نوع من الأحذية الفاخرة.

(115) [Mother Huddle's Oven](#)، لعله يعني الشمس.

(116) [Dance on nothing](#) تُشنق.

(117) [يقصد تغيير رأيه](#).

روبن هود يرمي أمام الملكة إينور

امتد الطريق العام أبيض متربًا في شمس ما بعد ظهيرة صيفية ساخنة، واصطفت الأشجار بلا حراك على طول جانب الطريق. أما عبر أراضي المرج كله فكان الهواء الحار يتراقص ويرتعش، وفي المياه الرائقة لغدير الأرض الواطئة، المجسرة بجسر حجري صغير، لبث السمك معلقًا بلا نشاط فوق الحصى الأصفر، وجثم فرس النبي هادئًا مستقرًا على القمة الحادة لساق عشبة الأسل(118). وجناحه يلتمعان في الشمس. جاء على امتداد الطريق شابٌ راكب على حصان جميل البياض كالحليب، وكان الناس يتوقفون لمروره ويلتفتون للنظر ورائه عندما يجتاز، إذ لم يُرَ فتى لطيف سعيد جدًا أو شخص بهيج بملبسه في نوتنغهام من قبل. لم يكن من المحتمل أن يكون عمره أكثر من ستة عشر عامًا، وكان جميلًا بحسن أي فتاة، شعره الأصفر الطويل انسدل ورائه وهو يمضي، وكان يرتدي الحرير والقطيفة، والجواهر تضيء والخنجر يجلجل على عُجرة السرج.

على هذا النحو جاء غلام الملكة، الشاب ريتشارد بارتنغتون، من مدينة لندن المشهورة نازلًا نحو مقاطعة نوتنغهام، تلبية لأمر جلالته: للبحث عن روبن هود في غابة شيروود. كان الطريق حارًا ومغبرًا ورحلته طويلة، وفي ذلك اليوم كان قد قطع كل الطريق من مدينة ليسستر، قطع عشرين ميلًا وافية وأكثر، وبذلك كان الفتى بارتنغتون مسرورًا تمامًا عندما شاهد أمامه حانة صغيرة لطيفة، كلها تقبع في الظل الظليل المنعش تحت الأشجار، وأمام الباب حيث تدلت لافتة حلية تحمل صورة خنزير أزرق.

هنا، جذب العنان ونادى بصوت عالٍ من أجل زجاجة من النبيذ الريني(119). إذ كانت جعة الريف القوية مشروبًا شديدًا جدًا على هذا النبيل الشاب. كان هنالك خمسة رجال أشداء، يجلسون على مصطبة تحت الظل المنعش لدوحة السنديانة الرحبة أمام باب الحانة، وكانوا يشربون الجعة، وكلهم حدّقوا بدهشة نحو هذا الفتى الوسيم السامي. كان اثنان من الأقوى فيهم يرتديان خضرة لنكولن، وإلى جانب كل واحد منهما هراوة ثقيلة عظيمة من

خشب السنديان، مستندة إلى جذع الشجرة الخشن كثير العقد. جاء المالك جالبًا معه زجاجة من النبيذ، وكأسًا زجاجية طويلة على صينية فضية، رفعها نحو الغلام وهو جالس على حصانه. صبّ الفتى بارتنغتون النبيذ الأصفر المشعشع وأمسك الكأس عاليًا، وصاح:

- هذا لصحة سيدتي الملكية النبيلة الملكة إينور وسعادتها، وأرجو أن تنتهي رحلتي ورغباتها من قريب، بأن أعرّ على اليومن المقدام الذي يدعوه الرجال: روبن هود.

وعند سماع هذه العبارات حدّق الكل إليه! ولكن أخذ اثنان من اليومنين اللذين كانا في خضرة لنكولن يتهامسان معًا، ثم قام واحد منهما -الذي اعتقدَ بارتنغتون بأنه أطول وأقوى رجل رأته عيناه- بالتكلم:

- ما الذي تريده من روبن هود، سيدي الغلام؟ وماذا ترغب ملكتنا الطيبة إينور فيه؟ أنا لا أسألك عن ذلك جهالةً بل لسبب، لأنني أعلم بعض الشيء عن هذا اليومن المقدام.

- إذا كنتَ تعرف أي شيء عنه أيها الرجل الطيب، فإنك سوف تؤدي خدمة عظيمة إليه، وسعادةً كبيرةً إلى ملكتنا بمساعدتي في العثور عليه.

ثم تكلم اليومن الآخر، وقد كان رجلاً وسيماً مع وجه مسفوع، وشعر أجعد بني كالبندق:

- أنت في سيماء صادقة سيدي الغلام الوصيف، وإن ملكتنا عطوف ومخلصة مع كل اليومنين الأبطال. أعتقد أنا وصديقي هنا أننا قد نقودك بأمان إلى روبن هود، لأننا نعرف أين قد يكون. ولكن أقول لك بصراحة: إننا ما كنا -ولو مقابل كل إنجلترا السعيدة- لنجلب عليه أقلّ الأذى!

- لتكن أذهانكم في راحة، فأنا لم أجلب معي أي سوء. أنا أحمل رسالة طيبة من ملكتنا، لذلك، أي واحد منكم يعلم موضعه، فإنني أرجو منه أن يقودني إلى هناك.

ثم نظر كل واحد من الرجلين القويين نحو الآخر مرة أخرى، وقال الرجل الطويل:

- بكل تأكيد يكون الأمر آمنًا لفعله، يا ويل.

فأوماً برأسه، وبعدئذٍ نهضا كلاهما، وقال الطويل:

- نحن نظنك صادقًا سيدي الوصيف، ولا تضر أي شر، لذلك فإننا سنقوم بإرشادك نحو روبن هود كما ترغب.

ثم دفع بارتنغتون حسابه، وتقدّم الرجلان اليومانان، وغادروا كلهم مباشرة على طريقهم. تحت شجرة الغابة الخضراء، في الظل البارد الذي نشرته على كل ما حولها من مساحة العشب، والأضواء تومض هنا وهناك، اضطجع روبن هود مع كثير من أفراد عصابته على العشب الأخضر الناعم، وكان آلن أديل يغني ويعزف على قيثارته ذات الأصوات العذبة. الكل أصغى في سكون، إذ كان غناء الفتى آلن من أعظم المتع والسعادات في العالم بالنسبة إليهم، وبينما كانوا يستمعون وصل إلى مسامعهم صوت مفاجئ من حوافر حصان، وعلى الفور ظهر الصغير جون، وويل ستوتلي، يتقدمان من درب الغابة داخلين في الفسحة، وكان الشاب ريتشارد بارتنغتون راكبًا بينهما على حصانه الأبيض كبياض الحليب.

قدم الثلاثة إلى حيث جلس روبن هود، وقد حدّق كل أفراد العصابة بكل جهدهم وطاقاتهم! إذ لم يروا منظرًا بهيجًا مترفًا كمنظر



هذا الغلام الوصيف، ولا كأي منظر لفرد يرتدي بهذا الثراء من الحرير والقطيفة والذهب والجواهر! ثم نهض روبن وخطا متقدماً ليستقبله، وبدوره نزل بارتنغتون عن حصانه ونزع قبعته المخملية القرمزية، والتقى روبن عند وصوله، صاح روبن:

- والآن مرحبًا! مرحبًا! أيها الشاب الوسيم، وأخبرني أرجوك: ما الذي أتى بشخص جميل الهيئة والملبس، في مثل هذا الزي الرفيع إلى شيروود غابتنا الفقيرة؟

- إذا لم أكن مخطئًا فأنت المشهور روبن هود! وهؤلاء هم عصبتك الأشداء من اليومنين الخارجين عن القانون. إليك أحمل التحيات من ملكتنا النبيلة إينور، لقد سمعت هناك كلامًا كثيرًا عنك وعن أفعالك الظريفة في الأثناء، وهي تودّ بكل سرور أن ترى وجهك، لذلك أمرتني أن أخبرك أنك إذا جئت في الوقت الحالي إلى مدينة لندن، فإنها سوف تبذل أقصى ما في وسعها لحمايتك من الأذى، وسوف تعيدك بأمان وسلامة إلى غابة شيروود من جديد! إذ بعد أربعة أيام من الآن، وفي حقول فنزبري، يقيم ملكنا الطيب هنري ذو الصيت العظيم، مباراة رماية كبرى، وسيحضر فيها كل رماة إنجلترا المحروسة المشهورين. وتودّ ملكتنا بكل سعادة أن تكون أنت متباريًا معهم، مدركةً أنك إذا أتيت فسوف -إلا مع شكّ قليل- تفوز بالجائزة فورًا! لذلك بعثتني مع هذه التحيات، وفوق ذلك ترسل إليك -دليلاً على حسن النية- هذا الخاتم الذهبي منزوعًا من إبهامها الجميل، وها أنا أجعله بين يديك.

فطأطأ روبن هود رأسه وأخذ الخاتم، وقبّله بإجلال وإخلاص، ثم أدخله في بنصره، وقال:

- سوف أفقد حياتي بصورة أقرب من قرب هذا الخاتم إليّ، وقبل أن يغادرني، فإن يدي إما أن تكون باردة من الموت أو مضروبة مقطوعة عند الرسغ! سيدي الوصيف البهي، سأنقذ أمر ملكتنا، وسأمضي معك على عجل إلى لندن، ولكن قبل أن نذهب، سأدعوك إلى وليمة هنا في أراضي الغابات وبأفضل ما لدينا.

- لعل ذلك لا يكون! فلا وقت لدينا للتلكؤ! لذلك هيئ نفسك مباشرة، وإذا كان هنالك أي من أفراد عصابتك تودّ أن يراففك، فقد أمرتني ملكتنا بقولها إنها سوف ترحب بهم كل الترحيب!

- بالفعل، أنت على حق! ليس لدينا من الوقت إلا القليل للبقاء، لذلك سوف أحضّر نفسي على الفور! وسوف أختار ثلاثة فقط من الرجال ليذهبوا معي، وهؤلاء الثلاثة هم: الصغير جون وهو ذراعي اليمين الفعلي، وويل سكارلت ابن أختي، وآلن أديل المغني الخاص بي. هيا يا فتيان أعدوا أنفسكم على الفور، وسوف نطلق من قريب بأقصى سرعة ممكنة. أنت يا ويل ستوتلي، سوف تكون قائد العصابة عند غيابي.

مضى الثلاثة يتقافزون مرحًا! وجهّزوا أنفسهم، بينما انشغل روبن هود أيضًا بتحضير نفسه للرحلة. وبعد مدة قصيرة، ظهروا كلهم وكانوا على أفضل ما يرام من حسن المظهر. أما روبن فقد ارتدى الأزرق من رأسه إلى قدميه، وأما الصغير جون وويل سكارلت فكانا في خضرة لنكولن الجميلة، وأما آلن أديل فقد لبس اللون القرمزي من هامة رأسه إلى أصابع قدميه ذات الحذاء المدبّب. وارتدى كل رجل تحت قبعته غطاءً صغيرًا للرأس من الفولاذ المصقول المصنوع مع مسامير الذهب، وتحت الصديرية كان هنالك معطف من الدرع المنسوج، جميل كجمال الصوف المشدّب، لكنه صلب جدًّا لا يثقبه حتى السهم! وعندما رأى الشاب بارتنتغتون أن كل شيء جاهز امتطى حصانه من جديد، وصافح اليومنون رفاقهم من حولهم، وشرع الخمسة يغادرون على طريقهم.

في تلك الليلة جعلوا إقامتهم في ميلتون موبراي، في مقاطعة ليسستر، وفي الليلة التالية أقاموا في كاتيرنغ، في مقاطعة نورثامبتون، والتالية في مدينة بيدفورد، وبعدها في سينت ألبانز، في مقاطعة هيرتفورد. ولم يطل موعد مغادرتهم هذا المكان بعد منتصف الليل كثيرًا، وكان سفرهم سريعًا خلال طلوع الفجر الرائق لنهار صيفي، حينما كانت قطرات الندى ملتصقة على المروج، وكتل الضباب الخافتة معلقة في المنخفضات الصغيرة، وعندما صدحت الطيور بأعذب ما لديها من أغنيات، وخيوط بيوت العنكبوت تالأت مثل

قماش رقيق من الفضة، وصلوا أخيرًا عند أبراج مدينة لندن المشهورة وأسوارها، بينما ما يزال الصباح فتيًا وكل اللون الذهبي باتجاه الشرق.

جلست الملكة إينور في كوخ تعريشتها الصيفية الملكية، ومن خلال النوافذ المفتوحة صَبَّ شعاع الشمس الأصفر اللطيف بفيوضات عظيمة من النور الذهبي. ومن حولها وقفت الوصائف ينتظرن ويتحدثن بأصوات هامسة، بينما جلست هي متأملة حالمة، حيث أتى الهواء الرقيق هابًا بنعومة في الحجرة، محملاً بالشذى والعطور المنعشة من الورود الحمر العذبة، التي أزهرت في الحديقة الهائلة أسفل الجدار. جاء أحدهم إليها وأخبرها أن وصيفها ريتشارد بارتنغتون ومعه أربعة من الرجال اليومنين، ينتظرون سعادتها عند الباحة في الأسفل، فنهضت الملكة بابتهاج! وأمرت أن يمثلوا من فورهم أمام حضورها. وهكذا مثل روبن هود، والصغير جون، وويل سكارلت، وآلن أديل أمام الملكة، في داخل كوخها الملكي الصيفي الخاص. ثم جثا روبن أمام الملكة على ركبتيه ويدها مطويتان على صدره، وقال بعبارات بسيطة:

- ها أنا روبن هود! أنت قد أمرتني بالقدوم وها إنني أنقذُ أمرِك. إنني أقدم نفسي إليك خادماً مخلصاً، وسوف أنجز أوامرك، حتى لو استلزمت نزف دم حياتي لآخر قطرة منه!

لكن الملكة إينور الطيبة ابتسمت بلطف له، وأمرته أن ينهض، وطلبت منهم الجلوس ليرتاحوا بعد عناء رحلتهم الطويلة. ثم قدم إليهم الطعام والشراب الفاخران، وجعلت وُصفاءها الخاصين بالانتظار لتلبية أية حاجات من اليومنين. أخيرًا -وبعد أن تناولوا ما استطاعوا من ذلك- طفقت تسألهم عن مغامراتهم الظريفة، وبدؤوا بإخبارها عن كل الأفعال المثيرة التي سردناها هنا، ومن بينها كلها تلك الخاصة بمطران دير هيريفورد والسير ريتشارد لي، وكيف أن المطران قد أقام لثلاثة أيام في غابة شيروود. وعند ذلك، ضحكت الملكة ووصيفاتها من حولها ضحكًا متواصلًا! إذ تخيلن لأنفسهن إقامة المطران المهيّب في الغابة يتجول فيها ويتسكّع، في رياضة وتسلية حيوية مع روبن وعصابته! ثم -بعد أن أخبروها عن كل ما استطاعوا من تذكّره- طلبت الملكة من آلن أن يغني لها، إذ أن شهرته

منشدًا قد وصلت حتى إلى بلاط مدينة لندن! وعلى الفور تناول آلن قيثارته بيده، وبلا
مزيد من السؤال، لامس الأوتار بخفة حتى رنت كلها بعذوبة، ثم غنى هذا:

أيها النهر اللطيف، النهر اللطيف،

ليشعّ تدفق مياهك الكريستالية

منزلةً جارية حيثما يهتزّ شجر الحور،

متألّفًا حيث زهور النيلوفر تتفتح متباهية

مغنيًا فوق القيعان المحصابات،

مقبلاً البراعم المتفتحة منحنياً عليها

متكسّرًا تحت طيور السنونو الغاطسة،

متلوّنًا بالأرجوان حيثما تهبّ النسائم

عائمًا على صدرك إلى الأبد،

على تيارك تمكثُ من الانزلاق

يجب أن لا ينالني الحزن والألم أبدًا

على المدّ المشرق الرقيق

لذلك فإن قلبي المتألم يسعى إليك، عن حب،

هنالك ليجد راحته وسلامه

إذ -عبر المحبة- الهناء لي، الحب،

ومشكلاتي العديدة تنقطع.

وهكذا غنى آلن، وبينما كان ينشد كانت كل العيون تراقبه، ولم تصدر نأمة تعكّر السكون، وحتى بعد أن أكمل بقي الصمت مخيمًا لوقت قصير! وهكذا مرّ الوقت حتى اقتربت ساعة إقامة مباراة الرماية العظيمة في ميادين فنزبري.

كانت ميادين فنزبري المشهورة في منظر بهيج، من ذلك الصباح المشرق المشمس في زمن الصيف المفعم بالحياة والنشاط. على طول المرج وحتى نهايته انتصبت قُمرات لمجموعات مختلفة من الرماة، إذ كان ضباط الملك مقسمين إلى فرق كل واحدة من ثمانين رجلًا، وعلى كل فرقة نقيب، وهكذا جُعلت على مساحة الحشائش اللامعة عشر قُمرات من القماش المخطط، قُمرة واحدة لكل فرقة من الرماة الملكيين، وعلى قمة كل واحدة منها رفرفت راية مثلثة في الهواء اليناع، وينتمي لون الراية إلى نقيب تلك القُمرة. في مركز نسق القُمرات كانت هنالك راية صفراء لتيبوس، حامل القوس الملكي المشهور، وبقربه على جهة، كانت الراية الزرقاء لجيلبرت ذي اليد البيضاء، وعلى الجهة الأخرى، راية بلون الدم للفتى الهمام كليفتون من مقاطعة بوكنفهام. أما نقباء الرماة السبعة الآخرين فكانوا أيضًا من أهل الذكر الواسع، ومنهم كان إيغبرت من كينت، وويليام من ساوثمبتون، ولكن المذكورين أنفًا هم الأشهر.

كانت أصوات مختلطة من الكلام والضحك تنبثق من داخل القُمرات، وهنا وهناك كان الخدم يركضون مثل النِمال حول تُلّها: بعضهم حمل المزر والجعة، وبعض منهم جلب رباطات من أوتار الأقواس أو حزمًا من السهام. وعلى كل جانب من مضمار الرماية، كانت هنالك صفوف من المقاعد ترتفع عاليًا، وفي وسط الجهة الشمالية ارتفعت منصة للملك والملكة، وكانت مظلة بقماش ذي ألوان بهيجة، وقد عُلق حولها أعلام مثلثة حريرية متتابعة من ألوان الأحمر والأزرق والأخضر والأبيض. ولحد الآن لم يحضر الملك والملكة، ولكن المقاعد الأخرى كانت ممتلئة بالناس، ترتفع الرؤوس فوق الرؤوس عاليًا حتى تجعل

العيون تزوغ بالنظر إليها! كان على الرماة أن يسدّوا خلال مسافة مئة وستين ياردة عن الهدف، الذي هو عشر علامات جيدة، وكل هدف معلّم براية من اللون، الذي ينتمي إلى الفرقة التي ترمي من ذلك المكان. وهكذا كان الكل جاهزين لقدم الملك والملكة.

أخيرًا صدحت أصوات عظيمة من الأبواق، وعلى المرج حضر ستة راكبين من نافخي الأبواق الفضية، ومنها تتدلى لافتات مخمليات مثقلات بنقوش من الخيوط الفضية والذهبية. خلفهم جاء الملك الهمام هنري راكبًا على حصان رمادي مرقط، وملكته إلى جانبه على صهوة حصان لطيف له بياض الحليب(120). ومشى على جانبيهما فرسان الحراسة، وكان وميض شعاع الشمس يلتمع مشرقًا، من نصول مصقولة للرماح الفأسية(121) التي يحملونها. ومن ورائهم جاءت حاشية البلاط في جمهرة عظيمة، وهكذا كان المرج كله نابضًا بالألوان المشرقة، بالحريز والمخمل، والريش المتأرجح والذهب الساطع، والجواهر ومقابض السيوف اللامعات، كان مشهدًا فروسيًا ساميًا رفيحًا في ذلك النهار الصيفي المشرق. فنهض كل الناس وصاحوا! وكان صياحهم يشبه عاصفة على ساحل مدينة كورنول، حيث الأمواج المظلمة تجري على الساحل وتثب وتتكسر وتتلاطم بين الصخور، وهكذا -وسط صخب الناس وهياجهم، والتلويح بالأوشحة والمناديل - وصل الملك والملكة إلى موضعهما، وترجّلا عن حصانيهما، واعتليا الدرجات العريضة التي تقود إلى المنصة المرفوعة، وهناك، اتخذتا مجلسيهما على عرشين مزخرفين بالحريز البنفسجي والأقمشة الذهبية والفضية.

عندما هدأ الكل صوّت البوق، وعلى الفور خرج الرماة من خيامهم يسيرون في نسق، كان عددهم الكلي ثمان مئة، وهم أكثر فرقة من ضباط النخبة يمكن أن توجد في سعة العالم، جاؤوا وهم في زي رسمي موحد، ووقفوا أمام المنصة حيث جلس الملك هنري وملكته. تطّلع الملك هنري نحو الأعلى والأسفل إلى صفوفهم بفخر كبير! إذ سرّ قلبه في داخله من رؤية منظر فرقة الضباط الباسلة مثل هذه. ثم أمر مناديه السير هوغ دي موبراي أن يتقدّم ويعلن الشروط التي تضبط المباراة، فخطا السير هوغ نحو حافة المنصة وتكلم بصوت صافٍ وعالٍ، وهذا ما قال:

- على كل رجل أن يرمي سبعة سهام نحو الهدف العائد إلى فرقته، ومن كل أفراد الفرقة الذين يكون عددهم ثمانين بطلاً، يُختار الرماة الثلاثة الأفضل، ويجب على هؤلاء الثلاثة أن يرموا ثلاثة سهام لكل فرد، ويجري انتقاء الرامي الأفضل فيهم من جديد، وكل واحد من هؤلاء يجب أن يرمي مرة أخرى ثلاثة سهام، فتكون الجائزة الأولى من نصيب الرامي الأفضل فيهم، وأفضل رامٍ ثانٍ تكون الجائزة الثانية له، وأفضل ثالث بعده له الجائزة الثالثة. وسوف يكون لكل واحد من الآخرين ثمانون بنسًا فضيًا عن رميه. إن الجائزة الأولى خمسون باوندًا ذهبيًا، وبوق فضي مطعم بالذهب، وكنانة فيها عشرة سهام بيض زوات رؤوس ذهبية، ومريشة من أجنحة البجع الأبيض. وتكون الجائزة الثانية مئة من أسمن الأيائل التي تجري على دالين لي، وللبلط الرابع أن يصطادها متى يشاء. أما الجائزة الثالثة فتكون برميلين من نبيذ الراين الفاخر.

أعلن السير هوغ على هذا النحو، وعندما أتمّ كلامه لوّح كل الرماة بأقواسهم عاليًا وصاحوا! ثم استدارت كل فرقة وسارت بنظام عائدة إلى موقعها. وبدأت الآن فعاليات الرماية، فتقدم أولاً النقباء لأخذ مواضعهم، وأخذوا بإطلاق سهامهم، ثم أفسحوا المجال بعدهم للرجال الرماة، وكل واحد بحسب دوره. فكان مجموع السهام التي أطلقت خمس مئة ألف وست مئة سهم، وقد أطلقت بمهارة وبراعة، حتى صار كل هدف عند نهاية الرمي مثل ظهر القنفذ عندما يتشمّمه كلب الحقل! استغرق الرمي وقتًا طويلًا... وعندما تمّ تقديم الحكام ونظروا بدقة إلى الأهداف، وأعلنوا بصوت عالٍ عن أفضل ثلاثة رماة من الفرق المختلفة. ثم تصاعدت أصوات وصخب عالٍ، وكل رجل من بين الحشد تطلّع مناديًا من أجل راميهِ المفضّل. ثم جيء بعشرة أهداف جديدة، وقد أسكنت الأصوات عندما أخذ الرماة مواضعهم مرة أخرى.

في هذه المرة كان التسديد والرمي أكثر براعة، إذ لم تُطلق كل فرقة إلا تسعة أسهم، ولا سهم منها خطأ الهدف، ولكن كانت في هدف غيلبرت ذي اليد البيضاء خمسة أسهم، في البقعة البيضاء الصغيرة التي تحدد المركز، ومن هذه الخمسة ثلاثة أطلقها غيلبرت. ثم تقدم الحكام مرة أخرى، ونظروا مليًا في الأهداف، وأعلنوا أسماء الرماة المختارين وهم الأفضل

في كل فرقة. من هؤلاء امتاز غيلبرت ذو اليد البيضاء، لأن ستة أسهم من أصل العشرة التي أطلقها استقرت في المركز، لكن البطل تيبوس والفتى كليفتون كانا قريبين على أعقابه، وما تزال للآخرين فرصة طيبة للمركز الثاني أو الثالث. والآن -في خضم صخب الجمهور- عاد أولئك الرجال الأبطال العشرة الباقين إلى خيامهم طلبًا للراحة بعض الوقت، ولتبادل أوتار أقواسهم، إذ يجب أن لا يفشل أحد في هذه الجولة القادمة، ويجب أن لا ترتعش يد أو تضبب عين بسبب الإجهاد.

ثم عندما كان الهمس والهمهمة في الأحاديث يبدو في الأرجاء مثل صوت الريح في الغابة المورقة، التفتت الملكة إينور إلى الملك، وقالت:

- أعتقد أن هؤلاء اليومنين المختارين هم أفضل أفضل الرماة في إنجلترا السعيدة؟

قال الملك وهو يبتسم، فلقد كان مسرورًا كل السرور بالفعالية التي شاهدها:

- نعم، بالفعل! وأقول لك: إنهم ليسوا أفضل رماة في إنجلترا البهيجة فقط، بل -إلى جانب ذلك- في كل العالم الواسع!

- ولكن ما قولك إذا كنتُ سأجد ثلاثة رماة، يكونون منافسين مكافئين لأفضل ثلاثة يومنين من كل حرسك؟

فضحك الملك، وقال:

- كنتُ سأقول إنك قد فعلت ما لم أتمكن من فعله! فأنا أخبرك بعدم وجود ثلاثة رماة على قيد الحياة في العالم، ينافسون تيبوس، وغيلبرت، وكليفتون، من مقاطعة بوكنغهام.

- والآن، أنا أعرف ثلاثة يومنين، وفي الحقيقة أنا رأيتهم قبل مدة قصيرة، ولا أخشى من تباريهم أمام أي ثلاثة تستطيع انتقاءهم من بين كل رماةك الثماني مئة! وفوق ذلك، فإنني

سوف أدخلهم في المباراة في هذا اليوم بالتحديد! ولكنني فقط أجعلهم يشتركون مع رمايتك، على شرط أنك سوف تمنح عفوًا بلا تبعات نيابة عني لكل ما قد يظهر!

عندئذٍ ضحك الملك ضحكًا عاليًا متصلًا، وقال:

- حقًا! أنت تتولين أمورًا غريبةً بالنسبة إلى ملكة! إذا جلبت أولئك الرجال الثلاثة الذين تكلمت عليهم، فإنني سأعدك بإخلاق: أن أمنح لهم عفوًا غير مشروط لمدة أربعين يومًا، ليأتوا أو يذهبوا حيثما يرغبون! ولن أؤذي شعرة من رؤوسهم خلال كل ذلك الوقت. وأكثر من هذا، إذا كان من تجلبين يقومون بالرماية أفضل من ضباطي، رجلًا لرجل، فإنهم سوف ينالون الجوائز لأنفسهم وفاقًا لما يرمون. ولكن بما أنك قد دخلت في الأمر فجأة! في مثل هذا النوع من الرياضات والفعاليات، فهل من المقبول لك أن نجري رهانًا؟

قالت الملكة إينور ضاحكة:

- ها! بالفعل! أنا لا أعلم شيئًا عن مثل هذه الأمور، ولكنك إذا شئت أن تفعل شيئًا ما بتلك الطريقة، فإنني سأناضل من أجل مسرتك، ما رهانك على رجالك؟

فضحك الملك السعيد من جديد، فقد كان يهوى المزحات الجيدة، وقال بين ضحكه:

- سوف أراهنك على عشرة براميل من نبيذ الراين، وعشرة براميل من الجعة القوية، ومئتي قوس من الطقسوس الإسباني المعالج المقسى، مع كنانات وسهام مائة لعددها.

كل الذين وقفوا عندهما ابتسما بسبب هذا، إذ بدا رهانًا ظريفًا من ملك يقدمه إلى ملكة، لكن الملكة إينور طأطأت رأسها بهدوء، وقالت:

- سوف أقبل الرهان، لأنني أعرف جيدًا أين أضع تلك الأشياء التي تكلمت عليها. الآن، من يكون إلى جانبي في هذا الأمر؟

ونظرت حولها إلى الواقفين، لكن لم يتكلم أحد، ولم يمل إلى المراهنة على جانب الملكة ضد رماة مثل تيبوس وغيلبرت وكلفتون. فتكلمت من جديد:

- والآن من يساندني في هذا الرهان؟ ماذا عنك يا سيدي مطران هيريفورد؟

قال المطران على عجل:

- كلا! لن يلائم شخصًا في هياتي أن يتعامل بمثل هذه الأمور! وفوق ذلك، ليس هنالك من رماة مثل الذين لدى جلالته في كل العالم، لذلك ما كنت لأودّ خسارة أموالي!

ابتسمت الملكة، وقالت:

- أعتقد أن التفكير في ذهبك له وزن أثقل عندك من الخطأ تجاه مهنتك!

عند هذا سرت موجة ضحك من حولهم! إذ كلهم كانوا يعرفون ولع المطران بأمواله! ثم التفتت الملكة إلى فارس يقف قريبًا، وكان اسمه السير روبرت لي، وخاطبته:

- هل تساندني في هذه الحالة؟ بكل تأكيد أنت غني بما يكفي لتخاطر كثيرًا من أجل سيدة.

- سأفعل ذلك لأسعدَ ملكتي! ولكنني ما كنت لأراهن بغروت من أجل امرئ آخر في كل العالم، فلا رجل يمكنه أن يصمد أمام تيبوس وغيلبرت وكليفتون.

ثم استدارت نحو الملك، وقالت:

- لا أريد عونًا كالذي يقدمه إليّ السير روبرت، ولكن ضدّ نبئك وجعتك وأقواسك القوية من الطقسوس، أنا أراهن بهذا الحزام المشغول كله بالجواهر من حول خصري، وبكل تأكيد ذلك يستحقّ أكثر مما لديك.

- والآن أنا أقبل رهانك! أرسلني في طلب رماتك على الفور! ولكن ها هنا يتقدم الآخرون،
دعهم يرموا، ثم سوف أباري أولئك الذين يفوزون ضدّ كل العالم!

- ليكن ذلك!

ومن فورها -وهي تومئ إلى الفتى ريتشارد بارتنغتون- همست بشيء ما في أذنه، فانحنى الغلام بشكل مباشر وانصرف عن موضعه، واجتاز المرج نحو الجهة الأخرى من المضمار، حيث اختفى بسرعة بين الجماهير. عند ذلك، تهامس كل الواقفين من حولهم، متعجبين متسائلين عما يعني كل هذا! وأي ثلاثة رجال كانت الملكة على وشك أن تقدّمهم، ضد هؤلاء الرماة الثلاثة المشهورين من حرس الملك!

والآن، أخذ عشرة من رماة الملك مواضعهم وتحضّروا من جديد، وقد حلّ سكون الموت على الحشد العظيم! وقام كل رجل بتسديد سهامه ببطء ورميها بحذر، وقد كان الصمت عظيمًا جدًّا، حتى ليتمكنك أن تسمع كل سهم وهو يضرب على الهدف. ثم -عندما أُطلق آخر السهام- ضجّ الحاضرون بالصياح، وأظن أن الرمي كان يستحق ذلك الهياج جيّدًا! مرة أخرى أصاب غيلبرت ثلاثة سهام في البياض، وحلّ تيبوس بعده ثانيًا بسهمين في البياض وواحد في السواد قريبًا منها، لكن البطل كليفتون تراجع، وصار هوبرت من سوفوك في المركز الثالث، إذ بينما أحرز كلا البطلين البارعين سهمين في البياض، فقد كليفتون رمية واحدة على الحلقة الرابعة، وجاء هوبرت برمية واحدة في الحلقة الثالثة. صاح كل الرماة من حول سرادق غيلبرت فرحًا حتى بحتّ حناجرهم! وقذفوا قبعاتهم عاليًا في الهواء، وتصافحوا بعضهم مع البعض!

في خضمّ كل تلكم الضجة والصخب، جاء خمسة رجال يمشون عبر المرج الأخضر باتجاه فسطاط الملك، كان أولهم ريتشارد بارتنغتون، وكان مألوفًا لأكثر الناس هنالك، لكن الآخرين كانوا غرباء على الكل! إلى جانب الفتى بارتنغتون سار يومئ يتردي الأزرق، ومن الخلف جاء ثلاثة آخرون: اثنان يرتديان خضرة لنكولن، وواحد يرتدي اللون القرمزي. وهذا الأخير كان يحمل ثلاثة أقواس متينة مصنوعة من شجرة الطقسوس، اثنان منها مرصّعة بشكل

عجيب بالفضة، وواحد بالذهب! بينما كان هؤلاء الرجال الخمسة يسيرون عابرين مساحة العشب، جاء رسول راکضاً من خيمة الملك، واستدعى غيلبرت، وتيبوس، وهوبرت، ليأتوا معه! والآن توقف الصياح، إذ شاهد الجميع أمراً غير معتاد على وشك الحصول، فوقف القوم في أماكنهم ومالوا إلى الأمام ليروا ما شأن اللفظ الحاصل! عندما وصل بارتنغتون والآخرون إلى الموضع حيث يجلس الملك والملكة، جثا الأربعة على ركبهم ونزعوا قبعاتهم ووضعوها عليها. مال الملك هنري كثيراً نحو الأمام، وحدّق متفحّصاً هؤلاء من كتب، لكن مطران هيريفورد، عندما رأى وجوههم بدا كأن دبوراً قد لسعه! ففغر فمه وكأنه يوشك على الكلام، ولكنه تطلّع فرأى الملكة تنظر ناحيته وابتسامة على شفثيها! فأحجم ولم يقل شيئاً، بل عضّ شفثته السفلى بينما كان وجهه أحمر كالكرز! ثم مالت الملكة نحو الأمام وتكلمت بصوت واضح:

- يا لوكزلي! (122) لقد أقمث رهاناً مع الملك، على أنك مع رجلك يمكنكم أن ترموا أفضل من أي ثلاثة يجعلهم ضدكم! فهل ستقدّم أفضل ما عندك من أجلي؟

قال روبن هود لمحدّثته:

- أجل، سأفعل ما بوسعي وأفضل ما لديّ من أجلك، وإذا فشلتُ فإنني سأفي بوعدني بأن لن أمسّ وتر قوس بعد هذا!

والآن، مع أن الصغير جون كان نوعاً ما خجولاً في تعريشة الملكة، فإنه شعر بنفسه رجلاً ثابتاً كما كان، عندما داست أقدامه من جديد على العشب الأخضر، فقال بجرأة:

- والآن، أقول: لتحلّ البركات على محيّاك اللطيف، إذا عاش رجل لا يفعل أقصى ما بوسعه من أجلك... فلن أقول شيئاً، فقط أتمنى أن أقرع على أمّ رأسه الوغدا!

قال روبن هود بسرعة وبصوت خفيض:

- اهدأ، أيها الصغير جون!

لكن الملكة الطيبة إينور ضحكت عاليًا، وسرت موجة بهجة في كل السرادق! لم يضحك مطران هيريفورد، ولا الملك أيضًا، الذي التفت نحو الملكة، وقال:

- من هؤلاء الرجال الذي جئت بهم أمامنا؟

وعلى الفور نطق المطران، إذ لم يتمكن من الحفاظ على هدوئه لمدة أطول:

- جلالتك! هنالك، الرجل في الأزرق لص معروف خارج عن القانون من وسط البلاد، يدعى روبن هود، وذلك الطويل الضخم وغد حقير يسير باسم الصغير جون، الرجل الآخر في الأخضر رجل نبيل معروف عاصٍ ومرتد يُعرف باسم ويل سكارلت، أما الرجل في الأحمر فهو مغنٍ شمالي ضال اسمه آلن أديل!

وعند سماع هذا الكلام تقارب حاجبا الملك باكفهرار! والتفت إلى الملكة، وقال بحدة:

- هل هذا صحيح؟

ابتسمت الملكة، وقالت:

- أجل! لقد قال المطران الحقيقة، وبالفعل عليه أن يعرفهم جيدًا! إذ أمضى هو واثنان من رهبانه ثلاثة أيام في تسلية رياضية بهيجة مع روبن هود في غابة شيروود. كان لديّ ظن يسير بأن المطران الطيب قد يفضح سرّ أصدقائه على هذا النحو، ولكن ليكن في حسابك، أنك التزمت بالوعد على سلامة هؤلاء اليومنين الطيبين لأربعين يومًا.

قال الملك بصوت واطئ أظهر غضبه المكتوم في قلبه:

- سوف أحفظ عهدي، ولكن عند تمام هذه الأربعين يومًا، دعي هذا الخارج عن القانون يعتني بشأنه، إذ لعل الأمور لن تجري بلطف كبير معه كما يود!

ثم التفت إلى رماته، الذين وقفوا قرب يومني شيروود يصغون ويعجبون من كل ما جرى:

- أنت يا غيلبرت، وتيبوس، وهوبرت، لقد ألزمتُ نفسي وتعهّدتُ بأنكم سوف تتبارون بالرماية ضدّ هؤلاء الرجال الثلاثة، فإذا غلبتم الأوغاد فإنني سوف أملاً قبعاتكم بنسات فضية، وإن خسرتم فلسوف تفقدون جوائزكم التي حصلتُم عليها بعدالة واستحقاق، وتذهب إلى أولئك الذين يرمون ضدكم، رجلاً مقابل رجل. قدّموا أفضل ما عندكم يا فتیان، وإن ربحتم هذه المباراة فإنكم ستظلّون مسرورين حتى آخر يوم من حياتكم! هيا امضوا الآن، وتوجّهوا نحو مضمار الأهداف.

ثم استدار رماة الملك وعادوا إلى خيمهم، أما روبن ورجاله فقد توجّهوا إلى مواضعهم عند العلامة حيث يرمون، ثم ضبطوا أوتار أقواسهم وحضّروا أنفسهم، ناظرين إلى كناناتهم ومنتقين الأفضل



استدارة وريشًا فيها. ولكن عندما عاد رماة الملك إلى خيمهم، أخبروا أصدقاءهم بكل ما حصل، وكيف أن أولئك الرجال الأربعة كانوا: المشهور روبن هود وثلاثة من عصابته، والمقصود: الصغير جون، وويل سكارلت، وآلن أديل. وقد انتشرت هذه التفاصيل بين الرماة في الخيم، فلم يكن من رامٍ هنالك لم يسمع عن يومني منتصف البلد العظماء. ومن الرماة التقط حشد الجماهير الأخبارَ حول الرماية، فجعل ذلك أخيرًا كل فرد فيهم متلعًا

عنقه، للحصول على فسحة لرؤية العصاة المشهورين. أُعدَّت الآن ستة أهداف جديدة، واحد لكل رامٍ؛ عندئذٍ تقدم غيلبرت وتيبوس وهوبرت من مقصوراتهم، ثم أجرى روبن هود وغيلبرت ذو اليد البيضاء قرعة برمي الفارذنج عاليًا، ليروا من يبدأ بالرمية أولاً، وقد كانت القرعة لصالح غيلبرت، حينذاك نادى على هوبرت من سوفوك ليبدأ بالرمية الأولى.

أخذ هوبرت موقعه وثبت قدميه بإحكام، وأعدَّ سهمًا مناسبًا ناعمًا، ثم -وقد تنفَّس وهو على أطراف أصابعه- جذب الوتر ببطء واعتناء، وانطلق السهم بشكل دقيق وانغرز في البياض، ثم سدّد رمية أخرى وكذلك أصاب بها الهدف، وأطلق السهم الثالث، ولكنه فشل هذه المرة في إصابة المركز، بل أصاب السواد، ولم يكن ذلك بأبعد من عرض إصبع عن البياض. تصاعد هتاف وصياح! إذ كانت أفضل رمية أنجزها هوبرت في ذلك النهار. ضحك روبن السعيد، وقال:

- سوف تحظى بوقت عصيب لتحسين تلك الجولة، يا ويل، فإن دورك هو القادم. شدّ عضلاتك يا فتى، ولا تجلب العار على شيروود!

ثم تقدّم ويل سكارلت وأخذ موضعه، ولكن بسبب التحذير الزائد أفسد هدفه بإطلاق السهم الأول تحديداً، فلقد ضرب الحلقة التالية بعد السواد، الثانية عن المركز، عندئذٍ عضّ روبن شفّتيه:

- يا فتى، يا فتى، لا تقبض على الوتر طويلاً جدًّا! ألم أخبرك كثيرًا بما قاله غافير سوانثولد:
إن الحذر الزائد يسكب الحليب؟

لكل هذا منح ويل سكارلت مزيدًا من العناية، فكان السهم التالي مثبتًا بشكل جيد في حلقة المركز، ثم سدّد رمية أخرى فأصاب المركز، ولكن مع ذلك، فقد كان البطل هوبرت قد تقدّم عليه وأظهر تسديدًا أفضل. ثم قام كل الذين كانوا يتابعون بالتصفيق مرحًا لأن هوبرت تغلب على الغريب! قال الملك بتجهّم للملكة:

- إذا لم يرم رماتك بشكل أفضل من رماتي، فمن المحتمل أنك ستخسر الرهان يا سيدة!

لكن الملكة إينور ابتسمت، لأنها كانت تأمل بالأمر الأفضل في روبن هود والصغير جون. والآن، حان دور تيبوس ليقف في مكانه ويسدّد، وهو أيضًا بالغ في الاحتراس والحذر مما كان مقبلًا عليه، فوقع الخطأ الذي وقع فيه ويل سكارلت من قبل، إذ أصاب سهمه الأول دائرة المركز، لكن الثاني طاش عن الهدف وأصاب السواد، لكن السهم الأخير كان مكللاً بالحظ، إذ أصاب قلب الهدف بالتحديد! على البقعة السوداء التي تحدّده. قال روبن هود:

- إنها الرمية الأفضل التي سُددت اليوم، ولكن لا يهمّ ذلك، يا صديقي تيبوس، فإنني أعتقد أن كعكتك محروقة! أيها الصغير جون، دورك هو التالي.

فقام الصغير جون بأخذ موضعه حسب المقرر، ورمى سهامه الثلاثة بسرعة! إذ لم يخفض ذراع قوسه خلال الرميات، بل ثبت كل سهم خلال قوسه المرفوع، ومع ذلك فإن كل الثلاثة من سهامه أصابت المركز في ضمن مسافة يسيرة من السواد. وعند ذاك لم تُسمع أية صيحات! فمع أنها كانت أفضل الرميات المنجزة خلال ذلك اليوم، فإن سكان مدينة لندن لا يعجبهم أن يروا البطل تيبوس مغلوبًا من رجل قادم من الريف، حتى لو كان مشهورًا مثل الصغير جون! والآن، حان دور البطل غيلبرت ذي اليد البيضاء، فأخذ موضعه ورمى بأعظم العناية، ومرة أخرى -للمرة الثالثة في يوم واحد- أصابت سهامه الثلاثة الهدف! قال روبن وهو يربّت على كتفه:

- أحسنت يا غيلبرت! أنا ألتزم بعهدي، أنت واحد من أفضل الرماة الذين رأيتهم على الإطلاق. أيها الفتى، يجب أن تكون حرًا وجوالًا بهيجًا مثلنا، فأنت مناسب للغابة الخضراء أكثر من كونك قرميدة رصيف أو سور رمادي لمدينة لندن.

وبعد هذا، تقدّم إلى موضعه، وسحب سهمًا حسنًا مستديرًا من كنانته، وقد لفّه مرارًا وتكرارًا قبل أن يلائمه للوتر. ثم تمتم الملك بخفاء من لحيته: والآن أيها القديس المبارك هوبرت، إذا قمت فقط بدفع مرفق ذلك المتمرد كي يضرب ولو في الحلقة الثانية، فإنني

سوف أتصدّق بمئة وستين شمعة بعرض ثلاثة أصابع لكنيستك الأقرب للمباراة. ولكن يبدو أن أذني القديس هوبرت كانتا محشوّتين بنسالة الخيوط، فلم يظهر أنه سمع دعاء الملك هذا اليوم! وبحصوله على ثلاثة أسهم حسب رغبته، نظر روبن السعيد باعتناء إلى وتره قبل أن يطلق، ثم خاطب غيلبرت، الذي كان يقف إلى جواره ليراقب رميه:

- أجل، عليك أن تتفضّل بزيارتنا في شيرود السعيدة.

وهنا سحب الوتر حتى أذنه، وأكمل:

- في لندن...

هنا أطلق سهمه، وقال:

- لا يمكنك أن تجد ما تطلق عليه إلا الغربان وطيور الزاغ في إنجلترا.

وهكذا استمرّ يطلق بينما يتحدث.. ومع ذلك، فإن السهم لم يبتعد بإصابته أكثر من نصف بوصة عن أصل المركز! صرخ غيلبرت:

- بحقّ روعي! هل أنت شيطان في رداء أزرق لترمي بهذه الطريقة!

قال روبن ضاحكًا:

- كلا! أوكد أنني لست شريرًا تمامًا كذلك.

وتناول سهمًا آخر وثبته على الوتر، وأطلق ومن جديد أصاب سهمه قريبًا من جانب المركز، ومرة ثالثة أرخى الوتر وأرسل سهمه بين الاثنين الآخرين وكان في المركز بالضبط، لذلك كانت ريشات كل الأسهم مزيّنة معًا، تبدو من بعيد كأنها سهم واحد ثخين! والآن، سرت همهمة واطئة بين الحشد العظيم كله! إذ لم تشهد لندن مثل هذه الرماية قط، ولن ترى ذلك بعد مضي يوم روبن هود. الجميع رأى أن رماة الملك قد هُزموا بعدالة وإنصاف، وقد صافح

غيلبرت روبن، معترفًا بأنه ما كان ليقدّر أبدًا على أن يرمي كهذا، مثل روبن هود أو الصغير جون. لكن الملك -ممتلئًا بالغضب- ما كان ليتقبّل الأمر هكذا، رغم أنه أقرّ في داخله، بأن رماته لم يتمكّنوا من الثبات أمام هؤلاء الرجال، فصاح ويدها تقبضان بعزم على مسندي مقعده:

- كلا! جيلبرت لم يُهزم بعد! ألم يُصب الهدف ثلاثًا؟ رغم أنني خسرتُ رهاني، لكنه لم يخسر الجائزة الأولى بعد. يجب أن يرموا من جديد، وبيقون يرمون، حتى يكون الأفضل هو أو ذلك الوغد روبن هود. أيها السير هوغ، اذهب وامرهم بأن يجرّوا جولة أخرى، وأخرى، حتى يتغلب واحد منهما...

فقام السير هوغ -وقد شاهد مقدار انزعاج الملك- ولم ينطق بكلمة، بل مضى مباشرة لينفّذ الأمر، فجاء إلى حيث وقف روبن هود والآخر، وأخبرهما بما قال الملك. قال روبن الظريف:

- بكل سرور! سوف أستمّر بالرماية من هذا الوقت وحتى نهار الغدا! إذا كان ذلك يدخل السرور على قلب سيدي الملك الأكرم. خذ موقعك أيها الفتى غيلبرت، وارم.

فتقدّم غيلبرت إلى موضعه مرة أخرى، لكنه في هذه المرة فشل! إذ -وقد هبّت ريح يسيرة- أخطأ سهمه حلقة المركز، ولكن ليس بأكثر من عرض قشة شعير! فضحك روبن، وقال:

- تكسّرت بيضاتك يا غيلبرت!

وسدّد مباشرة سهمًا، ومرة أخرى ضرب الدائرة البيضاء في المركز! ثم نهض الملك من مكانه، ولم يقل أية كلمة، بل نظر حوله بنظرات ممتلئة بنذر الشر! وقد يكون يومًا نحسًا على أي امرئ يراه، وعلى وجهه شيء من المرح أو الطرافة! ثم غادر هو والملكة وكل الحاشية عن مواضعهم، لكن قلبه ما يزال طافحًا بالسخط والجزع! وبعد أن مضى، تجمّع ضباط الحرس الرماة حول روبن والصغير جون وويل وآلن، ليلقوا نظرة على هؤلاء الرجال المشهورين من وسط البلاد، ومعهم جاء كثير من المتفرجين على الرياضة، من أجل الغرض

نفسه. وهكذا حصل الآن أن اليومين -الذين وقف جيلبرت يحادثهم- كانوا كلهم محاطين بجمهرة من الناس الذين شكّلوا حلقة حولهم. بعد مرور وقت... جاء الحكّام الثلاثة الذين كُفوا بمنح الجوائز، وتحدث كبيرهم إلى روبن:

- وفاقًا للاتفاق، تكون الجائزة الأولى من نصيبك واستحقاقك، ولذلك فإنني أقدم إليك بوقًا فضيًّا، وكنانة بعشرة من السهام الذهبية، وصرّة فيها خمسون باوندًا ذهبيًّا.

وبينما يتكلم سلّم هذه الأشياء إلى روبن، ثم التفت إلى الصغير جون:

- أما أنت، فالإك الجائزة الثانية -على وجه التحديد- هي مئة من أجود ذكور الأيائل التي تجري على دالين لي. لعلك تصيدها في أي وقت تشاء.

وإلى آخر الكل، التفت إلى القوي هوبرت:

- بما أنك قد صمدت أمام اليومين الذي رميت معه، بذلك، أنت احتفظت بالجائزة لك كما ينبغي -على وجه التحديد- وهي برميلان من نبيذ الراين الفاخر، ويجب أن تُسلم لك حينما ترغب.

ثم نادى على رماة الملك السبعة الآخرين الذين كانوا آخر من رمى، وأعطى لكل واحد ثمانين بنسًا فضيًّا. ثم صرّح روبن:

- هذا البوق الفضي احتفظ به على شرف مباراة الرماية هذه، ولكن أنت يا جيلبرت، أفضل رامٍ في حرس الملك كلهم، فالإك أمنيح بكل حرية هذه الصرّة من الذهب، خذها يا رجل، وأودّ أن تكون عشرة أضعاف مقدارها، فأنت يومن حقيقي طيب فعلي. وأكثر من هذا، لكل واحد من آخر عشرة رماة، أنا أعطي واحدًا من هذه السهام الذهبية. احتفظوا بها دائمًا عندكم، ولعلكم تخبرون أحفادكم عن ذلك، وأنتم مباركون معهم، فأنتم الحرس الأقوى في العالم الواسع.

وعندئذٍ صاح الجميع عاليًا صيحة البهجة! فلقد سرّهم أن يسمعوا روبن يكلمهم على هذا النحو. ثم قال الصغير جون:

- أيها الصديق الطيب تيبوس، أنا لا أريد هذه الأيائل في دالين لي، التي تكلم عليها هنالك حاكمكم الرصين قبل قليل، إذ في الحقيقة نحن نمتلك ما يكفي بل أكثر مما يكفي في مقاطعتنا الشخصية، لك ثلاثون منها لراميتك الخاصة، وأعطي خمسة لكل مجموعة من أجل مسرّتهم.

وعند ذاك انبثق هتاف عظيم آخر! وكثيرون قذفوا قبعاتهم عاليًا، وأقسموا بينهم أن لا رجال قد ساروا على الأرض أفضل من روبن هود ويومنيه الأخيّار. وبينما هم يهتفون بصيحات عاليات جدًّا، اقترب ضابط قوي طويل من حرس الملك، وأمسك روبن من كفه، وقال:

- أيها السيد الطيب، لدي ما أخبرك به في أذنك، أمر بسيط - يعلم الله - أن يخبر به يومن همام يومئذٍ آخر، لكن رفعة الغلام الوصيف، المعروف ريتشارد بارتنغتون كان يبحث عنك في الحشود بلا جدوى، وبما أنه لم يتمكن من العثور عليك، فإنه قد أخبرني بأنه يحمل رسالة إليك من سيدة معينة، لك معرفة بها. وقد قال لي أن أبلغك هذه الرسالة شخصيًا، كلمة بكلمة، وعلى هذا النحو كانت. دعني أر... أنا واثق أنني لا أنساها... أجل! كانت هذه: (الأسد يزمر! انتبه لرأسك!).

قال روبن وهو يباشر المغادرة:

- الأمر كذلك؟

فلقد عرف جيدًا أن الملكة هي من أرسلت الرسالة، وأنها تشير إلى غضب الملك!

- والآن أنا أشكرك أيها الرفيق الطيب، إذا قدّمت إليّ خدمة أعظم مما تعلم في هذا اليوم!

ثم نادى على يومنيه الثلاثة ليتجمّعوا، وأخبرهم على انفراد أن الأفضل لهم أن يسيروا، إذ بدا أن الأمر سيكون سيئًا قريبًا جدًّا من مدينة لندن السعيدة. وهكذا، بلا أي مزيد من التواني، شقّوا طريقهم خلال الحشد، حتى خرجوا عن الزحام، ثم -وبلا توقف- غادروا مدينة لندن وشرعوا يسرون باتجاه الشمال.

(118) (Rush) من الأعشاب التي تنمو في المستنقعات وحافات البرك.

(119) نسبة إلى نهر (Rhine) ومدنه المحاذية.

(120) (Palfrey).

(121) (Halberds).

(122) تخاطب الملكة روبن باسم مدينته الأم للتمويه.

مطاردة روبن هود



وهكذا، غادر روبن هود والآخرين ميدان الرماية في حقول فنزبري، ومن دون تأخير، جعلوا وجهتهم نحو مساكنهم مباشرة. وقد كان القيام بذلك جيدًا لهم، إذ لم يكادوا يقطعون ثلاثة أميال أو أربعة، حتى جاء ستة فرسان من حرس الملك يصيحون بهياج وسط الحشود التي ما تزال متسكّعة، باحثين عن روبن ورجاله، ليقبضوا عليهم ويحبسوهم. حقًا، كان أمرًا سيئًا أن الملك يخلف وعده! ولكن الأمر حصل من تدبير مطران هيريفورد، فلقد حدث على النحو الآتي:

بعد أن غادر الملك ميدان فعالية الرماية، ذهب مباشرة إلى تعريشته الخاصة، ومعه مطران هيريفورد والسير روبرت لي، ولكنه لم ينطق بكلمة مع هذين الاثنين، بل جلس وهو يعصّ على شفته السفلى! إذ كان قلبه ممتلئًا غيظًا بما حصل! آخر الأمر تكلم مطران هيريفورد بصوت واطئ وحزين:

- جلالتك، إنه لأمر مؤسف أن هذا الوضع الخارج عن القانون يُترك ليفرّ بهذه الطريقة، إذ فقط دعه يُعدّ إلى غابة شيروود آمنًا وسالمًا، وسوف ترى أنه يفرقع أصابعه جذلًا من الملك ورجال الملك!

عند سماع هذه الكلمات رفع الملك عينيه ونظر بعبوس إلى المطران:

- أتقول الأمر على هذا النحو؟ والآن، سوف أريك -في الوقت المناسب- مقدار ما تكون عليه من خطأ، إذ -عندما تنقضي الأربعون يومًا وتزول- سوف أقبض على هذا المتمرّد ممتهن السرقة، حتى لو اقتضى الأمر تمزيق شيروود كلها، بحثًا عنه! أتظن أن قوانين ملك إنجلترا عرضة للتملّص منها، من وغد بئس وحيد بلا أصدقاء أو أموال؟

فتكلم المطران من جديد بصوته الناعم الخفيض:

- اغفر لي جرأتي جلالتك! وثق بأنني لا أحمل إلا خير إنجلترا ورغبات سعادتك في قلبي، ولكن، مع أن سيدي المبجل اقتلع كل شجرة في شيروود، فما الذي سيحدث؟ ألا توجد أماكن أخرى ليختبئ فيها روبن هود؟ كانوك جيز ليست بعيدة عن شيروود، وغابة آردين العظيمة ليست بعيدة عن كانوك جيز. وإلى جانب هاتين، هنالك كثير من أراضي الغابات في نوتنغهام وديربي ولنكولن ويورك، ولعل جلالتك تفكّر في أن الإمساك بروبن هود في وسط أية واحدة، كوضع إصبع على جرد بين التراب والأشياء المحطمة في العلية. لا! يا سيدي الكريم، إذا ثبتّ قدمًا في أراضي الغابات مرة، فإنه سيكون بعيدًا عن سطوة القانون إلى الأبد!

لهذه الكلمات نقر الملك بأطراف أصابعه على المنضدة القريبة وهو في ضيق وغيظ:

- ماذا تريد مني أن أفعل أيها المطران؟ ألم تسمع كلمة عهدي للملكة؟ كلامك عقيم مثل ريح من منفاخ حداد تهبّ على فحم ميت!

قال المطران الماكر:

- ما أبعدني عن توضيح الطريق لشخص له نفاذ البصيرة القوية كجلالتك! ولكن -لو كنت أنا ملك إنجلترا- لنظرتُ في الأمر على هذا النحو: لقد وعدتُ ملكتي -لنقل ذلك جدلاً- بأن يحظى المتمرّد الأكثر عصيانيًا في كل إنجلترا بالحرية ليسير على هواه لأربعين يومًا، ولكن،

ها! أنا أجد هذا الخارج عن القانون في قبضتي، فهل أتعلق بحماقة وغباء بوعد قطعته باستعجال؟ لنفترض أنني وعدت جلالتها بتنفيذ طلبها، فلو أنها حينئذٍ طلبت مني أن أقتل نفسي، أيجب عليّ إذن أن أغلق عينيّ وأركض بعمى نحو سيفي؟ هكذا كنتُ أقلب الأمر في داخلي. وفوق هذا، أقول لنفسي: المرأة لا تعلم شيئاً في ما يتعلق بالشؤون العظيمة لحكم الدولة، وفي السياق نفسه، أنا أعلم أن المرأة معرّضة دائماً إلى التعلق بالخيال، حتى لو قطفت زهرة أقحوان من جانب الطريق، فإنها ترميها بعيداً عندما تفقد شذاها الخاص. لذلك، مع أنها امتلكت تصوراً وخيالاً عن هذا المتمرد، فإنه سرعان ما يخبو ويُنسى. بالنسبة إليّ، إن في قبضتي أشدّ عصاة إنجلترا، فهل سوف أرخي يدي وأدعه ينسلّ من بين أصابعي؟ على هذا النحو -جلالتك- كنتُ سأقول لنفسي، لو كنتُ ملك إنجلترا.

وهكذا تكلم المطران، وقد أصغى الملك بأذنه لمشورته الشريرة، حتى -بعد مرور وقت- التفت إلى السير روبرت لي، وأمره بإرسال ستة من أبطال الحرس للقبض على روبن هود والثلاثة الذين معه وأخذهم أسرى. والآن، كان السير روبرت لي فارساً مهذباً وحصيفاً، وشعر بالأسى في أعماق قلبه أن يرى الملك يخلف وعده! وبغض النظر عن ذلك، لم يقل شيئاً، لما رآه من مقدار المرارة من وضع الملك تجاه روبن هود، لكنه لم يرسل حرس الملك فوراً، بل ذهب أول الأمر إلى الملكة، وأخبرها بكل ما جرى، وطلب منها أن ترسل رسالة إلى روبن عن الخطر المحدق به. وما فعل هذا لصالح روبن هود، ولكن ليحفظ ماء وجه سيده إذا استطاع. وكان -بعد مرور وقت- أن ذهب فرسان الحرس إلى ميدان الرماية، ولم يجدوا روبن والآخريين، وهكذا لم ينالوا كينغاً في السوق الخيرية!

كان وقت ما بعد الظهيرة موشكاً على الانقضاء، عندما شرع روبن هود، والصغير جون، وويل، وآلن، بالتوجّه على طريق مستقرّهم، يسيرون وئيداً بمرح خلال النور الأصفر المائل، الذي

سرعان ما تحوّل إلى الحمرة عندما هبطت الشمس غارقة في السماوات. استطالت الظلال، وأخيراً امتزجت في اللون الرمادي للغسق الشفيف. امتدّ الطريق العام الترابي كله في

بياض بين سياجين شجريين معتمين، وعلى طوله سار أربعة رجال مثل أربعة ظلال، وكان إيقاع أقدامهم يصدر رنينًا عاليًا، وأصواتهم -وهم يتحدثون- ترنّ بجرسها على سكون الجو. أما القمر المستدير العظيم فقد كان يعوم طافيًا بسكون عاليًا في السماء الشرقية، ذلك عندما شاهدوا أمامهم أضواء تلتمع من مدينة بارنيت، على مسافة عشرة أو اثني عشر من الأميال عن لندن. نزلوا فيها وساروا على الشوارع الحجرية، واجتازوا بالبيوت الدافئة المريحة وفوقها الأفاريز المعلقة، وأمام الأبواب جلس المواطنون والحرفيون في نور القمر البراق، وعوائلهم من حولهم، وأخيرًا وصلوا -في الجانب الآخر من القرية الصغيرة- إلى عند نزل صغير، مظلل كله بالورود ونباتات صريمة الجدي المتسلق. توقف روبن هود أمام هذا النزل، إذ سرّه هذا المكان بشكل جيد، وقال:

- ها هنا إقامتنا وراحتنا لهذه الليلة، فنحن على بعدٍ جيد من مدينة لندن وغضب ملكنا! وأكثر من هذا -إذا لم أكن مخطئًا- فإننا سوف نجد طعامًا لذيذًا هنالك. ما قولكم يا فتيان؟

قال الصغير جون:

- في الحقيقة أيها الزعيم الطيب، إن أمرك وفعلي متطابقان دائمًا مثل الكيكة والجمعة! أقول أيضًا: دعونا ندخل!

ثم تكلم ويل سكارلت:

- أنا دائمًا مستعدٌ لفعل ما تقول، يا خال، لكنني تمنيتُ أننا نكون أبعد في طريق رحلتنا قبل أن نرتاح هذه الليلة. ومع ذلك لا يهم، إذا اعتقدتَ الأفضل، فأقول أيضًا: دعنا ندخل من أجل هذه الليلة.

وهكذا دخلوا ونادوا من أجل الأجود الذي يقدمه المكان، ثم وُضعت مائدة طيبة وعامرة أمامهم، مع زجاجتين قويّتين من نبيذ الساك القديم لتجعل ابتلاع الطعام سائغًا. وقد قدّمت هذه الأشياء فتاة ممتلئة وعامرة الصدر لن تجد لها مثيلًا في كل المكان، ولذلك أخذ

الصغير جون -الذي طالما راقب أية فتاة جميلة، حتى لو كان اللحم والشراب إلى جانبه- جعل ذراعيه على وركيه، وتثبيت عينيه نحوها، وهو يغمز بلطف كلما رآها تنظر باتجاهه! ثم كان عليكم أن تروا كيف أن الفتاة ثرثرت وضحكت! وكيف نظرت نحو الصغير جون من زاويتي عينيها، وغمازة تنبثق من كل خد، إذ لطالما كان للرجل أسلوب للكلام مع جماعة النساء عامة.

وعلى هذا النحو انقضى وقت المائدة ببهجة وطرافة، ولم يشهد ذلك النزل قط مستطعمين مثل أولئك الرجال الأربعة الأشداء، ولكن عند النهاية كانوا قد اتمّوا تناولهم، رغم ما بدا من أنهم لم ينتهوا من ذلك أبدًا، وقد لبثوا يتعاطون النبيذ بكسل وعبث. وبينما هم في جلسوهم ذاك، دخل مالك المكان فجأة، وقال إن هنالك أحدًا ما عند الباب: نبيل متدرب شاب هو ريتشارد بارتنغتون من حاشية الملكة، ويرغب برؤية الفتى ذي الزرقة، ويتكلم معه بلا تأخير. فنهض روبن بسرعة -وقد أمر المالك بأن لا يتبعه- تاركًا الآخرين محملقين واحدًا إلى الآخر! ومتسائلين عمّا قد يحدث! وعندما خرج روبن من النزل، وجد الشاب ريتشارد بارتنغتون يجلس على صهوة حصانه مغمورًا بنور القمر الأبيض، منتظرًا قدومه. قال روبن:

- ماذا تحمل من أخبار أيها السير الوصيف؟ أنا أثق أنها ليست ذات طبيعة سيئة.

- ها! في ما يخص ذلك، فإنها سيئة بما يكفي! لقد أوغر ذلك النذل مطران هيريفورد صدر الملك بمرارة ضدك! ولكنه لم يعثر عليك هناك، لقد جمع رجاله المسلحين، ألقا منهم أو يزيد، وهو يرسلهم على عجل على طول هذا الطريق بالذات نحو شيروود، فإما أن يمسكوا بك على الدرب أو يمنعوك من الرجوع إلى أراضي الغابات مرة أخرى. لقد منح مطران هيريفورد تفويض قيادة كل هؤلاء الرجال عامة، وأنت تدري ما تتوقع من مطران هيريفورد: اعتراف موجز وحبل طويل![\(123\)](#) وهنالك فرقتان من الخيالة على الطريق من قبل، ليسوا بعيدين عني كثيرًا، لذا يكون من الأفضل لك أن تغادر هذا المكان من فورك،

فإنك -إذا تلكأت لوقت أطول - فمن المحتمل أنك ستنام هذه الليلة في زنازة قبو باردا!
هذه هي الكلمة التي أمرتني الملكة بإيصالها إليك.

- والآن يا ريتشارد بارتنتون، إنها المرة الثانية التي تنقذ فيها حياتي، وإذا توفرت الفرصة المناسبة فإنني سوف أريك أن روبن هود لا ينسى هذه الأمور أبدًا. أما ذلك مطران هيريفورد، فإنني إذا أمسكته قرب شيروود مرة أخرى، فيبدو أن الأمور ستكون سيئة عليه! لعلك تنبئ الملكة الطيبة أنني سوف أنصرف عن هذا المكان بلا تأخير، وسوف أجعل المالك يعتقد أننا متجهون نحو سينت ألبانز، لكننا عندما نكون على الطريق العام من جديد، فإنني سوف أمضي على مسار خلال الريف وأرسل رجالي على الطريق الآخر، فإذا وقع أحدهم في يديّ الملك فإن الآخرين قد يفرّون بمكر ومراوغة. سوف نسير على دروب مختلفة ملتوية، وآمل



بذلك أن نصل إلى شيروود بسلام وأمان. والآن يا أيها السير الوصيف الوداع لك.

- الوداع أيها اليومن المقدام، وأرجو لك أن تصل إلى مخبئك بأمان.

تصافحا، وأدار الفتى رأس حصانه، ومضى عائداً باتجاه لندن، بينما دخل روبن النزل من جديد. وجد هناك رفاقه جالسين في سكون، ينتظرون مجيئه، وكذلك المالك كان هناك، إذ

أصابه الفضول فأراد معرفة ما كان على السيد بارتنتغتون أن يفعله مع الرجل ذي الرزقة.
قال روبن:

- هيا انهضوا يا رجالي الظرفاء! ليس هذا المكان لنا، لأن أولئك على أثرنا ولن تكون لنا إلا فرصة ضعيفة في أن لا نقع بين أيديهم. لذلك، سوف نمضي متقدّمين مرة أخرى، ولا نتوقف خلال هذه الليلة حتى نصل إلى سينت ألبانز.

وحينئذٍ أخرج جرابه، ودفع إلى المالك حسابه، وهكذا غادروا النزل. عندما وصلوا إلى الطريق العام خارج المدينة، توقف روبن وأخبرهم بكل ما حصل بينه وبين الشاب بارتنتغتون، وكيف أن رجال الملك يتبعونهم على أعقاب ساخنة (124). ثم أخبرهم بأنهم من هنا يجب أن يفترقوا، هم ثلاثتهم يتخذون جهة الشرق أما هو فيتجه غربًا، وعلى هذا النحو -بمحاذاة الطرق العامة الرئيسة - لعلهم يصلون بمسارات مختلفة منحرفة إلى شيروود. قال:

- وهكذا كونوا حذرين ماكرين، وابقوا بعيدين عن الطرق باتجاه الشمال، حتى تكونوا على جهة الشرق بأفضل ما يمكن. أما أنت يا ويل سكارلت، فلتقد الجماعة، فأنت تمتلك أساليب الدهاء في أفكارك.

ثم قبل روبن الثلاثة على خدودهم، وهم قبلوه أيضًا، وهكذا انقسمت المجموعة. ولم يمض وقت طويل على ذلك، حتى وصل عشرون أو أكثر من رجال الملك، وهم في جلبتهم وقعقتهم عند باب النزل في مدينة بارنيت، وهنا ترجلوا عن خيولهم وأسرعوا بالإحاطة بالمكان، أما قائد الفصيل وأربعة معه فقد ولجوا إلى الغرفة التي كان فيها اليومنون، ولكنهم وجدوا أن طيورهم قد حلقت مرة أخرى! وها هو الملك يخيب في مسعاه ثانية! قال المضيف عندما عرف عمّن كان يبحث الرجال المسلحون:

- أرى أنهم كانوا رجالًا أشرارًا خبثاء! لكنني سمعتُ ذلك المحتال ذا الرداء الأزرق، يقول إنهم يودّون المضي مباشرة نحو سينت ألبانز، لذلك أسرعوا بالتقدّم! ولعلكم تحظون

بفرصة للإمساك بهم على الطريق العام بين هذا المكان وذاك.

وعلى هذه الأنباء شكر أمر المجموعة المضيّف من أعماق قلبه، ونادى على رفاقه للتجمّع، وامتطى سهوة حصانه وانطلقوا خببًا متقدمين نحو سينت ألبانز بمثل مطاردة إوزة بريّة! (125) بعد أن غادر الصغير جون وويل سكارلت وآلن أديل الطريق العام قرب بارنيت، ارتحلوا باتجاه الشرق بلا توقف، ما دامت أرجلهم قادرة على حملهم، حتى وصلوا إلى جيلمسفورد في أسيكس. ومن ذلك المكان انعطفوا نحو الشمال، وجاؤوا عبر كامبرج ومقاطعة لينكولن، لمدينة غينزبورو الطيبة، ثم -وقد ضربوا في الأرض نحو الغرب والجنوب - جاؤوا في الأخير عند الحدود الشمالية من غابة شيروود، وخلال ذلك الوقت كله لم يلاقوا ولو فصيلًا من رجال الملك. لقد ساروا لمدة ثمانية أيام على هذا النحو، قبل أن يصلوا إلى أراضي الغابات بسلام، لكنهم حين وصلوا إلى المساحة المفتوحة من الغابة الخضراء علموا أن روبن هود لم يعد بعد! إذ أن روبن لم يكن محظوظًا بالعودة كرجاله، كما سوف تسمعون الآن:

بعد مغادرته الطريق الشمالي الكبير، وجّه وجهه نحو الغرب، وبهذا اجتاز ايلزبري إلى وودستوك الجميلة في مقاطعة أوكسفورد، ومن هناك استدارت خطواته باتجاه الشمال، مسافرًا على مسافة عظيمة جانب مدينة ورويك، حتى وصل إلى دودلي في مقاطعة ستافورد، وتطلّب منه هذا المسير البعيد سبعة أيام، ومن ثم ظن أنه بذلك قد ابتعد بما يكفي نحو الشمال، لذلك -وقد انعطف نحو الجهة الشرقية، متحاشيًا الطرق الرئيسية، ومختارًا الدروب الجانبية والمجازات المعشبة- مضى إلى جانب ليجفيلد وأشبي دي لا زوش، باتجاه شيروود، حتى وصل إلى مكان يدعى ستانتون. وهنا بدأ قلب روبن بالضحك البهيج عاليًا، إذ اعتقد أن الخطر قد زال عنه، وأن منخريه سرعان ما يشمّ الهواء اللاذع من أراضي الغابات مرة أخرى، ولكن هنالك هفوات عدة بين الكوب والشفة! وكان هذا ما سيجده روبن، وهو على النحو الآتي:

عندما رأى رجال الملك أنفسهم قد فشلت جهودهم عند سينت ألبانز، وبذلك فإن روبن ورجاله لا يمكن العثور عليهم في علو أو انخفاض، ما عادوا يعرفون التصرف المناسب! وفي هذا الوقت وصلت فرقة أخرى من الخيالة، وأخرى... حتى اكتظت الشوارع المغمورة بنور القمر بالرجال المسلحين! بين منتصف الليلة والفجر وصلت فرقة أخرى إلى المدينة، ومعها جاء مطران هيريفورد، وعندما سمع أن روبن هود قد فرّ مجدداً من الفخ لم يلبث دقيقة، بل -وقد جمع الكتائب معاً- دفع بهم إلى الأمام نحو الشمال بسرعة، مخلّفاً الأوامر لكلّ المسلحين الذين يصلون إلى سينت ألبانز، بأن يتبعوه من دون توانٍ. وفي مساء اليوم الرابع وصل إلى مدينة نوتنغهام، ومن هنالك مباشرة قسّم رجاله إلى حُزائر من ستة أو سبعة، وأرسلهم ينتشرون في كل الريف، يسدّون كل طريق عام وفرعي نحو شرق شيروود وجنوبها وغربها.

أما عمدة نوتنغهام، فقد نادى لجمع كل رجاله بطريقة مماثلة، وانضمّ إلى المطران، لأنه رأى أن الأمر أفضل فرصة وقعت له على الإطلاق، ليثأر ثأراً تاماً من روبن هود ويجعله يدفع الثمن! أما الوقت الفارق بين وصول ويل سكارلت، والصغير جون، وآلن أديل، فقد كان قليلاً جدّاً عن وصول رجال الملك إلى الناحية الشرقية! إذ بعد اليوم نفسه الذي اجتازوا فيه الطريق ودخلوا إلى شيروود، تم إغلاق تلك الطرق التي مضوا عليها! لذلك، لو أنهم تأخروا في مسيرهم، لوقعوا بكل تأكيد في قبضة المطران!

ولكن لم يكن روبن يعلم عن هذا كله مقدار ذرّة! إذ كان يسير بتسكّع وهو يصفر بمرح على امتداد الطريق وراء ستانتون، وكان قلبه خالٍ من أي همٍّ مثل صفار بيضة خلال شبكة. وأخيراً وصل إلى حيث ينبسط جدول صغير عبر الطريق في حالة ضحلة، وكان حصاه الذهبي ذا رنين والتماع وهو يُثار في قاعه. هنا انحنى روبن وقد كان عطشاناً، فثنى ركبتيه وجعل من راحتيه كوباً وشرع ينهل. كانت تنتصب على جانبي الطريق ولمسافة طويلة، أجسام منتشرة من الأدغال والأشجار الفتية، ولقد سرّ قلب روبن أن يسمع الطيور الصغيرة تغّي في الأرجاء، فقد جعلته يفكر في شيروود، وبدا له كأن عمراً طويلاً قد انقضى منذ أن شمّ هواء أرض الغابات آخر مرة! ولكن على حين غرة! وبينما كان منحنياً

هكذا ليشرّب، صفر صوت هسيس من شيء مارَّ عند أذنه! وضرب داخل الحصى والماء إلى جانبه بصوت! فوثب روبن مثل طرفة العين، وبقفزة واحدة عبر الجدول وجانب الطريق، واقتحم الأجمة باندفاع من دون أن يرى ما حوله، إذ أدرك جيدًا أن ذلك الذي صفر قاتلاً أشدَّ القتل بجانب أذنه كان سهم إوزة رمادية، وأن أي تأخير للحظة واحدة كان يعني الموت المحقق!

وحتى عند وثوبه نحو الأجمة، فإن ستة سهام أخر قد أزلت بين الأغصان ورائه! وواحد منها قد ثقب صديريته، وكان لينغرس عميقًا في جنبه، ولكن منعه الكساء الثخين من الحديد الذي كان يرتديه. ثم أتى على الطريق بعض من رجال الملك راكبين وهم مندفعون بسرعة شديدة! وترجلوا عن الصهوات، وانغمسوا مباشرة في الأجمات خلف روبن! ولكنه كان يعرف الأرض ويميّزها أفضل منهم، لذا فإنه زحف هنا، وانحنى هناك، ولوقت قصير ركض عبر مساحة مفتوحة ما، وسرعان ما خلفهم ورائه بمسافة بعيدة، وأتى أخيرًا عند مسار آخر، يبعد ثماني مئة خطوة تقريبًا عن ذلك الطريق الذي تركه. وها هنا، وقف للحظة مصغيًا إلى الصيحات البعيدة من الرجال السبعة، وهم يتخبّطون صعودًا ونزولًا في الأجمات مثل كلاب صيد فقدت رائحة الطريدة! ثم -وقد أحكم شدَّ حزامه بقوة حول خصره- ركض باندفاع على الطريق باتجاه الشرق وشيروود.

لكنه لم يمض أكثر من ثلاثة فورلونغات (126) على ذلك الاتجاه، حتى وصل فجأة إلى عند حافة تل، ورأى أسفله فرقة أخرى من رجال الملك، جالسين في الظل على امتداد جانب الطريق في الوادي تحته. ولم يتوقف للحظة، بل -وقد أدرك أنهم لم ينتبهوا إليه - استدار وعاد من حيث أتى، وهو يعلم أن استغلال فرصة الفرار من أولئك الرجال، الذين ما يزالون في الأجمات، أفضل من الاندفاع بين أيدي أولئك الذين في الوادي. فتراجع راکصًا بأقصى سرعة، واجتاز الأجمات بأمان، عندما تقدم الرجال السبعة في الطريق المفتوح، وأطلقوا صيحة عظيمة عندما رأوه! مثل التي يطلقها الصياد عندما يخترق الظبي الغطاء، ولكن روبن كان بعيدًا عنهم بمسافة ربع ميل أو يزيد، ينهب الأرض بركضه نهبًا مثل كلب سلوقي رمادي!

ولم يخفّف من خطوه، بل ركض على طول المسار ميلاً بعد ميل، حتى وصل قرب ماكورث، وراء نهر ديروينت، قريباً من مدينة ديربي. وهنا -إذ رأى أنه كان بعيداً عن الخطر الحالي- قلّل من سرعة جريه، وجلس أخيراً أسفل سياج شجري، حيث كان ينمو العشب الأطول ويتوقّر الظل اللطيف، وهناك لبث لينال راحة ويلتقط أنفاسه. قال لنفسه: بحقّ روعي يا روبن! لقد كان الخطأ الأكثر فداحة الذي قمثُ به في كل حياتي. أنا فعلاً أقول بجديّة تامة: إن ريشة ذلك السهم الشرير قد داعبت أذني وهي تؤرّق قربها. لقد دفعني هذا الركض لأكون في أعظم شهية وتوق للمأكولات والشراب. والآن، أنا أصلي للقديس دونستان، أن يرسل إليّ على وجه السرعة بعض اللحم والجمعة.

وبدا كأن القديس دونستان يميل إلى الاستجابة لدعائه، إذ على امتداد الطريق جاء إسكاف معيّن يتهادى في مشيه، وهو الفرد كوينز من ديربي، وهو من كان عليه أن يأخذ زوجاً من الأحذية إلى مزارع قرب كيرك لانغلي، والآن، ها هو يرجع إلى المنزل من جديد، ومعه ديك مسنّن مسلوق لذيذ في جرابه، وزجاجة من الجمعة اللاذعة إلى جانبه، تلك التي أعطاهها له المزارع نفسه عن الاستمتاع بمثل هذا الزوج من الحذاء القوي. كان كوينز الطيب رجلاً شريفاً، ولكن عقله كان من النوع البليد إلى حدّ ما، مثل عجينة غير مخبوزة! لذا، فإن الأمر الوحيد الذي كان في عقله: ثلاثة شلنات ستة بنسات تكون مبلغاً مقابل حذائك، أيها الطيب كوينز... ثلاثة شلنات ستة بنسات تكون مبلغاً مقابل حذائك. وهذا كان يرتحل ويدور ويدور داخل رأسه من دون فكرة أخرى تلج في ذهنه، كأن حبة بازلاء تدور داخل قدر الكوارت الفارغ(127). قال روبن من أدنى السياج الشجري عندما اقترب الآخر منه بما يكفي:

- هالو! أيها الصديق الطيب، إلى أين تمضي بمرح في هذا النهار؟

وعند سماعه دعوته بذلك توقّف الإسكاف! وبرؤيته غريباً يرتدي الرداء الأزرق بشكل حسن، تكلم معه بكلام حكيم ملائم ومتسق:

- تحيةً طيبة، أيها السير الجميل، وأودّ القول إنني قادم من كيرك لانغلي، حيث بعثُ حذائي، وحصلتُ على ثلاثة شلنات ستة بنسات ثمناً له، مبلغ لطيف كما لم تره قط، مكتسب

بعرق الجبين أيضًا، أودّ أن تعرف ذلك. ولعلّني أكون وقحًا أيها الرفيق الجميل، فماذا تفعل هناك أسفل السياج الشجري؟

- ها! أنا أجلس تحت السياج هنا أسقط الملح على ذيول الطيور الذهبيات، ولكن في الواقع أنت أول فرخ من أي شكل أراه في هذا اليوم المبارك.

عند سماع هذه الكلمات انفتحت عيننا الإسكاف بشكل كبير متسع! وفغر فمه بالعجب! مثل تجويف العقدة الشجرية في لوح سياج! وقال:

- وا أسفاه! انظر أنت الآن! أنا لم أر قط تلك الطيور الذهبيات بالذات، وهل تعتقد بالفعل أنك تجدها في هذه الأسيجة أيها الرجل الطيب؟ أتضرع إليك! أخبرني، هل هناك كثير منها؟ يسرّني أن أجدها لنفسني.

- نعم، بالفعل! إنها كثيرة محتشدة هنا مثل سمك الرنجة المملح في كانوك جيس.

قال الإسكاف وهو غارق في العجب:

- انظر أنت الآن، تعتقد في الحقيقة أنك تمسك بها بإسقاط الملح على ذيولها الجميلة؟

- أجل، ولكن هذا الملح من النوع العجيب، دعني أخبرك: إنه لا يمكن الحصول عليه إلا بغلي ربع غالون من نور القمر في وعاء خشبي، وحينذاك لا يحصل المرء إلا على مقدار رشّة! ولكن أخبرني الآن أيها الرجل العاقل: ماذا لديك في ذلك الجراب على جانبك وفي تلك القربة؟

وعند هذا نظر الإسكاف إلى الأسفل، إلى تلك الأشياء التي تكلم عليها روبن الظريف، إذ أن أفكار الطير الذهبي قد أزالته عن ذهنه، وقد تطلّب بعض الوقت لتنشيط ذاكرة استعادتها، وقال أخيرًا:

- ها! في واحدٍ منها جعة آذار الطيبة، وفي الآخر لحم ديك سمين. بالفعل، إن كوينز الإسكاف سوف يحظى بوليمة لذيذة هذا النهار ولا شك في ذلك.

- ولكن أخبرني يا كوينز الطيب: هل في ذهنك أن تبيع لي تلك الأشياء؟ فإن الكلام عليها له وقعٌ لطيف في أذنيّ، سوف أمنحك هذه الثياب الزرق الفاخرة التي على جسدي بل ومعها عشرة شلنات، مقابل ملابسك ومئزرك الجلدي وجعتك ولحم الديك. فما قولك أيها الولد القوي؟

- كلا! أنت تمازحني بكل تأكيد! لأن ملابسني رثة ومرقعة، أما ملابسك فهي أشياء حسنة وجميلة جدًا.

- أنا لا أمزح في هذا الشأن أبدًا. هيا، اخلع سترتك وسوف أريك، لأنني أقول لك إنني أحب ملابسك جيدًا. وأكثر من هذا، سوف أكون كريمًا وعطوفًا معك، لأنني سأتناول الأشياء الطيبة التي معك، وأنت سوف تُدعى للطعام.

وعندئذ شرع بخلع صديريته، أما الإسكاف -وقد رآه في جدية كبيرة- فقد بدأ أيضًا بنزع ملابسه، إذ قد أبهج عينيه ملبسٌ روبن هود! وهكذا ارتدى كل واحد ملابس رفيقه، وأعطى روبن إلى الإسكاف النزيه عشرة شلنات جديدة برّاقة، وقال روبن الضريف:

- لقد كنتُ خلال حياتي سابقًا في أدوار عديدة، ولكنني لم أكن إسكافًا طيبًا قط. تعال يا صديق، دعنا نجلس ونأكل، فهناك شيء في داخلي يفرقر بصوت عالٍ من أجل ذلك الديك السمين اللذيذ.

جلسا كلاهما وبدأ بتناول الوليمة بنهم كبير، وعندما أنهيا وجبتهما كانت عظام الديك عارية كأنها مأكولة للصدقة، ثم مدّ روبن ساقيه إذ انتابه شعور بالراحة اللطيفة، وقال:

- بحقّ صفة صوتك المميزة يا كوينز الطيب، أنا أدري أن لديك أغنية جميلة أو أغنيتين تجريان بحرية في رأسك مثل مهور على المرج. أتوسّل إليك: أخرج واحدة منهما إليّ.

- لديّ أغنية أو اثنتان، أشياء بائسة، أشياء فقيرة، ولكن أنت ترحب بواحدة منها مثلما هي.

وهكذا -بعد أن رطب حنجرتَه بشربة جعة- غنى:

من كل السعادات، أفضل ما أحب

أغني مرحبًا يا نانتي الراقصة، أوه

وذلك أكثر ما يجعل روحي تتحرك

إنه الوعاء المصلل، أوه!

كل المباهج الأخرى أرميها وأتخلص منها

أغني مرحبًا يا نانتي الراقصة، أوه

لكن هذا...

لم يمض الإسكاف في أغنيته أكثر من ذلك! إذ انبثق فجأة ستة من الخيالة عليهما حيث يجلسان، وقبضوا على الحرفي البريء، وجذبه على قدميه، وكادوا ينتفون ملابسه عنه وهم يفعلون ذلك! صاح قائد الفرقة بصوت فرح عظيم:

- ها! ألم نقبض عليك في النهاية أيها النذل ذو الرداء الأزرق؟ والآن ليتبارك اسم القديس هوبرت، فنحن الآن في هذه الدقيقة أغنى بثمانين باوندًا مما كنا عليه في السابق، فلقد وعد مطران هيريفورد الطيب بذلك المبلغ إلى الفرقة التي سوف تحضرك إليه. هوو! أيها الوغد الماكر! أنت تبدو بريئًا جدًّا في الحقيقة! نحن نعرفك أيها الثعلب العجوز، ولكن سر معنا لنتف ريشك فورًا!

بسماعه هذا الكلام، أخذ الإسكاف يحدّق إلى ما حوله بعينيه الزرقاوين الواسعتين المدوّرتين مثل عيني سمكة ميتة! بينما فغر فمه وكأنه ابتلع كلماته وأضاع قدرته على الخطاب! كذلك روبن فتح فمه وحدّق بطريقة متسائلة، كما كان الإسكاف ليفعل لو كان في مكانه:

- يا للأسى عليّ! لا أدري أأجلس هنا أم في الأرض الحرام! ماذا تعني كل هذه الضجة في القدر، أيها السادة الطيبون؟ بكل تأكيد هذا رجل لطيف وبريء.

فقال أحد الرجال:

- تقول: رجل بريء! أيها المهرج؟ ها! أقول لك إن هذا هو الوغد الحقير نفسه الذي يدعوه الرجال: روبن هود.

عند سماع هذا الكلام حدّق الإسكاف واتسع فم دهشته أكثر! إذ كان هناك مثل عملية درس حنطة للأفكار يجري داخل رأسه المسكين، ما جعل حواسّه وبصيرته مشوّشة بالغبار والقشور من ذلك! وأكثر من هذا، عندما نظر إلى روبن هود، ورأى اليومن يشبه ما كان هو عليه أن يكون، بدأ يشكّ ويفكر أنه ربما كان المتمرد العظيم في الحقيقة! قال بصوت بطيء متسائل:

- هل أكون في الحقيقة ذلك الرجل؟ الآن لدي تصور... ولكن كلا! يا كوينز، أنت مخطئ! كلا! بالفعل لا بد من أنني روبن هود! ولكن حقًا، لم أفكر قط بالتحول من حرفي بسيط إلى مثل هذا اليومن العظيم.

قال روبن هود:

- يا للأسف! انظروا هناك الآن! انظروا كيف أن سوء معاملتكم قد خثرت قوى هذا الفتى البائس، وحوّلتها كلها إلى حامضة! أنا نفسي، أنا كوينز إسكاف مدينة ديربي.

قال كوينز:

- الأمر كذلك؟ إذن بالفعل أنني شخص آخر، ولا أكون أحدًا آخر غير روبن هود. خذوني يا رجال، ولكن دعوني أخبركم: إنكم قد وضعتكم يديكم على أقوى اليومين الذين ساروا في أراضي الغابات بالمطلق.

قال قائد الفرقة:

- سوف تؤدي دور الرجل المجنون، أليس كذلك؟ هنا يا غيليز، أحضر حبلًا وقيّد يدي هذا النذل من خلفه. أرى أننا سوف نعيد إليه قواه العقلية من جديد، عندما نقدّمه أمام مطراننا الطيب في مدينة توتبري.

بذلك، أوثقوا ربط يدي الإسكاف، وقادوه بالحبل مثل مزارع يقود عجلًا اشتراه من السوق. وقف روبن ينظر وراءهم، وعندما مضوا مبتعدين ضحك حتى جرت الدموع على خديه، إذ أيقن أن لا أذى سيقع على الرجل البريء، وأخذ يصوّر لنفسه وجه المطران عندما يمثل كوينز الطيب أمامه بعدة روبن هود! ثم -وقد أدار خطواته باتجاه الجهة الشرقية من جديد- خطا برجله اليمنى أولاً نحو مقاطعة نوتنغهام وغابة شيروود.

لكن كان روبن قد مضى أكثر مما ظن، كانت رحلته من لندن شاقة وطويلة، وخلال سبع ليالٍ كان قد سافر لمسافة مئة وأربعين ميلاً ويزيد. رأى الآن أنه سوف يسافر من دون توقف حتى الوصول إلى شيروود، ولكن قبل أن يقطع عشرة أميال، شعر بقواه تضعف من تحته مثل ضفة نهر تتآكل بفعل المياه! جلس وأراح نفسه، ولكنه أدرك في داخله أنه لا يستطيع قطع المزيد في ذلك اليوم، إذ شعر وكأن ساقيه قطعتان من الرصاص! فقد كانتا مثقلتين جدًّا من الإرهاق. نهض من جديد وتقدّم، ولكن بعد مسيره ميلين اثنين، كان سعيدًا بأن يتوقف عن الأمر، وهناك وجد نزلًا، فدخل ونادى على المالك، وطلب منه أن يزوّده بغرفة، مع أن الشمس كانت قد هبطت للتو في السماء الغربية. لم تكن في المكان إلا ثلاث غرف نوم، قاد المالك روبن هود إلى أكثرها بؤسًا ووضاعة، ولكن ما كان روبن ليهتمّ

إلا قليلاً لمظاهر المكان، فلقد كان مستعداً للنوم في تلك الليلة حتى لو على فراش من صخور مكسرة! وهكذا -بعد أن نزع ملابسه بلا مزيد من الأفعال- اندس في الفراش وغط في النوم تقريباً قبل أن يلامس رأسه الوسادة!

لم ينقض وقت طويل بعد أن استراح روبن، حتى بزغت سحابة سوداء عظيمة فوق التلال باتجاه الغرب، عاليًا فعليًا ارتفعت حتى تكدّست في الليل مثل جبل من الظلام، ومن حولها في الأسفل أتى بين الحين والآخر وميض أحمر ثقيل، والآن تُسمع معه دممة مكفهرة قصيرة من الرعد. ثم قدم أربعة مواطنين أشداء من مدينة نوتنغهام، إذ كان هذا هو النزل الوحيد في ضمن مسافة خمسة أميال، ولم يبالوا بالوقوع في شرك مثل هذه العاصفة الرعدية الآتية عليهم! تركوا أحصنتهم عند سائس الإسطبل، ثم دخلوا إلى أفضل غرفة في النزل، حيث القصب الأخضر الجديد ممدود ومنتشر على الأرضية، وهناك طلبوا أفضل المآكل التي يقدمها المكان. بعد تناول وجبتهم بنهم أرادوا من المالك أن يقودهم إلى غرفهم، إذ كانوا مرهقين، وقد ركبوا كل الطريق من درونفيلد ذلك النهار. مضوا إلى موضعهم متذمّرين من النوم مثنى في السرير، ولكن مشكلاتهم في هذا الشأن -كحال الأخريات- سرعان ما تلاشت في سكون النوم!

والآن، وصلت أولى هبّات الريح مندفعة مارةً بالمكان، تضرب وتصفق الأبواب والمصاريع، حاملة رائحة المطر الآتي، وكلها ملفوفة بسحابة من الغبار والأوراق، وكأن الرياح قد جلبت ضيفًا معها، فقد انفتح الباب فجأة ودخل راهب من دير إيميت، وواحد من المراتب العليا، بنحو ما كان يظهر من نعومة أرديته وحريريتها ومن مسبحته الفاخرة. نادى على المالك، وطلب منه في المقام الأول أن يطعم بغله جيدًا ويريحه في الإسطبل. ثم ليحضر له أفضل ما يوجد في المسكن. وبعد وقت قصير، قدّم أمامه مرق لذيذ من لحم الكرشة والبصل، مع قطع الزلابية الحلوة الصغيرة قليلة الدهن، كذلك زجاجة من نبيذ المالمزي الفاخر، ومن فوره انقضّ الراهب المقدس على ذلك بجرأة وحماس عظيمين! وبذلك في وقت قصير لم يبق شيء إلا بُريكة صغيرة من المرق في مركز الماعون، صغيرة بحجمها بما لا يكفي لأن تُديم الحياة في فأر يقاسي غائلة الجوع!

في ذلك الوقت ضربت العاصفة! واندفعت هبة ريح أخرى، ومعها تساقطت بضع قطرات مطر ثقيلة، صارت بعد وقت قليل وابلًا غزيرًا يضرب على النوافذ مثل مئات الأيدي! وقد أضاءت ومضات من البرق كل قطرة مطر، ومعها اندلعت فرقعات الرعد التي مضت في صخب وضجيج، وكأن القديس سوايثن كان منشغلًا بدحرجة براميل ماء خشبية كبيرة على أرضية خشنة في السماء! صرخت النسوة، أما المهزجون المرحون في حجرة الشرب، فقد وضعوا أذرعهم حول خصورهن للتهديئة والتسكين.

أخيرًا، طلب الراهب المقدس من المالك أن يرشده إلى غرفته، ولكنه حين سمع أنه على وشك أن يشارك الفراش مع إسكافٍ، كان الرجل الأكثر جزعًا الذي يمكن أن تعثر عليه في إنجلترا كلها! وبغض النظر عن هذا، لا شيء يمكن فعله أمام الأمر، ولا بد له من النوم هناك أو في لا مكان، لذلك تناول شمعته، ومضى مدمدمًا متذمرًا مثل هذا الرعد البعيد. عندما أتى إلى الغرفة التي كان سينام فيها، أمسك الضوء فوق روبن وتفحصه من قمة رأسه إلى قدميه، ثم شعر بسرور أكثر، إذ بدلًا من أن يرى رجلًا فظًا ذا لحية خشنة، شاهد رجلًا نظيفًا ناضرًا مثل من تجده في أسبوع من أيام الأحد (128).

لذلك خلع أرديته، وتكّوم في الفراش مصطنعًا مجالًا لنفسه حيث يقرر روبن ويشخر في نومه. كان نوم روبن أشد سكونًا - كما أرى - مما كان في أوقات يوم من الأيام، وإلا فما كان ليرتاح بهدوء كبير، مع واحد من نوع هذا الراهب قريبًا إلى جانبه. أما الراهب، فإنه لو كان يعرف من كان روبن هود، فلعلكم ستصدّقون بشكل كبير، أنه كان يفضل بأقرب وقت النوم مع أفعى سامة على الرجل الذي كان ضجيعه في الفراش. وهكذا انقضت الليلة بسلام وهدوء كافٍ.

ولكن عند الفجر الأول للنهار فتح روبن عينيه وأدار رأسه على الوسادة، فتعجّب فاغرا فمه ومحدقًا! إذ كان إلى جانبه شخص حليق تمامًا ومجزوز الشعر، وبذلك عرف أنه لا بد من أنه يكون رجلًا من سلك القداسة. قرص نفسه بقوة! ولكن إذ وجد نفسه يقظًا، فإنه جلس في الفراش، بينما كان الآخر غافيًا مطمئنًا، وكأنه كان آمنًا ومعافى في منزله في دير

إيميت. قال روبن لنفسه: والآن، أنا أعجب كيف وقع هذا الشيء في فراشي خلال الليل! وبعد قوله ذلك، نهض بلطف كي لا يوقظ الآخر، ونظر إلى ما حوله في الغرفة، ولمح ملابس الراهب ملقاة على مصطبة قرب الجدار. أولاً، نظر إلى الثياب ورأسه مائل إلى جانب، ثم نظر إلى الراهب وببطء غمزت عينٌ واحدة! قال: أيها الأخ الطيب، أو مهما يكون اسمك، بما أنك استعرت فراش نومي بحرية كبيرة، فإنني أيضاً سوف أستعير ملابسك في المقابل. بعد ذلك مباشرة ارتدى رداء الرجل المقدس، ولكنه بكرم منه ترك ملابس الإسكاف في مكانها.

ثم مضى في عذوبة الصباح، أما الرجل الذي كان ناشطاً في إدارة الإسطبل، فقد فتح عينيه وكأنه رأى فأراً أخضر أمامه! إذ أن الرجال مثل رهبان إيميت ما كانوا يرغبون أن يكونوا ممن ينهضون مبكرين، لكن الرجل ألجم أفكاره، واكتفى بسؤال روبن عن إحضار بغله من الإسطبل. قال روبن:

- أجل، يا ولدي.

رغم أنه لم يكن يعرف شيئاً عن البغل! وأضاف:

- واجلبه بسرعة! أرجوك، فأنا متأخر ويجب أن أمضي.

بعد وقت قليل أتى رجل الإسطبل بالبغل، فامتطاه روبن ومضى على طريقه مبتهجاً!

أما الراهب المقدس، فإنه عندما نهض كان في قلق وجزع مثل أي رجل بمثل وضعه في العالم كله، إذ اختفت أريدته الغنية الناعمة، وكذلك محفظته وفيها عشرة باوندات ذهبيات، ولم يُترك له شيء إلا ملابس مرقعة ومئزر جلدي! فاستشاط غضباً وسبّ مثل أي رجل من عامة الناس! ولكن عندما لم يفلح شتمه في إصلاح شيء، ولم يتمكن المالك من تقديم العون، وفوق هذا، كان مضطراً إلى الحضور عند دير إيميت، في ذلك الصباح المحدد من أجل بعض شؤون العمل، فإنه كان مجبراً إما على ارتداء ملابس الإسكاف وإما قطع الطريق

متجرّدًا! وهكذا ارتدى الملابس، وانطلق -وهو ما يزال في سورة الغضب والشتم، والوعيد بالانتقام من كل الإسكافين في مقاطعة ديربي- على دربه ماشيًا، ولكن مصاعبه لم تنته بعد! فلم يمشِ إلا قليلاً حتى وقع بين أيدي رجال الملك! الذين ساروا به راغبًا أو ناقمًا نحو مدينة توتبري ومطران هيريفورد. ولقد أقسم -وبلا جدوى- أنه كان من رجال القداسة، وأظهر لهم رأسه الحليق، وأنه يجب أن يُخلى سبيله، فهو يود فعل أي أمر مطلقًا إلا أن يكون شخصية من روبن هود.

في هذه الأثناء، ركب روبن السعيد على امتداد الطريق وهو في رضا تام! واجتاز بأمان فرقتين من رجال الملك، حتى بدأ قلبه يرقص طربًا بسبب الدنو من شيروود، وهكذا استمرّ بسفره نحو الشرق دائمًا، حتى التقى فجأة بفارس نبيل في مجاز ظليل! فأوقف روبن بغله بسرعة! ووثب عن ظهره، وصاح:

- والآن، يا لحسن اللقاء![\(129\)](#) أيها السير ريتشارد لي! فلا أودّ رؤية أي رجل في إنجلترا هذا النهار إلا وجهك الطيب!

ثم سرد له كل الوقائع التي حصلت له، وأنه لم يشعر بالأمان إلا أخيرًا، لكونه قريبًا جدًّا من شيروود من جديد. ولكن عندما أنهى روبن كلامه، هزّ السير ريتشارد رأسه بحزن! وقال:

- الآن، يا روبن أنت في خطر أعظم مما مررت به! فأمامك توجد فرق من رجال العمدة يسدّون كل الطرق، ولا يدعون أحدًا يمرّ على الدروب إلا بعد تفحصه من كتب. أنا نفسي متأكد من ذلك، فلقد مررت عندهم قبل قليل. رجال العمدة أمامك ورجال الملك وراءك! ولا يمكنك أن تأمل بالاجتياز بأية طريقة، إذ بحلول بعض الوقت سيعرفون بتنكرك، وسوف يكونون بانتظارك للقبض عليك! إن قلعتي وكل ما فيها مسخّر لك، ولكن لا فائدة من ذلك، فأنا لا أتوقّع أنها تصمد أمام قوة مثل الموجودة الآن في نوتنغهام من رجال الملك والعمدة.

بعد كلامه ذلك، أطرق السير ريتشارد رأسه مفكرًا، أما روبن فقد شعر بقلبه يغرق في جوفه! مثل ثعلب سمع وصول كلاب الصيد على أعقابه، وهو يجد وكره مغلقًا بالتراب، وبذلك ما

عاد له من مخبأ! وتكلم السير ريتشارد من جديد:

- يمكنك أن تفعل أمرًا واحدًا يا روبن، واحدًا فقط! عد إلى لندن واجعل نفسك تحت رحمة ملكتنا الطيبة إينور. تعال معي فورًا إلى قلعتي، وانزع هذه الملابس عنك وارتن مثل ما يلبس خدمي، ثم سأسرع نحو مدينة لندن مع رتل من الرجال خلفي، وسوف تختلط بهم، وهكذا سوف آتي بك إلى حيث قد ترى الملكة وتكلمها. أملك الوحيد بأن تصل إلى شيروود، فهناك لا يمكن لامرئ أن يصل إليك، ولن تصل إلى شيروود إلا بهذه الطريقة.

وهكذا، مضى روبن مع السير ريتشارد لي، وامتثل لأقواله، فلقد رأى أن نصيحة الفارس كانت مسار الحكمة وحسن التدبير، وأن تلك الطريقة كانت فرصته الوحيد للنجاة. كانت الملكة إينور تتمشى في حديقته الملكية، وسط الورود التي أزهرت بعذوبة، ومعها ست من وصيفاتها يثرثرن معًا بسرور ومرح. على حين غرة، ارتقى رجل على قمة السور من الجانب الآخر، ثم -وقد تعلق لوهلة- نزل بخفة على الحشائش في داخل الحديقة. زعقت كل الوصيفات من حضوره المفاجئ! لكن الرجل سعى نحو الملكة وجثا عند قدميها، وقد رأت أنه كان روبن هود، فصاحت:

- ها! كيف الآن! روبن! تجرؤ على المجيء إلى ما بين فكّي الأسد الغاضب؟ يا للأسف! أيها الرجل المسكين! حقًا أنت في ضياع إذا عثر عليك الملك هنا، ألا تعلم أنه يسعى وراءك في كل البلد؟

- أجل، سيدتي، أعلم ذلك جيدًا. إن الملك يبحث عني، ولذلك أتيت، إذ بكل تأكيد لن يقع سوء عليّ عندما تعهد بكلمته الملكية لجلالتك في ما يخص سلامتي. وفوق ذلك، أنا أعلم رأفتك وعطف قلبك، وهكذا أنا أضع حياتي بشكل مطلق بين يديك الكريمتين.

- أفهم مقصدك يا روبن هود، وأنت فعلاً تلقي باللائمة عليّ -كما قد تعلم- لأنني أدري أنني لم أقدم إليك بنحو ما وجب عليّ أن أفعل. أنا أدري أنك لا محالة قد كنت مأزومًا بشدة من الخطر المرّوع، وذلك ما جعلك تقفز فتدخل في تهلكة لتنجو من أخرى. مرةً أخرى، أعدك

بتقديم مساعدتي، وسوف أفعل ما بوسعي لأعيدك في أمان إلى غابة شيرود. ابقَ هنا حتى عودتي.

بعد ذلك تركت روبن في حديقة الورود، وغابت لوقت طويل... وعندما رجعت كان السير روبرت لي بصحبتها، وقد كانت وجنتا الملكة وعيناها محمّرة، وكأنها قضت وقتًا في كلام شديد وانفعال! ثم تقدّم السير روبرت إلى حيث وقف روبن هود، وتكلم مع اليومن بصوت بارد قاس:

- سمو ملكنا قد خفّف من سورة غضبه عليك أيها الرجل، وتعهّد مرةً أخرى بأنك سوف تغادر بأمان وسلامة. ولم يعد بذلك حسب، بل خلال ثلاثة أيام سوف يرسل واحدًا من تابعيه ليرافقك، ويضمن عدم قيام أي أحد بالتعرّض لرحلة عودتك مرةً أخرى. لعلك تشكر قديسك الراعي على أن لك صديقًا طيبًا يتمثّل في شخص ملكتنا السامية، إذ لولا مساعيها عبر الجدل وقدرتها الحججية لكنت الآن رجلاً هالكًا. أقول لك ذلك، دع هذه المحنة التي مررتَ بها تعلّمك درسين: الأول: أن تكون أكثر صدقًا والتزامًا ونزاهة، والثاني: أن لا تكون جريئًا متحديًا جدًّا في زهابك ورواحك. إن الرجل الذي يسير في الظلام كما تفعل ربما ينجح بالفرار لمدة، ولكن عند النهاية سوف يقع في الحفرة بكل تأكيد. لقد وضعت رأسك في فم أسد غاضب ولكنك نجوتَ بمعجزة، فلا تجرّب ذلك مرةً أخرى.

بعد قوله ذلك، استدار وانصرف عن روبن ومضى. أقام روبن لثلاثة أيام في لندن في بيت الملكة، وعند نهاية الأجل جاء رأس أتباع الملك إدوارد كوننغهام، وأخذ روبن معه وغادرا باتجاه الشمال على طريقه نحو شيرود. بين الحين والآخر كانوا يمرّون على مجموعات من رجال الملك وهي تعود إلى لندن، ولكن لا أحد من تلك الفرق استوقفهما، وهكذا في النهاية، وصلا إلى أراضي الغابات الفاتنة المورقة.

(123) (Short shrift and a long rope) يقصد منح المحكوم المدان مدة يسيرة

للاعتراف والكلام، ويتبع ذلك حكم بالشنق.

(124) بأسرع ما يمكن!

(125) (Wild goose chase) مطاردة يائسة بلا أمل.

(126) (Furlong) وحدة قياس تساوي ٢٠٠ متر تقريبًا.

(127) (Quart) وحدة قياس سعة السائل تعادل ١.١٣ لترًا.

(128) لعله يقصد نظافة رجل مواظب على الحضور إلى الكنيسة لمدة طويلة.

(129) (Well met) صيغة مختصرة من: (It is well that we have met).

روبن هود وغاي غيزبورن

مرّ وقت طويل بعد مباراة الرماية الكبيرة، وخلال ذلك الوقت اتبع روبن شطراً من نصيحة السير روبرت لي -على وجه التحديد- بأن يكون أقل جرأة وتحدياً في تنقلاته جيئةً وذهاباً. فمع أنه قد يكون غير بريء كثيراً -بنحو ما يعدّ الناس البراءة والنزاهة- فإنه التزم الحذر المناسب بعدم السفر بعيداً جداً عن شيروود، بما قد يسبّب عدم رجوعه لها بسهولة وسرعة معاً. حصلت تغييرات عظيمة في هذا الوقت: إذ مات الملك هنري وتولّى الملك ريتشارد سدة الحكم، وقد ناسبه ذلك كثيراً من خلال تجارب وخبرات صعبة عديدة، وعبر مغامرات مثيرة مثل التي حدثت لروبن هود. ولكن رغم مجيء التحولات الكبيرة، فإنها لم تصل إلى ظلال شيروود، إذ بقي روبن هود ورجاله مقيمين بسعادة كما كانوا في ما سبق، بممارسة الصيد، وإقامة الولائم، والغناء، ورياضات أرض الغابات ونشاطاتها المبهجة المسلية، إذ قلّما أزعجتهم أو أثارتهم مقاصد العالم الخارجي.

كان فجر نهار الصيف منعشاً ومشرقاً، وقد غنّت الطيور بعدوبة وأصدرت جلبة عظيمة من الأصوات، كان غناؤها عالياً حتى أيقظ روبن هود الذي كان في رقدة النوم، فتحرك وتقلّب ثم نهض. وكذلك نهض الصغير جون، وكل الرجال الظرفاء، ثم -بعد أن تناولوا فطورهم- انطلقوا هنا وهناك سعياً في شؤون اليوم. سار روبن هود والصغير جون على أحد دروب الغابة، حيث كل ما حولهما من أوراق، تتراقص وتتلاأأ عندما يمرّ النسيم خلالها، وينزل شعاع الشمس مرتعشاً منها. قال روبن هود:

- أيها الصغير جون، أقسم أن دمي يدغدغي في شراييني وهو يتدفّق خلالها في هذا الصباح البهيج! فما رأيك في أن نسعى طلباً لمغامراتنا، كل واحد على سبيله الخاص؟

- من كل قلبي! لقد نلنا أكثر فعل سار بهذه الطريقة، يا سيدي الطيب. ها هنا مسلكان: أنت خذ التوجّه إلى اليمين، وأنا آخذ اليسار، ثم دعنا نمشّ باستقامة حتى يجعلنا ذلك نصادف

حدثًا مرحًا أو آخر.

- تعجبني خطتك، لذلك فإننا سنفترق هنا. ولكن انتبه هنالك أيها الصغير جون: اجعل نفسك بعيدًا عن الأذى، فما كنت لأودّ أن يقع عليك أي سوء ولو من أجل العالم كله.

- ها! هيا! ما هذا الكلام! أعتقد أنك تريد توريط نفسك في المصاعب والشدائد أكثر ما أُرغب أنا.

عندئذٍ ضحك روبن هود:

- ها! بالفعل أيها الصغير جون. لديك طريقة متخبّطة عنيدة، يبدو أنها تجلب لك الجانب الأحسن فوق كل شيء في كل مشكلاتك، ولكن دعنا نرّ من يخرج بالأفضل في هذا اليوم.

بعد ذلك صافح الصغير جون وانفصلا كلٌّ على طريقه، وسرعان ما غيّبت الأشجار منظر أحدهما عن الآخر. سار روبن هود على وجهته، حتى وصل إلى طريق عريض في أرض الغابات يمتدّ أمامه. فوق رأسه تشابكت أغصان الأشجار معًا في غطاء مزخرف وامض، وغدت كلها ذهبية حيث كانت نحيفة نحو نور الشمس، وتحت قدميه كانت الأرض ناعمة ورطبة من الظل الساتر. هنا، في هذه البقعة اللطيفة حصلت لروبن أشدّ مغامرة وقعت عليه قط! إذ بينما كان يسير على درب الغابات وهو لا يفكر بشيء إلا بأغاني الطيور، وصل فجأة إلى حيث يجلس رجل على الجذور المغطّاة بالطحلب، تحت ظلّ شجرة سنديان عريضة منتشرة. رأى روبن هود أن الغريب لم يلحظه، فتوقّف ولبث ساكنًا، وأخذ ينظر نحوه لوقت طويل قبل أن يتقدّم. وأظن أن الغريب كان يستحقّ إنعام النظر إليه، إذ لم يرَ روبن هياةً مثل تلك تحت الشجرة من قبل! كان يرتدي إهاب حصان من رأسه حتى قدميه، يلبسه مع الشعر عليه! وعلى رأسه كانت قلنسوة أخفت وجهه عن المشاهدة، وكانت مصنوعة من جلد الحصان، وكانت الأذنان منها منتصبتيْن مثل أذني الأرنب! كان جذعه في سترة جلدية، أما ساقاه فمغطّاتين بجلد مشعر على ذلك النحو. على جانبه سيفٌ عريض



ثقيل وخنجر حادّ الحافتين، وتعلقت كنانة سهام مدوّرة ناعمة عبر كتفيه، أما قوسه القوي من خشب الطقسوس فقد كان مسنودًا إلى شجرة بجانبه. أخيرًا، صاح روبن وهو يتقدّم:

- هالو، يا صديق. من أنت الجالس هناك؟ وما ذلك الذي لديك على جسدك؟ أقسم أنني لم أرَ مثل هذا المنظر في كل حياتي السابقة! لو أنني ارتكبتُ أمرًا شرييرًا، أو أن ضميري يقلقني، لكنّ خائفًا منك، ظانًا أنك كنت شخصًا ما من البطانة، تجلب رسالة تأمرني بالمثل مباشرة أمام الملك نيكولاس.

لم يجب الآخر عن كل هذا حتى بكلمة، بل أزاح القلنسوة إلى الوراء عن رأسه، وأظهر حاجبًا معقودًا، وأنفًا معقوفًا، وزوجًا من العيون السود الشرسة القلقة! وكل ذلك قد جعل روبن يعتقد -وهو يحدّق إلى وجهه- أنه يرى صقرًا! ولكن إلى جانب هذا، كان هنالك شيء ما حول خطوط وجه الغريب، وفمه النحيف القاسي، وبريق عينيه الشديد، بما يجعل جسد المرء يقشعرّ نعرًا من النظر إليه! وأخيرًا، قال بصوت عالٍ فظ:

- من أنت أيها الوغد؟

قال روبن المرح:

- هون عليك! لا تتكلم بحدّة كبيرة أيها الأخ. هل تناولت الخلّ والقراص هذا الصباح، ذلك الذي جعل خطابك لاذعًا جدًّا؟

قال الآخر بشراسة:

- ألا تعجبك كلماتي؟ لعل الأفضل لك أن تكون في مزاح، لأنني أخبرك بصراحة: أفعالي تطابق كلماتي!

قال روبن وهو يقرفص على العشب أمام الآخر:

- لا! أنا معجب بكلماتك كثيرًا، أنت شيء لطيف جميل، وأكثر من ذلك، أقول لك إن خطابك بارع ومرح بنحوٍ لم أسمع مثله في حياتي السابقة!

لم يقل الآخر كلمةً، بل أخذ ينظر نحو روبن بنظرة ملؤها الشر والهلاك! وكأن كلبًا شرسًا يوضع على رجل قبل أن يثب على حنجرتة! ردّ روبن النظرة بواحدة بريئة من عينين متسعيتين! ولم يظهر أثر ابتسامة تترقرق في عينيه أو ترتعش عند زوايا فمه. وهكذا ظلّا جالسين يحدّق أحدهما إلى الآخر لوقت طويل، حتى كسر الغريب حاجز الصمت فجأة:

- ما اسمك يا رجل؟

- الآن، أنا مسرور جدًّا لسماعك تتكلم! إذ قد بدأت أظن أن منظري قد أصابك بالخرس! أما اسمي، فقد يكون هذا الاسم أو ذاك، ولكن أرى أن الأكثر مناسبة لك أن تخبرني باسمك أنت، لأنك الأكثر غربة في هذه الأنحاء. أتوسّل إليك أيها الرجل اللطيف، أن تخبرني لماذا ترتدي ذلك الرداء الأنيق على جسدك الجميل؟

عند سماعه ذلك الكلام اندلعت ضحكة شريرة قصيرة:

- بحق هيكل المخلوق الشرير أودن(130)! أنت أجرأ رجل متحدّث رأيته في حياتي كلها! لا أدري لماذا لا أضربك وأطيح بك حيث أنت جالس، فلم يمض إلا يومان على طعني رجلًا

بظهره من مدينة نوتنغهام، لم يخاطبني بنصف ما قلته للتو! أيها الأحمق! أنا أرتدي هذا الرداء لأستبقي بدني دافئًا، وبالمثل فإنه قريب بجودته من درع فولاذي ضد طعنات السيف المعتادة. أما اسمي، فلا أهتم لمن يعرفه. إنه: غاي غيزبورن، ولعلك قد سمعت به من قبل. أنا أجيء من أراضي الغابات هناك في مقاطعة هيريفورد، على الأراضي التي منها المطران وشاكلته. أنا خارج عن القانون، وأمارس حياتي بالسرقة والخداع بطريقة لا داعي الآن لأن أفصح عنها. مضى وقت قصير على استدعاء المطران إياي، وقال لي إنني إذا أنجزت أمرًا معينًا يطلبه عمدة نوتنغهام مني، فإنه سوف يمنحني عفوًا مطلقًا، ويعطيني مئتي باوند أيضًا. لذا



جئت مباشرة إلى مدينة نوتنغهام ووجدت عمدي اللطيف، وماذا تتصور أنه أراد مني؟ ها! في الحق: أن أقدم إلى شيروود وأبحث عن شخص روبن هود -وهو أحد العصاة أيضًا - وأقبض عليه حيًّا أو ميتًا. يبدو أنه لا أحد لديهم هنا لمواجهة ذلك الرجل الجسور، ولذلك أرسلوا على كل هذه المسافة إلى مقاطعة هيريفورد، وإليّ بالتحديد، فأنت تعرف القول المأثور: **كُف لص ٣ بإمساك لص**. أما قتل ذلك الرجل، فإنه لن يزعجني بمشقال ذرة، فأنا مستعد لأن أسفك دم أخي الشقيق من أجل نصف مئتي باوند!

لكل هذا الكلام أصغى روبن هود، وبينما هو يستمع بلغ قلبه حنجرتة! لقد كان يعرف عن غاي غيزبورن هذا بشكل جيد، وكل الأفعال الدموية والإجرامية التي ارتكبها في مقاطعة

هيريفورد، إذ كانت أفعاله مشهورة في كل البلاد. ولكن مع أنه اشمأز من وجود هذا الرجل بالتحديد، فإنه حافظ على هدوئه، إذ لديه خاتمة يريد أن يقدمها، فقال:

- بالفعل، لقد سمعتُ عن إنجازاتك اللطيفة! وأظن أن لا أحد في العالم كله يفضل روبن هود لقاؤه أكثر منك.

وعند ذاك أطلق غاي غيزبورن ضحكة شريرة أخرى:

- ها! إنه أمر ظريف أن تفكر في متمرد قوي مثل روبن هود، يلتقي متمردًا شديدًا آخر مثل غاي غيزبورن. في هذه الحال فقط سيكون وبالأعلى على روبن هود، فإنه في يوم مواجهة غاي غيزبورن سوف يموت!

- ولكن أيها الرجل اللطيف البهيج، ألا تظن أنه من المحتمل أن روبن هود هذا بنفسه قد يكون أفضل الرجلين؟ أنا أعرفه جيدًا، وأعتقد كثيرًا أنه واحد من أشد الرجال في هذه الأماكن.

- لعله يكون أقوى الرجال في هذه الأنحاء، ولكن -أقول لك يا رجل- حظيرتك القذرة هذه ليست العالم بأجمعه! أنا أراهن بحياتي بأنني أفضل الاثنين. إنه متمرد عاصٍ، بالفعل! ها! وأنا أسمع أنه لم يُرق دَمًا في طول حياته، إلا ما كان حين مجيئه إلى الغابة أول مرة. بعضهم يدعونه بالرامي العظيم، ها! ما كنتُ لأخشى الوقوف ضده كل أيام السنة مع قوس في يدي.

- ها! بالفعل، بعض السكان يدعونه بكل تأكيد راميًا عظيمًا، ولكننا نحن أهل نوتنغهام مشهورون ببراعتنا بالأقواس الطويلة. حتى أنا -مع أنني لسْتُ إلا ذا مهارة يسيرة في هذا المجال- لا أخشى أن أجرب مباراة معك!

عند سماع هذه الكلمات نظر غاي غيزبورن إلى روبن بعيون العجب والدهشة! ومرة أخرى أطلق قهقهة سخرية عالية حتى رنّت أشجار الغابة:

- الآن، أنت رجل مقدام جدًا لمكالمتك إياي بهذا الأسلوب، أنا معجب بشجاعتك للمجاهرة بقولك إليّ، إذ لم يجرؤ على فعل ذلك إلا القلة من الرجال. ضع إكليلاً يا فتى، وسوف أخوض مباراة معك.

- رويدك! الأطفال فقط من يسدّون نحو أغراض الأكاليل في هذه الأنحاء، سوف أنصب هدفاً جيداً من أهداف نوتنغهام من أجلك.

وبقوله ذاك، نهض وذهب نحو أجمة أيكة بندق ليست ببعيدة، واقتطع عصاً للهدف بعرض إبهامين. وقام بتقشير اللحاء عنها، وجعل طرفها حاداً، ثم غرزها في الأرض قبالة شجرة سنديان عظيمة. ثم قاس عنها مسافة ثمانين خطوة، وقد أوصلته إلى جانب الشجرة حيث جلس الآخر. ثم قال روبن:

- هنالك، نوع الغرض الذي يسدّ نحوه يومنو نوتنغهام. والآن، دعني أرك وأنت تشقّ تلك العصا إذا كنت رامياً.

ثم نهض غاي غيزبورن، وصاح:

- والآن سحقاَ لذلك! الشيطان نفسه لا يمكنه أن يصيب هدفاً كذلك!

قال روبن الظريف:

- ربما يتمكن وربما لا، ولكننا لا نعلم أبداً حتى ترمي أنت إلى ذلك الموضع.

عند هذا الكلام، تطلع غاي غيزبورن نحو روبن بحاجبين معقودين! ولكن -عندما ظلّ يحدق اليومن ببراءة خالية من أي مقاصد السوء- اختزن كلماته وحلّ حاجبيه في صمت. رمى مرتين، ولكن لم يصب العود في أي منهما، ففي الأولى أخطأ بمقدار شبر، وفي الثانية بعرض راحة وافٍ، فضحك روبن مراراً وتكراراً:

- الآن، أرى أن الشيطان نفسه لم يتمكن من ضرب ذلك الهدف. أيها الرفيق الطيب، إذا لم تكن أفضل باستعمال السيف العريض من القوس والسهم، فأنت لن تتغلب على روبن هود.

عند ذاك اشتعلت نظرات غاي غيزبورن بتوحش على روبن! وقال:

- لديك لسان طريف أيها الوغد، ولكن انتبه إلى أن لا تجعله حرًا طليقًا بكثرة! وإلا فإنني سأستله من حلقك وأقطعه لك!

وثر روبن هود قوسه وأخذ موضعه بلا كلمة، رغم أن أوتار قلبه كانت تهتز بالغضب والحقد! رمى مرتين، أصابت الأولى عند مسافة بوصة واحدة عن العود، أما الثانية فقد فلعته من الوسط بشكل رائع! ثم وبلا أن يعطي للآخر فرصة للكلام، قذف قوسه على الأرض! وصاح بشراسة:

- انتبه! أيها النذل الدموي! دع ذلك يُرك مدى قلة معرفتك بالرياضات الرجولية. والآن، انظر لآخر مرة نحو ضوء النهار، إذ لطالما تلوّثت الحياة بما يكفي منك أيها الحيوان المنحط! هذا اليوم -بمشيئة سيدتنا- أنت تموت! أنا روبن هود!

وبعد قوله ذاك، امتشق سيفه اللامع في أشعة الشمس. لمدة من الوقت، حدّق غاي غيزبورن وكأنه فاقد الرشد! ولكن سرعان ما زال عنه العجب، وتحول إلى غضب وحشي جامح! وصاح:

- هل أنت روبن هود بالفعل؟ الآن أنا مسرور بلقائك، أيها الصعلوك المسكين! قدّم اعترافك وادع لنفسك، فلن تحظى بوقت للصلاة عندما أنهي شأني معك!

وبعد ذلك، امتشق سيفه أيضًا. والآن، حصل أشرس قتال شهدته شيرودود، إذ عرف كل رجل أن لا بد أن يموت هو أو الآخر، ولن تكون هنالك أية رحمة في هذه المعركة. تقاتلا في الأعلى والأسفل، حتى انطحن كل العشب الأخضر الناعم، وتساوى مع الأرض تحت كعوبهم الساحقة. لامس طرف سيف روبن هود طراوة اللحم غير مرة، وفي هذا الوقت بدأت تنتشر

على الأرض قطرات حمر لامعة، مع أن لا واحدة منها خرجت من عروق روبن. أخيرًا، قام غاي غيزبورن بطعنة شرسة ومميتة، وعنهما وثب روبن إلى الورا متراجعًا بخفة، ولكن في خضم ذلك علقت قدمه بجذر وسقط بثقله على ظهره. فهمهم وقد قفز الآخر عليه مع تكشيرة غضب تملأ وجهه:

- والآن، ساعديني يا مريم المقدسة!

سدّد غاي غيزبورن طعنة وحشية بسيفه العظيم نحو الآخر، لكن روبن قبض على النصل بيده المجرّدة، ورغم جرحه راحتته فإنه أدار طرفه بعيدًا، فانعزز عميقًا في الأرض قريبًا منه جدًّا، ثم -وقبل أن تُسدّ ضربة أخرى- وثب واقفًا وسيفه القوي في يده. والآن، وقع اليأس والقنوط على قلب غاي غيزبورن بغيمة سوداء، فنظر إلى ما حوله بشراسة مثل صقر جريح! لأن قواه خارت وزالت عنه، فوثب روبن متقدّمًا، وبسرعة الوميض سدّد ضربة ملتوية غير مباشرة تحت ذراع السيف، فوقع السيف من قبضة غاي غيزبورن، وتهاوى متراجعًا من الطعنة، وقبل أن يتمكن من لم شتات نفسه، اخترق سيفُ روبن جسده مرة بعد أخرى، فالتفّ على عقبيه، وطوّح بيديه عاليًا بصيحة وحشية عنيفة! وسقط خائر القوى منكبًا على وجهه فوق الأرض العشبية. ثم مسح روبن هود نصل سيفه وأعادته في غمده، وجاء إلى حيث يرقد غاي غيزبورن، ووقف فوقه وعقد يديه، وأخذ يحدث نفسه: هذا أول رجل أقتله، منذ أن رميتُ فقتلتُ حارس الغابة الملكي في أيام فورة الشباب. ولطالما فكرتُ بمرارة -حتى الآن- بتلك الروح الأولى التي سلبتها، ولكن في ما يخص هذا، أنا مسرور جدًّا وكأنني قتلتُ خنزيرًا بريًا يلقي بخرابه على ريف جميل. بما أن عمدة نوتنغهام قد أرسل واحدًا مثل هذا ضديّ، فإنني سأرتدي ملابس هذا الرجل، وأمضي لأرى إذا كان في الإمكان العثور على سيادته، وربما أسدّد له بعضًا من الدين الذي يجب عليّ من هذا الحساب.

بعد ذلك، جرّد روبن هود الرجل الميت من أرديته ذات الشعر، ولبسها هو وكانت غارقة بالدماء! ثم انتزع سيفه وخنجره وجعلهما حول بدنه، وحمل سيفه الخاص بيده، مع قوسي

خشب الطقسوس، وأرعى القلنسوة من إهاب الحصان على وجهه، فلا أحد يمكنه أن يميّزه. ثم شرع يخرج من الغابة، مديراً خطواته باتجاه الجهة الشرقية ومدينة نوتنغهام. وبينما كان يسير على طول طريقه لاذ الرجال والنساء والأطفال بالفرار منه! إذ أن الفزع من اسم غاي غيزبورن وأفعاله قد انتشر في الداني والقاصي.

والآن دعونا نرَ ماذا حصل للضئيل جون بينما كانت هذه الأحداث تجري: مشى الصغير جون على طريقه خلال الدروب، حتى وصل إلى حافات الغابة، حيث حقول الشعير والذرة والمروج الخضرتبتسم تحت الشمس. وهكذا وصل إلى الطريق العام، وإلى حيث كوخ صغير مسقوف بالقش، يقف منتصبًا خلف مجموعة متشابكة من أشجار التفاح البري، والأزهار أمامه. هنا توقف فجأة! إذ ظنّ أنه سمع صوت أحدهم وهو في نوبة حزن! أصاح السمع، وميَّز أنه يقدم من الكوخ، لذلك وجّه خطواته إلى هناك، ودفع الباب الصغير وولج إلى المكان. هنالك، شاهد سيدة ذات شعر أشيب، تجلس إلى جانب موقد بارد، تؤرّجج نفسها جيئةً وذهابًا وتنوح بمرارة! وبما أن للضئيل جون قلبًا رؤوفًا تجاه أحزان الناس، فإنه لذلك جاء إلى عند المرأة العجوز وربّت بلطف على كتفها، وتكلم معها بعبارات مطمئنة، راجيًا منها أن تهدأ وتخبره عن مصاعبها، فلعله يتمكن من فعل شيء ما لحلّها. عند هذا كله هزّت السيدة رأسها، ولكن مع كل شيء أراحته كلماته المتعاطفة نوعًا ما، لذا، بعد مرور وقت أخبرته بكل ما يثقل على ذهنها: إن لديها ثلاثة أبناء وسيمين طوال إلى جانبها، مثلما يمكن أن يجد المرء ذلك في مقاطعة نوتنغهام كلها، ولكن حصل الآن أنهم انثزعا منها، ومن المحتمل أن يُشنقوا على الفور! ذلك أن -بسبب الحاجة الطارئة النازلة عليهم- ولدها الأكبر قد ذهب في الليلة الماضية إلى الغابة، واصطاد أنثى أيل في ضوء القمر، وقد تبع حرّاس الملك الجوّالون الدمّ على العشب حتى وصلوا إلى كوخها، وهنالك عثروا على لحم الأيل في الخزانة. وبسبب عدم وشاية أي من الابنين الأصغرين بأخيها الأكبر، اعتقل الحرّاس الثلاثة كلهم واقتادوهم، رغم أن الأكبر قد صرّح بأنه هو وحده من ذبح الأيل. وبذلك -وهم ينصرفون- سمعت الحرّاس يتكلمون بينهم، قائلين إن العمدة قد أقسم لوضع حدّ للعمليات الكبيرة لاصطياد الأيائل التي تجري منذ مدة أخيرًا، ذلك بشنق أول متمرّد

يُقبض عليه في ذلك المكان على أقرب شجرة. وهكذا، فإنهم يودّون اعتقال الشباب الثلاثة وأخذهم إلى نزل رأس الملك، قرب مدينة نوتنغهام حيث كان يقيم العمدة ذلك اليوم، منتظرًا عودة رجل معيّن أرسله إلى داخل شيروود بحثًا عن روبن هود. لكل هذا استمع الصغير جون وهو يهزّ رأسه بحزن بين الحين والآخر، ثم قال بعدما أنهت السيدة الطيبة خطابها:

- يا للأسف! حقًا إنه أمر حزين! ولكن من ذلك الذي دخل إلى شيروود بحثًا عن روبن هود؟ ولماذا يذهب للبحث عنه؟ ولكن لا أهمية لذلك في الوقت الحالي، فقط إنني أودّ لو كان روبن هود ذاك حاضرًا هنا لينصحننا ويشير علينا. مع ذلك، لعل لا وقت لدينا نضيّعه على طلبه في هذه الساعة، ذلك إذا أردنا إنقاذ حياة أبنائك الثلاثة. أخبريني: هل لديك أية ملابس هنا، لعلني أرتديها بدلًا من خضرة لنكولن هذه؟ ها! إذا قبض عليّ العمدة الشديد بلا تنكّر، فمن المحتمل أن تحصل العناية بأموري أسرع مما على أولادك! دعيني أقلّ لك ذلك سيدتي.

أخبرته المرأة العجوز أنها تحتفظ في المنزل ببعض ملابس زوجها الطيب الذي مات قبل سنتين. فجلبتها إلى الصغير جون، الذي نزع عنه رداء خضرة لنكولن، وارتدى هذه بدلًا منه. ثم صنع شعرًا ولحية مستعارين من الصوف الأشعث، وغطّى شعر رأسه ولحيته البنيين، ووضع على رأسه قبعة كبيرة طويلة تعود إلى ذلك الفلاح العجوز. وتناول هراوته بيد وقوسه بالأخرى، وانطلق بأقصى سرعة نحو النزل محل إقامة العمدة. على بعد ميل أو ميلين من مدينة نوتنغهام، غير بعيد عن حدود غابة شيروود الجنوبية، يقبع ذلك النزل المريح وهو يرفع لافتة رأس الملك. كانت هنالك جلبة وصخب في ذلك الصباح المشرق، إذ كان العمدة ومعه عشرون من أتباعه قد جاؤوا للتوقف هنالك، بانتظار عودة غاي غيزبورن من الغابة.

في المطبخ، كانت تُسمع أصوات الهسيس والصفير في الطبخ من الذي يحصل، وأصوات القرع والنقر الهائلة من كؤوس النبيذ وبراميل الجعة التي تجري في القبو. كان العمدة

يجلس في الداخل وهو يتناول بسعادة أفضل ما يقدمه المكان، أما رجاله فقد لبثوا على مصطبة أمام الباب وهم يعبّون الجعة، أو يرقدون تحت ظل دوحات أشجار السنديان العظيمة، وهم يثرثرون ويتبادلون النكت ويقهقهون! وحوالهم وقفت خيول الفرقة، مع جلبة واسعة من وقع الحوافر وهزّ الذيول. إلى هذا النزل جاء حرّاس الملك، وهم يسوقون أمامهم أبناء الأرملة العجوز ثلاثتهم. كانت أياديهم موثقة بإحكام خلف ظهورهم، وهناك حبل يربط أعناقهم بالتوالي معًا. وهكذا اقتادوهم إلى الحجره حيث جلس العمدة لتناول اللحم، فأوقفوا مرتجفين أمامه عندما ألقى نظرات القسوة والاكفهار عليهم! وقال بصوت غاضب عالٍ:

- إن! أنتم كنتم تصطادون أيل الملك بشكل غير شرعي، أليس كذلك؟ سأنجز أمركم بسرعة واختصار هذا اليوم، إذ أنني سأعلقكم أنتم الثلاثة مثلما يعلّق مزارعُ ثلاثة غربان ليخيف بها الطيور الأخرى من نوعه في الحقل. إن نوتنغهام مقاطعتنا الجميلة كانت لوقت طويل مكانًا خصبًا لمثل هؤلاء الأوغاد السفلة مثلكم. لقد تسامحتُ مع أمثال هذه الأمور لسنوات عدة، ولكن الآن سأقضي عليها وأنهيتها على الكل مرة واحدة، وبكم سوف أبدأ!

ثم فتح أحد البائسين الثلاثة فمه ليتكلم، لكن العمدة صرخ نحوه بصوت عالٍ ليسكت! وأمر الحراس بأن يأخذوهم بعيدًا حتى ينهي تناول طعامه، ويتمكّن من تولي ما يتعلق بشؤونهم. فأخرج الشباب المساكين الثلاثة، حيث وقفوا هناك برؤوس مطأطأة وقلوب محطّمة! حتى جاء العمدة بعد حين، ونادى على رجاله من حوله، وقال:

- هؤلاء الأندال الثلاثة سوق يُشنقون من فورهم، ولكن ليس هنا، لئلا يجلبوا سوء الحظ والنكد على هذا النزل الجيد. سوف ننقلهم إلى هناك، إلى حزام أراضي الغابات تلك، لأنني أودّ بكل سرور أن أشنقهم على أشجار غابة شيرود بالتحديد، لأجعل أولئك العصاة الأندال في الداخل، يرون ما يتوقّعونه مني إذا حالقني الحظ الجيد بأن أضع يديّ عليهم.

بعد قوله، امتطى حصانه وكذلك فعل رجاله المسلحون، ومضوا كلهم معًا نحو حافة أراضي الغابات التي تكلم عليها، وقد سار الفتيان المساكين في وسطهم يحيط بهم

الحراس، حتى وصلوا أخيرًا إلى الموضع، وهناك رُبطت أنشوبات حول أعناق الثلاثة، وقُذفت الحبال فوق غصن شجرة سنديانة عظيمة. ثم جثا الشبان الثلاثة على ركبهم وأخذوا يتضرعون بصوت عالٍ طلبًا للرحمة والعفو من العمدة! لكنه ضحك عاليًا باحتقار:

- الآن، إنني أودّ لو حظيتُ بكاهن هنا لسماع اعترافكم، ولكن -بما أن لا أحد في الجوار- فإنكم لا بد من أن ترحلوا على طريقكم محمّلين بكل خطاياكم على ظهوركم، وتثقوا بالقديس بيتر بأن يسمح لكم بالمرور خلال بوابات الفردوس، مثل ثلاثة باعة جوالين في المدينة.

في هذه الأثناء، وبينما كل هذا كان يجري على قدم وساق، تقرب رجل عجوز ووقف مستندًا إلى عصاه وأخذ ينظر إلى ما حوله. كان كل شعر رأسه ولحيته مجعدًا وأبيض، وعبر ظهره تعلق قوس بدا قويًا جدًّا عليه أن يسحبه. وعندما كان العمدة ينظر حوله قبل أن يأمر رجاله برفع الشباب الثلاثة على شجرة السنديان، وقعت عيناه على هذا الرجل الغريب العجوز، فأوماً سيادته إليه، قائلاً:

- تعال إلى هنا، أبتاه، لديّ بضع كلمات أريد أن أقولها لك.

فتحرّك الصغير جون متقدّمًا، فلم يكن غيره هناك، وأخذ العمدة بتفحصه متفكرًا بوجود شيء غريب مألوف في ذلك الوجه المائل أمامه، قال:

- كيف الآن! أظن أنني رأيتك من قبل، ماذا قد يكون اسمك يا أبتاه؟

قال الصغير جون بصوت متكسر مثل صوت رجل عجوز:

- عفو سيادتك، اسمي هو غيلز هوبل، بخدمة سيادتك.

فتمتم العمدة لنفسه بالاسم مرارًا وتكرارًا:

- غيلز هوبل، غيلز هوبل...

مقلبًا الأسماء التي يحفظها في ذاكرته في محاولة للعثور على شخص مطابق، ثم قال أخيرًا:

- لا أذكر اسمك! ولكنه لا يهم. هل يعنيك أن تكسب ستة بنسات في هذا الصباح المشرق؟

- نعم! ها! بالنسبة إلى المال، فإنه ليس معي كثير حتى أطرح ستة بنسات بعيدًا، ويمكن أن أكسبها بجهد شريف. ماذا يريد سيادتك مني أن أفعل؟

- ها! هذا، هنا ثلاثة رجال، وهناك ضرورة لشنقهم بأسوأ مما رأيتُ قبلاً! إذا قمتَ بشدِّ حبالهم فإنني سأدفع إليك بنسين اثنين عن كل واحد منهم. أنا لا يعجبني أن يتولى حراسي المسلحون شنق الرجال، فهل ستجرب يدك؟

قال الصغير جون، وما يزال يتصنّع صوت الرجل العجوز:

- في الحقيقة، لم أفعل شيئًا مماثلًا من قبل، ولكن ستة بنسات تُكسب بسهولة، بنحو ما قد أحصل عليها كأني شخص آخر. ولكن يا سيادتك، هل تمّ سماع اعترافات هؤلاء الرجال الأشرار من قسيس؟

فضحك العمدة:

- لا! ولا بمقدار ذرّة، ولعلك تحرك يدك لذلك أيضًا إذا كنتَ مصرًّا جدًّا. ولكن، أتوسل إليك: عجل، لأنني أودّ العودة إلى نزلي بسرعة!

وهكذا، جاء الصغير جون إلى حيث يقف الشباب الثلاثة مرتجفين! وقام بتقريب وجهه إلى خدّ الرجل الأول، وكأنه يريد أن يصغي إليه، وهمس بصوت ناعم في أذنه:

- ابق ساكنًا يا أخ عندما تشعر بوثاقك يُقطع، ولكن عندما تراني أطرح لحيتي وشعري المستعار الصوفيّ عن وجهي ورأسي، ألق الأنشودة عن عنقك واركض باتجاه أراضي الغابات.

ثم قام بمكر ودهاء بقطع الحبل الذي يربط يدي الشاب، الذي -بدوره- لبث ساكنًا وكأنه لم يكن مقيّدًا. ثم مضى إلى الرجل الثاني وتكلّم معه بالطريقة نفسها، وكذلك قطع حبله. وفعل الأمر نفسه مع الثالث، ولكن كل ذلك جرى بحنكة وتدبير لم يجعل العمدة -الذي كان ممتطيًا حصانه وهو يضحك- ينتبه إلى ما كان يجري، ولا انتبه رجاله أيضًا. ثم التفت الصغير جون نحو العمدة:

- أرجو سيادتك، هل تأذن لي بسحب وتر قوسي؟ لأنني أرغب بكل سرور أن أساعد هؤلاء الرجال خلال وقت تعلقهم بسهم تحت الأضلاع!

- من كل قلبي! فقط -كما قلت من قبل- عجل بإنجاز أفعالك!

ثبّت الصغير جون طرف قوسه إلى ما بين مشط قدمه، ووثر السلاح بمهارة عالية جعلت الكل يندهشون من رؤية رجل عجوز له هذه القوة! ثم استلّ سهمًا سويًا من كنانته، وثبّته على الوتر، ثم -وقد نظر حوله ليرى خلو الطريق خلفه- فجأة نزع الصوف عن رأسه ووجهه وطرحه، وصرخ بصوت هائل:

- اهربوا!

وبسرعة وميض البرق، أفلت الشبان الثلاثة الأنشوبات عن رقابهم، وأسرعوا عبر الأرض المفتوحة نحو أراضي الغابات مثل سهم ينطلق عن قوسه! كذلك انطلق الصغير جون نحو الأجمة مثل كلب صيد رمادي، بينما حدّق العمدة ورجاله ورائه بارتباك وحيرة من فعله المفاجئ! ولكن قبل أن يمضي اليومن بعيدًا أيقظ العمدة نفسه، وصرخ بصوت عظيم:

- ورائه!

إذ قد عرف مع من كان يتحدّث، وتعجّب أن لم يميّزه من قبل! سمع الصغير جون كلمات العمدة، وبسبب عدم تأكده من الوصول إلى أراضي الغابات قبل أن يمسكوه، توقف فجأة واستدار، قابضًا على قوسه وكأنه على وشك أن يرمي منه، وصاح بوحشية:

- تراجعوا! سيموت أول رجل يتقدم بخطوة إلى الأمام، أو يلامس وتر القوس بإصبع!

عند سماع هذه الكلمات توقّف رجال العمدة وصاروا كالعصي! لأنهم أدركوا تمام الإدراك أن الصغير جون بارع كقوة كلمته، وأن مخالفته تعني الموت حقًا! ذهبت صرخات العمدة سدى! وهو يصفهم بالجنباء، ويحثّهم على التقدم في جماعة جند قوية، ولكنهم ما كانوا ليتزحزحوا بوصة واحدة، بل وقفوا وراقبوا الصغير جون وهو يتحرك ببطء مبتعدًا باتجاه الغابة، مثبتًا نظراته عليهم. ولكن حين شاهد العمدة عدوّه ينسلّ من بين أصابعه جنّ جنونه واستعر غضبًا! فصار رأسه في دوامة ولم يدرِ ماذا فعل! إذ فجأة! أدار رأس حصانه ووخزه بالمهماز في خاصرتيه، وأطلق صرخة عظيمة وهو ينهض على ركابي السرج، وانقضّ على الصغير جون مثل الريح! فقام الصغير جون برفع قوسه المमित وسحب ريشة الإوزة الرمادية حتى خده. ولكن يا للأسف عليه! إذ قبل أن يفلت السهم، فإن القوس الجيد الذي طالما خدمه انفلق في يديه، وسقط السهم بلا أذى عند قدميه! وبسبب رؤيتهم ما حصل، أطلق رجال العمدة صيحة! وتبعوا سيدهم على الأثر، واندفعوا بهجوم على الصغير جون. ولكن العمدة كان متقدّمًا على الآخرين، ولذلك اشتبك مع اليومن قبل أن يصل إلى ملاذ أراضي الغابات، فتقدم منحنياً وسدّ ضربة قوية. انحنى الصغير جون وتملّص منها والتفّ السيف في يد العمدة، ولكن سطح النصل أصاب الآخر على رأسه وأسقطه أرضًا مصعوقًا وفاقدًا الوعي! قال العمدة عندما وصل الرجال ووجدوا أن الصغير جون لم يكن ميتًا:

- والآن، أنا في أتمّ الرضا والسرور أنني لم أذبح هذا الرجل في عجلتي! أنا أفضل خسارة خمس مئة باوند على موته هكذا بدلًا من شنقه، كما يصيب اللص النذل! هيا يا ويليام، اجلب بعض الماء من ذلك النبع هنالك، وصبّه على رأسه.

فنفذ الرجل ما أمر به، وبعد وقت قصير فتح الصغير جون عينيه ونظر حوله، وكان كله في دوار وارتباك من الضربة. ثم قيّدوا يديه وراء ظهره، ورفعوه ووضعوه على ظهر أحد الأحصنة، وجعلوا وجهه نحو الذيل وقدميه موثقتين بالأربطة تحت بطن الحصان. وهكذا

عادوا به إلى نزل رأس الملك، وهم يضحكون ويتمازحون على طول مسارهم. ولكن في الوقت نفسه، كان أبناء الأرملة الثلاثة قد نجوا بحياتهم بعيدًا، وكانوا يختبئون في أراضي الغابات. ومن جديد استقرّ عمدة نوتنغهام في النزل، كان قلبه يرقص طربًا في داخله! إذ قد حقق ما كان يبحث عنه لسنوات: أخذ الصغير جون أسيرًا. قال لنفسه: هذه المرة، سوف يُعلق هذا المحتال على شجرة المشنقة قبالة بوابة مدينة نوتنغهام العظيمة، وهكذا أصقّي حسابي الطويل بعدالة. قال ذلك، وتناول جرعة عميقة من شراب الكناري. ولكن يبدو كأن العمدة قد ابتلع فكرة مع نبضه، إذ هزّ رأسه وأنزل القدح بسرعة، وتمتم لنفسه: والآن، لن أجعل هذا الرجل يهرب من أصابعي ولو من أجل ألف باوند، ولكن، إذا نجح زعيمه بالفرار من ذلك الشنيع غاي غيزبورن، فلا معرفة لما قد يفعل، فهو الشرير الأكثر مكرًا في العالم كله، هذا المدعو روبن هود. وربما أن من الأفضل أن لا أنتظر حتى الغد لشنق هذا الرجل. أتمّ قوله ودفع كرسيه إلى وراء بسرعة، ومضى خارجًا عن النزل مناديًا على رجاله ليجمعوا:

- لن أنتظر وقتًا أطول لشنق هذا الوغد، بل يجب أن يُنفذ تَوًّا! وذلك على الشجرة نفسها التي أنقذ عندها أولئك العصاة الشباب الثلاثة، بأن تدخل بنفسه بينهم وبين القانون. لذا استعدّوا على الفور.

ثم قاموا مرة أخرى بإجلاس الصغير جون على الحصان ووجهه نحو مؤخرة الحصان، وعلى هذا النحو، أحدهم يقود الحصان الذي جلس عليه، والآخرون راكبون من حوله، تقدّموا نحو تلك الشجرة التي ظنوا أنهم على أغصانها سيشنقون الصيادين غير الشرعيين، فمضوا على امتداد دربهم يصلصلون ويجلجلون، حتى وصلوا إلى الشجرة. هنا، فجأة تكلم أحد الرجال مع العمدة، إذ صاح:

- سيادتكم! هنالك! أليس ذلك الرجل الآتي نحونا من هو نفسه غاي غيزبورن، الذي أرسلته في الغابة بحثًا عن روبن هود؟

عند سماعه ذلك، ظلّ العمدة عينيه وتطلّع بلهفة:

- ها! بكل تأكيد هو الرجل نفسه. الآن، السماء ترسل ذلك الذي قتل كبير اللصوص، كما سوف نقتل الرجل بعد قليل.

عندما سمع الصغير جون هذا الكلام رفع ناظريه، وعلى الفور انفطر قلبه في داخله! إذ لم تكن ملابس الرجل مغطاة كلها بالدماء حسب، بل كان يعلّق بوق روبن هود ويحمل قوسه وسيفه العريض. صاح العمدة عندما رأى روبن هود -في ملابس غاي غيزبورن- وهو آتٍ يقترب منهم:

- كيف الآن! أي حظّ حالفك في الغابة؟ ها! يا رجل، ملابسك كلها غارقة بالدماء!

قال روبن بصوت شرير مثل صوت غاي غيزبورن:

- إذا لم تكن معجبًا بملبسي، فلعلك تغلق عينيك. عجبًا! هذا الدم عليّ من ذلك المتمرد الأكثر عتوًا الذي سار في أراضي الغابات، والذي ذبحته هذا اليوم، مع أن ذلك لم يحصل من دون أن أنال جروحًا.

ثم نطق الصغير جون لأول مرة بعد وقوعه بأيدي العمدة:

- أيها النذل الدموي الدنيء! أنا أعرفك يا غاي غيزبورن، فمن ذا الذي لم يسمع باسمك وأفعالك اللعينة من إراقة الدماء والنهب؟ أيديّ مثل يدك يسكن في الموت أرقّ قلب نبض على الإطلاق؟ بالفعل، أنت أداة مناسبة لعمدة نوتنغهام الجبان المخذول هذا! الآن، أنا أموت بسعادة، ولا أهتمّ لكيفية هلاكي، فما عادت الحياة تساوي شيئًا عندي!

هكذا تكلم الصغير جون، والدموع المالحة تجري على خديه البنيين! لكن عمدة نوتنغهام صقّ يديه فرحًا، وصاح:

- والآن، يا غاي غيزبورن، إذا كان ما أخبرتني به حقيقيًا، فإنه سيكون أفضل أعمال يومٍ بالنسبة إليك، بنحو لم تفعله في حياتك كلها!

قال روبن وما يزال يفتعل صوت غاي غيزبورن:

- الحقيقة هي ما أخبرتك به، وأنا لا أكذب. انظر: أليس هذا سيف روبن هود؟ وأليس هذا قوسه الجيد من خشب الطقسوس؟ أليس هذا بوقه القرني؟ أتظن أنه أعطاها إلى غاي غيزبورن بإرادته طوعاً؟

فضحك العمدة بصخب مرحاً وصاح:

- إنه يوم عظيم! الخارج العظيم عن القانون ميت، والرجل ساعده الأيمن بين يدي! اطلب ما تشاء مني يا غاي غيزبورن فهو لك!

- إذن أنا أطلب هذا منك: بما أنني ذبحت الزعيم فإنني أريد الآن قتل الرجل، دع مصير هذا الرجل بين يدي، أيها السير الشريف.

صاح العمدة:

- والآن أنت أحرق! لعلك تنال أموالاً كافية لفدية فارس إذا طلبت ذلك. أنا لا يعجبني أن أدع هذا الرجل ينسل من بين يدي، ولكن كما وعدت فإنك سوف تحظى به.

صاح روبن:

- أشكرك من صميم قلبي على هديتك! أيها الرجال، أنزلوا المتمردين عن الحصان، وأسندوه قبالة تلك الشجرة، بينما أريكم كيف نذبح خنزيراً من حيث أقدم!

عند سماع هذا الكلام هز بعض رجال العمدة رؤوسهم، إذ مع أنهم لم يهتموا ولو قليلاً بأن يُشنق الصغير جون أو لا، فإنهم كرهوا رؤيته يُذبح ويُقطع بدم بارداً! ولكن العمدة نادى عليهم بصوت عالٍ، وأمرهم بإنزال اليومن عن الحصان وإسناده إلى الشجرة، كما طلب الآخر. وبينما انشغلوا بهذا، جهز روبن هود قوسه وقوس غاي غيزبورن كليهما، رغم أن لا

أحد منهم انتبه لفعله. ثم -عندما أوقفوا الصغير جون قبالة الشجرة- سحب خنجر غاي غيزبورن الحاد مزدوج الحافة، وصاح:

- تراجعوا! تراجعوا! أيها الأوغاد، هل تتزاحمون على متعتي بهذه الطريقة المزعجة!
أقول لكم تراجعوا! بل أبعد!

وهكذا، تراجع حشدهم كما أمرهم، وأشاح كثير منهم بوجوههم، كي لا يشهدوا ما يوشك أن يحصل! صاح الصغير جون:

- هيا! تعال! ها هو صدري! يواجه اليدَ نفسها التي ذبحت زعيمي الغالي والتي سوف
تذبحني أيضًا! أنا أعرفك يا غاي غيزبورن!

فتكلم معه روبن بصوت واطئ:

- اهدأ، أيها الصغير جون! قلتَ مرتين إنك تعرفني ولكنك لم تميزني في الإطلاق! ألا يمكنك
أن تعرفني تحت جلد الحيوان الهمجي هذا؟ هنالك أمامك، وضعتُ قوسي وسهامي وكذلك
سيفي العريض، فتناولها عندما أقطع قيودك. الآن! خذها بسرعة!

قال ذلك، وقطع وثاقه، فأسرع الصغير جون مثل طرفة العين، ووثب نحو الأمام وتناول
القوس والسهام والسيف العريض. وفي الوقت ذاته، ردَّ روبن هود قلنسوة جلد الحصان عن
وجهه ووثر قوس غاي غيزبورن، وثبتَّ عليه سهمًا باترًا ذا أشواك(131). وصاح بقسوة:

- تراجعوا! أي رجل يضع إصبعًا على الوتر سيموت! لقد ذبحتُ رجلك أيها العمدة، فانتبه كي
لا يكون دورك قادمًا.

وعندما رأى أن الصغير جون قد سلَّح نفسه، وضع البوق على شفثيه ونفخ ثلاث نفخات
عاليات صاخبات! والآن، حينما شاهد عمدة نوتنغهام وجه من كان تحت قناع غاي
غيزبورن، وعندما سمع نداءات البوق ترنَّ في أذنيه، شعر بدنو ساعة أجله! فصرخ:

- روبن هود!

وبلا كلمة أخرى، دفع حصانه نحو الطريق وانطلق في سحابة من الغبار! وعندما رأى رجال العمدة قائدهم يفرّ هكذا حفاظًا على حياته، اعتقدوا بأن ليس من شأنهم التلكؤ لوقت أطول، ولذلك حرّكوا مهماميز خيولهم، واندفعوا على الطريق وتلاشوا خلفه. ورغم أن العمدة مضى سريعًا فإنه لم يتمكن من سبق سهم الكلوثيارد، إذ جعل الصغير جون وتره يرنّ بصوت، وعندما اختفى العمدة خلال بوابات مدينة نوتنغهام بسرعة قصوى، انغرز سهم الإوزة الرمادية خلفه مثل عصفور تساقط ريشه إلا واحدة في ذيله! ولمدة شهر بعد ذلك، ظلّ العمدة المسكين لا يستطيع الجلوس إلا على أرقّ الوسائد التي تمكّن من توفيرها لنفسه. وهكذا فرّ العمدة وعشرون من رجاله بعيدًا عن روبن هود والصغير جون، ولذلك فعندما خرج ويل ستوتلي وديزينة أو أكثر من الرجال اليومنين من المكمن، لم يروا أثرًا من أعداء زعيمهم، إذ كان العمدة ورجاله يعدون مبتعدين، مختفين في سحابة من غبار مثل عاصفة رعديّة صغيرة! ثم رجعوا كلهم إلى داخل الغابة من جديد، حيث وجدوا أبناء الأرملة الثلاثة، وقد سعوا نحو الصغير جون وقبّلوا يديه، ولكن لم يكن يناسبهم أن يطوفوا في الغابة بشكل طليق أكثر من ذلك، فوعدوا -بعد أن يذهبوا ويخبروا أمهم عن فرارهم- بأنهم سوف يعودون في تلك الليلة إلى شجرة الغابة الخضراء، وبذلك أصبحوا من رجال العصاة.

(130). (Daemon Odin).

(131). (Barbed arrow).

الملك ريتشارد يأتي إلى غابة شيرود

لم يمضِ أكثر من شهرين على هذه المغامرات المثيرة التي حصلت لروبن هود والصغير جون، حتى كانت مقاطعة نوتنغهام في فتنة وضجة عظيمتين! إذ كان الملك ريتشارد قلب الأسد يجري رحلة ملكية رسمية في أنحاء إنجلترا السعيدة، وتوقع كل فرد أن يأتي إلى مدينة نوتنغهام في مسيرته. وقد كان الرسل في جيئة وذهاب بين العمدة والملك، حتى تمّ تحديد الموعد لقدم جلالته للتوقف عند نوتنغهام ضيفًا على سيادته.

والآن، يحصل صخب كبير غير مسبوق، فثمة نشاط عظيم هنا وهناك، وأصوات المطارق ولغظ الأصوات ينبثق من كل موضع في المكان، إذ كان الناس منشغلين بإنشاء أقواس هائلة عبر الشوارع، سيمرّ تحتها الملك، وكانوا يكسون هذه الأقواس باللافتات والرايات الحريرية ذات الألوان المتنوعة. وكذلك يجري هياج عظيم في مبنى بلدية المدينة، إذ كانت الجهود منصّبة لإعداد مائدة كبيرة تقدّم إلى الملك والنبلاء من موكبه، وكان أفضل كبار النجّارين منشغلين بإنشاء عرش، حيث يجلس الملك والعمدة عند رأس المائدة جنبًا إلى جنب. وبدا لكثير من أهالي المدينة الخيرين، وكأن يوم مجيء الملك إلى المدينة لن يأتي! ولكن رغم كل شيء فإنه حصل في وقته الخاص، وأشرق الشمس في الشوارع الحجرية، التي كانت تضجّ بحياة بحر الناس الهائج! وعلى جانبي الطريق، وقف أهل المدينة والريف باحتشاد عظيم، متراصين معًا كأنهم سمك الرنجة المجفف في صندوق! حتى أن رجال العمدة والرماح الفأسية في أيديهم، لم يتمكنوا إلا بمشقة من دفعهم إلى الوراء لإفساح المجال لموكب الملك. صاح راهب جسيم عظيم على واحد من هؤلاء الرجال:

- كن أكثر اعتناءً نحو من تدفع! أتريد أن تحفر بمرفقك فيّ يا ولد؟ بحقّ سيدة فاونتتين خاصتنا، إذا لم تعاملني باحترام أكثر فإنني سأصدع هامتك الوضيعة، حتى لو كنتَ واحدًا من رجال سيادة العمدة!

وعند ذاك تعالت ضحكة عظيمة من عدد من اليومين الطوال الذين يرتدون خضرة لنكولن! وكانوا يجتمعون في مكان ما خلال الحشد، لكن واحدًا منهم - وكان يبدو أكثر سلطة من الآخرين - نكز الرجل المقدس بمرفقه:

- اهدأ يا تاك! ألم تعديني - قبل أن تأتي هنا - أنك سوف تضع مكبًا على لسانك؟

فتذمّر الآخر:

- بلى، ها! لكنني لم أظن بأنني سأحظى بوغد ثقيل القدمين، يسحق أصابعي المسكينة وكأنها ليست أكثر من جوزات بلوط في الغابة!

ولكن فجأة توقفت كل هذه المناكفة، إذ تردد صوت أبواق عدة عبر الشارع، فأتلع كل الناس أعناقهم وحدّقوا في اتجاه انبثاق الصوت، وتنامى الاحتشاد والتدافع والتمايل أكثر من قبل. وها هو نسق رفيع مهيب من الرجال جاء يتلألاً في المشهد، وسرى في الجمهور صوت الابتهاج والتحيات مثل نار تنتشر في عشب يابس! تقدم جمعٌ من الرسل المنادين وعددهم ثمانية وعشرون، يرتدون المخمل وملابس الذهب، وعلى رؤوسهم رفرفت سحابات من ريش أبيض كالثلج، وحمل كل منادٍ بيده بوقًا فضيًّا طويلًا وكان ينفخ به الألحان، وتعلقت من كل بوق لافتة ثقيلة مخملية وذهبية، وفيها شعارات إنجلترا الملكية المزخرفة. وبعد هؤلاء جاء مئة فارس نبيل مثنى مثنى، وكلهم في أتمّ التسليح، إلا رؤوسهم فقد كانت عارية. وقد حملوا بأيديهم حرابًا طويلة، ترفرف من أعاليها رايات مثلثة ذات ألوان وزخارف وشعارات متنوعة. ومشى إلى جانب كل فارس غلامٌ وصيف يرتدي ملابس الحرير والقטיפ الغنية، وكل واحد منهم يحمل بيده خوذة سيده، ومنها تتماوج ريشات طليقة طويلة. لم تشهد نوتنغهام منظرًا أكثر جمالًا وبهاءً من هؤلاء الفرسان النبلاء المئة، الذين انعكس عن دروعهم شعاع الشمس بضوء ساطع، وهم يسيرون على خيولهم الحربية العظيمة، مع صوت صليل الأسلحة وجلجلة السلاسل.

وأتى خلف هؤلاء الفرسان بارونات وسط البلاد ونبلاؤه، في أردية من حرير وذهب، والقلائد الذهبية حول أعناقهم والجواهر على أحزمتهم. ومرة أخرى بعد هؤلاء، جاء صفٌ عظيم من الجنود المسلّحين، بأيديهم الرماح والمطارد، وفي وسط هؤلاء راكبان جنبًا إلى جنب: أحدهما كان عمدة نوتنغهام في زيّه الرسمي، أما الآخر -الذي كان أطول من العمدة برأسه- فقد كان يرتدي رداءً غنيًا لكنه بسيط، وقلادةً ثقيلة عريضة حول عنقه، كان شعره ولحيته مثل خيوط ذهبية، وعيناه زرقاوين مثل سماء الصيف. وبينما هو يسير على طول الطريق كان ينحني نحو اليمين تارة ثم اليسار تارة أخرى، وتتلو مروره هتافات كبيرة، فلقد كان هو الملك ريتشارد! ثم علا فوق كل الضجيج والصياح صوت عظيم سُمع كالزئير:

- السماء، يباركك قدّيسوها، يا ملكنا ريتشارد الكريم الرؤوف! وكذلك سيدة فاونتين تباركك!

ثم تطلّع الملك ريتشارد ناحية الموضع من حيث أتى الصوت، فرأى كاهنًا طويلًا متينًا ضخماً يقف أمام كل الحشد، ورجلاه منفرجتان عريضًا وهو مستند إلى أولئك الذين خلفه، ضحك الملك وقال:

- بحقّ روحي، يا عمدة! لديك أطول الرهبان في مقاطعة نوتنغهام! فلم أشهد مثلهم في كل حياتي! إذا لم تجب السماء صلواتٍ بسبب صمم، فإنني أعتقد رغم ذلك أنني سأنال البركات عليّ، لأن ذلك الرجل هناك، سوف يجعل التمثال الحجري العظيم للقديس بيتر يفرك أذنيه ويستمع إليه! إنني أودّ لو امتلكتُ جيئًا من أمثاله!

ولم يجب العمدة عن ذلك بكلمة! بل قد غادر كل الدم وجنتيه! وقبض على عجرة السرج ليحفظ نفسه من التهاوي! فهو أيضًا قد رأى الرجل الذي صرخ عاليًا، وميّزه بأنه الراهب تاك! وأكثر من ذلك، شاهد خلف الراهب وجوه روبن هود، والصغير جون، وويل سكارلت، وويل ستوتلي، وآل أديل، والآخريين من العصابة! قال الملك بعجالة:

- كيف الآن! هل أنت مريض أيها العمدة حتى تصير شاحبًا جدًّا هكذا؟

- أبدأ! جلالتك! لم يكن من شيء إلا أنه ألم مفاجئ سوف يزول بسرعة!

تكلم هكذا، إذ كان يشعر بالعار خشية أن يعرف الملك أن روبن هود لم يكذب يخاف، حتى تجرأ بولوجه عبر بوابات مدينة نوتنغهام نفسها. وهكذا سار الملك داخلاً مدينة نوتنغهام في تلك الظهيرة المشرقة من بدايات موسم الخريف، ولم يُسرَّ أحدٌ أكثر من روبن هود ورجاله الظرفاء برؤية قدومه بوضعه الملكي المميز. عندما حلت نهاية المساء، انتهت الوليمة العظيمة في قاعة بلدية نوتنغهام، وجرى تناول النبيذ بحرية، واتقد ألف من الأضوية الشمعية على طول المائدة، التي جلس إليها لورد ونبييل وفارس وسكواير في صف منظم جميل. عند رأس المائدة على عرش تتدلى



منه كله أقمشة الذهب، جلس الملك ريتشارد مع عمدة نوتنغهام إلى جانبه. خاطب الملك العمدة وهو يضحك:

- لقد وصل إلى مسمعي كلام كثير يتعلّق بأفعال رجال معينين في هذه الأنحاء، الشخص روبن هود وعصابته، وهم خارجون عن القانون ويقيمون في غابة شيروود. ألا يمكنك أن تخبرني شيئاً ما عنهم، أيها السير العمدة؟ لأنني أعرف أنك تصرفت تجاههم غير مرة.

وعند هذه الكلمات أطرق عمدة نوتنغهام بكآبة! أما مطران هيريفورد -الذي كان حاضراً- فقد قضم شفته السفلى! قال العمدة:

- لا يمكنني أن أخبر جلالتك إلا عن القليل من أفعال أولئك الرجال الأشرار البذيئين، ما عدا أنهم أكثر العصاة جرأة في البلد.

ثم تكلم السير الفتى هنري لي، المقرّب لدى الملك وقد حارب تحت إمرته في فلسطين:

- لعل ذلك يرضي جلالتك: إنني عندما كنتُ بعيدًا في فلسطين، سمعتُ في كثير من الأحيان من أبي، وفي أكثر الأحيان سمعتُ عن هذا الرجل بالتحديد: روبن هود. إذا رغب جلالتكم فإنني سأخبركم عن مغامرة محدّدة لهذا المتمرّد.

فأمره الملك من بين ضحكاته أن يسرد حكايته، ومن ذلك أخبر كيف أن روبن هود قد ساعد السير ريتشارد لي، بالمال الذي اقترضه من مطران هيريفورد. ومرة بعد مرة غرق الملك والحاضرون معه في الضحك، بينما تغطّى وجه المطران المسكين بحمرة الكرز من الغيظ والسخط! إذ كان الأمر شديد الوقع عليه! وعندما فرغ السير هنري لي، روى الآخرون الحاضرون -وقد رأوا كيف أن الملك قد استمتع بهذه الحكاية الطريفة- قصصًا أخرى عن المقصود روبن هود ورجاله الظرفاء. قال الملك ريتشارد القوي:

- بحقّ مقبض سيفي! إنه وغد جريء ومرح لم يُرو لي عن مثله من قبل! ها! يجب أن أتولى هذا الأمر بيدي، وأفعل ما عجزت عنه -وأقصد أيها العمدة- بتطهير الغابة منه ومن عصابته.

في تلك الليلة، جلس الملك في المكان المعدّ الخاص بسكنه زمن إقامته في مدينة نوتنغهام، ومعه كان الفتى السير هنري لي، وفارسان آخران، وثلاثة بارونات من مقاطعة نوتنغهام، ولكن عقل الملك كان ما يزال منشغلًا بشأن روبن هود، فقال:

- والآن، أودّ أن أمنح بحرية مئة باوند لملاقاة هذا الرجل الشرير المحتال روبن هود، ولرؤية بعض من أفعاله في غابة شيروود.

ثم تكلم السير هوبرت من بنغهام ضاحكًا:

- إذا كانت لدى جلالتكُم مثل هذه الرغبة فليس من الصعب جدًّا تلبيتها، فإذا كان جلالتكُم مستعد لخسارة مئة باوند، فإنني سأتولى ليس لقاء هذا الرجل حسب، بل لإقامة وليمة معه في شيروود!

- ها! أيها السير هوبرت، إن هذا ليسرني كثيرًا! ولكن كيف تتدبر أمرَ لقائي مع روبن هود؟

- ها! هكذا: دع جلالتك ونحن معك هنا نرتدِ أردية سبعة من زي الرهبان السود، ولتدع جلالتك أن تعلق كيسًا فيه مئة باوند تحت رداك، ثم لنقم بالرحيل غدًا من هنا إلى مدينة مانسفيلد، وسوف -إذا لم أخطئ كثيرًا- نلتقي كلانا بروبن هود ونأكل معه قبل انقضاء اليوم.

ابتهج الملك:

- تعجبني خطتك، أيها السير هوبرت. وغدًا سوف نجربها ونعرف إذا كان فيها أي تأثير.

وهكذا، حصل في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، أن جاء العمدة إلى حيث إقامة سيده ليقوم بواجباته نحوه، فأخبره الملك عما تكلموا بشأنه في الليلة الماضية، وعن المغامرة المرححة التي هم بصدد الشروع فيها، لكن حين سمع العمدة ذلك ضرب جبينه بقبضته:

- يا للأسى! أية مشورة مؤذية هذه التي قُدمت إليك! يا سيدي الكريم وملكي، أنت لا تدري شيئًا عما تفعله! هذا الوغد الذي أنت مقبلٌ على البحث عنه هكذا، لا يحمل أي توقيير لملك أو لقوانين ملك!

- ولكن ألم أسمع على نحو تامٍّ صحيح عندما أُخبرت، بأن روبن هذا لم يُرق قطرة دم منذ أن بدأ عصيانه، سوى دم ذلك الوغد رجل غيزبورن، الذي يجب أن يشكر كل الرجال الشرفاء روبن على موته؟

- بلى، جلالتك، لقد سمعته على النحو الصحيح. وبغض النظر عن ذلك...

فقاطع الملك كلام العمدة:

- إذن! ما الذي عليّ أن أخشاه في لقائي به، ما دمْتُ لم أسبب له أي أذى؟ بالفعل لا خطر في هذا، ولكن لعلك تذهب معنا أيها السير العمدة.

فتعجّل العمدة بالجواب:

- كلا! أعوذ بالله!

وفي أية حال، ها هي سبعة من الأثواب المماثلة لما عند الرهبان السود قد جُلبت، وقام الملك ومن حوله بارتدائها، وقد علّق جلالته محفظة فيها مئة باوند ذهبي تحت ملبسه، ومضوا وامتطوا بغالهم التي جُلبت لهم عند الباب. وقد أمر الملك العمدة بالسكوت عما ينوون فعله، وهكذا شرعوا يسافرون على طريقهم. مضوا متقدّمين وهم يضحكون ويتمازحون، حتى اجتازوا الريف المفتوح بين الحقول المحصودة الجرداء، حيث جُمعت غلات الحصاد في البيوت خلال الفسحات المفتوحة المبعثرة، التي بدأت بالتقارب والتكاثر حينما ساروا على امتداد طريقهم، حتى دخلوا في ظلة كثيفة من الغابة نفسها. ساروا في الغابة لبضعة أميال من دون أن يلاقوا أي فرد كالذي يسعون من أجله، حتى وصلوا إلى ذلك الجزء من الطريق الذي يكون الأقرب إلى دير نيوستيد، فقال الملك:

- بحق القديس الطاهر مارتن! وددت لو امتلكتُ رأسًا أفضل لتذكّر الأمور ذات الضرورة العظيمة! ها هنا أتينا من بعيد ولم نجلب معنا قطرة من أي شيء لنشربه! والآن، أنا مستعد لمنح نصف مئة باوند لأي شيء لإرواء ظمئي العميق.

لم ينقض إلا زمن قصير على كلام الملك، حتى انبثق من الأجمة عند جانب الطريق، رجل طويل ذو لحية وشعر أصفر وله عينان زرقاوان مرحتان، وقال وهو يضع يده على اللجام:

- حقًا! أيها الأخ المقدس. سيكون أمرًا غير مسيحي عدم إعطاء جواب مناسب عن صفقة رائعة جدًّا! نحن ندير حانة في هذه الأرجاء، ومن أجل خمسين باوندًا لن نقدّم إليك جرعة

وافية من نبيذ فحسب، بل سوف نمنحك وليمة نبيلة لم تداعب مريئك من قبل!

بعد ذلك وضع أصابعه على شفثيه وصفر بعلو وشدة، ومباشرة اهتزت وخشخت الأجمات وتحركت الأغصان على جانبي الطريق، وظهر من الأجمة ستون يومئاً عريضو الأكتاف يرتدون خضرة لنكولن! فقال الملك:

- كيف الآن يا رجل! من أنت أيها الضالّ الشرير؟ أليس لديك من احترام لرجال مقدّسين كما نحن الآن؟

قال روبن هود، إذ كان هو الرجل:

- ولا مقدار ذرة! إذ في الحقيقة كل القداسة العائدة إلى رهبان أثرياء -مثلكم أنتم - يمكن لشخص أن يمررها في كشتبان، وما كانت الزوجة الحاذقة لتشعر بها بطرف إصبعها! (132). أما بالنسبة لاسمي فهو روبن هود، ولعلك قد سمعتَ به من قبل.

قال الملك ريتشارد:

- والآن بعداً لك! أنت رجل جريء وشرير ومتمرد على القانون في ذلك، بنحو ما سمعتُ يروى كثيراً. الآن، بالرجاء دعني أنا وإخوتي هؤلاء نساfer متقدمين على دربنا بسلام وهدوء.

- لعل ذلك لا يكون! فلن يبدو ذلك لنا إلا سيئاً، إذا تركنا مثل هؤلاء الرجال المقدّسين يمشون على طريقهم وبطونهم فارغة. ولكنني لا أشكّ في أنك تملك محفظة سمينة لتدفع حسابك في حانتنا، بما أنك عرضتَ كثيراً جدّاً من أجل شربة مسكينة من الخمر. أرني محفظتك أيها الأخ المبجل، وإلا فلعلني أخلع عنك أرديتك لأفتش عنها بنفسي!

قال الملك بصرامة:

- كلا! لا تستعمل القوة. ها هي محفظتي، ولا تجعل يديك العاصيتين على كيانا.

قال روبن الظريف:

- وي وي! يا لها من كلمات فخرٍ وكبرياء! هل أنت ملك إنجلترا لتخاطبني على هذا النحو؟
هيا يا ويل، خذ محفظته وانظر ما فيها.

- تناول ويل سكارلت المحفظة وعدّ ما فيها من أموال، وأمره روبن بأن يحتفظ بخمسين
باوندًا لأنفسهم، وإعادة خمسين في المحفظة، وقام بتسليمها إلى الملك، وقال:

- ها هي أيها الأخ. خذ هذا النصف من أموالك، واشكر القديس مارتن -الذي ناديتّه من قبل-
على أنك وقعت بين أيدي عصابة لطفاء مثل هذه، إذ لن يجردوك تمامًا كما قد يفعلون.
ولكن ألن تزيل عنك قلنسوتك؟ فإنني أودّ بسرور أن أرى وجهك!

قال الملك وهو يتراجع:

- كلا! لن أميط قلنسوتي، فلقد نذرنا نحن السبعة أن لا نكشف عن وجوهنا لأربع وعشرين
ساعة!

- إذن، اتركها مغطاة في سلام. وما أبعدَ عني أن أجعلك تخرق عهدك!

وهكذا نادى على سبعة من يومنيه، وأمرهم بأن يتولى كل واحد منهم عنان أحد البغال، ثم
وقد وجّهوا وجوههم نحو أعماق أراضي الغابات- مضوا حتى وصلوا إلى الفسحة وشجرة
الغابة الخضراء. كان الصغير جون -مع ستين يومنًا على أعقابهم- قد انطلقوا أيضًا عند ذلك
الصباح لينتظروا على طول الطرق، ويجلبوا ضيفًا غنيًا إلى فسحة شيروود، إذا كان مثل
هذا من حظه، إذ لا بدّ من أن يسافر كثيرون ومحافظهم ممتلئة على الطرق في هذا الوقت،
عندما تجري مثل هذه الأحداث العظيمة في مقاطعة نوتنغهام. ولكن مع أن الصغير جون
وآخرين كثيرين كانوا منصرفين، فإن الراهب تاك وأربعين أو يزيد من اليومنين، كانوا
جالسين أو مستلقين متحلقين أسفل الشجرة الهائلة، وعندما جاء روبن والآخرين وثبوا من
فورهم لملاقاته، وحينما ترجّل الملك السعيد ريتشارد عن بغله ووقف ينظر حوله، قال:

- بحق حياتي! في الحقيقة لديك عدد كبير طيب من الرجال الفتيان من حولك! يا روبن،
أظن أن الملك ريتشارد نفسه سيكون مسرورًا بمثل هؤلاء الحرس.

قال روبن بفخر:

- ليس هؤلاء كل رجالي! فهناك ستون آخرون منهم على مبعدة، في شأن وعمل مع ذراعي
اليمين الطيب الصغير جون. لكن بالنسبة إلى الملك ريتشارد، أقول لك أيها الأخ: ليس فينا
كلنا رجل إلا ويود أن ينزف دمه مثل الماء من أجله! أنتم رجال الكنيسة لا يمكنكم أن
تفهموا تمامًا ملكنا، ولكن نحن اليوميين نحبه بولاء وإخلاص، من أجل أفعاله ومآثره
الشجاعة التي تشبه أفعالنا كثيرًا.

ثم جاء الراهب تاك وهو في هياج:

- لكم أجمل تحية أيها الإخوة، أنا في أتم السرور للترحيب ببعض رفاق مسلكي في هذا
المكان الشرير! حقًا، أعتقد أن هؤلاء المتمردين الخارجين عن القانون، ما كانوا ليصادفوا إلا
فرصة سيئة لولا صلوات المقدس تاك، الذي يعمل بجد واجتهاد من أجل رفاهيتهم.

وهنا غمز عينيًا بمكر ودفع لسانه في خده! قال الملك بصوت جدّي، رغم أنه ابتسم تحت
قلنسوته:

- من أنت أيها القسيس المجنون؟

عند هذا نظر الراهب تاك من حوله بتحديد بطيء:

- انتبه أنت الآن، لا تدعني أبدًا أسمع منك ذلك مرة أخرى فأنا لستُ رجلًا صبورًا! هنا أحد
الأوغاد من الرهبان سمّاني: قسيسًا مجنونًا، ولكنني لم أضربه. اسمي هو: الراهب تاك يا
رجل... الراهب المقدس تاك.

قال روبن:

- انتباه! تآك! لقد قلتَ ما يكفي. أرجوك، أوقف كلامك واجلب بعض النبيذ. هؤلاء الرجال المبحّلون عطاشى، وبما أنهم قد دفعوا بثراء كبير لحسابهم فإنهم يجب أن ينالوا الأفضل.

استاء الراهب تآك عند كبح خطابه بهذه الصورة! وبغضّ النظر عن هذا مضى مباشرة لتنفيذ أمر روبن، والآن جُلب دنٌّ فخاري كبير، وصبّ الخمر لكل الضيوف ولروبن هود. ثم رفع روبن كأسه عاليًا، وصاح:

- انتظروا! تمهلوا في شربكم حتى أقترح نخبًا! هذا لملكنا الطيب ريتشارد ذي السمعة العظيمة، ولعل كل الأعداء تكون متحيرة مذهولة به!

ثم شرب الجميع نخب صحة الملك، حتى الملك نفسه! وقال:

- أعتقد أيها الرجل الطيب، أنك شربت لإحراجنا!

قال روبن المرح:

- ولا بمثقال ذرة قط! لأنني أقول لك إننا في شيرود أكثر إخلاصًا وولاءً لسيدنا الملك من أولئك الذين على مثل نظامكم، نحن نودّ أن نتخلى عن حياتنا لمصلحته، بينما أنتم راضون بالبقاء مسترخين في أديرتكم وكنائسكم وليحكم من يحكم.

عندئذ ضحك الملك، وقال:

- ربما أن سعادة الملك ريتشارد ومصلحته أكثر أهمية عندي مما تظن يا رجل، ولكن يكفي من هذا الأمر. لقد دفعنا بشكل جيد من أجل غذائنا، لذا ألا يمكنك أن تعرض لنا بعض التسلية المبهجة؟ كثيرًا ما سمعتُ أنكم رماة مذهلون! ألن ترينا بعضًا من مهاراتكم؟

- من كل قلبي! يسرنا دائمًا أن نرى ضيوفنا كل الرياضة والتسلية التي ستعرض. كما يقول غافير سوانثولد: **إنه لقلب عسير ذلك الذي لا يعطي من أفضل ما عنده لزرزور حبيس.** وأنتم زرازير محبوسة عندنا! ها! يا فتيان! أعدوا الهدف عند طرف الفسحة.

ثم -وقد سعى اليومنون إلى تنفيذ أمر زعيمهم- التفت تارك إلى أحد الرهبان الزائفين، وقال مع غمزة مأكرة:

- هل سمعت زعيمنا؟ كلما مرّ شيء من الحكمة فإنه يلقيه مباشرة على كاهل غافير سوانثولد -مهما يكن هو- ولذلك فإن الرجل الطيب المسكين، يذهب مسافراً مع كل النزاعات والمقاصد والاقْتباسات والنكات من عقل زعيمنا مرزومة على ظهره!

هكذا تكلم الراهب تارك ولكن بصوت منخفض فلم يتمكن روبن من سماعه، لأنه شعر نوعاً ما بالغيظ على ما قام به روبن من مقاطعة محاورته القصيرة جداً! في هذا الوقت نُصب المرمى الذي يسدّون نحوه على مسافة مئة وعشرين خطوة. كان عبارة عن إكليل من الأوراق والأزهار بعرض شبرين، ومعلق على وتد أمام جذع شجرة عريض، قال روبن:

- انتباه! هنالك هدف جيد. كل واحد منكم يسدّد ثلاثة سهام إلى ذلك المكان، فإذا أخطأ أي رجل بسهم واحد، فإنه سوف ينال لكمة من قبضة ويل سكارلت!

قال الراهب تارك:

- اسمعوا ما يقول! ها! أيها الزعيم، أنت تمنح اللطمات من ابن أختك الشديد وكأنها ضربات حب من عذراء مرحة نشطة! أنا أؤكد أنك في مأمن من ضرب الهدف بنفسك، أو لن تكون في خلاص كبير من لطمه.

أولاً، رمى ديفيد دونكاستر، وقد ثبت كل سهامه الثلاثة في الطوق، فصاح روبن:

- أحسنت يا ديفيد! لقد حفظت أذنيك من الحرارة هذا اليوم!

والتالي ميغ الطحان رمى، وكذلك أصابت سهامه الإكليل.



ثم رمى من بعدهم وات العامل الجوّال، ولكن يا للأسف عليه! إذا أخطأ أحد سهامه العلامة بعرض إصبعين! فقال ويل سكارلت بصوته الناعم اللطيف:

- تعال إلى هنا يا رجل! أنا مدين لك بشيء ما، أريد تقديمه على الفور!

فتقدم وات العامل ووقف أمام ويل سكارلت لاويًا وجهه ومغلقًا عينيه بشدة، وكأنه استشعر من قبل بأذنيه ترنّان باللطمة! شمّر ويل سكارلت كمّه، ووقف على رأس أصابعه ليعطي تآرجحًا أعظم لذراعه، ثم سدّد ضربة بقوة وتركيز. ووووف! أصابت راحته الرأس، وخرّ العامل القوي ساقطًا على العشب ورجلاه فوق رأسه! مثل التمثال الخشبي في المهرجان عندما يقع بضربات هراوة اللاعب الماهر. ثم بعد أن جلس العامل على العشب يفرك أذنه، ويطرف عينيه أمام النجوم اللامعة التي تتراقص أمامهما، تعالت صيحات الابتهاج المرح من اليومنين حتى رنّت الغابة بها. أما الملك ريتشارد، فقد ضحك حتى جرت الدموع على خديه! وعلى هذا النحو رمى أفراد العصابة كلُّ بدوره، بعضهم لم يدفع الضريبة، وبعض آخر ربح الضربة التي أرسلته على العشب! والآن أخيرًا، أخذ روبن موضعه وقد سكن الجميع وهو يرمي. شقّ السهم الأول قطعة من الوتد الذي كان الهدف معلقًا عليه، أما الثاني فكان خلال مسافة بوصة عن الآخر! فقال الملك ريتشارد محدثًا نفسه: بحق معتقدي وقدسيتي! أودّ أن أمنح ألف باوند لهذا الرجل ليكون أحد حراسي! أما بالنسبة إلى السهم الثالث، فقد رماه روبن ولكن وا أسفاه! كان السهم سيئ الريش فتأرجح

نحو جانب، وأصاب بمسافة بوصة واحدة خارج الإكليل! وحينئذٍ علت صيحة عظيمة من أولئك اليومين الجالسين على العشب، وأخذوا يتدحرجون ويتقلّبون مع القهقهة والصيحات! إذ لم يسبق لهم أن شاهدوا زعيمهم يخطئ هدفه إلى هذا الحد! ولكن روبن قذف قوسه على الأرض بانزعاج وغيظ! وصاح:

- والآن سحقتُ له! كان لذلك السهم ريش سيّء، فقد شعرتُ به وهو يغادر أصابعي. إليّ بسهم جديد، ولسوف أتعهد بشق خشبة السهم به.

وعند هذا الكلام ضحك اليومنون أعلى من قبل! قال ويل سكارلت بصوته الرقيق العذب:

- كلا أيها الخال الطيب، لقد نلتَ فرصتك المنصفة وأخطأتَ هدفك بعيدًا بعيدًا، أقسمُ أن السهم كان جيدًا مثل أي واحد أُطلق في هذا النهار. تعال هنا! أنا مدين لك بشيء ما، وسأدفعه لك بكل سرور!

صاح الراهب تاك:

- هيا أيها الزعيم الطيب! ولعل بركاتي تصحبك، أنت منحتَ ضربات المحبة هذه من ويل سكارلت بحرية كبيرة، سيكون من المؤسف أن لا تنال حصتك منها!

قال روبن الظريف:

- لعل ذلك لا يكون! أنا ملك هنا ولا مرؤوس يمكن أن يرفع يداً على ملك. لكن حتى ملكنا العظيم ريتشارد لعله يخضع إلى البابا المقدس بلا خجل، بل حتى أنه يتلقّى نقرة منه على سبيل التوبة والتكفير، لذلك سوف أخضع نفسي إلى هذا الراهب المقدس، الذي يبدو أنه واحد من أهل السلطة، وسوف أنال عقوبتي منه.

وبعد هذا التفتَ إلى الملك:

- أتوسل إليك أيها الأخ، هل لك أن تتولى عقوبتي بيديك الطاهرتين؟

قال الملك ريتشارد المرح وهو ينهض من حيث موضع جلوسه:

- من كل قلبي! أنا مدين لك بأمر ما، بسبب رفع وزن ثقيل من خمسين باوندًا عن محافظتي.
لذلك أفسحوا أيها الفتيان له مجالاً على العشب!

- إذا جعلتني أسقط وأثقلب فإنني بكل إرادة أعيد إليك الخمسين باوندًا خاصتك، ولكنني أقول لك أيها الأخ: إن لم تجعلني أقع على العشب على طول امتداد ظهري، فإنني سأخذ كل فارذنج تملكه جزاءً وفاقاً على كلامك المتبجح!

قال الملك:

- إذن ليكن ذلك! أنا أرغب في المجازفة.

بعد ذلك، شمّر كمّه وأظهر ذراعًا تركت اليومنين يتفرّسون فيها! ولكن روبن -وقد جعل قدميه متباعدين- وقف مغروسًا بثبات منتظرًا الآخر وهو يبتسم! قام الملك بأرجحة ذراعه للخلف، وبموازنة نفسه للحظة، سدّد صفعه إلى روبن وقعت عليه مثل ضربة الصاعقة! انقلب روبن رأسًا على عقب فوق العشب، إذ أن الضربة كانت لتهدّ جدارًا حجريًا! ويا لصيحات اليومنين وضحكاتهم العالية التي انبثقت حتى أوجعتهم جنوبهم! إذ لم يروا تسديد لكمة مثل هذه طول حياتهم! أما روبن، فقد استوى جالسًا وأخذ ينظر إلى ما حوله، وكأنه هوى من سحابة، ونزل على موضع لم يعرفه من قبل! بعد مرور وقت -وقد ظل يحدّق إلى اليومنين من حوله- وضع أنامله برقة على أذنه وشعر بما حوله بلطف. قال:

- ويل سكارلت، احسب لهذا الرجل الخمسين باوندًا خاصته، ما عدتُ أريد مزيدًا من أمواله أو منه. فليحلّ عليه طاعون الماشية وعلى لطمته! وددتُ لو أنني أخذتُ مستحقاتي منك أنت، فأنا أجزم بلا ريب بأنه قد أصاب أذني بالصمم عن السمع من الآن!

ثم -وبينما ما تزال زوابع الضحك تندلع من العصابة- عدّ ويل سكارلت الخمسين باوندًا، وأعادها الملك في كيسه من جديد، وقال:

- لك شكري، يا رفيق. وإذا رغبتَ حقًا بلكمةٍ أخرى على الأذن لتوازن تلك الواحدة التي نلتها، فتعال إليّ وسوف أزودك بها بلا مقابل!

وعلى هذا النحو تكلم الملك المرح، ولكن حين أوشك على النهاية، فجأةً صدرت أصوات عديدة، وخرج من الأجمة الصغير جون وستون رجلًا، ومعهم السير ريتشارد لي في الوسط. جاؤوا يسعون سعيًا عبر الفسحة، وعندما وصلوا صاح السير ريتشارد باتجاه روبن:

- عَجَلْ يا صديقي العزيز! اجمع أفراد عصابتك وتعالوا معي! لقد غادر الملك ريتشارد مدينة نوتنغهام هذا الصبح بالتحديد، وهو آتٍ للبحث عنك في أراضي الغابات. لا أدري كيف سيأتي، إذ لم يكن الأمر سوى إشاعة وصلت إليّ. وبغض النظر عن هذا، أنا أدرك أن ذلك حقيقة. لذلك أسرع مع كل رجالك، وتعالوا إلى قلعة لي، فلعلكم تختبئون هنالك حتى يزول الخطر المحقق. من هؤلاء الغرباء لديك؟

قال روبن وهو ينهض على الحشائش:

- ها! هؤلاء ضيوف لطفاء بكل تأكيد، أتوا معنا من الطريق العام عند دير نيوستيد. لا أعرف أسماءهم، ولكنني للتو أصبحت على اطلاع جيد براحة اليد القوية الشديدة هذا الصبح. عجبًا! إن متعة هذه المعرفة كلّفتني أذناً صماء وفوق ذلك خمسين باوندًا!

نظر السير ريتشارد بنظرة متفحّصة مركزة إلى الراهب الطويل، الذي -وقد مدّ نفسه إلى طوله الكامل- نظر بثبات إلى الفارس. ثم فجأةً! شحبت وجنتا السير ريتشارد، إذ ميّز من كان ينظر إليه من عل! وعلى السرعة وثب عن ظهر حصانه، وطرح نفسه على الأرض على ركبتيه أمام الآخر! عند هذا، قام الملك -وقد رأى أن السير ريتشارد قد عرفه- بإماطة قلنسوته، وشاهد كل اليومنين وجهه وعرفوه أيضًا، إذ لم يكن هنالك واحد منهم إلا وكان في الحشد في مدينة نوتنغهام الطيبة، وقد شاهدوه راكبًا إلى جانب العمدة. جثوا كلهم

على ركبهم ولم يتمكنوا من قول كلمة! ثم أخذ الملك ينظر إلى ما حوله بتجهم! وعند آخرهم عادت نظراته واستقرت من جديد على السير ريتشارد لي، قال بصرامة:

- كيف يكون هذا، أيها السير ريتشارد؟ كيف تجرؤ على التدخّل بيني وبين هؤلاء الرجال؟ وكيف تجرؤ على تقديم قلعتك الفروسية في لي ملجأً لهم؟ هل ستجعل منها مخبأً لأشهر خارجين عن القانون في إنجلترا؟

ثم رفع السير ريتشارد عينيه إلى وجه الملك، وقال:

- ما أبعدني عن ذلك! بأن أفعل أقلّ شيء يستجلب سخط جلالتك عليّ! ومع ذلك فإنني أودّ تلقي غضب جلالتك، أكثر من أن أسمح بوقوع أي أذى على روبن هود وعصابته، فإنني لهم مدين بحياتي، وشرفي، وكل شيء! إذن، هل يجب عليّ أن أتخلى عنه في ساعة العسرة والحاجة؟

وقبل أن يتمّ الفارس كلامه، تقدّم أحد الرهبان المتنكرين الذين يقفون قرب الملك، وركع إلى جانب السير ريتشارد، ورمى قلنسوته إلى الورا وأظهر وجه الشاب السير هنري لي، وأمسك السير هنري يد أبيه، وقال:

- هنا يجثو امرؤ قد خدمك بشكل حسن أيها الملك ريتشارد، وكما تعلم، فإنه جعل نفسه بينك وبين الموت في فلسطين. ولكن أنا فعلاً ألتزم مع والدي العزيز -وهنا أقول كذلك- أنني أرغب بكل طوع أن أقدم الملاذ إلى هذا النبيل الخارج عن القانون روبن هود، حتى لو سبّب ذلك غضبك عليّ، فإن شرف أبي وراحته عزيزان عندي كشرفي وراحتي.

نظر الملك ريتشارد من واحد إلى آخر في الفارسين الجاثيين، وأخيراً زال العبوس عن جبينه وبرزت ابتسامة عند زاويتي شفّتيه! قال:

- عجباً! أيها السير ريتشارد، أنت فارس جريء اللسان، وحرّيتك بمخاطبتي لا أثر كبيراً لها عندي ضدك. ابنك الشاب هذا أخذ بعد مولاة كلا الأمرين: الجرأة في الخطاب والفعل! فهو

- كما ذكر- تدخّل بيني وبين حتفي! لذلك أريد أن أعفو عنك من أجله حتى لو فعلت أكثر مما فعلت. انهضوا كلكم، فلن تعانوا وتقاسوا أي أذى مني هذا اليوم، فمن المؤسف أن وقتًا سعيدًا ينتهي بطريقة تفسد بهجته.

ثم نهض الكل، وأوماً الملك إلى روبن هود ليأتي إليه، وقال:

- كيف الآن؟ أما زالت أذنك في صمم شديد عن سماع كلامي؟

- ليصب آذاني صمم الموت قبل أن تعتزل عن سماع صوت جلالتك. أما الضربة التي سدّتها إليّ، فإنني أريد القول رغم أن أخطائي كثيرة بالمصادفة، فإنها غُفرت تمامًا بهذه الطريقة!

قال الملك وفي نبرته بعض الشدّة:

- أعتقد ذلك؟ أنا أخبرك الآن عن ثلاثة أمور فقط لتكن في معرفتك: لولا رأفتي، وحيي لرجل الغابات القوي، وإخلاصك الذي صرّحت به، لكانت أذنك أقرب إلى الانسداد التام مما تفعله ضربة قوية مني! لا تتكلم برفق عن أخطائك يا روبن الطيب. ولكن تعال وانظر في الأمر: خطرك صار أمرًا من الماضي، إذ بهذا أنا أمنحك وأمنح كل أفراد عصابتك عفوًا مطلقًا! ولكن -في الحقيقة- لا يمكنني أن أدعك تطوف في الغابة كما فعلت في السابق، لذلك، سوف ألزمك بكلمتك، عندما قلت بكل تأكيد إنك تودّ تقديم خدمتك إليّ، فإنك ستعود إلى لندن معي. سوف نأخذ ذلك الوقح الجريء الصغير جون أيضًا، وبالمثل ابن أختك ويل سكارلت، ومغنيك آلن أديل. أما بقية أفراد عصابتك، فإننا سوف نسجّل أسماءهم ونثبّتهم كما ينبغي حراسًا ملكيين، إذ يبدو لي أن الأكثر حكمة، هو أن نغيّرهم إلى مراقبين قانونيين ومعتنين بأيائلنا في شيروود، أكثر من تركهم يجرون على نطاق واسع كقتلة عصاة فيها. ولكن الآن لتكن الوليمة معدّة، إذ أريد أن أرى كيف تعيش في أراضي الغابات.

وهكذا، أمر روبن رجاله أن يعدّوا وليمة كبيرة. وعلى الفور أضرمت نيران عظيمة فاتقدت بإشراق، وعليها أنضجت قطع لحم الأيائل بلطف. وبينما كان هذا يحصل، طلب الملك من روبن أن ينادي على آلن أديل، إذ كان يريد أن يسمع غناؤه، فمرّر الطلب إلى آلن، وجاء من فوره ومعه قيثارته، قال الملك ريتشارد:

- عجبًا! إذا طابق غناؤك هيأتك فهذا عادل جدًّا! أرجو أن تعزف لنا أغنية قصيرة ودعنا نتذوق مهارتك.

فأخذ آلن بلمس قيثارته بخفة، وقد سكنت كل الكلمات عندما غنى هكذا:

يابنتي، أين كنتِ؟

ابنتي، يابنتي، أين كنت في هذا اليوم؟

ها! لقد كنتُ عند جانب النهر

حيث تمتدّ المياه كلها رمادية وشاسعة

والسمااء الرمادية تستقرّ فوق المياه الجارية المثقلة

والرياح الصاخبة شهقت بإجهاد

ماذا رأيت هنالك يابنتي؟

ماذا رأيت هنالك هذا اليوم؟

ابنتي، يابنتي؟

ها! رأيتُ قاربًا يأتي منجرفًا عن قرب،

حيث أجمات القصب المهترئة تهدأ وتصخب

والماء يئن كأنه يغرغر

والريح الصاخبة شهقت بإجهاد

من أبحر في القارب يا بنتي؟

من أبحر في القارب هذا اليوم، ابنتي، يا بنتي؟

ها! كان هنالك شخص مجلّل بلباس البياض

وتعلّق حول وجهه نورٌ شاحب

وتلألأت عيناه بحدّة مثل النجوم في الليل

والريح الصاخبة شهقت بإجهاد

وماذا قال يا بنتي؟

ماذا قال لك هذا اليوم، ابنتي يا بنتي؟

ها! لم يقل شيئاً، بل فعل هذا:

قبّلني على شفّتي ثلاثاً!

وقد ارتعشت أوتار قلبي بهناء هائل!

والريح الصاخبة شهقت بإجهاد

يا بنتي، لماذا صرت باردة جدّاً؟

لماذا صرت باردة جدًا وبيضاء، ابنتي يا بنتي؟

ها! لم تقل البنت كلمة!

بل ظلت جالسة باستقامة ورأسها متدل

فلقد كان قلبها ساكنًا ووجهها ميتًا!

والريح الصاخبة شهقت بإجهاد

أصغى الكل في سكون، وعندما انتهى آلن أدبل من غنائه تنهّد الملك ريتشارد:

- بحق أنفاس جسدي! يا آلن! لديك صوت عذب عجيب يحرك قلبي بقوة، ولكن أي أغنية كئيبة هذه على شفتي يومن همام؟ أفضل أن أسمعك تغني أغنية عن الحب والمعركة أكثر من الأمر الحزين مثل هذا. وفوق ذلك، أنا لا أفهمها! فماذا تعني بتلك الكلمات؟

أجاب آلن أدبل وهو يهزّ رأسه:

- لا أدري جلالتك! إذ في كثير من الأحيان أغني ما لا أفهمه بنفسي بوضوح!

- حسنٌ، حسنٌ. دع هذا، أنا فقط أخبرك بهذا يا آلن: يجب عليك أن تغيّر أغانيك إلى مثل تلك الأمور التي تكلمتُ عليها -ليكن في علمك- الحب أو الحرب، لأنك في الواقع تملك صوتًا أعذب من بلونديل، وأرى أنه كان أفضل مغنٍ جوال سمعته.

والآن جاء أحدهم متقدمًا وأخبر بأن الوليمة معدّة، لذلك جلب روبن هود الملك والذين معه إلى حيث تمتدّ المائدة على أقمشة كتانية بيض جميلة، مفروشة على عشب أخضر ناعم. فجلس الملك ريتشارد وأكل وشرب، وعندما أكمل أقسم بشكل مؤكد أنه لم يحظْ بمأدبة مفعمة بمثل هذه في حياته السابقة! وفي تلك الليلة رقد في غابة شيرود على سرير من الأوراق الخضر الرقيقة. ومبكرًا عند الصباح التالي، انطلق من أراضي الغابات قاصدًا إلى

مدينة نوتنغهام، ويصحبه روبن هود وكل أفراد عصابته. ولعلكم تتصوّرون مدى الضجة والهيّاج الذي كان في المدينة الطيبة! عندما دخل كل هؤلاء المتمردين المشهورين وهم في مسير في الشوارع! أما العمدة، فلم يدرِ ما يقول ولا أين ينظر، عندما شاهد روبن هود في مثل هذا المقام العالي مع الملك! بينما كان قلبه كله طافحًا بالغيظ بسبب الحقد المسيطر عليه! وفي اليوم التالي، غادر الملك مدينة نوتنغهام، ولذلك صافح روبن هود، والصغير جون، وويل سكارلت، وآلن أديل، بقية أفراد العصابة كلهم، وقبّلوا خدود كل واحد، وأقسموا أنهم في الأغلب سيأتون إلى شيروود ويرونهم. ثم امتطى كل واحد حصانه وركب مبتعدًا مع قافلة الملك...

(132). يقصد مكرهم ونفاقهم.

الخاتمة



وهذه نهاية مغامرات روبن هود الظريفة، إذ بالرغم من وعده، فقد مرّت سنوات عديدة قبل أن يرى شيروود من جديد... بعد عام أو عامين في البلاط عاد الصغير جون إلى مقاطعة نوتنغهام، حيث عاش حياة منتظمة، رغم تضمن لمقدار كبير من شيروود،



وحيث حقّق شهرة عظيمة بطلاً على كل إنجلترا بالهراوة. أما ويل سكارلت، فقد عاد إلى بيته الخاص بعد مرور وقت، من حيث كان قد دفعه قدره بسبب قتل وكيل أعمال والده.

أما بقية أفراد العصابة، فقد أدوا مهامهم حراسًا في القوات الملكية بشكل حسن. لكن روبن هود وآلن أديل لم يعودا مجددًا إلى شيروود بسرعة كبيرة، إذ كان الأمر على هذا النحو:

إن روبن -مع شهرته الرفيعة بوصفه راميًا- أصبح مفضلًا ومقرَّبًا لدى الملك، وبذلك ارتقى في الرتب ليكون قائد الفرسان. وفي النهاية -إذ رأى الملك مدى صدقه وإخلاصه- جعله إيرل هونتندون، فلزم روبن الملك في الحروب، وشغله ذلك في وقت مديد، حتى لم يجد فرصة ليعود إلى شيروود ولو ليوم واحد. أما آلن أديل وزوجته الحسناء ألين، فقد تبعا روبن هود وشاطراه كل أفراح حياته وأتراحها.

والآن -يا أصدقائي الأعزاء - أنتم يا من سافرتم معي في كل هذه الأفعال البهيجة، لن أطلب منكم متابعتي أكثر من هذا، لكن سوف أترك أيديكم (133). هنا مع (التحية الطيبة) إذا ترغبون بذلك، فمن ذلك يأتي التالي بما يفصح عن تدهور الأشياء، ويظهر كيف أن المتع والمسرات التي ماتت ومضت، لا يمكنها أبدًا أن تنهض على أقدامها لتسير من جديد. لن ألبث عند الأمر لمدة طويلة، ولكن سوف أخبركم بأسرع ما يمكن حول كيفية موت الهمام روبن هود بمثل مجريات حياته، وليس ذلك في حال كونه إيرل هونتندون، بل كان ذلك وقوسه في يده، وقلبه في الغابة الخضراء، وهو بذاته يومئًا بتمامه وكماله. مات الملك ريتشارد في ميدان المعركة، بطريقة تليق بالملك قلب الأسد، وكما أنتم أنفسكم -بلا شك - تعرفون، لذلك -بعد مرور زمن - لم يجد إيرل هونتندون، أو روبن هود بنحو ما زلنا نسميه كما مضى، ما يفعله خارج الوطن، فعاد إلى إنجلترا من جديد. ومعه عاد آلن أديل وزوجته الجميلة ألين، إذ كان هذان الاثنان مدبري شؤون المنزل لروبن منذ مغادرته غابة شيروود.

كان وقت الربيع عندما رسوا على سواحل إنجلترا مرة أخرى، كانت الأوراق خضرًا والطيور الصغيرة غتت بحبور، بالضبط كما اعتادت أن تكون في شيروود، عندما تسكع روبن هود في ظلال أرض الغابات بقلب حر وقدمين خفيفتين. أعادت عنوبة الفصل ولطافة كل شيء إلى عقل روبن حياته في الغابة، فاعتراه شوقٌ عظيم وتوق ليكون في أراضي الغابات مرة أخرى، فذهب مباشرة إلى الملك جون وتضرع إليه بأن يدعه يزور نوتنغهام

لموسم قصير. منحه الملك رخصة محدودة للذهاب، ولكن أمره بعدم البقاء مدة أطول من ثلاثة أيام في شيروود. وعلى ذلك، شرع روبن هود وآلن أديل بالمضي نحو مقاطعة نوتنغهام وغابة شيروود بلا تأخير.

في الليلة الأولى ذهبا إلى نزل في مدينة نوتنغهام، لكنهم لم يذهبا للتواصل مع العمدة، إذ كان سيادته يحمل بين جنبيه حقدًا وضعينة كبيرين ضد روبن هود، ولم يشفع شموخ روبن عالميًا في التقليل منها. في اليوم التالي، امتطيا حصانيهما في ساعة مبكرة وانطلقا نحو أراضي الغابات. وبينما كانا يمرّان على طول الطريق، بدا لروبن أنه يعرف كل عود وحجارة نظرت عيناه نحوها! هنالك كان ممر طالما سار عليه في مساء بهيج، والصغير جون إلى جانبه، وها هنا واحد، وهنا تقريبًا شرقّ بنبات العليق! وعلى امتداده مشوا هو والعصابة الصغيرة عندما سعوا للبحث عن راهب فرانسسكاني معين.

وعلى هذا النحو تقدّما على وجهتهما، وأخذا يتحدّثان عن هذه الأمور القديمة المألوفة، وهي قديمة ولكنها جديدة! إذ قد وجدا فيها أكثر مما تدبّرا سابقًا. وهكذا... حتى أتيا على المساحة المفتوحة، وشجرة الغابة الخضراء ذات الدوحة العريضة المنتشرة، التي كانت مؤنّلاً لهم لسنوات عدة. لم ينطق أي أحد منهما عندما جلسا تحت تلك الشجرة! نظر روبن إلى ما حوله من الأشياء المألوفة التي اعتادت أن تكون ولكنها في اختلاف كبير، فما كان نشاطًا وصخبًا من عدة رجال مشغولين صار الآن سكون العزلة! إذ وهو يتطلّع حوله، صارت رؤية أراضي الغابات والباحة العشبية والسماء كلها مضربة معًا، من خلال نظره المغرورق بالدموع المالحات! فلقد استحوذ عليه شوق كبير وهو ينظر ويتأمل في هذه الأشياء -وهي معروفة لديه مثل أصابع يده اليمنى- فلم يتمكن من ردّ الدموع عن عينيه! في ذلك الصباح علّق بوقه الفاخر القديم على كتفه، والآن -في خضم الحنين- اشتاق إلى النفخ به مرة أخرى، فرفعه إلى شفّتيه، وأصدر صوت: تيريللا، ليريللا. فتماوجت النغمات العذبة الصافية على دروب الغابة، وعاد الصوت مجددًا من ظلال شجرية كثيفة أكثر بعدًا بأصداة خافتة: تيريللا... ليريللا... تيريللا... ليريللا... حتى تلاشت في البعد واختفت!

والآن، صادف في ذلك الصباح بالتحديد، أن كان الصغير جون يسير خلال أحد طرق الغابة، من أجل السعي نحو أحد شؤون العمل المعينة، وبينما كان يخطو على الطريق غارقًا في التأمل، وصلت إلى أذنيه أصوات خافتة صافية من بوق بعيد... وكما يثب ظبي عندما يشعر بالسهم في قلبه، قفز الصغير جون عندما مسّ الصوت البعيد أذنه! وكأن كل الدماء في جسمه اندفعت بزحام مثل اللهب في وجنتيه، وهو يحني رأسه ويصغي. ثم جاءت إشارة أخرى من البوق رفيعة وصافية، وبعد ذلك مرة أخرى.

فصاح الصغير جون صيحة عظيمة بريّة من اللهفة والفرح! بل والحزن أيضًا! وقام بإحناء رأسه واندفع في الأجمة! اخترق متقدّمًا وتنبعث بحركته أصوات التكسر والفرقة والتمزيق، كما يندفع الخنزير البري خلال الأجمات السفلى. لم يبال إلا قليلًا للأشواك والنتوءات التي خدشت لحمه ومزقت ملبسه! إذ لم يفكر إلا بالوصول عبر أقصر الطرق نحو فسحة الغابة الخضراء المفتوحة، من حيث عرف أن صوت البوق قد صدر. أخيرًا، بزغ خارجًا من الغطاء الشجري، وقد تساقط حوله شلال من الأغصان المتكسرة، وبلا توقف لأية لحظة، تقدم ورمى نفسه عند قدمي روبن! ثم شبك ذراعيه حول ركبتي الزعيم، وكان كل جسده يهتّز بنوبات بكاء عظيمة! فلم يتمكن روبن هود ولا آلن أديل من الكلام... بل وقفا ينظران نحو الأسفل إلى الصغير جون، والدموع تجري على وجوههم!

وبينما هم على هذا الحال، اقتحم سبعة من الحراس الملكيين الجوالين الفسحة المفتوحة، وأطلقوا صيحة عظيمة من الفرحة لرؤية روبن! وكان على رأسهم ويل ستوتلي. ثم بعد مرور وقت، جاء أربعة آخرون وهم يلهثون من ركضهم، اثنان منهم كانا ويل سكاتلوك وميج الطحان، وكل هؤلاء قد سمعوا بوق روبن هود. كل هؤلاء سعوا نحو روبن وقبلوا يديه وملابسه وهم يجأرون بالنحيب! بعد حين نظر روبن من حوله والدموع تغرق عينيه، وقال بصوت متهدّج:

- والآن، أنا أقسم على أنني لن أغادر أراضي الغابات العزيزة أبدًا! لقد كنتُ بعيدًا عنها وعنكم لزمّن طويل... فأنا أطرح عني الآن لقب روبرت إيرل هونتغدون، وأتولّى من جديد

ذلك الاسم المنيف: روبن هود اليومن.

وعند ذاك علت صيحة عظيمة! وتصافح كل اليومنين مهنيين من الفرح والبهجة! ثم انتشرت في الريف أخبار عودة روبن هود من جديد، للإقامة في شيروود كالماضي انتشار النار الهائلة، وقبل انقضاء أسبوع تقريبًا اجتمع كل يومنيه القدماء من حوله! ولكن حين وصلت الأنباء عن كل هذا إلى مسامع الملك جون، أقسم بصوت عالٍ وإصرار، واتخذ عهدًا مهيبًا بأنه لن يستريح حتى يكون روبن هود تحت هيمنته حيًّا أو ميتًا.

كان هنالك في هذا الوقت بالبلاط، فارس معين هو السير ويليام ديل، وهو جندي باسل كأسمى من ارتدى لأمة الحرب. كان السير ويليام ديل مطلعًا بشكل حسن على غابة شيروود، فقد كان أمر الحرس على ذلك الجزء منها، الذي يكون قرب مدينة مانسفيلد الطيبة، لذا التفت إليه الملك وأمره بأن يسير بجيش من الرجال من فوره بحثًا عن روبن هود. وبالمثل أعطى الملك للسير ويليام حلقتة للختم ليظهرها إلى العمدة، ذلك لعله يجمع كل رجاله المسلحين لمساعدة الآخرين في مطاردتهم روبن هود. فبدأ السير ويليام والعمدة بتنفيذ أمر الملك وشرعا يبحثان عن روبن هود، ولمدة سبعة أيام قاموا باستقصاء في القريب والبعيد ولكنهم لم يظفروا به!

والآن، لو كان روبن هود مسالمًا مثل قبل لانتهى كل شيء في دخان(134). مثل مغامرات أخرى أنجزت في الماضي، لكنه كان قد قاتل تحت إمرة الملك ريتشارد لسنوات، وقد تغيّر عما كان عليه. لقد نكأ كبرياءه إلى حدٍ كبير أن يهرب أمام أولئك المرسلين ضده، وكأنه ثعلب يفرّ من كلاب الصيد! وأخيرًا حصل الأمر على هذا النحو: أن يواجه روبن هود ورجاله السير ويليام والعمدة ورجالهما في الغابة، فحصلت بذلك معركة دموية! أول من قُتل في تلك المواجهة هو عمدة نوتنغهام! إذ سقط عن حصانه وقد أصابه سهم في رأسه حتى قبل أن تُطلق عشرة سهام! وكثير من الرجال ممن هم أفضل من العمدة قبلوا الأرض المعشبة ذلك اليوم(135). ولكن في النهاية، جرح السير ويليام ديل وقُتل كثير من رجاله، فانسحب

مهزومًا وترك الغابة، ولكن عشرات من الرجال الطيبين ظلوا وراءه، وقد ارتخوا من كل تصلبهم تحت الأغصان الخضر الوارفة.

ومع أن روبن هود قد انتصر على أعدائه في قتال عادل، فإن كل ذلك قد ألقى ثقلًا باهظًا على روحه وعقله، إذ ظلَّ مهمومًا بالأمر يقلِّبه في ذهنه حتى أصابته الحمى! إذ انتابته لثلاثة أيام، ومع أنه ناضل لمقاومتها والتخلُّص منها، فإنه كان مجبرًا على الخضوع لها. وهكذا كان في صباح اليوم الرابع، دعا الصغير جون، وأخبره بأنه لا يتمكّن من طرد الحمى عنه، ولذلك فإنه يودّ الذهاب إلى قريبتة رئيسة دير الراهبات قرب كيركليس في يوركشاير، التي كانت جرّاحة ماهرة، وهو يرغب في فتح عرق من ذراعه وفصد قليل من الدم منه، لتحسين صحته. ثم أمر الصغير جون بالاستعداد للذهاب أيضًا، إذ لعله يصادف حاجة للمساعدة في رحلته. فاستأذنا من الآخرين، وقد أمر روبن هود ويل ستوتلي بأن يكون نقيبًا للعصابة حتى يجب حينُ عودتهم. وهكذا انطلقا على مراحل سهلة وارتحال بطيء حتى وصلا إلى دير راهبات كيركليس.

كان روبن فيما مضى قد قدّم كثيرًا من العون إلى قريبتة هذه، إذ كان هذا من حبّ الملك ريتشارد وتكريمه له بأن تكون هي رئيسة هذا المكان. ولكن لا أمر أسهل نسيانًا في العالم مثل الامتنان والعرفان بالفضل! لذا فإن رئيسة دير كيركليس، عندما سمعت كيف أن قريبتها إيرل هونتندون قد تخلّى عن لقب الإيرل وعاد أدراجه إلى شيروود، تكدّرت روحها غيظًا، وخشيت أن بقاء علاقة القرابة سيُجلب تبعات غضب الملك عليها أيضًا. وهكذا حصل أن عند مجيء روبن هود إليها، وأخبرها برغبته في الحصول على خدماتها بوصفها معالجة جرّاحة، بدأت بالتآمر والتخطيط للإساءة ضده، مفكرة في أن تدبير السوء عليه سيُجلب لها الفضل والامتنان من أعدائه! وبغضّ النظر عن هذا، فقد احتفظت بهذا لنفسها بشكل متقن واستقبلت روبن بالتظاهر بالعطف والإحسان!

قادته إلى أعلى السلم الحجري الملتف، إلى غرفة كانت مباشرة



تحت أفاريز برج دائري عالٍ، ولكنها ما كانت لتسمح للضئيل جون بأن يأتي معه! لذلك فإن اليومن المسكين استدار مبتعدًا عن بوابة الدير، وترك سيده بين أيدي النساء. ولكن -رغم عدم دخوله- فإنه لم يذهب بعيدًا، فهو قد جعل نفسه مقيمًا في فسحة صغيرة بالجوار، تمكّن بها من مراقبة المكان الذي يرقد فيه روبن، ذلك مثل كلب مخلص عظيم ابتعد عن الباب حيث دخل سيده. بعد أن أخذت النساء روبن هود إلى الغرفة تحت الأفاريز، أخرجت الرئيسة كل الآخرين بعيدًا، ثم أخذت حبلًا قصيرًا، وربطته بإحكام على ذراع روبن، وكأنها كانت على وشك أن تفصده. وبالفعل قامت بفصده، ولكن العرق الذي فتحته لم يكن من تلك الزرق القريبة تحت الجلد، بل قطعت واحدًا أعمق من ذلك، وهو الذي يتدفق به الدم القاني اللامع من القلب. ولم يكن لروبن علم بهذا، إذ رغم أنه رأى اندفاع الدم، لكنه لم يخرج سريعًا بما يدفعه بشكل كافٍ للتفكير بحدوث أمر جلل!

وبإتمامها هذا الفعل الخسيس، استدارت الرئيسة وانصرفت عن قريبها، وقد أقفلت الباب وراءها. خلال الوقت كله نزع الدم من ذراع روبن هود، ولم يتمكّن من إيقافه مع أنه ناضل لفعل ذلك بأي طريقة ممكنة. نادى مرارًا وتكرارًا من أجل النجدة! ولكن لا عون أتى، فلقد خائنه قريبته، والصغير جون كان بعيدًا جدًّا عن سماع صوته. وبذلك نزع ونزع حتى خارت قواه... ثم تحامل على نفسه ونهض وهو يترنّح، وأسند نفسه بالراحتين على

الحائط، ووصل إلى بوقه أخيرًا، وقام بإصدار ثلاث نفخات به، لكنها ضعيفة وباهتة، فلقد كانت أنفاسه ترتعش خلال المرض وفقدان القوة. ورغم ذلك، سمعها الصغير جون من حيث يرقد في الفسحة، وبقلب ممتلئ بالفزع جاء يركض ويثب تجاه الدير! ضرب على الباب بعلو، وصرخ بصوت شديد عليهم من أجل أن يدعوه ليدخل، لكن الباب كان من السنديان المتين ومعززًا بالقضبان ومزخرقًا بالمسامير الكبيرة، فشعروا بالأمان وطلبوا من الصغير جون أن يمضي مبتعدًا!

ثم جنَّ قلب الصغير جون بالحزن والخوف على حياة سيده! فنظر حوله بشراسة، ووقعت عيناه على كتلة حجرية ثقيلة، مما لا يمكن لثلاثة رجال أن يحملوها هذه الأيام! فأخذ الصغير جون ثلاث خطوات متقدمًا، وأحنى ظهره ورفع الحجر من حيث يجثم منغرزًا بعمق، وتقدم مترنحًا تحت وزنه، وقذفه للتحطيم، فتداعى الباب وتفرقت الراهبات مذعورات يصدرن صيحات الفزع من قدومه! ثم سار الصغير جون مقتحمًا الداخل ولم يقل كلمة، بل هرع معتليًا السلم الحجري الملتف حتى وصل إلى الغرفة حيث سيده، وهنا وجد الباب مقفلًا أيضًا، ولكنه دفعه بكتفه، وحطّم الأقفال وكأنها كانت مصنوعة من ثلج هش! وهناك شاهد سيده المقرّب العزيز يستند إلى الجدار الحجري الرمادي، وكان وجهه كله أبيض ومنهكًا، ورأسه يتأرجح الى الأمام والخلف بضعف! فأطلق الصغير جون صيحة عظيمة وحشية من المحبة والحزن والشفقة! ووثب نحو روبن هود وقبض عليه بذراعيه، وقام برفعه مثل أم تحمل طفلها! وسار به إلى السرير، وأضجعه برفق هنالك.

وجاءت الآن رئيسة الدير على عجل، فلقد كانت مرعوبة مما جرى! وتخشى من انتقام الصغير جون وبقية أفراد العصابة، فقامت بإيقاف النزف بوضع الربطات ببراعة، فلم ينزف المزيد من الدم. وخلال كل ذلك وقف الصغير جون على الجانب متجهّمًا! وبعد أن أكملت، أمرها بخشونة أن تنصرف فأطاعت وهي في شحوب وارتجاف! وبعد أن غادرت تكلم الصغير جون بكلمات التشجيع والضحك العالي، وقال إن كل ذلك كان خوفَ طفل! وما من يوم من شديدي يموت من فقدان بضع قطرات من الدم:

- ها! نعطيك أقل من أسبوع وسوف تعود لتطوف في أراضي الغابات بجرأة مثل السابق.

لكن روبن هز رأسه وابتسم ابتسامة خافتة من حيث يستلقي، وهمس:

- يا عزيزي القريب منّي الصغير جون! لتبارك السماء عنصرك أيها القلب القوي. ولكن أيها الصديق العزيز، نحن لن نطوف معاً في أراضي الغابات أبداً!

قال الصغير جون بصوت عالٍ:

- بلى، لكننا سنفعل! أقول من جديد بلى، بُعداً لذلك، من يجرؤ على القول إن أي مزيد من الأذى سوف يحلّ عليك؟ ألسنّ إلى جانبك؟ دعني أرّ من يجرؤ على لمس...

وهنا توقف فجأة فلقد اختنق بكلماته! أخيراً قال بصوت عميق ومبحوح:

- الآن، إذا وقع أي أذى عليك بسبب أحداث هذا اليوم، فإنني أقسم بحق القديس جورج أن الديك الأحمر سوف يصيح فوق عوارض سقف المنزل الخشبية، إذ أن السنة اللهب الحارة سوف تعلق كل فجوة وزاوية مظلمة منه! أما بالنسبة إلى هذه النسوة -وهنا صرّ على أسنانه- فسيكون يوم سوء عليهن!

لكن روبن هود أخذ بقبضة الصغير جون الخشنة البنية بين يديه البيضاوين، وقام بلومه بلطف بصوت واطئ ضعيف، متسائلاً عن الوقت الذي كان فيه الصغير جون يفكر في إحداث السوء على النساء! حتى لو كان انتقاماً. وهكذا تكلم... حتى وعده الآخر بصوته المتحشرج بأن لا أذى سيصيب المكان مهما حصل. ثم ساد الصمت والسكون، وجلس الصغير جون ويذّ روبن هود في راحته، متأملاً في الخارج عبر النافذة المفتوحة، وبين الحين والآخر يبتلع ريقه بصعوبة. في هذه الأثناء هبطت الشمس نحو الغرب ببطء، حتى تحولت السماء كلها بلهيب الوهج الأحمر. ثم أمر روبن هود بصوت ضعيف مرتعش، بأن يرفعه لعله يلقي نظرة أخرى على أراضي الغابات، فقام اليوم برفعه بين ذراعيه استجابة لأمره، ورأس روبن هود مستقر على كتف صديقه!

حدّق لوقت طويل... بنظرات شاسعة ثابتة، بينما جلس الآخر مطأطأً رأسه والدموع الساخنة تجري واحدة بعد أخرى من مآقيه، وتتساقط على صدره! فلقد شعر بذلك أن وقت الرحيل كان قريبًا بمتناول اليد! ثم طلب منه روبن هود أن يشدّ له وتر قوسه القوي، ويختار له سهمًا حسنًا ناعمًا من كنانته، ففعل الصغير جون ذلك رغم أنه لم يزعج سيده أو يُنهضه من رقدته. التفت أصابع روبن هود بشغف حول قوسه الجميل، وابتسم بخفوت عندما شعر به في قبضته، ثم جعل السهم على الجزء من الوتر الذي تعرفه أطراف أصابعه بشكل ممتاز، ثم قال:

- أيها الصغير جون، الصغير جون، صديقي المخلص القريب، ومن أحبه أكثر من كل الآخرين في العالم، أتوسّل إليك أن تنتبه إلى حيث يستقر هذا السهم، وهناك فليكن قبري محفوظًا. اجعلني أرقد هناك ووجهي باتجاه الشرق، أيها الصغير جون، وارع أن يكون مرقدتي محفوظًا بالخضرة، وأن لا تُزعج عظامي المتعبة المرهقة!

وعندما أنهى كلامه، أنهض نفسه فجأة وجلس باستقامة! وكان قوّته القديمة عادت إليه! وقام بسحب الوتر حتى أذنه، وأطلق السهم خارج النافذة المفتوحة. وعندما مضى السهم تهاوت يده ببطء والقوس معها حتى تصالب عبر ركبتيه، وكذلك غرق جسده متراجعًا من جديد بين يدي الصغير جون الحائيتين! ولكن شيئًا قد انطلق من ذلك الجسد، في حال واحد مع انطلاق السهم المريش من القوس! لبضع دقائق... جلس الصغير جون بلا حركة، وها هو الآن يضع عنه من كان يمسكه برفق، ثم طوى ذراعيه على صدره وغطى وجهه، واستدار وغادر الغرفة بلا كلمة أو صوت. وعلى السلم المنحدر التقى برئيسة الدير وبعض من المسؤولات بين الراهبات، وتكلّم معهنّ بصوت عميق مرتعش:

- إذا مضيتنّ إلى تلك الغرفة في ضمن مسافة عشرين قدمًا، فسوف أهدم مجمعكنّ السكني (136). فوق رؤوسكنّ! فلا يبقى حجر على حجر! استذكرن كلماتي جيدًا في أذهانكنّ لأنني أقصدها قصدًا!

قال ذلك ثم استدار وانصرف عنهنّ، ورأينه حالاً وهو يجري بسرعة عبر المساحة المفتوحة خلال نزول الغسق حتى ابتلعت الغابة. كانت الخيوط الرمادية في أول ظهورها من الصباح القادم لتضيء السماء السوداء باتجاه الشرق، حينما جاء الصغير جون مع ستة من العصاة بسرعة عبر المساحة المفتوحة باتجاه دير الراهبات. لم يروا أحداً، إذ اختبأت الراهبات بعيداً عن الأنظار، لخوفهن من كلمات الصغير جون. ركضوا إلى أعلى السلم الحجري، وسمعت في وقتها أصوات عظيمة من النواح! وبعد مرور وقت توقف ذلك، ثم صدرت أصوات صخب وجلبة أقدام الرجال، وهم يحملون وزناً ثقيلاً أسفل السلم المنحدر الملتف. وهكذا تقدموا خارجين من الدير، وعندما مرّوا عبر الأبواب من هنالك، انبعث صوت بكاء وجزع عظيم عالٍ من المساحة المفتوحة الغارقة كلها في العتمة فجراً، وكأن عدة رجال -مختبئين في الظلال- قد رفعوا أصواتهم بالحزن والكرب عالياً!

وهكذا توفي روبن هود في دير راهبات كيركليس في مقاطعة يوركشاير الجميلة، وفي قلبه الغفران تجاه أولئك الذين أخطؤوا بحقه، إذ هكذا أظهر رحمته عن الخطأ والشفقة على الضعف والتخاذل خلال كل زمن حياته. أما رفاقه اليومنون فقد انتشروا... ولكن لم يقع أي سوء عليهم منذ ذلك الحين، إذ تلا العمدّة الماضي عمدّة أكثر تسامحاً ولم يكن يعرفهم جيداً، فتفرّقوا هناك وهناك خلال البلاد، واستقرّوا في سلام وهدوء، ولهذا كثير منهم عاش ليسلم إرث هذه الحكايات إلى أطفالهم وأطفال أطفالهم...

قال أحدهم إن على حجر في كيركليس نقشاً قديماً (137). وهذا أقدمه بالإنجليزية التراثية الذي كان النص مكتوباً بها، وهو على هذا النحو:

هنا، تحت حجر القبر هذا، يرقد روبرت إيرل هونتنتون

لم يكن من رامي سهام مثله قط

وقد سمّاه الناس روبن هود

ولن تشهد إنجلترا خارجين عن القانون مثله ومثل رجاله أبدًا...

مات في ٢٤ من كانون الأول ١٢٤٧.

والآن... يا أصدقائي الأعزاء، نحن يجب أن نغادر أيضًا، لأن رحلاتنا المرحية انتهت، وهنا -من عند قبر روبن هود- نستدير، وكل امرئ ينصرف على طريقه الخاص.

(133) يختم المؤلف رحلته التي بدأها مع القارئ، بأن طلب أن يناوله يده في الاستهلال ليقوده في مغامرات القصة.

(134) (Ended in smoke) تنتهي إلى لا شيء.

(135) سقطوا قتلى.

(136) (Rookery).

(137) ما يزال هذا القبر موجودًا، والعبارات نفسها. ولكن التحقيق التاريخي لم يحسم صحة نسبة القبر إلى جثمان روبن هود.

1. الغلاف
2. مغامرات روبن هود
3. مقدمة الترجمة
4. مقدمة المؤلف: من الكاتب إلى القارئ
5. التمهيد: كيف صار روبن هود خارجًا عن القانون
6. روبن هود والعامل الجوّال
7. مباراة الرماية في مدينة نوتنغهام
8. رفاق ويل ستوتلي. ينقذونه
9. روبن هود يتحول إلى قصاب!
10. الصغير جون. يذهب إلى مهرجان مدينة نوتنغهام
11. كيف عاش الصغير جون في منزل العمدة
12. الصغير جون. والدبّاغ من بلايث
13. روبن هود وويل سكارلت
14. المغامرة الظريفة مع ميج الطحّان
15. روبن هود وآلن أديل
16. روبن يبحث عن راهب فاونتين ذي الرداء القصير
17. روبن هود ينجز زواج حبيبين مخلصين
18. روبن هود يساعد فارسًا حزينًا
19. كيف سدّد السير ريتشارد لي ديونه
20. الصغير جون يتحول إلى راهب عاري القدمين
21. روبن هود يتحوّل إلى متسوّل
22. روبن هود يرمي أمام الملكة إيلينور
23. مطاردة روبن هود
24. روبن هود وغازي غيزبورن

25. الملك ريتشارد يأتي إلى غابة شيرود

26. الخاتمة